تاريخ الصناعة

فـــي الـــمـغـرب والأندلس

خلال عصري المرابطين والموحدين

(448 - 668 هـ / 1056 - 1269 م)

الدكتورة

هناء محمد عبد الحميد الفقي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دار الجديد للنشر والتوزيع

338.0964

ا. هـ

هناء محمد عبد الحميد الفقي ،.

تاريخ الصناعة في المغرب والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين (448 - 668 هـ / 1056 - 1269 م)/هناء محمد عبد الحميد الفقي.- ط1.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

476 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : 978 – 977 – 308 – 598 - 8

1. المغرب- الصناعات . 2. المرابطون في الأندلس

أ - العنوان .

رقم الإيداع : 16990 .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

elelm_aleman@yahoo.com & elelm_aleman2016@hotmail.com E-

:mail

النـــاشـــر : دار الجـــديد للنشـــر والتـــوزيع

تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر

E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

تحـــذيـــر:

يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأي شكل

من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

2018

إهداء

إلى أبي وأمي سر وجودي في الحياة

إلى زوجي ورفيق دربي

الفهـــرس

إهداء .... د
الفهـــرس .... هـ
قائمة المحتويات .... ز
المقدمة.. 1
أولاً: موضوع البحث ومنهج الدراسة:.. 1
الفصـــل الأول... 69
أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للصناعة:.. 69
ثانياً: مدلول الصناعة: 71
ثالثاً- عوامل تقدم الصناعة وازدهارها:... 77
رابعاً- أوضاع العمال:.. 98
الفصل الثاني الصناعات القائمة على المعادن والمواد غير المعدنية:......................... 109
أولاً- طريقة استخراج المعادن:.. 109
ثانياً- الصناعات المعدنية ومناطق استخراجها: 111
ثالثاً- الصناعات غير المعدنية:.. 277
الفصل الثالث الصناعات القائمة على الانتاج الزراعي والغابي والحيواني............... 297
أولاً: الصناعات القائمة على الانتاج الزراعي: 297
ثانياً- الصناعات القائمة على الانتاج الغابي:.. 449

ثالثاً- الصناعات القائمة على الانتاج الحيواني: 491
الخاتمـــة 515
قائمة المصادر والمراجع.. 528
أولاً: المخطوطات:.. 528
ثانياً: المصادر العربية المطبوعة:.. 529
ثالثاً: المراجع.. 552

قائمة المحتويات

الموضوع
المقدمة
أولاً: موضوع البحث ومنهج الدراسة
** التمهيد
الخصائص الجغرافية للمغرب والأندلس (الموقع والمناخ
الأوضاع السياسية للمغرب والأندلس أثناء فترة الدراسة
الفصل الأول
أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للصناعة
ثانياً: مدلول الصناعة من:
أ- القرآن الكريم
ب- السنة الشريفة
ثالثاً- عوامل تقدم الصناعة وازدهارها وموقف دولتي المرابطين والموحدين منها

1- توافر المواد الخام والأيدي العاملة في كل من المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين
2- تشجيع دولتي المرابطين والموحدين للعمل
أ- نظرة المجتمع المرابطي للعمل
ب- نظرة المجتمع الموحدي للعمل
رابعاً: أوضاع العمال
أرباب العمل
الصناع وخبراتهم ومستواهم المعيشي، الأسواق ودورها في ترويج الصناعات داخلياً وخارجياً
الفصل الثاني الصناعات القائمة على المعادن والمواد غير المعدنية
أولاً- طريقة استخراج المعادن
ثانياً- الصناعات المعدنية ومناطق استخراجها
الذهب
الفضة

الحديد
النحاس
الرصاص
القصدير
الزئبق والزنجفر
الكبريت
الكحل (الأثمد)
التوتيا
الزاج والشب
المغرة والطفل والقار
الملح
الأحجار الكريمة
الرخام والأحجار
العنبر
المياة المعدنية أو الحارة (الحمات)

صناعة الأسلحة
صناعة السكة
المعمار
ثالثاً- الصناعات غير المعدنية
الصناعات الزجاجية
الصناعات الفخارية والخزفية والزليجية
الفصل الثالث الصناعات القائمة على الانتاج الزراعي والغابي والحيواني
أولاً- الصناعات القائمة على الانتاج الزراعي:
النسيج:
أ- القطن
ب- الكتان
جـ- الصوف
د- الحرير
الصباغة (النسيج – الجلود)

صناعة الورق
المطاحن
صناعة الزيوت والصابون
صناعة السكر
صناعة الخمور
صناعة ماء الورد
صناعة الطبيخ
صناعة العطور والعقاقير
صناعة تجفيف الفاكهة
صناعة الخل
صناعة الحصر
ثانياً- الصناعات القائمة على الانتاج الغابي
الصناعات الخشبية
أ- الجسور
ب- بناء السفن الحربية والتجارية

صناعة الآلات الموسيقية

ثالثاً- الصناعات القائمة على الانتاج الحيواني:

1- الصناعات الجلدية

أ- صناعة الأحذية

ب- الأغشية والحزم والمدورات وسروج ولجم وأدوات منزلية وتجليد كتب

جـ- الفراء

د- الدباغة

2- صناعة علب العاج

صناعة الشموع

صناعة العسل

الخاتـمة

قائمة المصادر والمراجع

المقدمة

أولاً: موضوع البحث ومنهج الدراسة:

يتناول موضوع البحث دراسة عن تاريخ الصناعة في المغرب والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين (448 – 668 هـ / 1056 – 1269 م) ، للتعرف على هذه الحرف ورصدها، ودراسة ما ورد من النصوص الخاصة بهذه الحرفة في عصري المرابطين والموحدين، حيث يشهد المغرب والأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين فترة مزدهرة عدت من أهم الفترات خصوبة في التاريخ الإسلامي، فقد نشأت على أرضه أعظم دولتين عرفتهما هذه المنطقة خلال تاريخها الإسلامي، هما دولتي المرابطين والموحدين.

اتجهت عناية المؤرخين المسلمين وكذلك الدارسون المحدثون بالرغممن ذلك منذ القدم إلى دراسة النواحي السياسية والعسكرية في التاريخ الإسلامي وبذلوا في ذلك جهوداً مضنية يشهد بها ذلك التراث الهائل من المصادر والمراجع التاريخية، التي تعد سجلاً صادقاً ودقيقاً إلى حد كبير للظروف والأحداث التي مرت بها الأمة الإسلامية عبر مراحل تاريخها الطويل، إلا أن ذلك جاء على حساب نواحي لا تقل أهمية،

بل مثلت الجانب الأكثر إشراقاً في تاريخ أمتنا العربية الإسلامية، إذ يتجلى الدور البارز والفعال الذي أسهمت به الأمة الإسلامية في بناء صرح الحضارة الإسلامية وتوطيد دعائمها، والتي تمثلت في النواحي الاجتماعية والاقتصادية التي اعتبرت دراستيهما متممة للدراسات التاريخية، إلى جانب كونهما تعكسان لنا مدى التطور الحاصل في بنية الحياة اليومية للمجتمع الإسلامي.

دأب الإنسان منذ ظهوره على الأرض على مباشرة مختلف النشاطات الاقتصادية لإشباع حاجاته الملحة، ومر بمراحل عديدة بدأها بصناعات بدائيةإلى أن تطورت الصناعات بتطور الإنسان وتطور آلات صناعته.

وقد وجدت بعض الدراسات التي اعتنى بعض المؤرخين المحدثين من خلالها بدراسة النواحي الاقتصادية، ونذكر منها د. كمال أبو مصطفمن خلال كتابه "تاريخ الأندلس الاقتصادي"، وكذلك د. إبراهيم حركات وكتابه "النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط"، ود. عز الدين موسى "النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي".

وقد وجدت من المفيد دراسة تاريخ الصناعة ودورها في توجيه سياسة القرنين الخامس والسادس الهجريين من ناحية، وتأثير تلك السياسة على النشاط الاقتصادي من ناحية أخرى، ولاسيما في منتصف القرن الخامس الهجري وهو فترة انتقال الحكم من الإمارة الزناتية إلى حكم دولة المرابطين، وفي منتصف القرن السادس الهجري وهو فترة انتقال الحكم من دولة المرابطين إلى دولة الموحدين،

ومن هنا تجلى فهم أعمق لدرجة الاتصال الحضاري بين فترة دولتي المرابطين والموحدين، وهذا لا يعني أن الاقتصاد هو محرك ذلك التاريخ، ولكنه أحد العوامل الفاعلة فيه، ولا ينبغي إهمال دوره أو التقليل من شأنه، ولهذا فقد وصلت الصناعة في عصر دولتي المرابطين والموحدين أوج تقدمها وازدهارها لدرجة قيام الحكام بتشجيع العمال على النهوض بالصناعات وتوفير المواد الخام الأولية والأيدي العاملة، مما أدى إلى كثرة دور الإنتاج في معظم أنحاء بلاد المغرب والأندلس، وهو ما شجعني على اختيار هذا الموضوع لدراستي، نظراً لأهمية الصناعة في هذه الفترة، التي قدر لها أن تلعب دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية في بلاد المغرب والأندلس.

وموضوع البحث "تاريخ الصناعة في المغرب والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين (448 – 668 هـ / 1056 – 1269 م)"، وقد قسمته إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، معتمدة في ذلك على المنهج العلمي من حيث المقارنة بين النصوص واستنباط الحقائق، وذلك بالاعتماد على الوثائق التاريخية في هذه الفترة والمصادر العربية والمراجع العربية والمعربة والأجنبية.

أما المقدمة فتشتمل على أهمية الموضوع محل الدراسة، والدراساتالسابقة، كذلك تشتمل على المنهج المتبع وأسباب اختيار الموضوع مع عرض لأهم مصادر ومراجع البحث ونقدها.

كما اهتم التمهيد بعدة نقاط، أولها الخصائص الجغرافية لكل من بلاد المغرب والأندلس (الموقع والمناخ)، كذلك التعرض للأوضاع السياسية للمغرب والأندلس خلال فترة الدراسة.

أما الفصل الأول فهو يحمل عنوان "عوامل تقدم الصناعة وازدهارها"، وفيه تناولت المعنى اللغوي والاصطلاحي للصناعة مع عرض مدلولها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ونظرة المجتمع المرابطي والموحدي إلى العمل وأهمية الصناعة فيه، وأوضاع العمال (أرباب العمل والصناع وخبراتهم ومستواهم المعيشي).

أما الفصل الثاني فهو بعنوان "الصناعات القائمة على المعادن والمواد غير المعدنية"، مثل الصناعات الزجاجية والفخارية، وفيه تناولت طريقة استخراج المعادن، ومناطق استخراجها، المواد غير المعدنية والصناعات المعدنية ومنها الذهب، والفضة، والحديد، والنحاس، والرصاص، والقصدير، والزئبق، والزنجفر، والكبريت، والكحل (الأثمد)، والتوتيا، والزاج، والشب، والمغرة، والطفل، والقار، والملح، والأحجار الكريمة، والرخام، والأحجار، والعنبر، والمياة المعدنية أو الحارة (الحمات)، وتناولت أيضاً صناعة الأسلحة، وصناعة السكة، والصناعات المعدنية التي دخلت في فن المعمار، والصناعات الزجاجية، والصناعات الفخارية وما يقاربها كصناعة الفخار والخزف والزليج.

أما الفصل الثالث فهو بعنوان "الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي والغابي والحيواني"، وتناولت فيه دراسة صناعة النسيج (القطن، الكتان، الصوف والحرير) والصناعات الخشبية وفيها تناولت (بناء الجسور، وبناء السفن الحربية والتجارية، وفنون العمارة الخشبية وأدوات خشبية للإبل والخيول والغرابيل والأقلام والتحف والمخابي والأطباق)، والصناعات الجلدية وتناولت فيها (الأحذية، والأغشية، والحزم، والمدورات، والفراء)، وصناعة الصباغة (صباغة النسيج، وصباغة المصنوعات الجلدية)، وصناعة الورق والوراقة، وصناعة آلات الموسيقى (الطبول، والعود، والروطة، وأبو قرون، والدف، والبوق، واليرا، والدباب، والقانون، والخيال، والكريج).

كما تناولت المطاحن، وصناعة الزيوت والصابون، وصناعة السكر، وصناعة الخمور، وصناعة ماء الورد، وصناعة الطبيخ، وصناعة العقاقير والعطور، وصناعة تجفيف الفاكهة، وصناعة الخل وصناعة علب العاج وصناعة الشموع وصناعة العسل، وصناعة الحصر.

ثم ختمت دراستي بخاتمة تضمنت بها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال موضوع الدراسة.

1- عرض لأهم مصادر ومراجع البحث مع دراسة نقدية لها

اعتمدت في هذا البحث على عدد كبير من المصادر الأصلية، ومنها ما هو معاصر أو شبه معاصر، كما استفدت من المراجع الحديثة التي تناولت موضوع البحث من قريب أو من بعيد، وبطبيعة الحال لن أتمكن من عرض جميع المصادر التي اعتمدت عليها في الصفحات التالية، ولكنني سوف أقصر الحديث هنا على تلك التي كانت لها أهمية خاصة في استيفاء مادة البحث.

أولاً- القرآن الكريم:

لقد استفادت الباحثة استفادة كبيرة من آيات القرآن الكريم التي سيتم عرضها في التمهيد حول الصناعة، فضلاً عما أوضحته هذه الآيات نحو أهمية العمل.

ثانياً- السنة الشريفة:

أوضحت السنة النبوية الشريفة أحاديث عن فضل الصناعة وبركتها على الفرد والمجتمع، والسعي على الرزق والكسب.

ثالثاً- المصادر المخطوطة:

1- كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، لابن بعرة (منصور الكاملي الذهبي)(1):

جاءت استفادتي منه في دراسة الجهاز الإداري لدار السكة، خاصة الشاهدان والمقدم والسباك، ودورهم في صناعة السكة.

رابعاً- كتب التاريخ العام:

1- المن بالإمامة: تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، لابن صاحب الصلاة (عبد الملك محمد بن أحمد بن إبراهيم) (ت 594 هـ / 1198 م)(2).

يعتبر هذا المصدر من أهم مصادر الدراسة التي تناولت تاريخ الدولة الموحدية خاصة، لأن مؤلفه يعد شاهد عيان لما دار من أحداث في تلك الفترة، ورغم أنه لم يصلنا من أجزاءه الثلاثة سوى الجزء الثاني الذي يبدأ بأحداث سنة 554هـ/ 1159 م وينتهي بأحداث سنة 569 هـ / 1173 م، إلا أنه أفاد فترة الدراسة الخاصة بالموحدين خاصة في الفصل الأول، فقد بين مدى اهتمام دولة الموحدين بالصناع وتميز أهل الصناعة بالباس المختلف من بلد إلى أخرى، كما أفادني في الفصل الثاني عند الحديث عن حركة البناء والتشييد في عصر الموحدين بازدهار الصناعات الخشبية، كصناعة السفن وفنون العمارة الخشبية، كما أفادني في الفصل الثالث أيضاً في الحديث عن الصناعات الجلدية،

(1) مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم رقم (20935).

(2) تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ص 1964 م.

ويلاحظ أن ابن صاحب الصلاة في كتابه كان ينطلق وراء تسجيل الأحداث مقيداً تلك الأحداث بتواريخها مما يساعد على تمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة، هذا فضلاً عن تحيزه للموحدين وتقليل شأن المرابطين على اعتباره أحد رجال البلاط الموحدي، رغم أنه اتبع الحيدة والموضعية في بعض الحوادث التي أوردها، خاصة فيما يتعلق بين الموحدين وخصومهم من النصارى الأسبان أو الثوار الأندلسيين، لذا أخذ عنه ابن القطان في كتابه نظم الجمان، وابن الأبار في الحلة السيراء، وابن عذاري في البيان المغرب.

2- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، لابن القطان (أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الملك الكتامي المراكش) (ت 628 هـ / 1230 م)(1).

يعد هذا الكتاب تاريخاً شاملاً ومفصلاً للمغرب والأندلس منذ الفتح العربي حتى أيام المؤلف، أي في منتصف القرن السابع الهجري، وما وصلنا منه قطعة صغيرة من تلك الموسوعة الضخمة في تاريخ المغرب والأندلس، حيث لا يتناول إلا أخبار ثلاث وثلاثين سنة (من سنة 500 – 533 هـ) أي معظم عهد أمير المسلمين 'علي بن يوسف' المرابطي.

---

(1) تحقيق: د/ محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1990 م.

ومن الراجح أن ابن القطان كان مطلعاً على رسائل الموحدين الرسمية، وقد أورد شيئاً منها خاصة "رسالة العدل" التي بعثها الخليفة ‘عبد المؤمن بن علي’ سنة 543 هـ / 1147 م إلى جميع الولايات مبيناً سياسته ومعلناً تحول الثورة إلى دولة، ومن هنا جاءت استفادتي في الفصل الأول، فقد كانت هذه الرسالة مرتكزة على الضرائب عند الموحدين وتشجيعهم للصناع على العمل وزيادة الإنتاج.

استفاد ابن القطان ممن سبقوه من مؤرخي الدولة المرابطية والموحدية، واطلع على مؤلفاتهم وأشار إلى استخدامه لهذه المصادر، مثل كتاب المغرب لليسع بن عيسى الغافقي، والمقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس لعبد الملك بن موسى الوراق، والمن بالإمامة لابن صاحب الصلاة، ومن أبرز من نقل عنه من المؤرخين المعاصرين له والمتأخرين ابن عذاري وابن الخطيب، وصاحب الحلل الموشية، ويتميز كتاب نظم الجمان بأنه موحدي الطابع كتبه رجل من رجال الدولة الموحدية ومتعصب لهم، فهو يشيد بخلفائهم ويهاجم خصومهم خاصة المرابطين وينقص من شأنهم ومما قدموه للإسلام في المغرب والأندلس من أعمال جليلة.

3- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، للبيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) (ت في أواخر القرن السادس الهجري)(1).

---

(1) دار المنصور، الرباط، 1971 م.

على الرغم من التحيز الواضح من مؤلف هذا الكتاب للموحدين وإفراطه في المدح والثناء وركونه جانباً نحو الروايات الخيالية، إلا أنه أعطانا معلومات قيمة أفادت موضوع البحث أثناء دراسة دولة المرابطين والموحدين خاصة في الفصل الأول، حيث أنه أوضح لنا حرص الخلفاء الموحدين على حماية الصناع، خاصة الخليفة 'عبد المؤمن بن علي'(1) واهتمامهم بحماية مناجم المعادن باعتبارها مورداً هاماً لخزانة الموحدين، كما أفادني في الفصل الثالث عند الحديث عن الصناعات الجلدية، وفي صناعة الخمور.

4- الكامل في التاريخ، لابن الأثير (عز الدين علي بن محمد)(ت 630 هـ/ 1232م)(2).

اعتمد ابن الأثير في مادته التاريخية على مصادر قديمة منها كتاب الرقيق القيرواني "تاريخ إفريقية والمغرب"، وكتاب البكري "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"، ورغم اعتبار ابن الأثير مؤلفاً موهوباً ومحققاً جديراً بالثقة، فقد جاءت أهمية كتابه على الصعيد المشرقي والمغربي، وظهرت أهميته المغربية جليلة، خاصة في دراسة الفصل الأول فيما تعرض له من دور الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' في حماية الصناع والمحافظة على أرواحهم بمراكش حينما فتحها(3)،

(1) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص 70.
(2) دار صادر، بيروت – لبنان، 1386 هـ / 1986 م.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجـ 10، ص 584 – 585.

كما أفادني بالكثير من المعلومات في الفصل الثاني عن صناعة الأسلحة، وعلى الرغم من إهمال ابن الأثير ذكر مصادره في الكثير من الأحيان إلا أنه اعتنى بصحة معلوماته، وهو في ذلك يبين رجوعه إلى منهج النقد التاريخي للوصول إلى معلومات صادقة دون تحيز أو تحريف.

5- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (عبد الواحد المراكشي) (ت 647 هـ / 1249 م)(1).

ألف المراكشي هذا الكتاب ببغداد أي بعيداً عن وطنه بالمغرب، وكان ذلك في الربع الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وانتهى من تأليفه سنة 621 هـ / 1224 م، ليكون تعريفاً لأهل المشرق الإسلامي بأحوال بلاد المغرب.

والكتاب يعد من المصادر التاريخية الهامة في تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، وإن كان موضوعه هو تاريخ دولة الموحدين التي عاش في كنفها، ويذكر تاريخها ويصف وقائعه وصف معاصر شهدها وعاينها.

وأما ما كتبه عن العصر المرابطي، فتلخيص دقيق متقن لروايات غي تاريخ المغرب سبقه إللا تدوينها مؤرخون قدامى روى عنهم موجزاً أو مسهباً عن أسلوبهم في الرواية أو على أسلوبه في السرد والتسلسل والانسجام، وإن كان يجنح كثيراً إلى التحامل على الأمير المرابطي ،علي بن يوسف ويتهمه بالإذعان لمشيئة الفقهاء الذين أصبح لهم احل والربط في الدولة بالإضافة إلى النساء، ورغم اختصار مادة هذا الكتاب

(1) تحقيق محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994 م.

وما يشوب أخباره عن دولة المرابطين من تحامل من المصادر التي لا غنى عنها لأي باحث في تاريخ المغرب والأندلـس في عصر دولتي المرابطين والموحدين، فقد أورد العديد من الروايات عن تاريخ المغرب الإسلامي قبل الموحدين، والتي ضاع الكثير من مصادرها، فيذكر في مقدمته أنه لم يثبت في كتابه إلا ما حققه بنفسه نقلاً عن كتاب أو سماعاً من ثقة عدل أو مشاهدة.

يعد الكتاب من المصادر الهامة التي اعتمدت عليها في بحثي خاصة عند تعرضي لأحوال الأندلس والمغرب السياسية في عصر دولتي المرابطين والموحدين، كما أفادني الكتاب في دراسة بعض النواحي الاقتصادية خاصة في الفصل الأول حين بين لنا مدى اهتمام الخليفة 'المنصور' بالصناع وأمناء الصناعة وحرصه على الاجتماع بهم كل شهر مرتين لتفقد سيرتهم ومناقشة أسعارهم، كما أفادنيفي الفصل الثاني عند دراسة الصناعات المعدنية، وفي الحديث عن مدى استخدامها في الحلل الموشاة بخيوط من الذهب في زركشة المنسوجات، كما أشار إلى أهم مناطق إنتاج المعادن في الأندلس والمغرب، هذا فضلاً عن تعريفه بخصائص المدن الأندلسية وشهرة كل منها في الصناعة خاصة صناعة المعادن، كما أمدني بمعلومات هامة في الفصل الثالث عن صناعة النسيج، والصناعات الخشبية كصناعة السفن، وصناعة الآلات الموسيقية، وأمدني بمعلومات هامة عن صناعة الخمر وصناعة العقاقير والأدوية.

6- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي (ت 712 هـ / 1312 م)(1).

يعتبر كتاب البيان المغرب من أهم المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها في بحثي، نظراً لقيمته التاريخية بين غيره من المصادر التي حوت روايات قدامى المؤرخين من المغاربة والأندلسيين التي لم تصل إلينا كالرقيق (ت بعد عام 417 هـ / 1026م)، وابن شرف(ت 460 هـ / 1088 م)، وابن الرشيق (ت 504 هـ/1110 م)، وكتاب لأبي الفياض الأندلسي (ت 459 هـ / 1066 م) في تاريخ المغرب المسمى العبر، لذا حرص المؤلف على ذكر أصحابها في كل مناسبة، ومع ذلك فقد جاءت بعض أحداث الكتاب مختصرة جداً إلا انه لا يقلل هذا من مكانته بين المصادر التي اعتمدت عليها من خلال أجزائه الخمسة التي أفادت مادة البحث بمادة خصبة في الجزء الأول.

فضلاً عن أهمية الجزء الرابع الخاص بدولة المرابطين من خلال اهتمام دولة المرابطين بالمعمار، واستقدامهم للصناع من الأندلس لهذا الغرض، كما جاءت استفادتي منه أيضاً في الفصل الثاني عند ذكر معادن الأندلس،

(1) تحقيق: ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان، 1983 م.

وفي صناعة الأسلحة، وصناعة السكة(1)، وفي الفصل الثالث عند الحديث عن صناعة السفن، وفي قسم الموحدين الذي كناه باسمهم استفدت منه في الفصل الأول عند الحديث عن رفع خلفاء الموحدين القبالات في الأسواق، وفي الفصل الثاني عند ذكر معادن بلاد المغرب، وفي الفصل الثالث في الحديث عن الصناعات الخشبية، وصناعة الخمور والنسيج(2)، لذا جاءت استفادتي من هذا الكتاب استفادة جمة في كل مرحلة من مراحل البحث.

7- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) (ت 732 هـ / 1331 م)(3).

برع النويري في عرض مادته بصيغة سهلة التناول أفادت الباحثينفي استيفاء مادتهم التاريخية بسهولة ويسر، على عكس غيره من مصادر أخرى تناولت الأحداث التاريخية بصيغة صعبة التناول،

---

(1) تحقيق: إحسان عباس، دار الثاقفة، بيروت – لبنان، جـ 4، 1983 م.

(2) تحقيق: محمد الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، بيروت – لبنان، القسم الموحدي، 1985 م.

(3) تحقيق: د/ حسين نصار، مراجعة: د/ عبد العزيز الأهواني، المجلس الأعلى للثقافة بلاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 1403 هـ / 1983 م.

إلا أنه أضعف قيمته كمصدر أصيل إذا ما قورن بغيره من الكتاب من حيث عرض الرواية التاريخية التي قد لا يهتم فيها بعرض اختلافات الرواة، بل يأخذ بالرواية التي يفضلها، كم أنه قام بنقل كثير من هذه الروايات عن طريق ابن الأثير

إلا أنه زاد عليه في كتاباته محتفظاً بقطع نادرة منها خاصة بعض الكتب التي لم تصل إلينا مثل كتاب الرقيق القيرواني الذي نقله بتفصيلاته دون حذف أو تغيير، فجاءت ما استفادت منه من هذا الكتاب في الفصل الثاني في ذكر معادن بلاد الأندلس، كما أفادني في صناعة الأسلحة وفي الفصل الثالث من خلال دراسة الصناعات الخشبية وأهمها صناعة السفن.

8- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لابن أبي زرع (أبو الحسن بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي) (ت 749 هـ / 1347 م)(1).

تناول هذا الكتاب تاريخ المغرب عموماً بداية من الدولة الإدريسيةإلى سنة 727 هـ / 1325 م، وعلى الرغم من أن المؤلف يعرض بشكل عام لتاريخ دول المغرب دون توثيق وإسناد، إلا أن طريقته في الكتابة ليست طريقة الحوليات التي جرى عليها أغلب المؤرخين في العصر الإسلامي، ولكنها طريقة التأريخ للدول،

(1) دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972 م.

فهو يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها، ثم يذكر في نهاية الكلام عن كل دولة ما حدث في أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية وظواهر طبيعية ووفيات الأعيان بها، ورخاء الأسعار وغلوها، وانتشار الأوبئة والمجاعات ونزول الأمطار وظهور النجوم.

أما فيما يتعلق بتاريخ دولة المرابطين فقد أبرز فيها أخبار ظهور الدولة وقيامها بالمغرب والأندلس موضحاً عوامل تقدم الصناعة وازدهارها، كما أفادني في الفصل الثاني في ذكر معادن بلاد المغرب والأندلس، واهتمام خلفاء الموحدين باستغلال المناجم والعمل على حراستها وحمايتها، بالإضافة إلى استفادتي في صناعة الأسلحة، والمعمار، وفي الفصل الثالث عند الحديث عن الصناعات الخشبية، ومنها صناعة السفن، وفنون العمارة الخشبية، وصناعة الآلات الموسيقية وصناعة الخمور.

9- الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني) (ت 776 هـ / 1374 م)(1).

يعد ابن الخطيب من أكبر مؤرخي الأندلس على مر العصور، لذا تميزت مؤلفاته بغزارتها وتنوعها، لهذا اعتمدت على عدة مؤلفات له أثناء إعداد هذا البحث، ومن هذه المؤلفات التي اعتمدت عليها "معيار الاختيار"، و"مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس"، وغيرها من المؤلفات التي أفادتني بدرجة كبيرة،

(1) تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، جـ 1، 1973 م.

لكن إفادتي جاءت بشكل أكبر من كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" وذلك عند دراسة الفصل الثاني فيما يتعلق بالصناعات التي قامت على صناعة الذهب، ويرجع ذلك لوفرته ببلاد الأندلس، وأهم مراكز إنتاج المعادن، وأهم استخدامات معدن الفضة، كما أفادني في ذكر الأحجار الكريمة، وصناعة الأسلحة، وصناعة السكة، وفي الفصل الثالث خاصة في صناعة النسيج، والصناعات الجلدية، والمطاحن، وصناعة الزيوت والصابون، وصناعة قصب السكر، وصناعة العقاقير والعطور، بالإضافة إلى صناعة تجفيف الفاكهة، فجاءت استفادتي منه في كل مراحل البحث.

10- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف مجهول (مؤرخ أندلسيمن أهل القرن الثامن الهجري)(1).

تم تصنيف كتاب الحلل الموشية في 12 ربيع الأول 783 هـ / 1381 م في عهد كل من السلطانين 'محمد الخامس الغني بالله' ملك غرناطة، و'أبي زيد بن عبد الرحمن بن أبي الحسن المريني' ملك المغرب.

أما عن مؤلف هذا الكتاب فقد اختلف في ذكر اسمه، ويمكننا أن نرتب فيما يلي المراحل التي انتهت إلى التوصل لمعرفة اسمه الحقيقي:

(1) تحقيق: سهيل زكار وآخرون، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979 م.

نسب هذا الكتاب خطأ إلى ابن الخطيب عندما نشر في تونس لأول مرة في سنة 1329 هـ / 1960 م.

اتفق بعض المؤرخين المغاربة المحدثين على نسبه إلى أديب ما لقي اسمه 'عبد الله بن أبي المعالي السماك العاملي'، الذي كان ما يزال حياً في أواخر القرن الثامن الهجري(1).

رجحت الدكتورة ماريا خيوس روبيرا في بحث نشرته بالفرنسية بعنوان حول مؤلف محتمل لمدونة الحلل الموشية رجحت فيه نسبة هذا الكتاب إلى نفس كاتب "الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة" وهو 'محمد بن أبي المعالي بن السماك العاملي'(2).

قدم الدكتور محمود علي مكي دراسة تحليلية قيمة قدم فيها لكتاب "الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة"، عالج فيها الحجج التي ساقتها الدكتورة ماريا هيوس مع دراسة مقارنة لكتابي "الزهرات" وكتاب "الحلل" رجح فيها الدكتور مكي أن الكتابين يمكن أن ينسبا لمؤلف واحد وهو 'محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك العاملي'(3).

---

(1) أنظر مقال الدكتور أحمد مختار العبادي، دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مجلة تطوان، العدد الخامس، 1960 م، ص 139؛ أنظر أيضاً ما أورده المؤلف من ثبت بأسماء هؤلاء المؤلفين المغاربة.

(2) *Maria Jesus Rubiera: Sur un possible auteur de lachronique intituléeAl-Hulal al-mawsiyya fidikr al-ajbar al-marrakkusiyya enil cotoquio hispano – tunecino de estudios Arabes, Madrid – Barcelona, Mayo, 1972, pp. 143 – 146;*

أنظر أيضاً أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996 م، ص 19.

(3) أنظر محمود علي مكي: الزهرات المنثورات في نكت الأخبار المأثورات لابن السماك العاملي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد العشرون، 1980 م، ص 35 – 41.

وأياً ما كان الأمر فإن كتاب الحلل الموشية بما يتضمنه من تفصيلات تاريخيةعن عصر دولتي المرابطين والموحدين يعتبر من المصادر التاريخية الهامة للفترة موضوع البحث. فقد اعتمد على مصادر معاصرة دعمت دراسته منهم الصيرفي (ت 570 هـ / 1174 م)، وابن القطان صاحب نظم الجمان، كما اعتمد في عصر الموحدين 'علي أبي بكر الصنهاجي' الملقب بالبيذق و'علي ابن صاحب الصلاة'.

ويعتبر كتاب الحلل الموشية من الكتب الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها في تاريخ دولتي المرابطين والموحدين لدقة أخباره التاريخية وصحتها فيما يخص قيام دولة المرابطين، كما برزت مكانة الكتاب التاريخية في تقيم العمل المرابطي بالأندلس دون تحيز لأي من موقفي الأندلسيين والصحراويين الملثمين بما يمثله كل طرف من المستويات الحضارية والإنسانية، كما أفاد مادة الدراسة في الفصل الثاني في الحديث عن المعمار وصناعة الأسلحة، وفي الفصل الثالث في الصناعات الخشبية وصناعة الآلات الموسيقية وصناعة المطاحن، فاستفدت من هذا الكتاب استفادة جمة في كل مرحلة من مراحل البحث.

11- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) (ت 808 هـ / 1405 م)(1).

---

(1) تقديم عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007 م.

يعتبر ابن خلدون من أعظم مؤرخي العالم الإسلامي، حيث حوت موسوعته العبر بجانب المقدمة بين طياتها أخبار العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً، لذلك لم يأتي كتابه مهماً بالنسبة لعصر من العصور دون الآخر، كتحديد عصر المؤلف أو غيره بل بالنسبة لأقدم عصور المغرب العربي، وإن كان يرجع ذلك إلى عبقريته الفذة التي ترتكن إلى الحس التاريخي في إبراز الأحداث التاريخية مقارنة بتفاعل عدد من العوامل السياسية والاجتماعية والجغرافية وغيرها، وهي ما أضفت على التاريخ مفهوم الحضارة، وإلى جانب ذلك فلقد اعتنى ابن خلدون عناية خاصة بأنساب البربر وعوائدهم وتقاليدهم وتاريخهم قبل الإسلام وبعده، مما أثرى موضوع البحث، ومنها في الفصل الثاني من خلال صناعة السكة صناعة،وفي دراسة الفصل الثالث من خلال صناعة النسيج، والعديد من الأحداث التاريخية التي أفادتني في موضوع البحث،.

وعلى الرغم من ذلك فلم يخل أسلوب ابن خلدون من بعض الهنات التي أوقعته كغيره من المؤرخين، مثل نقله معلومات مغربية لبعض المؤرخين المشارقة كالطبري، في حين لم يشير إلى فضل كتاب ابن عذاري عليه في هذا القبيل، رغم رجوعه إليه، وإنما أشار إلى الرقيق متجاهلاً إياه(1).

(1) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995 م.

12- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي (أبي العباس أحمد) (ت 821 هـ / 1418 م)(1).

يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي أفادتني في موضوع البحث، فجاءت استفادتي منه في كل مراحل البحث، ففي الفصل الثاني عند الحديث عن الصناعات المعدنية، وأهم المدن التي اشتهرت بصناعتها، وعن أهم مقاطع الرخام بالأندلس، وأفادتني في المعمار، والصناعات الزجاجية والفخارية، والزليج، وفي الفصل الثالث في صناعة النسيج والصناعات الخشبية، من أهمها صناعة السفن وفنون العمارة الخشبية، وفي الصناعات الجلدية وصناعة الزيوت، وصناعة قصب السكر، وصناعة العطور والعقاقير، بالإضافة إلى صناعة الخل، وهذه المعلومات قد أثرت موضوع البحث وأفادتني في كل مراحله.

خامساً- كتب الحسبة الأندلسية:

تمثل كتب الحسبة مصدراً هاماً للتاريخ الاقتصادي للأندلس، حيث تمدنا بالكثير من المعلومات عن المعاملات التجارية والنشاط الصناعي في المدن الأندلسية بوجه عام، وتعطينا معلومات عن الأسواق، وقد بينت لنا كتب الحسبة التي رجعت إليها في دراستي وأفادتني في استخلاص المادة العلمية لهذا البحث،

(1) تقديم: فوزي حمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2005م.

ومن أهمها "ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب" لابن عبد الرؤوف وابن عبدون (أوائل القرن السادس الهجري)، والجرسيفي(1)، بالإضافة إلى كتاب "آداب الحسبة" للسقطي المالقي (أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجري)(2).

فاستفدت كثيراً من كتب الحسبة، فقد أعانني على دراسة الحياة الاقتصادية في الفصل الأول في الأسواق ونظام طوائف الحرف، وأيضاً في ذكر أهم الصناعات في المدن، وعن كيفية مراقبة المحتسب وأعوانه من العرفاء (الأمناء) لأعمال الغش والتدليس التي كان يلجأ إليها بعض الصناع والباعة، هذا إلى جانب معرفة نظام جباية الضرائب في العصر المرابطي.

سادساً- كتب الجغرافيا:

1- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، للعذري، (ت 478 هـ / 1085 م)(3).

بالرغم من أنه لم يصلنا من كتاب ترصيع الأخبار إلا بعض النصوص المتعلقة بالأندلس، والتي تعتبر من أقيم ما نشر عن الأصول الأندلسية، كما تكمل لنا ثغرات كثيرة عن جغرافية الأندلس وتاريخها حتى عهد المؤلف، ويتميز العذري بوصفه الجغرافي المتميز، فهو يقسم كتابه إلى ما يشبه فصول،

---

(1) تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955 م.
(2) تحقيق: حسن الدين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت – لبنان، 1987 م.
(3) تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965 م.

وكل فصل يدور حول كورة من كور الأندلس، معتمداً في ذلك على ما اقتبسه من أحمد الرازي (ت344 هـ / 955 م)، علاوة على تفصيلات هامة أضافها بنفسه، تدل على إطلاع ومعرفة ومشاهدة أيضاً من الناحية الأخرى نقل عن العذري العديد من الجغرافيين المشارقة والأندلسيين أمثال القزويني والبكري وغيرهم.

ويضم كتاب العذري معلومات قيمة خاصة في دراسة مصادر الثروة الاقتصادية في بلاد الأندلس، ويشير إلى ما تشتهر به كل مدينة في دراسة الفصل الثاني عند الحديث عن المعادن، وأهم مناطق إنتاجها، وفي الفصل الثالث في الصناعات الجلدية والصباغة، وصناعة قصب السكر، فقد أفادني هذا الكتاب في كل مراحل البحث.

2- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، للبكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) (ت 487 هـ / 1094 م)(1).

لقد جاءت معلومات هذا الكتاب معلومات دقيقة، ويغلب عليها الصفة العلمية، خاصة فيما يتعلق بالمعلومات ذات الطابع الجغرافي، فنجد معلومات دقيقة عن الطرق والمسالك، التي لا يحتمل أن تكون وليدة المشاهدة بل المعاينة التي اعتمد عليها في نقله لبعض الكتب القديمة التي كانت موجودة قبل الإسلام، مثل تاريخ البلاد قبل الإسلام، "الحرب بين روما وقرطاجنة"، وغيرها من الكتب القديمة(2).

---

(1) مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

(2) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 1، ص 30.

وقد جاءت استفادتي من هذا الكتاب بمعلومات كثيرة في الفصل الثاني عند الحديث عن ذكر معادن بلاد المغرب وأهم مناطق إنتاجها، وصناعة المعمار، وفي الفصل الثالث من خلال صناعة النسيج، والصناعات الجلدية ودبغ الجلود، والمطاحن، وصناعة الزيوت، وصناعة قصب السكر، وصناعة العطور والعقاقير، وأوضح لنا دور النساء والصبيان في التحرف والتكسب.

وعززت أهمية هذا الكتاب بالنسبة لموضوع الدراسة من الناحية التاريخية، حيث لجأت إليه للتعريف ببعض المواضع الخاصة بموضوع البحث، إلا أنه قد تناول بعض المعلومات التاريخية الخاطئة التي اقتبسها دون أن يعرضها للنقد، مما كان موضع ملاحظة من المتأخرين الذين نقلوا عنه، كالإدريسي وابن عذاري وابن خلدون، ولكن هذا لا يقلل من الأهمية العلمية لهذا الكتاب.

3- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للإدريسي (أبو عبد الله محمد بن إدريس الحمودي الحسني) (ت 646 هـ / 1248 م)(1).

يعتبر الإدريسي من أهم الجغرافيين الذين تميزوا بعلمهم في المشرق والمغرب خلال العصور الوسطى، فقد امتاز بالدقة في وصف الطرق والبلاد وتقدير المسافات، إلى جانب اهتمامه بسكان البلاد ووصف أحوالهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم،

(1) مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1994 م.

كما جاءت استفادتي في بحثي من خلال القسم الخاص بوصف المغرب والأندلس في كتابه "نزهة المشتاق"، فقد حوى معلومات بالغة الدقة والأهمية تتعلق بجغرافية الأندلس وثرواتها الاقتصادية في العصر المرابطي الذي عاش فيه الإدريسي، فقد أفادني بمعلومات قيمة في الفصل الثاني عن مراكز التعدين، وشهرة كل مدينة بالمعدن أو الصناعة، كما أورد نصاً هاماً أوضح فيه نظام العمل في المناجم، من خلال وصفه لموقع أبال، كما ذكر أهم مواقع الغابات وتربية الحيوانات بالأندلس، كما أفادني بمعلومات غزيرة عن صناعة النسيج، وصناعة السفن، والصناعات الجلدية والدباغة، وصناعة الورق وصناعة الزيوت، وصناعة الخمور، وصناعة تجفيف الفاكهة، وصناعة العسل.

وينقل الإدريسي عن بعض الجغرافيين المشارقة والأندلسيين الذين سبقوه أمثال المسعودي وابن حوقل وابن خرداذبة وأحمد الرازي والعذري، بالإضافة إلى المعلومات العديدة التي عرفها بنفسه من خلال المشاهدة لها أو نقلاً عن العارفين بها.

4- الاستبصار في عجائب الأمصار، لمؤلف مجهول، (عاش في القرن السادس الهجري)(1).

(1) نشر وتعليق د/ سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة، العراق – بغداد، 1989 م.,

يحتوي هذا الكتاب على وصف لمكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب والسودان، وينقل عن مصادر سابقه عليه، مثل البكري والإدريسي، فضلاً عن أنه انفرد بمعلومات قيمة لم يذكرها غيره سواء من الناحية الجغرافية أو العمرانية أو الأثرية، فقد يرجع ذلك لكونه مراكشياً، لذا ولى بلاد المغرب اهتماماً كبيراً في هذه النواحي، كذلك لا يكتفي بالوصف الدقيق للعواصم المغربية في دولة الموحدين على عهده، ولا بالأعمال الإنشائية التي تمت في عهد الخليفة 'يعقوب المنصور' (580 – 595 هـ / 1184 – 1192 م)، بل يقترح خططاً عمرانية تهدف إلى نشر الرخاء في هذه المناطق(1).

فضلاً عما تحتويه من معلومات دقيقة وأخبار عامة عن التعريف بالأماكن والمواضع حول مراكش وفاس ومكناسة الغير موجودة في كتاب البكري وغيره من المصادر الجغرافية الأخرى نظراً لكونه مراكشياً، ويعد كتاب الاستبصار أشبه ما يكون أن يوقع وإنما هو مصنف يحوي معلومات دقيقة وأخباراً عامة وأساطير طريفة، ومع هذا فلم يقلل من قيمة الكتاب الجغرافية والتاريخية، وجاءت استفادتي من هذا الكتاب في الفصل الثاني لمعرفة معادن بلاد الأندلس والمغرب، وفي فن المعمار، وصناعة الزجاج وصناعة الخزف، و في الفصل الثالث في صناعة النسيج، بالإضافة إلى الصناعات الجلدية والمطاحن وصناعة الزيوت وقصب السكر، وصناعة العطور والعقاقير، فجاءت استفادتي من هذا الكتاب في جميع مراحل البحث.

(1) مجهول: مقدمة المحقق، ص ت.

5- كتاب الجغرافية، للزهري (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر) (توفي في أواسط القرن السادس الهجري)(1).

يعتبر كتاب الجغرافيا للزهري من الكتب الجغرافية القيمة، إذ تناول فيه المؤلف وصف العديد من أقاليم المشرق والمغرب وإن كان قد أفرد لبلده الأندلس جزءاً كبيراً من هذا الكتاب، فقد اعتمد في هذا الكتاب على المشاهدات الشخصية خاصة فيما يتعلق بالأندلس وعلى ما سمعه من المعاصرين الذين سجل لنا بعض أسمائهم دون التعريف بهم، كذلك اعتمد على بعض المؤرخين والجغرافيين، أمثال المسعودي وابن حيان والعذري.

ومما يؤخذ عليه الاختصار الشديد وعدم استقامة السياق أو سلامة الأسلوب وإكثاره في ذكر العجائب والغرائب التي لا يصدقها العقل، ورغم ذلك جاءت استفادتي منه بمعلومات كثيرة جغرافية واقتصادية غاية في الأهمية، ففي الفصل الثاني وذلك للحديث عما اشتهرت به كل مدينة من صناعات ومعادن، وأهم مناطق صناعتها وصناعة الأسلحة، وفي الفصل الثالث عن أهم المناطق التي تشتهر بقطع الأخشاب والغابات والصناعات الخشبية ومنها صناعة السفن وعن صيد الأسماك، وكذلك صناعة النسيج، وصناعة الجلود والمطاحن، وصناعة الزيوت، وصناعة العطور والعقاقير، وصناعة علب العاج.

(1) تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1967 م.

فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، لابن غالب (محمد بن أيوب الأندلسي) (من أهل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي).

يعد ابن غالب من معاصري 'أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي' صاحب غرناطة (571 هـ / 1175 م) ومن المتصلين به، ويضم هذا الكتاب قسمين أولهما في خطط الأندلس، والثاني في أخبار الأندلسيين وذكر مآثرهم، ففي الفصل الثاني استفدت عند ذكر معادن الأندلس، وأهم مناطق إنتاجها، كما أفادني في الفصل الثالث عند الحديث عن صناعة النسيج، وصناعة السفن، وصناعة الجلود والدباغة، صناعة الزيوت وصناعة السكر، وصناعة العطور والعقاقير.

كما أنه يذكر أسماء البلاد وخواصها ووصف أصقاعها مما يختص بعلم الجغرافية ويخلط ذلك بالتاريخ، ومن ناحية أخرى فإن الإشارات التي أورها المقري صاحب "نفح الطيب" نقلاً عنه تصور إلى حد ما نزوع ابن غالب إلى الشمول والاستيعاب، ففيه ذكر لأنساب العرب من أهل الأندلس ومنازلهم وأخبار العلماء والمؤرخين والخلفاء والأمراء، والجزء الذي عثر عليه من فرحة الأنفس من القسم الجغرافي للكتاب في ذكر خطط الأندلس يعد الأربعمائة، وما تبقى من مدائنه بأيدي المسلمين في عصر دولتي المرابطين والموحدين، ولم يسقط منها شئ يقطع تسلسل الكور وانتظامها في طريق واحد.

استفدت من هذا الكتاب في بحثي بذكر الكور وما تضم من مدن وحصون وقرى وما تتميز به من خصائص والمسافات بينها، ففي الفصل الثاني من خلال ما اشتهرت به هذه المدن من صناعات ومعادن، وفي الفصل الثالث عن الثروة السمكية والحيوانية والغابية، ولكن مما يؤخذ عليه أنه لم يضيف شيئاً جديداً بلده الأندلس، وإنما كان ناقلاً جيداً يحسن الاختيار مما بين يديه من الأصول، ثم يربط بعضه ببعض ويجعل كلامه متصلاً.

7- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) (ت 900 هـ / 1494)(1).

تظهر أهمية هذا الكتاب في أنه يتضمن وصفاً وافياً ودقيقاً لبلاد الأندلس يتطرق فيه الحميري لوصف العديد من المعلومات الهامة عن هذه البلاد، فضلاً عن تعريف بعض المواقع المبهمة أو التي تعرض لها المصادر السابقة، لم تكن أهمية هذا المصدر جغرافية فقط، بل برزت أهميته التاريخية في تعرضه لبعض الأحداث المباشرة التي أفادت موضوع البحث.

وعلى الرغم مما حواه هذا الكتاب من معلومات تاريخية، فإنها تأتي مجملة في إطارها العام، فاستفدت منه في دراسة الحياة الاقتصادية في الأندلس، فقد أشار مراراً إلى مصادر الثروة الطبيعية،

(1) نشر وتصحيح وتعليق: أ/ ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1988 م.

ففي الفصل الثاني تحدث عن معادن ومياه معدنية ونباتات طبيعية، وفي الفصل الثالث في صناعة النسيج وتربية الحرير، وصناعة السفن والمطاحن وصناعة الزيوت وصناعة قصب السكر، وصناعة العسل، ومصائد الأسماك، وصناعة العطور والعقاقير.

يؤخذ على الحميري أنه استقى مادة كتابه من مصادر عديدة أغفل الإشارة إليها مثل نزهة المشتاق للإدريسي والمسالك والممالك للبكري، وترصيع الأخبار للعذري، والاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول من أهل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

ثامناً- المراجع الحديثة:

1- المغرب الكبير في العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، لمؤلفه د/ السيد عبد العزيز سالم(1).

يعد هذا الكتاب من الكتب المهمة في تاريخ المغرب والأندلس أيضاً، إذ تأتي استفادتي منه طوال مراحل البحث، فجاءت معلوماته كلها مجملة دون الإسهاب بالتفصيل، لذا نراه يستعرض تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي بطريقة سريعة ومبسطة أفادت فترة البحث من بدايتها إلى نهايتها حيث دولة الموحدين، كما أفادني في دراسة النشاط الاقتصادي، في الفصل الثاني خاصة الثروة المعدنية

(1) دار النهضة العربية، بيروت، 1981 م.

وأهم مناطق إنتاجه، وصناعة الأسلحة والسكة، وصناعةالمعمار، وصناعة الزجاج، وفي الفصل الثالث في صناعة النسيج وصناعة السفن، وفنون العمارة الخشبية، والصناعات الجلدية والصباغة وصناعة الورق وصناعة الزيوت والصابون، وصناعة العقاقير والعطور، لذا استفدت منه في جميع مراجع البحث.

2- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، لمؤلفه أحمد مختار العبادي(1).

يعد هذا المرجع من أهم المراجع التي ساعدتني في الفصل الثاني من خلال الصناعات المعدنية خاصة صناعة الأسلحة، وصناعة سك العملة، وصناعة المعمار، وفي الفصل الثالث في صناعة النسيج وصناعة السفن.

3- النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، لإبراهيم حركات(2).

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي أفادتني في تاريخ الصناعة، فأمدتني بمعلومات كثيرة في الفصل الأول عن القبالات وأثرها على الصناع، كما أشارإلى تركز الحرفيين والصناع في الكثير من المدن الكبرى والمتوسطة بالمغرب والأندلس، حيث كانت تضم آلافاً من العمال، وفي الفصل الثاني أمدني بمعلومات عن طريقة استخراج المعادن، ومناطق استخراجها وأهم الصناعات التي قامت عليها خاصة زركشة المنسوجات، وتزيين مصحف سيدنا عثمان، فذكر لنا المعادن التي اشتهرت بها بلاد المغرب والأندلس،

---

(1) منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000 م.

(2) أفريقيا الشرق، 1996 م.

وكذلك مقاطع الرخام وصناعة الأسلحة، وصناعة المعمار وصناعة الزجاج وصناعة الخزف، وفي الفصل الثالث عند التعرض لصناعة النسيج، والصناعات الخشبية كصناعة السفن، والصناعات الجلدية، والصباغة والدباغة.

3- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، لحسن علي حسن(1).

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي أفردت الكثير من المعلومات عن تاريخ الصناعة في عصري المرابطين والموحدين، فأمدني في الفصل الأول بمعلومات غزيرة عن أهم العوامل التي تقوم عليها الصناعة وأدت لازدهارها، من توافر المواد الخام وتوافر الأيدي العاملة المدربة، ففي الفصل الثاني أشار إلى تقدم الأندلسيينفي صناعة فن المعمار واستقدام المرابطين لهم، هذا بالإضافة إلى زخرفة المعادن، وذكر اهتمام الموحدين باستغلال مناجم الفضة وصناعة الأسلحة، وصناعة السكة، وفي الفصل الثالث في صناعة النسيج، والصناعات الجلدية وصناعة الآلات الموسيقية، وصناعة قصب السكر، وصناعة الخمر، وصناعة الأطعمة، وصناعة العطور والعقاقير، وصناعة الشموع، وصناعة علب العاج، وصناعة العسل، فجاءت استفادتي منه في كل مراحل البحث.

---

(1) مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980 م.

4- تاريخ المغرب العربي، لمؤلفه سعد زغلول عبد الحميد(1).

يعتبر هذا الكتاب موسوعة علمية بحق على الصعيدين السياسي والحضاري لباحثي المغرب والأندلس، فقد استفدت منه بجميع أجزائه، وذلك لسهولة عرضه ودقة معلوماته، فقد يسر لي موضوع البحث من بدايته إلى نهايته، فكان بمثابة الملازم والمرجع الوافي، فأفادني في الفصل الثاني بمعلومات وفيرة عن ذكر مناجم المعادن، وأهم مناطق إنتاجها، وصناعة الأسلحة، وصناعة السكة، وصناعة الفخار، وفي الفصل الثالث في صناعة النسيج، وصناعة السفن، والصناعات الجلدية، وصناعة طحن الغلال، وصناعة الزيوت، وصناعة الخمور، وصناعة الأطعمة، وصناعة العسل، وصناعة الحصر.

5- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، لمؤلفته د/ سامية مسعد مصطفى(2).

أفادني هذا الكتاب في دراسة جميع فصول البحث خاصة في الفصل الثاني عن طريقة استخراج المعادن عند مسلمي الأندلس وأهم مناطق استخراج المعادن، وصناعة الأسلحة، وصناعة السكة، وصناعة المعمار، وصناعة الزجاج وصناعة الفخار، وصناعة الخزف، وصناعة الزليج، وفي الفصل الثالث عن صناعة النسيج، والصناعات الخشبية خاصة صناعة السفن، وفنون العمارة الخشبية، والصناعات الجلدية والدباغة،

(1) منشأة المعارف، الإسكندرية، خمسة أجزاء، 1995 م.
(2) مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2003 م.

والصباغة، وصناعة الآلات الموسيقية، وصناعة طحن الغلال، وصناعة الزيوت، وصناعة قصب السكر، وصناعة الخمر، وصناعة الأطعمة، وصناعة العطور والعقاقير، وصناعة تجفيف الفاكهة، وصناعة الخل.

6- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، لمؤلفه عز الدين موسى(1).

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي ساعدتني على إكمال بحثي، خاصة في الفصل الأول عن نظرة المجتمع للعمل، وفي موقف دولتي المرابطين والموحدين من العمل، كما أمدني بمعلومات غزيرة عن أوضاع الصناعة، مع الاهتمام بأوضاع أرباب العمل والعمال، ثم أوضحت مناطق الصناعات خاصة الصناعات المعدنية والغير معدنية، كما أفادني في الفصل الثاني عند دراسة التحولات التي حدثت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي على مناطق الإنتاج، ومنها مناطق إنتاج الأواني الذهبية ببلاد المغرب، وصناعة الأسلحة وصناعة المعمار، وصناعة السكة، وصناعة الفخار،

---

(1) دار الشروق، بيروت، 1983 م.

وفي الفصل الثالث عند دراسة صناعة النسيج، وصناعة السفن، والصناعات الجلدية، وصناعة الصباغة والدباغة، والصناعات الخزفية والفخارية والزليجية، وصناعة الآلات الموسيقية، وصناعة الورق، وصناعة قصب السكر، وصناعة طحن الغلال، وصناعة الزيوت، وصناعة الخمور، وصناعة الأطعمة، وصناعة العسل، وصناعة الحصر.

8- تاريخ الأندلس الاقتصادي، لمؤلفه د/ كمال أبو مصطفى(1).

هو من أهم الكتب التي ساعدتني في استكمال بحثي، حيث أنه أمدني بمعلومات كثيرة كانت غامضة، فساعدني هذا الكتاب على معرفتها وفك غموضها، فاستفدت منه بشكل كبير في كل فصول الرسالة لاحتوائه على دراسة وافية لتاريخ الأندلس الاقتصادي، وجاءت استفادتي منه في الفصل الثاني عند دراسة الثروة المعدنية، وهو نظام استغلال المناجم الأندلسية، وأهم المعادن الموجودة في المدن الأندلسية، وفي صناعة السكة وصناعة الزجاج والفخار والخزف.

كما أفادني في دراسة الفصل الثالث بمعلومات غزيرة عن الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي والغابي والحيواني، ومنها صناعة النسيج، وذكر الأسواق والصناعات الخشبية مثل صناعة السفن، وفنون العمارة الخشبية والصناعات الجلدية والصباغة، ودبغ الجلود، وصناعة الورق والمطاحن، وصناعة الزيوت، وصناعة قصب السكر،

---

(1) مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د.ت.

وصناعة الخمور، وصناعة الطعام، وصناعة العطور والعقاقير، وصناعة تجفيف الفاكهة، وصناعة الخل، وصناعة الشموع، بالإضافة إلى صناعة علب العاج والعسل، وصناعة الحصر، فقد أفادني في جميع مراحل البحث بأسلوبه المتميز.

9- شرق الأندلس في العصر الإسلامي، لمؤلفه د/ محمد أحمد أبو الفضل(1).

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي أفادت موضوع بحثي وساعدتني على إتمامه، خاصة في دراسة تاريخ الأندلس الحضاري، لتناوله العديد من الصناعات الهامة، فقد تحدث في الفصل الأول عن الأسواق ودورها في ترويج الصناعات، وفي الفصل الثاني عن الصناعات المعدنية منها معدن الفضة والحديد والنحاس وآلات الصفر، والفضة والرصاص والزئبق والزنجفر والأحجار الكريمة،

وكذلك صناعة السكة وفي دراسة الصناعات الزجاجية والفخارية والخزفية، كما أفادني أيضاً في الفصل الثالث خاصة في صناعة النسيج والصناعات الخشبية مثل صناعة السفن، وكذلك صناعة الورق وصناعة الطبيخ وتجفيف الفاكهة والحصر وصناعة العقاقير، ويتميز أسلوبه بالعرض التحليلي المبسط للقارئ كي يتوصل إلى الحقيقة التاريخية بصورة ميسرة، فضلاً عن أنه كتاب أستاذي الذي لم يضن علي بأي مساعدة علمية.

10- مدينة سلا في العصر الإسلامي (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)، لمؤلفه د/ حمدي عبد المنعم حسين(2)

(1) دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996 م.
(2) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993 م.

أفادني هذا الكتاب في دراسة الحياة الاقتصادية وأمدني بالكثير من المعلومات في الفصل الأول عن توافر المواد الخام اللازمة لقيام الصناعات المختلفة، وفي الفصل الثاني أمدني بمعلومات عن الصناعات المعدنية، وفي الفصل الثالث أفادني عند التعرض للصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي، كالقطن والكتان التي قامت عليها صناعة الملابس القطنية والكتانية، بالإضافة إلى الصناعات الخشبية والصناعات الجلدية، وصناعة قصب السكر؛ وقد تميز أسلوبه بالموضوعية والدقة فجاءت استفادتي منه في جميع مراحل البحث.

11- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610 هـ/ 1213 م – 869 هـ / 1465 م)، لمؤلفه د. محمد عيسى الحريري(1):

جاءت استفادتي من هذا الكتاب في جميع فصول البحث، خاصة في الفصل الثاني في دراسة الصناعات المعدنية وخاصة صناعة الحديد والنحاس، بالإضافة إلى الصناعات الزجاجية والفخارية، وفي دراسة الفصل الثالث الخاص بصناعة المنسوجات، والصناعات الخشبية مثل صناعة السفن، وصناعة الصباغة والزيوت والصابون، وصناعة قصب السكر.

يعتبر هذا الكتاب مرجعاً تاريخياً هاماً لهذه الدراسة، خاصة أنه ساعدني على دراسة الصناعات المختلفة التي أثرت موضوع بحثي.

(1) دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1985 م.

التمهيد

الخصائص الجغرافية للمغرب والأندلس (الموقع والمناخ)

أطلق الجغرافيون والرحالة العرب اسم بلاد المغرب على الأقاليم الواقعة غرب الحدود المصرية خاصة من المناطق الممتدة شمال القارة الإفريقية إلى المحيط الأطلنطي(1)، فلم يكن من المتداول لفظياً اسم بلاد المغرب قبل فتح العرب له(2)، بل كان يطلق عليها إفريقية(3)، وهو ما تعارف عليه البيزنطيون واتفقواعليه(4)، ومن هنا جاء تقسيم المغرب الإسلامي إلى عدة أقسام رئيسية معروفة لدى المؤرخين والجغرافيين المسلمين وليكون وحدة طبيعية بين هذه الأقسام ليس على مظاهر السطح أو تشابه المناخ فقط ،

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعه: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان، 1983 م، جـ 1، ص 5؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 29.

(2) السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981 م، ص 125؛ مؤنس (حسين): فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، ص 2؛ الحريري (محمد عيسى): مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي، دار القلم، الكويت، 1983 م، ص 11 – 12.

(3) أنظر أيضاً سالم: المرجع السابق، ص 125؛ مؤنس: المرجع السابق، ص 2.

(4) انظر مؤنس: نفسه، ص 2؛ الحريري: المرجع السابق، ص 11 – 12.

بل شملت هذه الوحدة عناصر سكان البلاد الأصليين أيضاً ما جعله كتلة فريدة ومتماسكة عن باقي القارة الأفريقية الأم(1)، وهو ما تبين في هذا التقسيم:

تعد برقة وطرابلس أول حدود المغرب من ناحية الشرق لذا فهي ضمن كورة إفريقية(2).

المغرب الأدنى(3) وقاعدته القيروان وبداية حدوده الشرقية من خليج سرت إلى المحيط الأطلسي غرباً(4).

المغرب الأوسط ويمتد من مدينة تاهرت حتى وادي ملوية وجبال تازه في الغرب(5).

أما المغرب الأقصى(6)، وهو آخر بلاد المغرب فيمتد من وادي ملوية شرقاً حتى مدينة أسفى على المحيط الأطلسي في الغرب وجبال درن جنوباً(7).

---

(1) الحريري: الفتح الإسلامي للأندلس، ص 18.

(2) السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، جـ 1، ص 63؛ انظر أيضا سالم: نفسه، ص 126؛ عبد الحميد (سعد زغلول): تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995، جـــ 1، ص 69.

(3) المغرب الأدنى: ســمي بالأدنى لأنه أقرب إلى أفريقية بلاد العرب ودار الخلاف بالحجاز؛ الســلاوي: المصدر السابق، جـ 1، ص 63.

(4) سالم: نفسه، ص 127؛ عبد الحميد: المرجع السابق، ص 69.

(5) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة، العراق، 1985 م، ص 178؛ أنظر أيضــاً ســالم: نفســه، ص 127؛ الحريري: نفســه، ص 12 – 13؛ وعن تاهرت أنظر البكري: المغرب، ص 76 – 77، 75؛.

(6) المغرب الأقصى: وسمي بالأقصى لأنه أبعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة في صدر الإسلام؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 1، ص 63.

(7) ابن خلدون: العبر، جـــ 6، ص 100؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص 127؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 1، ص 70 – 71.

ومن خلال ما سبق بيانه في أقسام المغرب نجد أن المظاهر الجغرافية التي تميزت بها بلاد المغرب الإسلامي هي جبال الأطلسي الممتدة على شكل سلسلة من جنوبي المغرب الأقصى حتى تسير بمحاذاة الساحل الأطلسي قرب ساحل البحر المتوسط تحديداً جنوبي منطقة الريف لتلاشي بعد ذلك حينما تتجه شرقاً غرب تونس(1)، ثم تتسع هذه الجبال في المغرب الأقصى ليزداد عرضها في المنطقة الجنوبية منقسمة إلى سلسلتين من الجبال ينحصر بينهما السوس الخصيب، كانت الأولى منها غربية، ويطلق عليها الأطلس العليا والأخرى شرقية، وتسمى أطلس الصحراء، هذا فضلاً عن وجود الهضاب العالية التي كانت تميز هذه الجبال التي أطلق عليها ابن خلدون جبال درن(2).

(1) آمال محمد حسن: برقة وطرابلس فس القرون الثلاثة الأولى للهجرة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، 1409 هـ / 1989 م، ص 1.

(2) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تقديم: عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007 م، جـــ 6، ص 100، وكانت هذه الجبال من أكثر جبال أطلس ارتفاعاً، ولا توجد بينها ممرات تيسر الاتصال بين المغربين الأوسط والأدنى، لهذا كانت لهذه الجبال أثر في العزلة التي فرضت على المغرب الأقصى؛ سالم: المرجع السابق، ص 128، 130؛ ولهذا كانت هذه العزلة تؤثر تأثيراً شديداً على سكان المغرب الأقصى عند تعرض البلاد لكارثة طبيعية، ولكن يختلف رأي الدكتور سعد زغلول في ذلك، حيث لاحظ أن أكثر المؤرخين والجغرافيين العرب اعتقدوا أن ساحل المحيط الأطلنطي ممتد في استقامة من الشرق إلى الغرب بمحاذاة ساحل البحر المتوسط، لهذا السبب اعتبروا بداية جبال درن (أطلس العليا) المنحرفة جنوباً في المغرب الأقصى بداية الحد الغربي عند بلاد السوس الأقصى التي اعتبروها نهاية أرض المغرب (أي نهاية شمال إفريقية)؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 1، ص 72.

ولما كانت جبال أطلس في الشمال تسير بمحاذاة ساحل البحر المتوسط، تركت بينها وبين الشاطئ شريط ساحلي يضيق أحياناً ويتسع أحياناً أخرى، ساهم في رواج الزراعة وتنوعها لوقوع هذه المنطقة الشمالية ضمن نطاق مناخ البحر المتوسط(1).

أما المنطقة الثانية فهي تضم السفوح الجنوبية لجبال أطلس ونطاق الجريد ثم نطاق العروق، وهي منطقة أقل ثروة وسكاناً من المنطقة الشمالية، ويسمى مناخها بمزاج الصحراء، كما يسمى رمالها السائلة ببلاد الصحراء(2).

وعلى الرغم مما اتضح من وعورة تعقيد جغرافية بلاد المغرب الطبيعية ذات السطح الجبلي(3)، إلا أن وجود شبكة من الأنهار(4) في أنحاء بلاد المغرب قد شكلت سهولة في الاتصالات في بعض الأحيان بين أقطاره، رغم وعورة سطحه، فقد ساعدت على قيام أنشطة اقتصادية متنوعة من زراعة وصناعة، ومن هنا فقد ذكر أحد الباحثين الكبار أن بلاد المغرب بأقسامه الثلاثة تتسم بطابع خاص يميزه عن غيره، بل ظل محتفظاً بكيانه طوال العصور التاريخية الماضية(5).

---

(1) آمال حسن: المرجع السابق، ص 1.

(2) مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، جـــ 1، ص 20 – 23؛ عبد الحميد: نفسه، جـــ 1، ص 72 – 73؛ آمال حسن: نفسه، ص 2.

(3) ابن ســـعيد: بســـط الأرض بالطول والعرض، تحقيق: د/ خوان قرنيط، معهد مولاي الحســـن، تطوان - المغرب، 1958 م، ص 74.

(4) مثل نهر ملوية المشهور الذي ينزل فيه كل من نهري زير ونهر سجل ماسة، فيكون مسافته من منبع نهر ســجلماســة في الجنوب نحو 1200 كم، ونهر فلفل الذي ينزل من جبال عمارة ويصــب في نهر حسـيو الذي يبعد عن مدينة فاس بنحو 60 كم تقريباً؛ ابن سعيد: المصدر السابق، ص 74 – 75.

(5) سالم: المغرب الكبير، ص 128.

وهو ما أكده ابن خلدون بقوله "المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار"(1)، إذاً فهو يمثل وحدة متماسكة تجلت مظاهره في شتى النواحي الجغرافية والبشرية والاقتصادية والاجتماعية.

أما الأندلس فهي جزيرة كبيرة تصل مساحتها نحو 600 ألف كم2 تقريباً(2)، ولها ثلاثة رؤوس على شكل مثلث، فالأول قبليهما وعنده فم الخليج الذي يمتد من البحر المحيط إلى البحر الرومي، أما الثاني فهو شرقي الأندلس بين أربونة وبردويل، والثالث بين الجنوب والغرب من حد جليقية(3)، ومن مشارق جليقيةإلى الخليج العربي نواحي سرقسطة وضواحي وشقة وطرطوشة وجميع بلاد الافرنجة من جهة البر وجنوبها الخليج الممتد إلى جزيرة صقلية على مدن بلنسية ومرسية والمرية ومالقة والجزيرة، حتى تصل إلى الركن الغربي للبحر المحيط(4).

---

(1) ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 98.

(2) البغدادي (صفي الدين): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1954 م، مج 1، ص 123؛ أنظر أيضاً حجي (عبد الرحمن): انتشار الإسلام في الأندلس – جغرافية المكان والفتوحات الإسلامية، مقال ضمن مجلة المجتمع، الكويت، عدد 1997 م، لسنة 2012 م، ص 123.

(3) البغدادي: المصدر السابق، مج 1، ص 2.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، مطبعة الفاروق، القاهرة، د.ت، ص 105.

إذاً فالأندلس تقع جنوبي القارة الأوربية بين البحر المتوسط شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، اللذان يلتقيان جنوبي الجزيرة الأندلسية في مضيق جبل طارق الفاصل بين القارتين الأوربية شمالاً والإفريقية جنوباً(1).

كما تتحاذى الأندلس شمالاً مع فرنسا، لتفصل جبال "البرت" بين أسبانيا وفرنسا، ثم تلتحم عند الجزيرة الأندلسية مع فرنسا جنوباً وتطل هذه الجبال الشاهقة شرقاً على البحر المتوسط وغرباً على خليج بسكاي المعروف أندلسياً بالبحر الأخضر(2).

أما المدلول اللغوي لكلمة "الأندلس" فهو تدوير وتحوير لكلمة "فاندلوسيا" "vandalusia" أي بلاد الوندال "vandals" وهم القوم الذين احتلوها لقرون قبل القوط "Goths, Gods" أي قبل الفتح الإسلامي العظيم للأندلس بعدة قرون(3).

وقيل اسمها القديم إبارية، ثم سميت بعد ذلك باطقة، ثم سميت إشبانيا من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه إشبان، وقيل سميت بالإشبان الذين سكنوها في أول الزمان، وسميت بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها(4).

---

(1) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي،معهد الدراسات الإسلامية،مدريد،1971 م، ص 130.

(2) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 130 – 131؛ أنظر أيضاً بالباس (ليوبولدوتوريس): المدن الاسبانية الاسلامية، ترجمة: إليو دورو دي لابنيا، مراجعة: نادية جمال الدين وآخرون، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، 2003 م، ص 17.

(3) بالباس: المرجع السابق، ص 21؛ مؤنس (حسين): الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، مكتبة مدبولي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، 1986 م، ص 60.

(4) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، نشر وتحقيق: لافي بروفنسال، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1988 م، ص 2.

واصطلاحاً فإن اسم الأندلس يطلق على شبه الجزيرة الأيبيرية، أي اسبانيا والبرتغال، حيث لم يكن للبرتغال وجود أيام الفتح الإسلامي للأندلس، في حين شكلت البرتغال الجزء الغربي منها(1).

ومن يشاهد مدنها القديمة، جيان وطليطلة ووادي الحجارة وقرطبة وغرناطة، ثم مدن حديثة عهد بالإسلام هي بجانة وهي على حدود رستاق البيرة وشنترين على البحر المحيط(2).

كذلك تتخلل بلاد الأندلس شبكة كبيرة من الأنهار(3) ساعدت على سهولة عملية الاتصال بين مدنها، فلا تكاد تخرج مدينة إلا وتصل إلى أخرى أو ريفأو قرية، وتقدمت الزراعة والصناعة والتجارة نتيجة جريان هذه الأنهار(4).

أما عن مناخ الأندلس فينقسم إلى إقليمين مناخيين متباينين في اختلاف هبوب الرياح ومواقع الأمطار، فضلاً أيضاً عن جريان الأنهار، فهناك أندلس غربي وأندلس شرقي، فالغربي منها ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي،

---

(1) بالباس: المرجع السابق، ص 21؛ الحجي: انتشار الإسلام في الأندلس، ص 2.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 105.

(3) أشهرها نهر إشبيلية وقرطبة، ونهر بانة الكبير الذي يمر على ماردة وبطليوس ثم مصب نهر شنتمرية إلى مصب نهر شلب، ونهر الذهب الذي يشق غرناطة، ثم نهر بسيل الذي يمر مع سورها، وكلاهما عليه الأشجار والبساتين، ثم آخر نهر إشبيليه وهو نهر مليح، الذي ينبع من جبل شقورة، ونهر مرسية الذي يصب في بحر الزقاق، ثم بغرب نهر إشبيلية ليصب في البحر المحيط؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 99 – 100.

(4) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 99.

وتمطر بالرياح الغربية، والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى، وتجري أوديتهاإلى الشرق وأمطاره بالرياح الشرقية، وبذلك ينقسم الأندلس إلى أندلسان، أندلس متوسطي يتبع مناخ البحر المتوسط، وأندلس أطلسي يتبع مناخ المغرب وارتفاعات جبال أطلس(1).

2- الأوضاع السياسية للمغرب والأندلس أثناء فترة الدراسة:

تعد فترة حكم المرابطين والموحدين لبلاد المغرب والأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين من أخصب فترات العصر الإسلامي، نظراً لما حققوه من مركز قوة بين دول هذه المنطقة.

هذا في الوقت الذي اقترن فيه تسمية المرابطين بالقبائل الصنهاجيةأو "الملثمين" لاتخاذهم اللثام شعاراً(2) لهم، ثم عرفوا فيما بعد بالمرابطين لالتزامهم رباط زعيمهم الديني عبد الله بن ياسين في البحر على مصب نهر السنغال(3).

---

(1) مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص 60.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977 م، جـ 7، ص 129؛أنظر أيضاً الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، الدار التونسية، الجزائر – تونس، 1978 م، ص 197 – 198؛ ثريا ملحس: المرابطون، دار الكتاب اللبناني، 1988 م، ص 5 – 8؛
Norris, H. T: The berber in Arabic literature; London, 1980, p. 106.

(3) ابن خلدون: العبر، جـــ 6، ص 183؛ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، مؤسسة لبنان، 1993 م، ص 129؛ السملالي: الإعلام بمن حل بمراكش وإغمات من الأعلام، مراجعة: عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1977 م، جـ 8، ص 183؛ أنظر أيضاً محمود (حسن): قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996 م، ص 104؛ التاودي (محمد): أبو عبد الله بن ياسين، مجلة دعوة الحق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، المغرب، 1975 م، العدد الأول، ص 134 - 135.

ينتسب المرابطون أصلاً إلى قبيلة لمتونة الصنهاجية التي آلت إليها رئاسة قبائل مسوفة وغيرها، ثم انتقلت هذه الرئاسة إلى قبيلة جدالة على عهد أميرهم يحيى بن إبراهيم الجدالي(1)، التي كانت منازلهم ضاربة مابين البحر المحيط بالمغرب وواحة غدامس(2). يرجع أساس قيام دولة المرابطين إلى تجديد العقيدة الإسلامية والإصلاح بإرجاعها إلى منابعها الأصلية التي جعلها أصحاب صحراء صنهاجة بالسوس الأقصى(3)، لذا أخذ أول ملوكهم "تيلوتان بن تيكلان اللمتوني" على عاتقه نشر الإسلام بسيرته الأولى ومبادئه الصحيحة، وظل يعمل على نشر الإسلام حتى وفاته عام 222 هـ / 836 م، ثم سار "الأثير بن يتولوتان" على درب جده في الدعوة حتى وفاته عام 287 هـ / 900 م، وولاية ابنه "تميم" الذي قتل عام 306 هـ / 920 معلى يد أحد مشايخ صنهاجة، فتمزقت كلمة الملثمين لمدة مائة وعشرون عاماً،

(1) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 129.

(2) غدامس: مدينة قديمة بصحراء بلاد المغرب، تبعد عن جنوب غرب جبل نفوسة نحو 210 كم تقريباً، كما تبعد عن جنوب غرب طرابلس نحو 70 كم تقريباً؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 148؛ أنظر أيضاً الغدامسي (أحمد عز الدين): تاريخ غدامس القديم والحديث، بدون دار نشر، 1975 م، ص 11.

(3) الغناي (مراجع): سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988 م، ص 49؛ عودات (أحمد) وآخرون: تاريخ المغرب والأندلس من القرن 6 هـ حتى 10 هـ، دار الأمل، مكتبة الدراسات الاجتماعية، أربد، 1989 م، ص 69.

حيث خلو إلى جامع لدعوتهم إلى أن قام بالأمر "محمد بن تيفاوت اللمتوني" الذي استشهد بعد ولايته بثلاث سنوات على يد الوثنيين الذين تربصوا له وقتلوه لتعارضه مع ديانتهم ومصالحهم المخالفة للشريعة الإسلامية(1).

ومن ثم عز على صهره وخلفه الأمير "يحيى بن إبراهيم الجدالي" يرى ما وصلت إليه بلاده من التأخر والجهل الذي أودى بحياة الكثيرين من علمائهم وصلحائهم، فارتحل إلى المشرق سنة 427 هـ / 1035 م حاجاً وباحثاً على من يتولى هداية قومه وإصلاحهم، فاتصل بأحد أقطاب المالكية ويدعى الفقيه "أبا عمران القاس"(2) وطلب منه ذلك قائلاً "فينا أقوام يحرصون على تعاليم القرآن وطلب العلم، ويرغبون التفقه في الدين لو وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فعسى يا سيدنا أن تنظر لنا في طلبتك من يتوجه معنا إلى بلادنا لتعليمنا ديننا"(3)،

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972 م، ص 120 – 121؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 127 – 128؛ السلاوي: الاستقصا، جـــ 2، ص 5؛ أنظر أيضاً الصلابي (علي): الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع، القاهرة، 2003 م، ص 16.

(2) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وآخرون، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979 م، ص 19؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور، الرباط، 1972 م، ص 44 – 45؛ أنظر أيضاً بروفنسال (ليفي): نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، مطبوعات لاروز، باريس، 1948 م، ص 28.

(3) مجهول: المصدر السابق، ص 20.

فاستجاب الفقيه أبا عمران لطلبه وكتب إلى "وجاج بن زللو اللمطي"(1) من أهل السوس الأقصى ليرسل أحد نجبائه من طلبته مع "يحيى بن إبراهيم الجدالي" إلى بلاده(2)، أي بلاد الصحراء، فأرسل معه سنة 430 هـ / 1038 م "عبد الله بن ياسين الجزولي" من أهل الدين والورع والسياسة(3)، فأخذ يعلم قبائل المنطقة مثل كدالة ولمتونة القرآن وآداب الشريعة الإسلامية، حتى شدد عليهم في تطبيق أحكام الدين وإقامة الحدود، فمنهم من قبل كالعامة وأهل الورع، ومنهم من تذمر عليه من الأمراء الذين تعارضت مصالحهم مع دعوته، مما اضطر "عبد الله بن ياسين" أن يرحل عنهمإلى رباطه المشهور على مصب نهر السنغال، والذي اكتسب شهرة عظيمة كمركز للجهاد الديني، تلقى الواردون عليه تكوينهم الروحي والحربي، فازدادت اعدادهم وأطلق عليهم المرابطين(4).

---

(1) وجاج بن زللو اللمطي: فقيه تقي حاذق من أهل السوس الأقصى، لقي الشيخ أبا عمران الفاسي بالقيروان، وأخذ عنه علماً كثيراً، وكان يتعبد بمدينة نفيس (التي تقع في جنوب غرب مدينة مراكش، وهي مدينة قديمة غزاها عقبة بن نافع، ويدرس العلم ويدعو الناس إلى الخير في رباط له هناك، له تلاميذ جمة يدرسون على يده العلم؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 123.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - 0لبنان، 1983 م، جـ 4، ص 7 – 8؛ الزركلي: الأعلام، تحقيق: عبد السلام علي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 1986 م، جـ 4، ص 144؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1995 م، جـ 4، ص 174 – 175.

(3) مجهول: نفسه، ص 20.

(4) ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 183؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 129؛ السملالي: الاعلام، جـ 8، ص 183؛ أنظر أيضاً محمود: قيام دولة المرابطين، ص 104؛

Lewis: The Cambridge history of Islam, London, p. 222;

التاودي: أبو عبد الله بن ياسين، ص 134 – 135.

ومن هنا كانت النواة الأولى لتكوين جيشاً محارباً قائده "يحيى بن عمر" آخذاً في نشر تعاليم أستاذه "ابن ياسين" الذي علا شأنه بين الناس وكثر مريديه وطلابه، ولكن سرعان ما توفي "يحيى بن عمر" سنة 447 هـ / 1055 م، وكلف "عبد الله بن ياسين" "أبو بكر بن عمر" في السنة التالية لموت أخاه "يحيى بن عمر" سنة 448 هـ / 1056 م(1)، الذي أخضع أكثر قبائل الصحراء للمرابطين مثل كدالة ولمتونة وجدالة ومسوفة، فقويت شوكتهم على مضارب تلك القبائل وما وراءها من بلاد المصامدة(2) التابعة لهم(3).

على أي حال ما أن بسط المرابطون سيادتهم على الصحراء وأمنوا جنوبهم، إلا وطرقوا أبواب المغرب بعد سماعهم عن ارتكاب المحرمات وتفشي المظالم بين العباد(4)،

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 126 – 128؛ ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 130؛ أنظر أيضاً عنان (محمد عبد الله): دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990 م، العصر الثالث، القسم الأول، ص 37؛ ملحس (ثريا): المرابطون: ص 16.

(2) بلاد المصامدة: المصامدة وهم من ولد مصمود بن يونس ، فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم، من بطونهم برغواطة وغمارة وأهل جبل درن، ولم تزال مواطنهم بالمغرب الأقصى منذ القدم، فكان المتقدم فيهم قبيل الإسلام صدرة برغواطة، ثم صار التقدم بعد ذلك لمصامدة جبل درن؛ ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 206.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص 21؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 126 – 128.

(4) محمود: قيام دولة المرابطين، ص 186.

فغزوا سجلماسة ودرعة(1)، اللذين كانوا تحت طاعة أمراء مغراوة وزناتة ودخلوها(2)، ثم يمم المرابطون وجههم غرباً شطر إقليم تامسنا(3) لمحاربة برغواطة(4)، فاستشهد زعيمهم "عبد الله بن ياسين" في جهاده ضدهم سنة 451 هـ / 1059 م(5)، فتولى "أبو بكر بن عمر اللمتوني"(6) قيادة المرابطين بعد إجماعهم عليه، وأخذ في توحيد المغرب الأقصى على رأس جيش جرار سنة 452 هـ/ 1060 م(7)،

---

(1) درعة: تقع في جهة مدينة سجلماسة، بينهما ثلاثة مراحل (حوالي 100 كم تقريباً)، تعرف باسم واديها، حيث يجري نهر درعة من الشرق إلى الغرب منبعثاً من جبل درن، وهي من المدن العامرة؛ البكري: المغرب، ص ص 149، 155، 156.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 4، ص 13 – 14؛ابن خلدون: المصدر السابق، ص جـ 6، ص 183؛ مجهول: المصدر السابق، ص 22.

(3) تامسنا: مدينة تقع في غرب مدينة فاس بالمغرب الأقصى، يخترقها نهر أم الربيع، وكذلك نهر (أبو الرجر أو أبو الرقراق) الذي يصب في المحيط بين مدينة سلا والرباط؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، تحقيق:د/ أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983 م، ص 156.

(4) برغواطة: اتسم تاريخهم بالغموض في المغرب، فقد اختلف المؤرخون حول أصل البرغواطيون، فقال البعض أنهم كانوا أقواماً جهلاً من زناتة، ورأى البعض الآخر أنهم أخلاطاً شتى من قبائل البربر، واعتبر البعض الآخر أن أباهم يهودي أندلسي ورأى أخرون أنهم مجوس أهل ضلال وكفر ولهم ديانة خسيسة، وكانت مضارب قبائل برغواطة تقع في إقليم تامسنا؛ ابن أبي زرع: نفسه، ص 130 – 133.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 131 – 132؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 29؛ السملالي: الأعلام، جـ 8، ص 184؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 229؛ *Norris: the Berbers in Arabic literature, p. 130.*

(6) ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص 133؛ أنظر أيضاً محمود: قيام دولة المرابطين، ص 182 – 184.

(7) ابن أبي زرع: نفسه، ص 134؛ ابن الخطيب: تاريخ المغرب في العصر الوسيط (أعمال الأعلام)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1964 م، القسم الثالث، ص 231 – 232؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 18؛ أنظر أيضاً الصلابي: الجوهر الثمين، ص 61؛ عبد المنعم (حمدي): التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة، القاهرة، 1997 م، ص 45؛ حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحين)، ص 25؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 4، ص 233.

ولكن سرعان ما شاء القدر أن ينحي "أبا بكر بن عمر" جانباً إصر خلاف قد وقع في نفس العام المذكور بين عصبيتين قويتين، هما قبيلة لمتونة ومسوفة ببلاد الصحراء، فخشي أن تتشتت جموعهم وتتفرق كلمتهم فقصدهم بنفسه بعد أن استخلف عليهم بالنيابة عنه ابن عمه "يوسف بن تاشفين" قائداً لجيوش المرابطين ووالياً على المغرب(1)، فسطع نجمه في قيادة جموع المرابطين، حين جمع خيالة في السيطرة على شمال الأطلس الكبير، وغزوه المغرب الأقصى ثم المغرب الأوسط(2)، لذا يعد "يوسف بن تاشفين" من أعظم قواد المرابطين(3)، بل المؤسس الحقيقي للدولة المرابطية بوضعه خطة مدينة مراكش عام 454 هـ / 1062 م، لتكون عاصمة ملكه ومن حسن صنيعه(4)، مما جعله يقوم باستكمال العمليات العسكرية بحماس زائد ودقة متناهية التخطيط(5)، هذا فضلاً عن شعوره بحب المرابطين له وثقتهم فيه، حتى أعطوه كل الصلاحيات ليصبح المسئول الأول عنهم في السلم والحرب(6).

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 23 – 24.
(2) ابن أبي زرع: نفسه، ص 139 – 143.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت – لبنان، 1966 م، جـ 10، ص 417؛ ابن عذاري: البيان المغرب، جـــ 4، ص 24 – 25؛ الملزوزي: نظم السلوك في معرفة الأنبياء والخلفاء والملوك، القصر الملكي، الرباط، 1963 م، ص 49؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 699 – 701؛ عبد الحميد: نفسه، جـ 4، ص 235، 255.
(4) ابن أبي زرع: نفسه، ص 138 – 139؛ أنظر أيضاً سالم: المرجع السابق، ص 702 – 704.
(5) بوتشيش (إبراهيم القادري):المغرب والأندلس في عهد المرابطين،دار الطليعة،بيروت،1993 م،ص 12.
(6) عبد الحميد: نفسه، جـــ 4، ص 233، 253؛ الصلابي: المرجع السابق، ص 69؛ نصر الله (سعدون عباس): دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة، بيروت، 1985 م، ص 44.

وهو ما استثار حميته وشجاعته ليكون جديراً بهذه الثقة التي جعلته ينشئ جيشاً كثيفاً من صنهاجة وزناتة والمصامدة لفتح ما تبقى من حواضر المغرب(1).

هذا في الوقت الذي انتشرت في بلاد المغرب فوضى سياسية بين أمراء الدويلات المغربية المختلفة وما نجم عن تقسيم المغرب بينهم(2)، وهو ما جعل الأمير "يوسف بن تاشفين" يقرر التوجه إلى المغرب بادئاً من السوس الأدنى حتى فاس ومكناسة لينتزعه من أيدي الزناتيين(3)، بالقضاء على إمارتهم الظالمة التي كانت تتحكم في منطقة مكناسة والجهات المحيطة بها(4)، وظهر أنه المنقذ لأهل المغرب من جور الزناتيين، خاصة عندما بايعه "المهدي بن يوسف الجزنائي" صاحب مكناسة بالإمارة ودخوله في طاعة المرابطين عام 455 هـ / 1063 م، إبان نصرة أمير المرابطين له على عدوه "معنصر المغراوي" صاحب فاس التي كانت محط أنظار "يوسف بن تاشفين" عام 454 هـ / 1062 م(5)، ومن هنا سارع "المهدي الجزنائي" بمعاونة "يوسف بن تاشفين" تهدين بلاد المغرب تمهيداً لاستكمال فتحها،

(1) ابن أبي زرع: نفسه، ص 138 – 139.
(2) بوتشيش: المغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 12.
(3) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 233، 253؛ الصلابي: الجوهر الثمين، ص 69؛ نصر الله: دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين، ص 44.
(4) محمود: قيام دولة المرابطين، ص 198.
(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 139 – 140؛ ابن خلدون: العبر، جـــ 6، ص 184 – 185؛ السلاوي: الاستقصا، جـــ 2، ص 25 – 26؛ أنظر أيضاً محمود: المرجع السابق، ص 177؛ نصر الله: المرجع السابق، ص 44 – 45؛ عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص 47؛ طه (جمال): مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002 م، ص 85.

خاصة بعد أن أقره على عمله السابق كوالي على مكناسة، فخطط مع أميره "يوسف بن تاشفين" في هدم نفوذ "تميم بن معنصر" الذي كان خائفاً من ازدياد قوة المرابطين، فجهز المهدي جيشاً واتجه به نحو مدينة فاس للنيل من عدوهالقديم، ودارت معركة حامية الوطيس عام 456 هـ / 1063 م بينهما قتل فيها "المهدي الجزنائي" واحتز "تميم" رأسه وأرسلها إلى حليفه الحاجب "ابن سكوت البرغواطي"(1) بعد أن تشتت أنصاره(2)، وبذلك بسط "تميم بن معنصر" قبضتهعلى مدن المغرب الشمالية، ولكن سرعان ما أرسل "يوسف بن تاشفين" جيشاً لنجدة أهل مكناسة من يد الزناتيين، وجيشاً آخر لحصار فاس، وأمرهم بتضييق الحصار وقطع الموارد عنها، فدارت الدائرة على "تميم بن معنصر" وانتهى الأمر بقتله وسقوط مدينة مكناسة عام 466 هـ / 1074 م(3)،

---

(1) الحاجب سكوت البرغواطي: أحد زعماء برغواطة الزناتية، ومنازلها بين مدينتي طنجة وأصيلة، أسر في حرب غمارة وبرغواطة، وانتهى أمره إلى أن صار عبداً لشيخ غمارة، ثم صار لعلي بن حمود الإدريسي، وبفضل قوته وصل إلى الخلافة، فولاه على طنجة وسبته، وأطاعته غمارة، وبعد سقوط دولة الحموديين ظل يحكم طنجة وسبتة، ولما قامت دولة المرابطين ووصل "يوسف بن تاشفين" إلى شمال المغرب توجه إلى طنجة واستولى عليها من يد سكوت الذي قتل في الحرب؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 140، هامش 82.

(2) ابن أبي زرع: نفسه، ص 140؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ 6، ص 185؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 699 – 700؛ محمود: نفسه، ص 177؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 4، ص 257 – 258؛ نصر الله: نفسه، ص 46؛ طه: المرجع السابق، ص 85 – 86.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 140؛ ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 185؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 1، ص 205، جـ 2، ص 26؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 4، ص 258؛ نصر الله: دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين، ص 46؛ سالم: المغرب، ص 700؛ طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 86.

وبذلك انتهت الحلقة الأخيرة من الصراع الذي احتدم بين زناتة وصنهاجة، وتم للمرابطين فتح الأقاليم الشمالية من السوس الأدنى والمغرب الأقصى(1).

يمم "يوسف بن تاشفين" وجهه بعد ذلك شطر بلاد الأندلس بناءاً على طلب أحد ملوك الطوائف وهو "المعتمد بن عباد" صاحب إشبيلية (422 – 483 هـ / 1030 – 1090 م) لنصرته على الملك الأسباني "ألفونسو السادس" الذي استولى على طليطلة قلب الأندلس، ومساعدته على وضع حد لهذه التحرشات النصرانية(2)، وهو ما نجم عنه انتصار "يوسف بن تاشفين" في موقعة الزلاقة عام 479 هـ / 1086 م على "ألفونسو السادس"، ولقب يوسف بأمير المسلمين(3)، في حين تقاعس ملوك الطوائف بالأندلس عن جهاد النصارى وممالأتهم لهم(4).

(1) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 30؛ مجهول: الحلل، ص 28؛ أنظر أيضا عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 4، ص ص 249، 258، 275.

(2) مجهول: المصدر السابق، ص 38؛ أنظر أيضاً بوتشيش: المغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 13؛ دوزي (رينهرت): المسلمون في الأندلس، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1994 م، جـ 3، ص 131.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 148 – 149.

(4) إبان موقعة الزلاقة سرعان ما عادت العلاقات من جديد بين ملوك الطوائف وألفونسو السادس، واتصل بينهم حبل الود خاصة بعد فشلهم في حصار حصن لبيط الذي هبط بانتصار الزلاقة إلى مستوى الحضيض، وكانت عودة العلاقات بين عدد من أمراء الأندلس وبين ألفونسو السادس إلى سابق عهدها، من التبعية ودفع الجزية السنوية، بما فيها ضريبة سنة الزلاقة، كما فعل كل من أمير سرقسطة "ابن هود" وأمير غرناطة "عبد الله بن بلقين الصنهاجي"، فضلاً عن شبهة العلاقة بين "المعتمد بن عباد" صاحب إشبيلية وألفونسو السادس، مما جعل "يوسف بن تاشفين" يتخلص من أمراء الطوائف بغزوها خوفاً على وقوع أراضي المسلمين في أيدي النصارى؛ ابن أبي زرع: نفسه، ص 153 – 155؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: نفسه، جـ 4، ص 328 – 329.

الأمر الذي جعل يوسف يفكر في إقصائهم عن ملكهم في الأندلس(1)، لذا تراوح الأمر بين أربع عمليات كبيرة استهدفت أربع مدن هي إشبيلية والمرية وقرطبة وبطليوس، أو ست عمليات بإضافة قرمونة وجيان إليها في عام 484 هـ / 1091 م، ثم سقطت قرطبة ومرسية وأعمالها على يد القائد "يوسف بن داود بن عائشة" وأنهى يوسف بذلك عصر ملوك الطوائف بالأندلس(2)، ثم قسم المغرب إلى أعمال وزعها على قومه وبنيه آخذاً في تنظيم شئون بلاده حتى وفاته سنة 500 هـ / 1106 م،(3) فبايع المرابطين ابنه "علي بن يوسف بن تاشفين" (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م) أميراً عليهم، ثم أعقبه(4)

(1) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994 م، ص 123؛ أنظر أيضاً زغروت (فتحي): الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1426 هـ / 2005 م، ص 224.
(2) ابن أبي زرع: نفسه، ص 154 – 155؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: نفسه، جـ 4، ص 336.
(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 156؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 27 – 28؛ أنظر أيضاً حسن (حسن علي): الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 25؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 280، 374؛ محمود: قيام دولة المرابطين، ص 198؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 169؛ عبلة لطيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدن جنوب المغرب في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1992 م، ص 144.
(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 157؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 84؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 149 – 154؛ أنظر أيضاً عنان: دولة الإسلام في الأندلس – عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية في المغرب والأندلس، العصر الثالث، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990 م، ص 58؛ عودات: تاريخ المغرب والأندلس، ص 93.

آخر أمراء المرابطين "تاشفين بن علي بن يوسف" (537 – 539 هـ / 1142 – 1145 م) الذي توالت عليه هزائم دولة جديدة ناشئة تسمى دولة الموحدين في المغرب الأقصى، فقتل على يديهم سنة 539 هـ / 1145 م، وبزغ نجم هذه الدولة(1)

التي يرجع جذورها إلى فقيه ديني يدعى "المهدي بن تومرت" حيث كان شغوفاً بطلب العلم، ففي سنة 501 هـ / 1107 م، جاز البحر إلى الأندلس ودرس في قرطبة حيناً، ثم جاز من ثغر المرية إلى المشرق(2)، وأخذ يتنقل بين عواصم المشرق الإسلامي قرابة إحدى عشرة سنة، حتى اكتملت معارفه وصار علماً، وهو ما وضحه ابن خلدون بقوله "...بحراً متفجراً من العلم وشهاباً وارياً من الدين"(3).

---

(1) ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، 1964 م، ص 21 – 22؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973 م، القسم الأول، ص 170؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1969 م، ص 92.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ 10، ص 569؛ ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 م، ص 72؛ ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، جـ 4، ص 70؛ أنظر أيضاً العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص 104.

(3) العبر، جـ 6، ص 226؛ أنظر أيضاً أبو الفضل (محمد): شرق الأندلس في العصر الإسلامي – دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996 م، ص 50 - 51؛ الطيب (محمد): الإنصاف في تاريخ الأشراف في المغرب الأقصى، دار الفكر الإسلامي، 1994 م، ص 113 – 114.

ثم قفل راجعاً إلى بلاد المغرب عام 510 هـ / 1116 م، لينفع بعلمه منزل مدينة بجاية(1) في قرية تابعة لها تسمى ملالة والتقى بـ"عبد المؤمن بن علي" وكان أنذاك أحد الناقمين على حكم المرابطين وضمه إليه وتلمذه على يديه حتى افصح له عن طلب الخلافة(2)، ثم خرج "المهدي" من ملالة إلى ونشريس(3) مصطحباً معه أول تابعيه ويدعى "محمد بن البشير"(4)، وبدأ "ابن تومرت" منذ بداية دعوته يقلل من عمل المرابطين مبيناً جورهم ويدعو إلى عصيانهم بعد أن سماهم "المجسمون" فنظر إليه الناس نظرة المخلص

---

(1) بجاية: مدينة بالمغرب الأوسط بالجزائر، تقع على حرف حجر مثكي على جبل، وهي قديمة أزلية كثيرة الزراعات والصناعات، وتشتهر بصناعة السفن وبها دار لهذه الصناعة، وبها جبل عال يسمى (مسون) وبه المواد اللازمة لصناعة العقاقير الطبية، وبالقرب من المدينة جبل شديد الارتفاع يجلب منه الحجارة الصلبة الكبيرة الحجم، وعلى نهرها حصن يسمى (الجمة) وهو على قمة جبل يقصده أصحاب الأمراض للاستشفاء؛ ابن الأثير: تحفة العجائب وطرفة الغرائب، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 4990 جغرافيا، ورقة 7؛ مقديش (محمود): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواوي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 م، جـ 1، ص 93.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 173؛ ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 227؛ أنظر أيضاً مراجع الغناي: قيام دولة الموحدين، ص 177؛ الصلابي: أعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، دار التوزيع الإسلامية، القاهرة، 2003 م، ص 22؛ علام (عبد الله): الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1968 م، ص 87؛

Norris: The Berbers in Arabic literature, p, 161.

(3) ونشريس: بلد بإفريقية من أعمال مدينة بجاية بين مدينتي باجة وقسطنطنية المغرب، تقع إلى الشرق من جبل المصامدة؛ المراكشي: المعجب، ص 248.

(4) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور، الرباط، 1971 م، ص 34 – 35؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 176؛ مجهول: الحلل، ص 108 – 109.

لأنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في أي بلد يحل به وأي موضع ينزله(1)، وظل على هذه الحال حتى وصل إلى مدينة فاس ثم إلى مغيلة(2)، حتى وصل إلى مكناسة، فأثاره تجمع النساء والرجال في الميادين والأسواق بالكدية البيضاء(3)، ففرقهم وشتت جمعهم(4)، ثم خرج من مكناسة نحو سلا(5) يدعو إلى خلع طاعة المرابطين، فوافقه الكثيرون حتى أيقن أن دعوته قد آتت ثمارها، فدعا الناس إلى بيعته، وكان أول من بايعه "عبد المؤمن بن علي" وتسعة آخرون(6)، في رمضان عام 515 هـ / 1121 م، ولقبوه بالمهدي، بعد أن كان لقبه من قبل الإمام(7)،

(1) السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 81 – 82؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 777؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـــ 5، ص 231؛ طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 95.

(2) مغيلة: مدينة بالمغرب تقع على الطريق بين مدينتي فاس ومكناســة بحوالي 60 كم غرباً، والطريق من مغيلة إلى وادي شتات إلى فحص النخلة إلى مدينة مكناسة؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 21؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 71.

(3) الكدية البيضاء: هي المسماة بحمرية المشرفة على مدينة مكناسة القديمة؛ البيذق: المصدر السابق، ص 25، هامش (28،).

(4) البيذق: نفسه، ص 25 – 26.

(5) البيذق: نفسه، ص 25 – 26؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـــ 6، ص 227؛ السلاوي: المصدر السابق، جـ 2، ص 75؛ أنظر أيضاً سالم: المرجع السابق، ص 777؛ الغناي: المرجع السابق، ص 184

(6) وهم: المهاجرون الأوائل الذين اسرعوا إلى إجابته، فسماهم الجماعة، وأولهم كما ذكرنا "عبد المؤمن بن علي" و "أبو حفص عمر بن علي بن أصناك الصنهاجي" و "أبو الربيع سليمان بن مخلوف الحضرمي" و ""موسى بن تمازي" و أبو عثمان بن يخلف" و"سليمان آحضري" كاتب رسائل المهدي" و"أبو محمد عبد الله بن محمد الوانشريس" و"أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني"؛ ابن أبي زرع: نفسه، ص 176؛ أنظر أيضاً سالم: نفسه، ص 778.

(7) ابن أبي زرع: نفسه، ص 176 – 177؛ أنظر أيضاً موسى (عز الدين): الموحدون في الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1991 م، ص 38 – 40.

وما أن نمى ذلك إلى علم المرابطين إلا وجهز علي بن يوسف جيشاً لمحاربة "المهدي" واتباعه(1)، ولكن محاولاته باءت بالفشل(2)، وأفل نجم الموحدين بهزيمتهم على أيدي المرابطين في وقعة البحيرة(3) عام 524 هـ / 1130 م هزيمة منكرة(4)، وما أن ثبتت أقدام الموحدين في هذه المعركة إلا وسرعان ما توفي "المهدي" بأيام قلائل(5)، فبايع الموحدون عليهم "عبد المؤمن بن علي" خليفة للمهدي الذي قضى زهاء عام ونصف في تنظيم شئون الموحدين وتأليف قلوبهم أثناء الصراع المرابطي الموحدي الذي كان ما يزال قائماً (6) حتى بويع بالبيعة العامة عام 526هـ/ 1132 م، ونجح في تحقيق هدف الدعوة الموحدية تمهيداً لتوطيد أركان دولته(7)، خاصة بعد أن حالفته الظروف بإضطراب أمور المرابطين منذ بيعته حتى وفاة "علي بن يوسف" سنة 537 هـ / 1142 م(8).

---

(1) مجهول: المصدر السابق، ص 109 – 110.
(2) مجهول: الحلل الموشية، ص 114.
(3) البحيرة: وتعرف أيضاً ببحيرة الرقائق، وهي بسيط أو سهل كان أمام باب الدباغين وباب إيلان من مراكش، جرت بها هذه الواقعة يوم السبت 12 إبريل 1130 م/ 2 جمادى الآخرة 524 هـ؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 40، هامش 66.
(4) المراكشي: المعجب، ص 165.
(5) ابن القطان: نظم الجمان، ص 167؛ مجهول: المصدر السابق، ص 117؛ انظر أيضاً علام: الدولة الموحدية بالمغرب، ص 98؛ جان وجيروم: أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: أحمد بلا فريج، المطبعة الوطنية، الرباط، 1349 هـ، العدد 3، ص 116؛ *Norris: The Berbers in Arabic literature; p. 179.*
(6) البيذق: المصدر السابق، ص 43 – 44؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 186.
(7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 184 – 186؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 137؛ أنظر أيضاً الصلابي: أحوال دولة الموحدين، ص 73.
(8) ابن أبي زرع: نفسه، ص 187؛ مجهول: نفسه، ص 119 – 120.

وسطوع نجم الموحدون وعظم شأنهم، فاستولوا على كثير من مدن المغرب التي كانت في حوزة المرابطين، مما جعل الأمير المرابطي "تاشفين بن علي بن يوسف" يأخذ على عاتقه مطاردة الموحدين واستئصال شأفتهم من جديد(1)، فوقعت بينه وبينهم حروب كثيرة كان النصر فيها حليف الموحدين(2)، خاصة سنة 533 هـ / 1139 م عندما انتهز "عبد المؤمن بن علي" فرصة وجود "تاشفين بن علي" بمدينة فاس فانقض على أزرو أكبر قرى مدينة مكناسة، التي أصبحت فيما بعد قاعدة حربية هامة اتخذها "عبد المؤمن بن علي" لإخضاع المناطق المجاورة لمكناسة(3)، فألف المرابطون جيشاً تحت إمرة "يحيى بن سير بن أبي بكر" لمواجهة الموحدين، انهزم فيه المرابطون، فأرسلوا جيشاً آخر قود عليه "بدر بن ولكوط" والي مكناسة، فاعترضه "عبد المؤمن بن علي" عند خروجه من أزور على طريق مكناسة وهزمه وفتك به وبجيشه واستولى على كثير من عدته وعتاده(4)،

(1) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 16؛ ابن أبي زرع: نفسه، ص 186 – 187.
(2) مجهول: نفسه، ص 121.
(3) البيذق: المصدر السابق، ص 50، هامش 92؛ أنظر أيضاً الصلابي: المرجع السابق، ص 85.
(4) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 51؛ أنظر أيضاً عنان: دولة الإسلام، ق 1، ص 235؛ الصلابي: أحوال دولة الموحدين، ص 80؛ طه: مدينة فاس، ص 98.

وعندما تيقن "عبد المؤمن بن علي" أن المرابطين أصبحوا منهكي القوى رحل إلى مدينة وهران(1)

لفتحها، فخرج إليه "تاشفين بن علي" لحمايتها، إلا أن فرسه تردى به من أعلى الجبل فسقط ميتاً سنة 539 هـ / 1145 م، وتشتتت جموع المرابطين(2)، في حين كان الخليفة "عبد المؤمن بن علي" يوالي إرسال قادته إلى باق مدن المغرب، منهم "إبي حفص بن عمر"(3) إلى تادلة(4) ومكناسة ومراكش لفتحها(5)،

(1) وهران: مدينة بالمغرب الأوسط على ساحل البحر، أقرب المدن إلى المغرب الأقصى، أسست عام 290هـ / 902 م، حيث بناها جماعة من الأندلسيين، ثم خربت بسبب فتنة القبائل البربرية بها، ثم دب العمران فيها بعد أن هدأت الفتنة، ووصفت بالحصانة وكثرة الأرجاء والبساتين؛ مجهول: الاستبصار، ص 133 – 134؛ الزهري: الجغرافية، تحقيق: محمد صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1967م، ص113.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 187 – 188.

(3) أبو حفص بن عمر بن يحيى الهنتاني: يعد أحد طبقة جماعة الخمسين، ومن كبار الشخصيات التي كان لها الفضل في إقامة دولة الموحدين، وهو جد ملوك بني حفص، وأصلهم من هنتانة، ومن أعظم قبائل المصامدة، وهم أكثر قبائل البربر، ودولتهم شعبة دولة الموحدين، وكان أبو حفص أحد القائمين بدولة الإمام المهدي، ومن بعده الخليفة عبد المؤمن بن علي، وكانت وفاته عام 571 هـ / 1175 م؛ الباجي: الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، مطبعة بيكار، تونس، 1323 هـ، ص 56؛ أنظر أيضاً برنشفيك (روبار): تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 م، جـ 1، ص 42 – 43.

(4) تادلا (تادلة): مدينة تقع جنوب مدينة مكناسة، وبها حصن للملثمين، وبها الكثير من الخيرات والأرزاق: مجهول: المصدر السابق، ص 200.

(5) البيذق: المصدر السابق، ص 67 – 68؛ أنظر أيضاً عنان: المرجع السابق، ق 1، ص 268 – 269، 274؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 352 – 354؛ سحر سالم: مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996 م، ص 74.

وبسقوط مراكش عاصمة دولة المرابطين في أيدي الموحدين سنة 541 هـ/ 1146 م، وقتل أميرها "إسحاق بن علي" المرابطي زالت دولة المرابطين(1)، واستوثق المغرب للخليفة الموحدي "عبد المؤمن بن علي"(2) الذي ظل يستأثر بفتوحاته لتوسيع رقعة الدولة الجديدة، خاصة بعد أن استولى على مكناسة، وظل كلك حتى وفاته سنة 558 هـ / 1162 م(3)، وترك دولة قوية لخليفته "أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن" (558 – 580 هـ / 1162 – 1184 م)(4)، ثم ابنه "يعقوب المنصور" (580 – 595 هـ / 1184 – 1198 م)(5)، حتى بدأ الوهن يدب في جسد الدولة الموحدية إبان مبايعة الموحدين لـ"أبي عبد الله الناصر بن المنصور" (595 -هـ / 1198)

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 297؛ ابن بسام: أخبار ملوك الحضرة المراكشية، طبعة أميروسيوهويتي، مطبعة الإبيرقه لمجريط المسيحية، تطوان، 1917 م، ص 127؛ أنظر أيضاً تاويت (محمد): الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1402 هـ / 1982 م، جـ 1، ص 334.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، القسم الموحدي: ص 28؛ ابن ابي زرع: نفسه، ص 189؛ ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 232؛ أنظر أيضاً الغناي: قيام دولة الموحدين، ص 305؛ كحيلة (عبادة): المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، ص 112؛ علام: الدولة الموحدية بالمغرب، ص 105 – 106، 134.

(3) دفن بجوار المهدي بن تومرت بتنملل؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ 6، ص 238؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 796، الصلابي: المرجع السابق، ص 106؛ الغناي: المرجع السابق، ص 360.

(4) ابن أبي زرع: نفسه، ص 208؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 131.

(5) المراكشي: المعجب، ص 340؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 216؛ ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316 هـ، ص 59؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 218 – 219؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـ 4، ص 321؛ أنظراً أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 49؛ الصلابي: أحوال دولة الموحدين، ص 148؛ بروفنسال: نخب تاريخية لأخبار المغرب الأقصى، ص 44 – 45.

خاصة بعد هزيمتهم في موقعة العقاب(1) سنة 609 هـ / 1212 م، حيث بدأ المرينيون في انتهاز فرصة ضعف الدولة الموحدية بشن غارات على القرى والمدن بقيادة "محمد بن عبد الحق المريني"(2)، فضلاً عن الخلافات الناشبة في الأسرة الموحدية على تولي الخلافة بعد وفاة الخليفة المستنصر (610 – 621 هـ / 1213- 1224 م) وانغماس خلفائهم في اللهو والملذات، فبعد مبايعة "أبا محمد عبد الواحد" بالخلافة (620 – 621 هـ / 1223 – 1224 م) في مراكش لم يدم حكمه طويلاً نتيجة لذلك(3)، وخلص الأمر للخليفة "محمد العادل" (621 – 624 هـ / 1224 – 1226 م) الذي إزداد في عهده تدخل بنو مرين تحت قيادة "أبا سعيد عثمان بن عبد الحق المريني"(4)،

---

(1) وقعة العقاب: وقعت بهضاب تولوسا بين الخليفة "محمد الناصر الموحدي" و "ألفونسو الثامن" يوم 15 صفر سنة 609 هـ / 16 يوليو 1212 م، بين القوات المغربية وبين جيش مسيحي عظيم من الإسبانيين في الأندلس فضلاً عن عشرات الآلاف من الصليبيين الذين جاءوا تحت قيادة ملوكهم ورهبانهم من مختلف أنحاء أوربا لمعاونة ملوك أسبانيا الواقعة الشهيرة التي وقعت عام 609 هـ / 1212 م، والتي انهزم فيها الخليفة الناصر الموحدي هزيمة شنيعة أمام قوات الملك ألفونسو السادس ملك قشتالة، واعتبرت هذه المعركة نذيراً لانهيار دولة الموحدين في المغرب؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ 2، ص 223؛ انظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 824 – 828؛ إدريس (صبحي عبد المجيد): عصر الخليفة الناصر الموحدي، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية آداب طنطا، 1999 م، ص 164 – 165؛ شبانة: الأندلس، ص 159.

(2) الماحي (علي): المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986 م، ص 41.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 244؛ ابن بسام: أخبار ملوك الحضرة، ص 111؛ أنظر أيضاً الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص 247 – 248؛ طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 116.

(4) ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 252؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 206 – 208.

وظل العادل يتربع على عرش الخلافة الموحدية حتى مبايعة "يحيى الناصر" (624 – 633 هـ / 1226 – 1235 م)، كان هذا في الوقت الذي بويع فيه "أبا العلاء المأمون" بإشبيلية منذ سنة 624 هـ / 1226 م، فجاءت خلافة المأمون مع خلافة يحيى، إلا أنه بمقتل "يحيى الناصر"(1) وتولي "إدريس المأمون" للمرة الثانية(2) حتى وفاته سنة 629 هـ / 1231 م(3) واجتمعت القبائل الموحدية على بيعة ابنه "عبد الواحد بن إدريس" المكني بالرشيد (630 – 640 هـ / 1232 – 1242 م)(4) الذي انتشرت في عهده الفتن والثورات، وأبرزها ثورة عرب رياح(5)،

---

(1) ابن أبي زرع: نفسه، ص 247؛ السلاوي: المصدر السابق، جـ 2، ص 208؛ أنظر أيضاً الغناي: المرجع السابق، ص 250.

(2) ابن أبي زرع: نفسه، ص 250 – 251؛ ابن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محمد زينهم، الدار الثقافية، القاهرة، 2004 م، ص 47، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ 6، ص 252 – 253.

(3) التنسي: نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، مخطوط بمعهد المخطوطات جامعة الدول العربية، رقم 238 ت، ورقة 90؛ ابن أبي زرع:الأنيس المطرب، ص 253؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 166؛ أنظر أيضاً الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص 283.

(4) ابن أبي دينار: المؤنس، ص 148 – 149.

(5) عرب رياح: بطن من قبائل هلال وأكثرها عدداً، وهم ينتمون إلى ابن الكلبي "رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر"، وكانت رياستهم أثناء دخولهم المغرب مع بني هلال لـ "موسى بن يحيى الضبيزي" الذي أصهر إليه "المعز بن باديس" ونقل "يعقوب المنصور" منهم قبائل قوية للمغرب الأقصى، وشعوبهم كثيرة، وأهم قبائل رياح رمرداس وأولاد سعيد وأولاد مسلم وغيرهم؛ ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 31 – 32؛ أنظر أيضاً منصور (عبد الوهاب): قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968 م، جـ 1، ص 421.

ثم استقامت له الأمور حتى وفاته(1)، فتسلم أمور الخلافة من بعده "أبو الحسن المعتضد" المكني بالسعيد وذلك سنة 640 هـ / 1242 م، في حين بدأ نفوذ القبائل المرينية بالمغرب الأقصى يزداد قوة(2)، خاصة عام 643 هـ / 1245م، عندما بايع أهل مكناسة الأمير "أبو زكريا الحفصي"(3) بمساندة الأمير "أبو يحيى بن عبد الحق المريني" الذي كان يدين للحفصيين بالطاعة، والأمير "يعقوب بن عبد الحق المريني" الذي ساعده على فتح مكناسة صلحاً، لذا أعطاه الأمير الحفصي ثلث جباية مكناسة مكافأة له(4)، وكان غرض المرينيين من هذه التبعية الإسمية للحفصيين الالتزام بها لإبراز لون من ألوان الشرعية،

---

(1) التنسي: نظم الدرر والعقيان، ورقة 90؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 255؛ ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 148؛ أنظر أيضاً سحر سالم: مدينة الرباط، ص 72؛ الغناي: المرجع السابق، ص 271.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 7، ص 17؛ ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 359؛ ابن ابي دينار: نفسه، ص 149؛ أنظر ايضاً الغناي: نفسه، ص 289.

(3) أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن الشيخ أبو حفص عمر: ولد عام 599 هـ / 1164 م، نشأ وتربى بين أهله بتونس، ونقله والده لتوليته إمارة إفريقية، وتعلم الآداب السلطانية والفروسية، فنشأ مستجمعاً لخلال الرئاسة، حازماً داهية، وله مشاركة في علوم الطب، وذو حنكة سياسية سديد الرأي، فازداد قوة؛ النقير (محمد): عنوان الديب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب، المطبعة التونسية، 1351 هـ / جـ 1، ص 62.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ 6، ص 257؛ ابن بسام: أخبار ملوك الحضرة المراكشية، ص 157؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص 32؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 222؛ جـ 3، ص 11 – 12؛ أنظر أيضاً برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ص 63؛ الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 19 – 20؛ القبلي (محمد): مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987 م، ص 111؛ الغناي: المرجع السابق، ص 288؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 70؛ المطوي (محمد): السلطنة الحفصية تاريخها ودورها في المغرب الأقصى، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1986 م، ص 147؛ العروي (عبد الله): مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994 م، جـ 2، ص 196.

ولهذا اتجهوا إلى بيعتهم، وهو ما تحدث به ابن خلدون في هذه الحقبة بقوله "... وكانت لهم - الحفصيون - أيضاً مع بني مرين منذ أول أمرهم يخاطبون الأمير أبو زكريا ويبعثون له بيعة البلاد التي يتغلبون عليها"(1).

على أي حال ظل الخليفة "السعيد الموحدي" يحارب المرينيين حتى رحيله من مكناسة إلى تازا(2)، بعد أن ركن إلى ولاء "أبو يحيى بن عبد الحق المريني" له بعد أداءه فروض الولاء والطاعة له(3)، ولكن سعادته بهذا الولاء لم تدم طويلاً فقد وافته المنية بتلمسان سنة 646 هـ / 1248 م(4)، وبموته فقد الموحدون آخر أمل لهم في النهوض من جديد لمناهضة بنو مرين، وجدد أهل مكناسة البيعة لـ"أبي يحيى المريني"(5).

---

(1) العبر، جـــ 7، ص 213؛ أنظر أيضاً الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 17 – 18؛ الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص 271؛ العروي: تاريخ المغرب محاولة للتركيب، ص 198.

(2) تازا: هي أول بلاد المغرب الأقصى، وتقع شرق مدينة فاس بحوالي 127 كم، تفصل بين المغرب الأقصى والأوسط، سكنتها قبائل من البربر يعرفون بغياثة، بها العديد من الجبال الخصبة، والكثير من الزراعات المختلفة، هذا فضلاً عما تتمتع به هذه البلاد من جو معتدل ووفرة المياة، لذا اتخذت مركزاً حربياً لموقعها الاستراتيجي؛ مجهول: الاستبصار، ص 186.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 257 – 292؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص 32 – 33؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص 103؛ السلاوي: الاستقصا، جـــ 2، ص 223 – 224؛ أنظر أيضاً بروفنسال: نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، ص 76؛ القبلي: الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط، ص 37؛ العروي: المرجع السابق، ص 204؛ الحريري: المرجع السابق، ص 20.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 257؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـــ 6، ص 258؛ السلاوي: المصدر السابق، جـــ 2، ص 224 – 226؛ أنظر أيضاً طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 118.

(5) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، 1972 م، ص 72 – 73؛ ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: د/ ماريا خيوس بيير، تقديم: محمود أبو عياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 م، ص 113؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص 33؛ السلاوي: نفسه، جـــ 2، ص 226 – 227؛ أنظر أيضاً الحريري: نفسه، ص 21؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرينيين، ص 20؛ مراد: الأوقاف مصدر لدراسة مجتمع فاس في العصر المريني، ص 11؛ بروفنسال: أخبار المغرب الأقصى، ص 76.

في حين غادر الخليفة الموحدي الجديد "عمر المرتضى" (646 – 663 هـ / 1248 – 1264 م)(1) مراكش على رأس جيش كبير لمحاربة المرينيين، إلا انه طلب المهادنة من قائدهم الأمير "أبو يحيى بن عبد الحق المريني" ولكنه لم يحدث نتيجة معارضة ومكابرة وزراءه له على عقد هذا الصلح وعزمهم على حرب بنو مرين، فالتقوا بموقعة أمان إيملولين بأحواز مكناسة سنة 650 هـ / 1252 م، والتي أسفرت عن انتصار المرينين على الموحدين(2)، وفرار المرتضى الموحدي إلى مراكش تاركاً خلافاً بينه وبين "أبو العلاء إدريس" الواثق بالله(665 – 667 هـ/ 1266 – 1268م)(3) حول تولي الخلافة، الأمر الذي جعل "أبو العلاء إدريس" يستعين بـ"أبي يوسف يعقوب المريني" (656 – 685 هـ / 1258 – 1286 م) ضد الخليفة "عمر المرتضى" لفتح مراكش

(1) التنسي: نظم الدرر والعقيان، ورقة 93؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 7، ص 18؛ أنظر أيضاً الغناي: المرجع السابق، ص 290.
(2) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 400 – 401؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 79 – 80؛ السلاوي: المصدر السابق، جـ 2، ص 227 – 228؛ أنظر أيضاً الغناي: نفسه، ص 290؛ سحر سالم: مدينة الرباط، ص 74 – 75؛ عنان: دولة الإسلام، ق 2، ص 540 – 542.
(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 259؛ ابن الخطيب: رقم الحلل، ص 61؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 230 – 233؛ أنظر أيضاً الغناي: سقوط دولة الموخدين، ص 291.

على أن تكون مناصفة بينهما، فأمده أبو يوسف بجيش قوي من بني مرين، وتحرك أبو العلاء إدريس من فاس سنة 663 هـ / 1264 م إلى العاصمة الموحدية واستولى عليها وبويع بالخلافة سنة 665 هـ / 1266 م(1).

في حين أرسل إليه "أبو يوسف يعقوب المريني" للوفاء بوعده بمناصفة مراكش فأبى عليه "أبو العلاء إدريس" قائلاً لرسوله "أن يقنع بما ملكه من البلاد، وإما سوف يأتيه بجيش كبير"، فثارت ثائرة "أبو يوسف يعقوب" وتوجه إليه لغزوه وقتله وحمل رأسه إلى أسواق مدينة فاس وطافوا بها سنة 667 هـ / 1268 م، وبقتل "أبو العلاء إدريس" انتهت دولة الموحدين، واستولى السلطان "أبو يوسف يعقوب المريني" على مراكش في العام التالي سنة 668 هـ / 1269 م، لتبدأ دولة بنو مرين على أنقاض دولة الموحدين(2).

---

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 260؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 56؛ السلاوي: المصدر السابق، جـــ 2، ص 230؛ أنظر أيضاً الغناي: المرجع السابق، ص 274، 292؛ عنان: دولة الإسلام، ق2، ص 555؛ العروي: تاريخ المغرب، ص 199.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جــ 7، ص 18؛ ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 468؛ ابن أبي زرع: نفسه، ص 260 – 261؛ السلاوي: نفسه، جـ 2، ص 234؛ أنظر أيضاً العروي: المرجع السـابق، ص 199؛ روس (أتوري): ليبيا من الفتح العربي حتى سـنة 1911 م، ترجمة: خليفة محمد البلبسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس – ليبيا، 1974 م، ص 115.

الفصـــل الأول

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للصناعة:

الصناعة: هي حرفة الصانع وعمله، ومصدرها الصنع(1)، لذا قيل إمرأة صناع اليدين، أي حاذقة وماهرة بعمل اليدين، ورجل صنيع اليدين، أي صانع حاذق، ويطلق عليهم أيضاً صناع، بمعنى رجل صنيع وامرأة صنيعة(2)، والصنيع هنا فعيل بمعنى مفعول أي مصنوع، فصنعت الشئ أي اصنعه صنعاً والصانع عامل الشئ، والصناعة حرفته(3)، وجمع صانع صناع(4)،

---

(1) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة رسالة، بيروت، 1407 هـــ / 1987 م، ص 954؛ أنظر أيضاً العمري (عبد العزيز بن إبراهيم): الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، 1985 م، ص 49.

(2) ابن منظور: لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1997 م، جـ 7، ص 420.

(3) التلمساني (أبو الحسن علي): تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: الشيخ أحمد أبو سلامة، مكتبة لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1995 م، ص 794.

(4) قال ابن شهاب الهذلي في ذلك:

صناع بإشفاها، حصان بفرجها ... جواد بقوت البطن والعرق زاخرُ

ابن منظور: المصدر السابق، جـ 7، ص 420؛ أنظر أيضاً رضا (أحمد): رد العامي إلى الفاصح، مطبعة العرفان، صيدا، 1952 م، ص 239.

ويقال أن الحرفة والصناعة تأتي بمعنى واحد، يقول ابن منظور "المحترف الصانع، وفلان حريفي أي معاملي والمحرف الذي نما ماله وصلح والاسم الحرفة والصناعة، وحرفة الرجل صنعتهأو صنيعته، وحرف لأهله واحترف كسب وطلب واحتال"(1)، فكأنه جعل مصدر الكسب حرفة أو صنعة بمعنى واحد، فقد يطلق على الصانع محترف، كما يطلق على المحترف للشئ بأن صنعته كذا وكذا، فهما هنا بمعنى واحد(2).

والصنيعة كما فسرها الأزهري ما أعطيته وأسديته من معروف أو يدإلى إنسان تصنعه به، وجمعها صنائع(3).

أما مفهوم الصناعة اصطلاحاً:

فهي تصنيع الانتاج الزراعي وما يتصل به وبغيره من استنباط المعادن والقيام على تصنيعها والاستفادة منها(4)، أو هي مصادر الكسب التي يجيدها الشخص من حرف كالزراعة أو عمل يدوي معين،

سواء كان صناعة أو خدمات أخرى، كالأعمال العلمية كتعليم القراءة أو احتراف الطب، أو غير ذلك مما يختص بصنعه ويدر عليه المال(5).

---

(1) ابن منظور: نفسه، جـ 7، ص 420؛ ؟ أنظرأيضاً العمري: المرجع السابق، ص 50.

(2) العســقلاني (ابن حجر): فتح الباري بشــرح صــحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، 1407 هـ، جـ 4، ص 356.

(3) الأزهري (ابن منصــور): معجم تهذيب اللغة، تحقيق: د/ رياض قاســم، دار المعرف، بيروت، المجلد الثاني، 2001 م، ص 2066؛ وفيه يقول الشاعر:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصان بها طريق المصنع

(4) ابن منظور: لسان العرب، جـــ 7، ص 419؛ أنظر أيضاً موسى (عز الدين): النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، 1983 م، ص 207.

(5) التلمساني: تخريج الدلالات السمعية، ص 794؛ أنظر أيضاً العمري: الحرف والصناعات، ص 50.

ثانياً: مدلول الصناعة:

أ- القرآن الكريم:

بين القرآن الكريم أهمية الصناعة للإنسان في حفظ كرامته وكفاية ذاته وعياله من خلال بعض آياته الكريمة كقوله تعالى "وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون" وفي الآية دلالة على أهمية الصنعة والشكر لله تعالى على تعلمها، وهو ما يتبين في قوله "فهل أنتم شاكرون"(1)، إذن فالصنعة نعمة من الخالق على خلقه، فهي قائمة بحياة الإنسان من الخلق إلى آخرالدهر، وفي الآية الكريمة تخصيص لسيدنا داود عليه السلام في صناعته وهي الدروع، فقال قتادة أن أول من وضع الدروع هو داود عليه السلام، وأن تطوير هذه الصناعة جاء على يده(2)، فقد كانت هذه الصناعه قبله عبارة عن صفائح ثم سردها واتخذها حلقاً ولم يسبقه أحد في ذلك(3)، ولقد حضره لقمان الحكيم عليه السلام وهو يصنع هذه الدروع ثم لبسها داود على نفسه فأعجب لقمان بحسن صنيعه وصناعته(4).

---

(1) سورة الشعراء: الآية 129.

(2) الرازي (فخر الدين): التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ / 1990م، المجلد الحادي عشر، ص 173.

(3) الطبري (أبو جعفر بن جرير): تفسير الطبري جامع البيان عند تأويل آي القرآن، تحقيق: ج/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1422 هـ / 2001 م، جـ 16، ص 329.

(4) الرازي: المصدر السابق، المجلد الحادي عشر، ص 173.

واللبوس عند العرب أي ليلبسها لتقيه البأس في الحرب من السلاح كله سواء كان درعاً أو سيفاً أو رمحاً(1)، والمعنى ليمنعكم ويحرسكم من بأسكم، أي من الجرح والقتل بالسيف والسهم والرمح(2)، وفي قوله لتحصنكم قرئ بالنون والباء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها، فالنون لله عز وجل، والتاء للصنعة أو اللبوس على تأويل الدرع، والباء لله تعالى أو للبوس(3).

وفي قوله تعالى "وألنا له الحديد"(4) في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع وان التحرف بها لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضائلهم وفضلهم، إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم(5)، وكسب الحلال من كدهم(6)، فألنا له الحديد أي لان له حتى أن كان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة أو صار كالشمع أو العجين وهي حكمة الله في خلقه(7)،

---

(1) ابن كثير (اسماعيل): تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة، 1408 هـ / 1988 م، جـ 3، ص 183.

(2) السيوطي (جلال الدين): الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ / 1990 م، جـ 4، ص 587.

(3) الرازي: نفسه، المجلد الحادي عشر، ص 173.

(4) سورة سبأ: الآية 10.

(5) قيل عن سيدنا داود عليه السلام أنه كان يخرج متنكراً فيسأل الناس عن سيرته فيثني عليه من قابله من الناس في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام، حتى بعث الله عز وجل رجلاً في صورة مالك فسأله داود عليه السلام كما كان يسأل غيره، فقال هو خير الناس لنفسه ولأمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملاً، قال ماهي؟ قال: يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين، يعني بيت المال، ومنذ ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عز وجل في الدعاء أن يعلمه عملاً بيده يستغني به ويغني به عياله، فألان الله سبحانه وتعالى له الحديد وعلمه صنعة الدروع؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ 3، ص 506.

(6) القرطبي (أبو عبد الله): الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1387 هـ / 1987 م، جـ 14، ص 267.

(7) القرطبي: المصدر السابق، جـ 14، ص 266.

ولهذا قال تعالى "أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير"(1)، والسابغات هي الدروع، فكان داود عليه السلام يصنعها لتكفيه مؤنته وعياله وآله، فكان يصنع كل يوم درعاً فيبيعها بستة آلاف درهم ثلثه له وأربعة آلاف يطعم بها بني إسرائيل(2)، أما في قوله "وقدر في السرد" أي اترك تقدير الصناعة إلى حنكة داود عليه السلام فيها فيما يجمع بين الخفة والحصانة في صناعة دروعه حيث كانت صفائح ثقالاً قبله، والمعنى أي قدر ما نأخذ من هذين المعنيين بقسطه، فلا تقصد في الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزيل المنعة(3)، والتقدير الذي أمر به الحلقة فلا تدق المسمار فيقلل في الحلقة، ولا تغلظه فيقصمها(4)، وفي قوله "وقدر في السرد" أي الكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الأيام والليالي للعبادة، خاصة وأن سيدنا داود نبي مرتبط بالدعوة والعبادة، ويدل على ذلك قوله تعالى "واعملوا صالحاً" أي لستم مخلوقين إلا للعمل الصالح، فاعملوا ذلك واكثر منه،

---

(1) سورة سبأ: آية 11.

(2) الماوردي (أبو الحسن الماوردي البصري): مصحف التهجد ومعه تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، دار الصفوة، الكويت، 1413 هـ / 1993 م، جـ 3، ص 394؛ ابن كثير: المصدر السابق، جـ 3، ص 505.

(3) القرطبي: نفسه، جـ 14، ص 267.

(4) الماوردي البصري: المصدر السابق، جـ 3، ص 393.

ثم أكد طلب الفعل الصالح بقوله تعالى "إني بما تعملون بصير" أي أن من يعمل عملاً ويعلم أنه بمرأى من الله يحسن العمل ويتقنه ويجتهد فيه، وهي دلالة على الإتقان والتدرج في تطوير الصناعة(1)، فقد بلغ من دقة الصنعة عند أربابها ومنتفعيها أنها خالدة غير زائلة، أي أنهم من عظمة البناء جعلهم لا يتفكرون في الموت(2)، لذا جاء قوله تعالى "وتتخذون من مصانع لعلكم تخلدون"(3)، وقيل أن هذه المصانع المقصود بها الحصون المشيدة أو القصور أو بروج الحمام(4)، أو مصانع الماء التي تجعل تحت الأرض(5).

ومما سبق يتضح أن النصوص الإسلامية تحث على العمل ومحاربة الكسل، على أن يكون ذلك خالياً من الغش متفقاً مع مبادئ الشريعة الإسلامية في محاربة الفساد والدعوة إلى الإصلاح وإتقان العمل، وأن الصنعة فخر لصاحبها(6) حتى نسبها المولى عز وجل لنفسه في قوله تعالى "صنع الله الذي أتقن كل شئ"(7) وهذا دليل على الصنعة كأنه قال صنع الله ذلك الذي لم يفرط في أي شئ من صنعه(8).

(1) الرازي: التفسير الكبير، المجلد الثاني عشر، ص 645.
(2) الشوكاني (محمد بن علي): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، د.ت، مجلد 4، ص 110.
(3) الزمخشري (محمد بن عمر): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، جـ 3، ص 122.
(4) البغدادي (جمال الدين): زاد المسير في علم التفسير، دار الفكر، 1407 هـ / 1987 م، جـ 6، ص 45.
(5) الشوكاني: المصدر السابق، جـ 4، ص 110.
(6) حركات: النشاط الاقتصادي الإسلامي، ص 227.
(7) سورة النحل: آية 88.
(8) ابن منظور: لسان العرب، جـ 7، ص 419.

ب- السنة الشريفة:

لم تخل السنة النبوية الشريفة من أحاديث تبين فضل الصناعة وبركاتها على الفرد والمجتمع، فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله "ما أكل أحداً طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده"(1)، فالحديث بين فضل العمل باليد فقد اختلف العلماء في أفضل المكاسب بوقوعها حول أصولها كالزراعة والتجارة والصناعة، واتفقوا على أن أطيب الكسب ما كان بعمل اليد لما فيه من النفع العام للآدميين(2)، ومن فضل العمل باليد الشغل عن البطالة واللهو وكسر النفس، فيقل طغيانها ومرحها(3)، كذلك جاء الحث على السعي لتحصيل الرزق بالطلب والجد في تحصيله بالوجه المشروع(4)، لذا فهو صدقة إذا كان بنية الخير نظراً لرفعة المطلب والسعي إلى الرزق(5).

وفي قوله ق "وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"، توكيد وتقرير له يعني أن الاكتساب من سنن الأنبياء(6)،

---

(1) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419 هـــ / 1999 م، جـــ 28، ص 427؛ الطبراني (أبو القاسم): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، د.ت، جـ 19 – 20، ص 268.

(2) العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، جـ 4، ص 356.

(3) القاري (علي بن سلطان): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: صدقي محمد العطار، دار الفكر للطباعة، بيروت – لبنان، 1414 هـ / 1994 م، جـ 6، ص 7.

(4) السيوطي: سنن النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1420 هـ / 1999 م، جـ 7 – 8، ص 276.

(5) ابن ماجه: سنن ابن ماجه بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1420 هـ / 2000 م، جـ 3، ص 6.

(6) القاري: المصدر السابق، جـ 6، ص 7.

والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده ولم يكن من الحاجة، لأنه كان خليفة في الأرض، وإنما انبغى الأكل عن طريق الأفضل، ولهذا أورد الرسول ق قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد، وهو ما ذكره رسول الله ق في أحاديث أخرى، كقوله "من بات كالاً من عمله بات مغفوراً له"(1)، وفي حديث آخر يحمل هذا المعنى "ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده، وما انفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه، فهو صدقة"(2).

إذن الصنعة تغني صاحبها عن المسألة وتعفه وترفعه مهما كان صغرها أو وضاعتها طالما يكتسب بعرق الحلال وشرف الكفاية، فقد روي عن رسول الله ق قوله "لأن يحتطب حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه"(3)، وفي قوله ق الاستعفاف عن المسألة والسعي لطلب الرزق الحلال، ويأتي حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت "كان أصحاب رسول الله ق عمال أنفسهم أي خدام انفسهم"(4)، وهناك حديث آخر ذكره(5) ابن حجر العسقلاني ولكن نصه يحث على فضل العمل باليد وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره.

(1) العسقلاني: فتح الباري، جـ 4، ص 358.
(2) ابن ماجه: المصدر السابق، جـ 3، ص 6.
(3) العسقلاني: المصدر السابق، جـ 4، ص 355؛ أنظر أيضاً العمري: الحرف والصناعات، ص 58.
(4) العسقلاني: نفسه، جـ 4، ص 357 – 358.
(5) هذا الحديث هو "كان داود زراداً، وكان آدم حراثاً، وكان نوح نجاراً، وكان إدريس خياطاً، وكان موسى راعياً"؛ العسقلاني: نفسه، جـ 4، ص 358.

ومما سبق يتضح أهمية الصناعة من خلال آي القرآن الكريم والسنة المطهرةودورها في حفظ ماء الوجه عن السؤال والطلب، بل هي إعزاز لصاحبها ورفعته بين الخلائق إذا كا ن الكسب مشروعاً وحلالاً مع مراعاة مراقبة الله له، فيتقن صنعته ويخلص فيها.

ثالثاً- عوامل تقدم الصناعة وازدهارها:

1- توافر المواد الخام والأيدي العاملة في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين:

عندما أضفت الحياة على الإنسان تلبية حاجياته وإشباعها كان عليه أن يبتكر، ويتفنن في تحويل المادة الخام إلى منتجات لإيفاء هذه الحاجيات(1)، خاصة مع توافر المواد الخام الأولية للصناعة في وجود الأيدي العاملة وتدرجها في الترقي نحو هذا المجال، حتى تحولت إلى خبرة ومهارات طورت عملية الصناعة خلال العصور المختلفةوهو ما انطبق على فترة الدراسة(2)،

نتيجة استقرار الأوضاع السياسية أثناء حقب زمنية مختلفة تخللت حكم المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس،

---

(1) حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص 257؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم اغرناطة، ص 122 – 123؛

Gwichardl: Pierre: L'espagne et lasicile musulmanes aux xiet XII, siecles s, l yon, 2000; p. 145.

(2) حسن: المرجع السابق، ص 257.

مما ساهم في تطور الصناعة بشكل كبير في شتى المجالات(1)، لاسيما الصناعات الحربية التي كانت أساساً في حماية الشعب وحدود دولته(2).

ومن ثم فإن استقرار الصناع والحرفيين كان في حواضر المدن، حيث المواد الأولية اللازمة للتصنيع(3)، فضلاً عن إزدياد حياة الترف في هذه المدن نتيجة التطور الحضاري والعمراني الذي صاحب دولة المرابطين وأكملته دولة الموحدين، فاتسع نطاق الصناعة وبرز دور العمران الحضري بين المدينة والصنايع، فزاد الطلب على أدوات اللهو والترف، وهو ما أكده ابن خلدون بقوله "إن الصنائع إنما تكتمل بكمال العمران الحضري وكثراته"(4)، ولهذا فإن المدن الكبرى والمتوسطة كانت تضم آلافاً من الحرفيين والصناع والعمال، مثل مدينة فاس والقيروان والكثير من المدن الكبرى بالمغرب والأندلس(5)، ولإيضاح دراسة النظام الصناعي لا يتأتى ذلك إلا من خلال عدة عوامل تؤثر فيه وهي:

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 167؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى (كمال): تاريخ الأندلس الاقتصادي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د.ت، ص 273.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، مج 1، ص 449؛ أنظر أيضاً العبادي (أحمد مختار): صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000 م، ص 198.

(3) شلبي (أبو زيد): تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1984 م،ص 29.

(4) العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تقديم: أ.د عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007 م، جـ 1، ص 335؛ أنظر أيضاً الحبيب الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 م، ص 146؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 122 – 123.

(5) حركات: النشاط الاقتصادي الإسلامي، ص 243.

2- تشجيع دولتي المرابطين والموحدين للعمل:

أ- نظرة المجتمع المرابطي للعمل

كان لتدهور حال الزراعة زمن الصنهاجيين (بنو زيري وبنو حماد) (361 – 454 هـ / 977 – 1062 م) أي قبيل حقبة المرابطين بقليل، كان لها أثراً كبيراً في تردي حال الصناعة واضمحلالها آنذاك نتيجة للظروف السياسية السيئة التي وقعت في بلاد المغرب والتي تتمثل في الغزو الهلالي(1)، الذي اقتلع الأشجار وجعل الأرض جرداء فدمر الأخضر واليابس حتى أصبح نقطة حالكة السواد في تاريخ المغرب الإسلامي، هذا بالإضافة إلى توقف حال الصناعات التعدينية على الرغم من بعدها عن الانتاج الزراعي إلا أنها تأثرت بحالة الركود السياسي في البلاد، بينما نجد أن بنو حماد شجعوا الصناعة لازدهار الزراعة على عهدهم، لأنها بعيدة عن خطر الغزو الهلالي،

(1) قام اليازوردي وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (427 – 487 هـ / 1036 – 1094 م) سنة 440 هـ / 1048 م باستحضار العرب الهلالية من صعيد مصر وعهد لهم بولاية إفريقية بدلاً من أمراء القيروان الزيريين الخارجين عليهم، وفي السنة التالية 441 هـ / 1049 م، أخذ رسول اليازوردي يدور على أحياء الهلالية ويخبرهم بذلك ويجزل العطاء لأمرائهم ويخصص لكل رجل من العامة بعيراً وديناراً مع السماح لهم بعبور النيل مع الإذن لهم بالمسير للمغرب دار ملكهم الجديد، وبالفعل فقد رمى اليازوردي برماح الموت، فما أن مروا على قرية أو مدينة إلا ونهبوها حتى وصلوا إلى مدينة برقة فوجدوها مفتوحة أمامهم ثم واصلوا مسيرهم نحو مدينة طرابلس فوثلوها سنة 446 هـ / 1054 م، وملكوا المدينة، وواصلت رياح منهم والأشيح وبنو عدي المسير إلى إفريقية وعاثوا فساداً في نواحيها، ولم يستطع المعز أو صنهاجة الوقوف أمامهم أو ردعهم، وانتهى أمر المعز إلى أن انتقل إلى المهدية سنة 449 هـ / 1057 م، واستمر العرب في تقدمهم نحو الغرب، وبدوا متعاونين مع الفرع الغربي من صنهاجة وهم بنو حماد في الصراع ضد زناتة بالمغرب الأوسط، ذلك الصراع الذي سجلته ملحمة بنو هلال الشهيرة؛ ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 159؛ أنظر أيضاً عبد الحميد (سعد زغلول): فترة حاسمة من تاريخ المغرب، مقالة منشورة بكلية الآداب والتربية، بنغازي، 1958 م، مج 1، ص 38؛
Despois (Jean): L'Afrique du nord, Saint – Germain, Paris, 1949, p. 153.

فنهضت الصناعة بسبب تشجيع الدولة الحمادية وحماية أسطولها للسواحل ونقل المواد الخام اللازمة للصناعة بين جهاته، حتى قيل أن صاحب بجاية يضاهي صاحب مصر(1).

ومع ذلك فبمجئ الحقبة المرابطية بدأت عملية تطور الصناعات والحرف نتيجة شغف المرابطين بها واعتبارها مصدراً دائماً للتكسب والرزق، وهو ما أشار إليه أحد شعرائهم "أبو بكر البكي" (ت 560 هـ / 1164 م)(2)، هذا فضلاً عن عملية الاحتكاك الحضاري بين الأندلسيين والمرابطين خاصة بعد توطيد المرابطين لدعائم دولتهم واستقرارهم في إمارة "علي بن يوسف بن تاشفين" (453 – 500 هـ / 1061 – 1106 م) مما أدى إلى رواج في الحياة الاقتصادية وتطورت الصناعة بأنواعها(3) نتيجة لهذا الاحتكاك، نظراً لما عرف عن الأندلسيين من حنكة الصنعة وجودتها،

---

(1) مجهول: الاستبصار، ص 130؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 209.

(2) قـــالـــوا الكتـــابـــة أعلى خطـــة — قلت الحجامة أعلى عند أقـوام

لا يحسبو المجد في طرس ولا قلم — المجد فـي صوفة أو مبضع دام

أنظر أيضاً مباحث في التاريخ الاجتماعية للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998 م، ص 170، هامش 7.

(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 209.

وهو ما عبر عنه المؤرخون ومنهم ابن غالب بقوله "....صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن التصورية، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع"(1)، وكذلك قول المقري "

واما أهل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم، وأخملوا أعمالهم، وصيروهم أتباعاً لهم ومتصرفين بين أيديهم، ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة، وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم ويصير الذكر لهم"(2)، ومما سبق ذكره يتبين مدى احتراف الأندلسيون لصنعتهم وحذقهم فيها حتى بلغوا مبلغاً عظيماً فاق أهل الصنائع المغاربة، وأصبحوا من أهل الحظوة في عصر الأمير "يوسف بن تاشفين" في العاصمة المرابطية مراكش، التي حذت حذو بغداد عاصمة العباسيين في الرقي والازدهار(3)، وهو ما جعل "يوسف" يزيد من استقدام الصناع المهرة منهم إلى المغرب في شتى المجالات ومنها البناء والتعمير(4)،

(1) فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، ص 282؛ المقري: نفح الطيب من غصـــن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسـف الشـيخ محمد البقاعي، مكتبة البحوث والتراث، دار الفكر، بيروت، 1986 م، مج 4، ص 150؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 247.

(2) المصـدر السـابق، مج 4، ص 151؛ أنظر أيضـاً أبو مصـطفى: تاريخ الأندلس الاقتصـادي، ص 272؛ موسى: المرجع السابق، ص 213.

(3) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 272.

(4) الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: مديحة الشـــرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، بورســـعيد، 2001 م، ص 78؛ ابن القاضــــي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ق 1، ص 50؛ أنظر أيضـاً سـامية مسـعد: الحياة الاقتصـادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصـري المرابطين والموحيدن، ص 124؛ حســـن: الحضــــارة الإســـلامية في المغرب والأندلس في عصـــر المرابطين والموحدين، ص 261.

الذين برعوا فيه صناع المرية وغرناطة(1)، مثل "أبي يحيى العتاد"(2) و "صخر بن مسعود"(3) و "أبي عبد الله الخولاني"(4)، بل كانت هناك أسراً كاملة اشتهرت بمهارات حرفية معينة انتقلت معها من الأندلس إلى مراكش، كأسرة "بني جامع"(5) التي احترفت صناعة الأواني النحاسية(6)، ومع ذلك فلا يعني القول اقتصار المهارات الصناعية على الأندلسيين فقط في بلاد المغرب، بل ظهرت في المقابل الخبرات الصناعية المغربية في مختلف الصناعات اسهموا في نهضة وبناء الحضارة الأندلسية أيضاً(7).

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، جـــ 4، ص 73 – 74؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 124.

(2) أبي يحيى العتاد: كان إماماً في اللغة والشعر والأدب، وروى عنه الفقيه أبو محمد بن زيدان، وقد أخذ منه السنن العالية في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي، فهو الذي ينسب إليه صنع منبر جامع القرويين الذي به من الأبنوس والصندل والعاج والنارنج وأصناف الخشب الأخرى العظيم، ولما تم صنع له غشائين، أحدهما من جلد معزي والثاني من مقيرة، وقد عاش عمراً طويلاً حتى قارب على المائة؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 62؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 209.

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن صـــخر المشـــهور بصـــخر بن مســـعود البناي: من اعرف الناس بالبناء والنجارة، وهو الذي ينسـب إليه فرش الصـحن الذي بجامع القرويين وبناءه، وكان فرشــه قبله غيره فلم يرضي عمله< ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 62 – 63؛ الجزنائي: المصدر السابق، ص 100؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 209.

(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد الخولاني: هو الذي كمل فرش الصحن الذي بدأه صخر بن مسعود، واشترط على نفســه أن لا يبقى فيه تحضـياً ولا رقدة وأنه إن صـب أعلاه قلة ماء انحدرت في أسـفله مجموعة لا ينقص منها شئ لشدة اعتداله؛ ابن أبي زرع: نفسه، ص 62 – 63؛ الجزنائي: نفسه، ص 100؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 209.

(5) هاجرت هذه الأســـرة من مدينة طليطلة إلى مدينة مراكش أيام المرابطين، ومنها الوزير أبي ســـعيد بن جامع، وكان جده إبراهيم بن جامع من أصـحاب المهدي بن تومرت، ونشـأ إبراهيم بسـاحل مدينة شـريش على البحر الأعظم، تسـمى "روطة" وعندما انتقل إبراهيم ابن جامع إلى العدورة المغربيةاشـتهر بصـناعة النحاس، وتعرف على ابن تومرت وأصـــبح من أصـــحابه، وأنجب الكثير من الأولاد كان لهم حظوة في الدولة وجاهاً متسـعاً، منهم أبو العلاء إدريس وزير الخليفة أبو يعقوب يوسـف بن عبد المؤمن، وأبو هذا الوزير اســـمه عبد الله وكان يتولى في إمارة ابي يعقوب مدينة ســـبتة وجهاتها، وزيادة على ذلك ولاية الأســطول في جميع بلادهم، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي واســتمرت وزارة أبي ســعيد إلى أن توفي الخليفة أبو عبد الله عبد الواحد؛ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 256 – 257.

(6) المراكشي: المصدر السابق، ص 256 – 257.

(7) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 209.

على أي حال كان للصناع مكانة عالية في المجتمع المرابطي حتى أنهم صادقوا الأمراء وجالسوهم من أمثال "إبراهيم بن جامع"(1) صانع النحاس وجليس "المهدي بن تومرت"(2)، ومن هنا اعتبر المرابطون الصنعة أول ما ينبغي أن يتعلمه الإنسان بعد معرفته بدينه(3)، فرفعوا من شأن صاحبها، فكان الجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة، فلا يفهم من هذا النص أن المقري نظر إلى الحرف الصناعية نظرة احتقار، بل جعلها بمثابة العلم، فمن لم يحظى بحظوة العلم فعليه أن يحترف صنعة حتى يعلو شأنه وقدره بين الناس كالفقهاءوالعلماء، لذا كان أهل السوس يشجعون نساءهم وصبيانهم على العمل والتكسب(4)، مثل الفقهاء والورعين الذين حاولوا الابتعاد عن السلطة وإطعام أنفسهم من كد أيديهم وعملهم(5)، هنالك انعكس تطور الحرف والصنائع على حياة المجتمع المرابطي من الترف الذي دب في حياتهم وجاء وصفه على لسان ابن أبي زرع بقوله "... وكانت أيامهم (المرابطين) أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن، تناها القمح في أيامهم إلى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال"(6)

---

(1) المراكشي: المصدر السابق، ص 256 – 257.
(2) نفسه، ص 256 – 257.
(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 170.
(4) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 163؛ أنظر أيضاً بوتشيش: المرجع السابق، ص 170.
(5) بوتشيش: نفسه، ص 170.
(6) الأنيس المطرب، ص 167؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 71.

ومن النص يتضح مدى الرواج الاقتصادي الذي عاشته دولة المرابطين، حيث اشتهرت مدناً كاملة بكثرة الحرف والصناعات كمراكش عاصمة المرابطين، فقد حوت أكثر الصناعات انتشاراً كالمغازل وغيرها، فضلاً عن الأسواق كسوق الدخان والصابون وغيرها(1)، أضف إلى ذلك أيضاً مدينة مكناسة التي راجت فيها حركة البيع والشراء وكثرت مصانعها وصنائعها، وهو ما بينه ابن غازي بقوله "... وكان أهلها آمنين مطمئنين في عيش رغد ونعمة تامة منذ ملك أمراء المسلمين بنو تاشفين، فانقطعت مطامع رؤوس النفاق من بربر المغرب"(2).

وعلى الرغم من كثرة حياة الرخاء والترف التي سادت دولة المرابطين، إلا أنها انعكست سلباً عليهم خاصة في أواخر دولتهم، فقد تفاقمت الأزمة المالية، مما اضطر "علي بن يوسف" إلى فرض ضرائب باهظة على أهل الحرف والصناعات،

(1) ابن عبدون: رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955 م، ص 30؛ أنظر أيضاً حسن: قيام دولة المرابطين، ص 355؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 279؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 125؛ حركات: النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط، ص 264.

(2) الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص 12.

ظناً منهم بما يحققوه من أرباح بالغة، ففرضوا القبالات(1) على كل الصناعات، حتى تدهورت أحوال الصناع نتيجة فرض هذه الضرائب الباهظة عليهم(2)، الأمر الذي اضطر بعض الخبرات الصناعية المهارة إلى مغادرة بلاد المغرب وعودتهم إلى الأندلس(3)، وبقي عدد منهم - أي من الأندلسيين - بالمغرب خاصة قرب زوال نفوذ دولة المرابطين(4).

ب- نظرة المجتمع الموحدي للعمل:

لم يأل الموحدون جهداً عن المرابطين في الاهتمام بالصناعة وتعلم حرفها، بل زاد عليهم حتى بلغت مبلغاً عظيماً وتطورت نتيجة اجتهادهم وعدم القصور فيها(5)، وهو ما تبين من خلال نظرتهم إلى الصناع في بداية حكمهم لبلاد المغرب وموقفهم الحكيم في حمايتهم والمحافظة على أرواحهم، وظهر ذلك جلياً في نهي الموحدون المصامدة(6)

---

(1) القبالة: عرف بنظام الالتزام، والقبالة هي الضريبة التي ترفع لبيت المال، كما كان يقصد بها الضرائب غير الشرعية، واستخدمت في المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب المفروضة على أصحاب الحرف والصناعات والباعة والتجار بالأسواق، وقد كانت هذه القبالات مفروضة في أيام المرابطين وقد ألغاها الموحدون؛ أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية، ص 92؛ إدريس: تاريخ مدينة سجلماسة، ص 278، هامش (4).

(2) ابن عبدون: المصدر السابق، ص 30؛ أنظر أيضاً حسن: المرجع السابق، ص 355؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 167 – 168 – 210؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 279؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 264.

(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 210.

(4) المقري: نفح الطيب، مج 4، ص 151؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 272.

(5) موسى: المرجع السابق، ص 207.

(6) المصامدة: ينسب المصامدة إلى مصمود بن مدغس، أو مصمود بن برنس، وهم أبرز قبائل البرانس، ويتميزون بكثرة أعدادهم بالنسبة لمجموع السكان، وأوفرهم، وينقسمون إلى ثلاث مجموعات هم أهل جبل = = درن وبرغواطة وتامسنا، ثم عمارة الريف، كما كان لبرغواطة أهمية كبرى قبيل ظهور الإسلام وصدره، في حين صار لأهل جبل درن دور الريادة في عصر المرابطين والموحدي؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 27 – 28.

عن قتل الصناع وأرباب الحرف عند زوال دولة المرابطين، وفتحهم العاصمة مراكش، وهو ما أكده ابن الأثير بقوله "لما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها، فلما كان بعد سبعة أيام أمر فنودي بأمان من بقي من أهلها فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم، وقال هؤلاء صناع، وأهل الأسواق من ننتفع به، فتركوا وأمر بإخراج القتلى عن البلد"(1)، ومن النص يتضح مدى اهتمام الموحدين بالصناع ومكانتهم في مجتمعهم، وهناك مواقف أخرى شبيهة بالموقف السابق منها موقف اتخذوه تجاه أهل مكناسة الذين قاموا بقتل الفحامين الذين يعملون بجبلهم، فعاقبهم وأدبهم بل أنه أطاح برقاب كل من قام بذلك(2).

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 10، ص 584 – 585؛ أنظر ايضاً حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص 261 – 262، 347؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 210.

(2) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 70؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ق 1، ص 277؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000 م، جـ 5، ص 358؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 125؛ موسى: المرجع السابق، ص 210.

وعلى غرار اهتمام المرابطين بالصناعة كما تبين سالفاً فقد حذا الموحدون حذوهم في ذلك، فقد اهتم بعض شعرائهم(1) وأهل العلم منهم باتقان بعض الحرف ليأكلوا من عمل أيديهم أو لحمايتهم من تقلبات الزمن والاستغناء بها عن عطاء السلطان(2)، في حالة غضبه عليهم أو فقدان وظيفتهم فلا يجدوا صعوبة في العيش من صنعته(3)، بل أن أصحاب السلطان انفسهم قد يعفو عليهم الزمن ويتضعضع بهم الحال بعد علو مكانة وسعة عيش ما يجعلهم يحترفون بعض الصناعات، وهو ما حدث مع أسرة "المعتمد بن عباد"(4).

---

(1) مثل "أبو محمد عبد الله بن محمد بن صادق البكري الأندلسي الشنتريني" الشاعر المشهور، وكان عارفاً بفن الكتابة للولاة حاذقاً في النظم والشـــعر، وبعد جهد ارتقى إلى كتابة بعض الولاة، ثم عمل بســـوق الوراقة، وخلو طريقها بعد أن كانت عملاً له وكساد سوقها، وفيها يقول:

أما الوراقة فهي أيكة حرفـة ... أوراقها وثمارها الحرمــان

شبهت صاحبها بصاحب إبـرة ... تكسو العراة وجسمها عريان

وكانت وفاته بمدينة المرية عام 517 هـــــ / 1023 م؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، 1970 م، مج 3، ص 93، 95.

(2) ومنهم "أبو عبد الله بن محمد بن ناجية اللورقي" من أئمة الزجالين، وكان رقاقاً بالمرية، ومنهم "أبو عبد الله محمد بن الدمن" المعروف بمرج كحل، وكان ينادي في الأسواق حتى أنه تعيش ببيع السمك، وترقت به همته إلى الأدب قليلاً إلى أن قال الشـــعر ثم ارتفعت فيه طبقته، ومدح الملوك والأعيان، فكان شـــاعر بديع التوازن، وكانت وفاته عام 634 هـــــ / 1245 م؛ ابن ســعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1964 م، جـ 2، ص 283، 373.

ومنهم أيضـــاً "أبو عمران موســـى بن عمران المارتلي" (ت 604 هـــــ / 1207 م) من مارتلة المعقل المشـــهور على وادي أنة من عمل باجة بالأندلس ثم ســكن إشــبيلية، واشــتهر بالزهد فكان يزوره الملوك ويتبركوا به في زهده، وكان يعمل الخوص بيده في خلوته ويبيعه ويتصدق منه أفضل من أن يكون زاهداً عاطلاً؛ أبي الحسن الأندلسي: الغصون اليانعة، ص 135 – 137.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحســان عباس، دار صـــادر، بيروت، 1977 م، جـ 5، مج 5، ص 35، 38؛ مج 3، ص 93؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 208.

(4) فكانت بنات المعتمد بن عباد يغزلن للناس بالأجر في أغمات، حتى أن إحداهن غزلت لبيت صـــاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه فرآهن في حالة سيئة؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج 5، ص 35؛ الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، ص 259.

وعلى غرار احتراف الشعراء بعض الصناعات فإن كثيراً من علماء المتصوفة(1) سلكوا طريقهم في ذلك على اعتبار أن الحرف مثالاً للتواضع والتعبد والزهد(2)، فنادراً ما نجد منهم من ركن إلى الراحة وترك العمل، بل قنعوا بمهن بسيطة ترمز إلى التواضع والبساطة، فليس غريباً أن نجد منهم العطار والحداد والدباغ وما إلى غير ذلك(3)، ومن هذا المنطلق أنكر المهدي بن تومرت على المرابطين ما فرضوه من ضرائب، وهي السياسة التي استخدمها هو وخلفه في تأليب أهل المغرب على المرابطين والثورة عليهم(4)

(1) ومنهم "أبو الحسن الششتري" وهو علي بن عبد الله النميري، عروس الفقهاء وإمام المتجردين، وهو من قرية ششتر من عمل وادي آش، ومجود للقرآن من أهل العلم والعمل، جال في الآفاق، ولقي المشايخ وحج عدة مرات ووصل من الشام إلى ساحل دمياط ومرض ومات، وأوصى أن يدفن بمقبرة في دمياط عام 668 هـ / 1269 م؛ الغبريني: عنوان الدراية، ص 242، 250؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ البقاعي، مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1986 م، مج 2، ص 388 – 390.

ومنهم أيضاً الشيخ "علي بن محمد المراكشي" وكان قد رحل إلى المشرق ونزل ببادس بعد رجوعه من المشرق، وأقام بها وعمل بالخياطة حتى مات ودفن بالمقبرة الشرقية بها، وكل ما يراه أنه من عمل الموحدين، وكانت له مملوكة سوداء تعمل الخبز وتبيعه، وكان يقوم بخياطة الأثواب بالأجرة ولا يطالع أحد على عمله، وبعد وفاته وجد له كتاب أسماه "مناقب الأولياء وصفة سلوك الأصفياء"، وكان حياً حتى عام 635 هـ / 1237 م؛ الكراس (أبو عبد الله محمد): عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل، المطبعة الملكية، الرباط، 1963 م، ص 41، هامش 41.

والشيخ "الحسن بن الحزاز" تخلى عن أهله وتنقل من بلد إلى آخر وكان من أهل مالقة وكان خرازاً يشتغل بنسيج الديباج، وتزوج ابنة عمة بمالقة، وخرج للعبادة وقدم بادس وعمره ثمانون عاماً، وأقام بواسطة البحر، ولكن تاريخ وفاته غير معروف؛ البادس: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد اعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1993 م، ص 106 – 107.

(2) البادس: المصدر السابق، ص 20؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 208.

(3) محمد الشريف: سبتة الإسلامية – دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، تقديم: محمد بن عبود، منشورات جمعية تطوان، أ. سمير تطوان، 1995 م، ص 39 – 40؛ موسى: المرجع السابق، ص 208.

(4) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 125؛ موسى: نفسه، ص 210.

، ففي عام 543 هـ / 1148 م، أمر "محمد بن عبد المؤمن" الموحدين حينما استقر بمراكش برفع المظالم والقبالاتفي الأسواق(1) التي فرضها المرابطون من قبل لتوطيد أركان الدولة الموحدية في بداية قيامها سواء بالشمال الأفريقي أو بالأندلس(2).

وقد ظل الموحدون ملتزمون بالجباية الشرعية خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وإن تغيرت السياسة الضريبية لهم في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حينما لجأوا إلى المكوس والقبالات، فضلاً عن الالتزامات الشرعية(3).

وقد برع الموحدون في جباية الضرائب على الصناع في الفترة الموحدية على حسب دخل الصانع يقدرها أمين كل صنعة في كل مدينة(4)، ثم يقوم هذا الأمين برفعها إلى المشرف المسمى بصاحب أعمال المدينة، الذي كان يحتفظ بأعمال المدينة الذي كان يحتفظ بإحصاء لكل الصناعات وأربابها وعمالها(5).

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 37.
(2) سامية مسعد: المرجع السابق، ص 86، 125؛ موسى: نفسه، ص 210.
(3) حركات: النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، ص 257؛ أبو مصطفى: جوانب من النشاط الحضاري في المغرب الأقصى، ص 283.
(4) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص125؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 210 – 211.
(5) موسى: المرجع السابق، ص 211.

كما برز دور الموحدين في جمع الضرائب عن طريق اعتمادهم على خبراء المساحة، وهو العمل الذي أول ما قام به هو الخليفة "عبد المؤمن بن علي" واستخدمته سنة 554 هـ / 1159 م بمسح عام لبلاد إفريقية والمغرب من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولاً وعرضاً مع رفع ثلث هذا المسح ممثلاً في الأنهار والجبال والطرقات(1)، وكان من علماء المساحة الذي اعتمد عليهم الموحدون في ذلك هو المساح المشهور "بن حسان القضاعي"(2)، ومن ثم قامت الدولة الموحدية بتشجيع الصناع وتوفير الخامات اللازمة لصناعاتهم دون التدخل في شئونهم، كملكية مصانعهم أو معادنهم وإن ندرت بعض هذه التدخلات كشراكة ملكية الأرض فقط، في حين اهتمت الدولة بالصناعات العسكرية لتأمين حدود الدولة مع أعدائها، فضلاً عن ازدياد الطلب على أدوات الترف المختلفة الخاصة بفن العمارة والزخرفة الأندلسية(3)

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 198 – 199؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 124؛ أنظر أيضاً الشاهري: الأوضاع الاقتصادية في المغرب، ص 185.

(2) هو أبو جعفر أحمد بن حسان القضاعي البلنسي ثم المغربي، وهو صاحب الشكل الهندسي لاستخراج القبلة للخليفة يعقوب المنصور بمراكش، كما أضيف إليه جامع حسان بالرباط، وكانت وفاته عام 598هـ/ 1201م؛ المنوني (محمد): حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدرا البيضاء – المغرب، 1989 م، ص 76.

(3) ابن سعيد: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، 2002 م، السفر الرابع، ص 196، 198.

التي امتدت إلى جميع بلاد المغرب وطبقات مجتمعه، وهو ناتج عن جري الموحدين على نفس سياسة المرابطين في استقدام الخبرات الأندلسية الصناعية والاستفادة بخبراتهم في مختلف الصناعات ببلاد المغرب(1).

ونتيجة هذا الاحتكاك بين الصناع ببلاد المغرب والخبرة الصناعية الوافدة من الأندلس مما أدى إلى ظهور خبرات صناعية في بلاد المغرب في مختلف الصناعات، حتى أن أراد الموحدين تشييد عمارة الأندلس كانوا يستدعون عرفاء البنائينمن مراكش وسبتة وفاس وبقية مدن العدوة المغربية(2)، وهو ما ذكره المقري بقوله "إن حضرة مراكش هي بغداد المغرب وهي أعظم ما في بر العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة، وبساتينها إنما ظهرت في مدة بني عبد المؤمن، وكان يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم"(3).

وعن كثرة مصانع مراكش واتساع نشاطاتها ما ذكره ابن أبي زرع بقوله "... ثم احتفل في بنائها (مراكش) ومصانعها أمير المسلمين يعقوب المنصور بن يوسف عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي أيام مملكة المغرب ولم تزل مدينة مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين"(4)،

(1) المقري: نفح الطيب، مج 4، ص 151؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 211؛ حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ص 261.
(2) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 384؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 212.
(3) نفح الطيب، مج 4، ص 152؛ أنظر أيضاً المنوني: حضارة الموحدين، ص 163؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 272؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 244.
(4) الأنيس المطرب، ص 139.

ومن النصوص السابقة يتبين مدى أهمية المصانع والصناع في الحضرة المراكشية، في زمن المرابطين ومن بعدهم الموحدين على حد سواء، وهو ما جعل الحرفيون والصناع يحتلون مكانة عالية في التركيبة الاجتماعية للمغرب والأندلس في عصر كل من دولتي المرابطين والموحدين(1)، ومن أهم الصناع الذين استفادت منهم الدولة الموحدية في هندسة الري "أبا الحسن علي بن يوسف بن عبد المؤمن"(2) في مجال المعمار(3)، وهي نفس السياسة التي انتهجها الخليفة الموحدي "عبد المؤمن بن علي" تجاه الصناع المهرة مثل "الحاج يعيش المالقي"(4)

---

(1) الشريف: سبتة الإسلامية، ص 39 – 40.

(2) السيد أبا الحسن علي بن أبي حفص عمر عبد المؤمن: فكان طبيب أهل بيته ذكراً وأعلى قدراً، وكان مولعاً بالشعراء والأدباء، وقد تركه الخليفة المنصور بمراكش يدبر مبانيه في إحدى سفراته لأنه كان أعلم الناس بأمور الري والمباني، واستمر معظم أيامه في بجاية إلى أن حدث خلاف بينه وبين أبي العباس أحمد بن الخطيب، وعندما تولى تلمسان في خلافة الناصر الموحدي بنى بها المباني المشهورة، اشتد مرضه ومات بالحضرة عام 605 هـ /1208 م؛ أبي سعيد الأندلسي: الغصون اليانعة، ص 150 – 151.

(3) أبي سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ص 150 – 152؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 212.

(4) الحاج يعيش المالقي: من مدينة مالقة في إقليم غرناطة، وهو من ألمع المهندسين الذين تألق نجمهم في الدولة الموحدية، قام بتنفيذ الكثير من مشاريعها كالمقصورة الميكانيكية بجامع مراكش، وتسريب الماء من قلعة جابر لسقي البحيرة الملكية بإشبيلية عام 576 هـ / 1180 م، وبناء خزان للمياة داخل المدينة يتوزع منه الماء على الأحياء، فضلاً عن اشتراكه في بناء مدينة جبل طارق؛ ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 85، هامش 5، ص 51، 88، 377؛ أنظر أيضاً جلاب (حسن): دراسات مغربية في التراث، مراكش، 1998 م، ص 37، هامش 10؛ دندش: الأندلس نهاية المرابطين ومستهل الموحدين – تاريخ سياسي وحضاري، دار الغرب الإسلامي، 1988 م، ص 416؛ بروفنسال: مجموعة رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربي، رباط الفتح، 1941 م، ص 97..

سنة 523 هـ / 1091 م، الذي صنع له مقصورة هندسية ميكانيكية بالمسجد الجامع بمراكش، واضعاً هذه المقصورة على حركات هندسية ترتفع بها عند خروج الخليفة وتنخفض لدخوله وهو ما دل على براعة

الأندلسيين في مجال الهندسة الميكانيكية بأنواعها(1)، مثل الهندسة الميكانيكية الهوائية والمائية التي كانت شائعة ببلاد المغرب والأندلس، وكان من أبرز علمائها "أبا علي المراكشي" صاحب كتاب "جامع المبادئ والغايات" الذي يدرس خواص القطوع وحساب محاورها بالتتبع إلى الأغراض وميلان الشمس وعلو المقياس، كذلك كتاب "القطوع المخروطة" والذي لم يعثر عليه حتى الآن(2).

كما برز دور الصناع أيضاً عندما أراد الخليفة "عبد المؤمن بن علي" صنع كسوة لمصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه، فأرسل إلى عدد كبير من الصناع المهرة من سائر بلاد المغرب والأندلس، فاجتمع إليه من حذاق كل صنعة سواء المهندسين، الصواغين، النظامين، الحلائين، النقاشين، المجلدين، النجارين، المرصعين، الزواقين والرسامين وغيرهم، وتوصل أهل الحرف والصنائع إلى أمثلة مخترعة وأشكال بديعة أخذ بها الخليفة "عبد المؤمن" في إخراج كسوة المصحف، منهم(3)

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 350، هامش (1)، ص 351؛ أنظر أيضاً المنوني: حضارة الموحدين، ص 76؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 208؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 261؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 125؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 212.

(2) المنوني: المرجع السابق، ص 76؛ موسى: المرجع السابق، ص 212 – 213.

(3) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 350 – 351؛ المقري: نفح الطيب، مج 2، ص 142 – 143؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 114؛ انظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 261.

"عمر بن مرجي الإشبيلي" أحد الناظمين المزخرفين لمصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه، وذكر أن فيه جوهرة تشبه حافر الفرس، وأنها الجوهرة التي كانت عند "أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون " (254 - 270 هـ / 868 - 884 م)(1).

فضلاً عن ذلك تطورت شتى الصنائع في العصر الموحدي على يد أربابها كابن النقرات(2) في الكيمياء(3)، وابن رشد الحفيد وابن طفيل وابن جعفر الذهبي في الطب والصيدلة وغيرهم(4) من حذاق الصناع الكثير من النساخين والوراقين(5)،

---

(1) ابن صاحب الصلاة: نفسه، ص 351؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 212.

(2) أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن خلف الأنصاري السالمي (ابن النقرات): ويقال له أيضاً أبو الحسن علي بن موسى بن أبي القاسم بن علي الأنصاري، وهو من أهل مدينة جيان وفيها ولد عام 515 هـ / 1121 م، ونزل بمدينة فاس أيضاً وكني بابن النقرات، وأخذ القراءات عن كثير منهم أبي محمد الشنتريني وعبد الله بن محمد الفهري وغيرهم، وروى عن أبي عبد الله بن الرمامة وأبي الحسن اللواتي، كما تصدر للإقراء بمدينة فاس وولي الخطبة بجامع القرويين، وإليه ينسب كتاب "شذور الذهب في الكيمياء"، وكان حياص في عام 593 هـ / 1196 م؛ الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979 م، ص 286، هامش 2؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـ 4، ص 317؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 2، ص 481 – 482؛ المنوني: نفسه، ص 87؛ الخطابي (محمد العربي): الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 م، جـ 1، ص 61؛ الهرفي: المرابطين، ص 362.

(3) ابن القاضي: المصدر السابق، ق 2، ص 481 – 482؛ انظر أيضاً موسى: نفسه، ص 212.

(4) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 212.

(5) نفسه، ص 212.

هذا بالإضافة إلى تقدم المشاريع المعمارية الكبرى كما سبق القول إلى جانب 'أحمد بن باسه'(1) كان 'الليث الصقلي(2)' و'أبي الحسن بن محمد الأزرق' و'أبي شامة الجياني'(3).

وفي ظل اهتمام الموحدين بالصناعة واستخراج المعادن دققوا في حصر كل معدن على حده، لجباية ضريبة الخمس عليه، فعينوا قاض على كل معدن لاستيفاء حق الدولة فيه، بل بلغ بهم الأمر إلى أن يشنوا حملة عسكرية على أهل منطقة المعدن، إذ اعترضوا على أداء ضريبته، وهو ما فعله 'يوسف' سنة 578 هـ / 1182 م في أهل زجندر بالسوس، عندما امتنعوا عن دفع حق الدولة فيه(4)،

(1) أحمد بن باسة: يعتبر من أبرز الخبراء الذين اعتمد عليهم الموحدون في مشاريعهم المعمارية الكبرى في بناء القصور بإشبيلية بالإضافة إلى اشتراكه في جمع البنائين لبناء مدينة كبرى في جبل طارق، لذا استفادوا من خبراته، وشيد جامع إشبيلية الأعظم "الخيرالد"، وقام على تجديد قرطبة من بناء القصور والدور وإعادة ترقيع قبابها، ولذا أصبح "شيخ العرفاء"؛ ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 51، 86، 140، 375، 382، 384، 391؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 416؛ موسى: نفسه، ص 212.

(2) ابن الليث الصقيلي: من أشهر الفنانين في العصر الموحدي، حيث بلغت التفافيح في صومعة جامع إشبيلية من القدر ما لا يعرف إلا أن الوسطى منها لم تدخل على باب المنار حتى قلعت رخامة من أسفله، وهو الذي قام يروغها في أعلى المنار؛ ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 392، هامش (4).

(3) أبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة الجياني: من أهل الهندسة والمعرفة بفنون المعمار، وهو الذي قام بعمل الخصة والبيلة التي بالصحن بجامع القرويين بفاس، وصنعت عام 599 هـ / 1202 م، بالرخام الأبيض؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 64 – 65؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص 107؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ق 1، ص 72؛ أنظر ايضاً موسى: نفسه، ص 212؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 76.

(4) ومنهم أبا عبد الله الرعيني الذي تولى قضاء معدن عوام قرب مدينة فاس، ويذكر منهم علي بن مرز صاحب ملوية، وقاض المعدن من ضمن الذين استأصل أموالهم الخليفة 'أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن' عام 579 هـ / 1183 م، وقبض على عماله ظناً منه أنهم خانوه، وكان هذا القاضي من بينهم، ورد للمخزن ضياعهم ورباعهم وترك له داراً واحدة، وألزمهم رد ما أخذوه ويدفعوا أربعمائة ألف دينار وستين الف يقسطونها على أنفسهم، وشهد العدول على ذلك؛ ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 158؛ ابن بسام: أخبار ملوك الحضرة المراكشية، ص 32 – 33.

وبنى حصناً على مقربة من مكان التعدين وأسكن به الجنود لحماية المعدن(1)، وهو ما حدث أيضاً زمن الخليفة 'يوسف' عندما قاد بنفسه حملتين على أماكن التعدين بصنهاجة الجبل وأهل السوس(2).

ومن هنا يبدو أيضاً أن محاولة إعادة قرطبة سنة 557 هـ / 1112 م(3) كان يشكل جزءاً من سياسة الخليفة في استغلال المناجم، خاصة وأن قرطبة كانت مركزاً رئيسياً وهاماً للمعادن في الأندلس(4)، وفي عهد الخليفة المنصور الموحدي 'يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن' (580 - 595 هـ / 1184 - 1199 م) زاد اهتمامه بالصناع وأمناء الصناعات، وهو ما يتبين من حرصه على الاجتماع بهم مرتين في كل شهر، ولتفقد سيرتهم وسلوكهم في الأسواق، فضلاً عن مناقشة الأسعار وما إلى غير ذلك من متطلبات السوق، وأثر ذلك على اقتصاد البلاد(5)

---

(1) ابن صاحب الصلاة: نفسه، ص 17؛ المراكشي: المعجب، ص 292؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ص 147؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 212؛ ابن بسام: المصدر السابق، ص 24؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 210 – 211؛ الصلابي: إعلام أهل الدين بأحوال دولة الموحدين، ص 119؛ الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص 130؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 282.

(2) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 84؛ ابن عذاري: نفسه، ص 147؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 210.

(3) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 140؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 210

(4) المقري: نفح الطيب، مج 1، ص 128؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 210؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 207.

(5) المراكشي: المعجب، ص 236؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 211، 216؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 273؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 87، 125.

لذا اعتبر عهد الخليفة 'يوسف بن عبد المؤمن' وابنه المنصور من أزهى عصور المغرب والأندلس رخاءاً، لتقدم الصناعة واهتمامهم بالصناع، وهو ما انعكس على جوانب اقتصادية أخرى كالتجارة وغيرها، فزادت الأرزاق واتسعت المعايش(1)، إلا أن كثرة الحروب والفتن في نهاية دولة الموحدين، أدى إلى تدهور اقتصادي للبلاد، مع تراجع الصناعات وهو ما اتضح في موقعة العقاب سنة 610 هـ / 1213 م، بعد انتصار النصارى على المسلمين وفقدان الآلاف من الشباب المسلمين في المغرب والأندلس، مما ترك اثراً كبيراً على الأيدي العاملة وخلو المزارع منها، فتناقص الانتاج، فانعكس ذلك على الحالة السياسية للمغرب الإسلامي زهاء النصف قرن من الزمان، هذا فضلاً عن جور الحكام على الصناع والعمال والمدن الصناعية الكبرى كسوسة وغيرها(2).

(1) المراكشي: المصدر السابق، ص 235؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 273.
(2) حركات: النشاط الاقتصادي الإسلامي، ص 238.

رابعاً- أوضاع العمال:

وقد تبين للباحث أن معالجة أوضاع العمال لا يتأتى إلا من خلال عنصرين هامين:

أ- أرباب العمل:

عندما أصبحت الملكية متاحة لكل فرد على حسب اجتهاده ونشاطه في صنعته، انعكس ذلك على مقدار ما يتكسبه الصانع(1)، فتفاوتت ملكية الأفراد من واحد إلى آخر، فمنهم من امتلك من من الأرحاء والمعاصر بين الواحدة والعشرة(2)، بل قد يمتلك شخص واحد أكثر من اثنى عشر زوجاً من المطاحن(3)، في حين قد يشترك أكثر من واحد في ملكية رحى أو معصرة صغيرة على حسب رأس مال كل منهم(4)، فكان أصحاب رؤوس المال الموحدين يستأجرون العمال للقيام بعملهم لأن بعضهم يحترف عمل لأنه يكره البطالة(5).

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 213.
(2) نفسه، ص 213.
(3) نفسه، ص 213.
(4) نفسه، ص 213.
(5) ابن موسى: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة،ص137؛ موسى:نفسه،ص 207 – 208.

أما الصناعات الكبيرة مثل صناعة المعادن أو استخراجها، أو صناعة الأجبان فيشترك فيها أكثر من شخص، قد يصلوا إلى ستة عشر شخصاً(1)، بل كان بعض الصناع أحياناً يطورون من أنفسهم ليصبحوا أرباب عمل عن طريق تأسيس شركة في حرفتهم، مكونة من عدة صناع أو اشتراك اثنان على الأقل في حانوت واحد يختص بصناعة معينة لتسويق منتجات صناعاتهم، وتكون الأرباح مناصفة بينهم أو لمساهمة كل منها برأس مال مساوي للآخر لمواجهة ما تحتاجه صنعتهم(2).

ونظراً لكثرة الصناع فقد انقسم العمال طبقاً لهذه الصناعات إلى ثلاثة أنواع، كان أولها "العامل الخاص"(3)، الذي يعمل عند صاحب العمل أو مالك الصنعة(4) وكان أغلبهم من الفقهاء وذوي النفوذ الإداري(5)، لذا فكان نادراً في هذا النوع ما كان المالك يقوم بالعمل والخدمة بنفسه(6)

(1) نفسه، ص 213.
(2) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 275.
(3) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 123؛ موسى: نفسه، ص 214.
(4) الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس، إشراف: د/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1981 م، جـــ 5، ص 60؛ أنظر ايضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 123، هامش 5.
(5) سامية مسعد: نفسه، ص 123؛ موسى: نفسه، ص 213.
(6) سامية مسعد: نفسه، ص 123؛ موسى: نفسه، ص 214.

بل كان يستأجر عمالاً وصبيان يشتغلون تحت إشرافه نظير اجر معلوم ومدة معلومة(1)، كعمال النسيج والحرير والكتان وهو ما صار على دربهم الطحانون أيضاً في الاستعانة بصبيان لمساعدتهم في الأرحاء(2)، ومثال على العامل الخاص العمال الذين يعملون في التعدين، ويكون عددهم نحو ألف عامل(3).

أما النوع الثاني من الصناع فهو المسمى "الصانع المشترك" وهو ليس بأجير عند رب العمل وإنما يجلس للعمل ويخدم كل ما يقدم إليه حاجته(4)، مثل الخراز(5) والخياط والصباغ والدباغ والنشار(6)، أما النوع الثالث وهو الصانع المتجول مثل صانع الأواني الحديدية والخشبية والمخروطة يتنقل بها الصانع من بلد إلى آخر حسب العرض والطلب(7)، هذا عن الصناع، أما عن آلة الصناعة مثلاً فقد كانوا يكترون المناسج فقد استفاد منها الصناع أيضاً عن طريق تأجيرها من ملاكها وفق عمل معلوم وأجرة معلومة من غير أجل،

---

(1) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 123؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 214؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 275.

(2) السقطي: آداب الحسبة، تحقيق: حسن المدين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت – لبنان، 1987 م، ص 38 – 39؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 275؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 214.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت، مج 2، ص 581؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 214.

(4) سامية مسعد: نفسه، ص 123؛ موسى: نفسه، ص 215.

(5) الحزاز: هو محترف صناعة الخرازة وهي صناعة الجلد والأحذية، يراد بها في تونس صناعة البلغة؛ المجليدي: التيسير في أحكام التسعير، ص 93؛ سامية مسعد: نفسه، ص 123، هامش 10.

(6) السقطي: المصدر السابق، ص 78 – 79، 81؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 12، هامش 12.

(7) سامية مسعد: نفسه، ص 123؛ موسى: نفسه، ص 215.

وهو ما سموه بالكراء فأصبح هناك صانع يدير عجلة الانتاج مع الإفادة والاستفادة هنالك كان للكراء ثلاثة أنواع أولها أن يكون الأجر معلوماً والأجل معلوماً(1)، وثانيها أن يفرض رب الآلة على الصانع مبلغ معين من المال على كل قطعة نسيج أو كمية تعصر وتطحن(2)، وثالثها أن تكون أجرة الكراء تصف الدخل أو ثلثه أو ربعه(3).

وعلى الرغم من اهتمام الصناع بتحقيق المكاسب من وراء المالك، إلا أن الشروط الموضوعة للكراء كانت لمصلحة المالك وليس الصانع لذا كان يشترط الصانع على المالك بناء ما تحتاجه الرحى أو الحمام أو الفرن من بناء(4) أو صيانة ما هو قائم(5)، وترك القديم على حالة التي كان عليها عندما بدأ العقد أو وفق شروط على حسب رغبة المالك ويبدو أن الملاك كانوا يطالبون بالأجر حتى عندما تتعطل آلات الصناعة بسبب كانوا يطالبون بالأجر حتى عندما تتعطل آلات الصناعة بسبب سوء حالة البلاد(6)، أثناء الكوارث أو الحروب حتى أنهم كانوا يشترطون عصر زيتونهم وطحن غلالهم بلا أجر(7)، وهو ما أطلق عليه المرابطون خاصة لهذا النوع من الكراء بالقبالات(8).

(1) الوانشريسي: المعيار، جـ 5، ص 223 – 224؛ موسى: نفسه، ص 214.
(2) موسى: نفسه، ص 214.
(3) نفسه، ص 214.
(4) نفسه، ص 214.
(5) نفسه، ص 214.
(6) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 214.
(7) الونشريسي: المعيار المعرب، جـ 5، ص 256؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 214.
(8) موسى: نفسه، ص 215.

مما أثار حنق بعض الثوار فقاموا بثورة ضدهم، منهم ثورة ابن عبدون على المتقبلين، ومن هنا يتضح أن ثورة الموحدين على المرابطين ليس لما فرضه المرابطون من ضرائب، بل كان لدعاية سياسية اختلقها "المهدي بن تومرت" حيث أخذ الموحدون أنفسهم في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي إلى فرض المكوس والقبالات على أهل المغرب مستهدفاً به كبار الملاك، سواء ملكوا الأرض أم أدوات الصناعة وآلاتها.

ب - الصناع، خبراتهم ومستواهم المعيشي، والأسواق ودورها في ترويج الصناعات داخلياً وخارجياً:

أطلق لفظ الصانع أو "الصناع" على من يشتغل بالصناعة(1) في عهد المرابطين أو من سبقهم، في حين سماهم الموحدون بـ "عبيد المخزن"(2) أي خادم الدولة، وجاء احتراف الصنعة أو الحرفة أثره في تعليمها للصبيان أو توريثها(3)

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 370؛ السقطي: الحسبة، ص 78؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 123؛ موسى: نفسه، ص 215.

(2) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 38، 57، 64؛ البيذق: كتاب الانساب في معرفة الاصحاب، ص 57؛ ابن عذاري: البيان المغرب، القسم الموحدي، ص 28؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 148؛ أنظر أيضاً: سامية مسعد: المرجع السابق، ص 123؛ موسى: نفسه، ص 215.

(3) ومن أمثلة توارث الصنائع والحرف، توارث العالم الحكيم الفيلسوف "أبو جعفر أحمد بن عتيق بن جرج" المعروف بابن الذهبي البلنسي، وأحد أعيان مدينة بلنسية، عرف بالذهبي لأن جده كان مولعاً بالكتب بالذهب أي انه انشغل بالتذهيب، فجرى على نفس الوصف، فضلاً عن أنه كان بحراً زاخراً في الآداب وعلوم الشريعة وعلم الفلسفة، هذا بالإضافة إلى أنه كان من أصحاب ابن رشد، ولما سخط الخليفة المنصور على ابن رشد، طلب أصحابه فاختص ابن الذهبي إلى أن عفا عنه واستمر في الترقي إلى أن قدمه على الطلبة، إلى أن توفي سنة 601 هـ / 1204 م في سفرته مع الخليفة الناصر الموحدي إلى إفريقية؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، جـ 2، ص 321؛ علي ابن موسى الأندلسي: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار المعارف، القاهرة، 1967 م، ص 36 – 41.

لأبناء الصانع، وهو ما انعكس على فترة الدراسة، حيث كان الأب يحرص على أن يترك خلفاً لصنعته خوفاً عليها من البوار أو الضياع(1)، وحفاظاً على خلفه من تقلبات الزمن أو تقلب السلطة عليه إن كان فقيهاً أو عالماً كما سبق القول لحبهم عمل أيديهم، فضلاً عن ذلك نظرة المجتمع المرابطي والموحدي للصنائع والحرف باعتبارها مصدراً دائماً للرزق والتكسب(2)، حتى أن بعض النساء قد اشتهرن في العصر الموحدي بحبهن للعمل، وبعضهن العاملات كن يشترطن في عقود زواجهن (نكاحهن)ألا يمنعهن أزواجهن من ممارسة صنائعهن(3)، كذلك لم يأل النساء جهداً عن الرجال في حذق الصنعة، بل قد يضاهوهم في بعض الحرف المنزلية، أي التي لا تؤثر على رعاية الأطفال أو التقصير في أعمال المنزل، كصناعة الغزل والنسيج(4) التي كانت تمارسها الزوجة والأبناء لمساعدة الأب في عمله أو الارتقاء بمستواهم الاقتصادي(5)، وهو ما ساهم في تنشيط الصناعة خاصة وأن الأسواق الأندلسية والمغربية كانت تستوعب معظم هذه المنتجات

---

(1) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 275؛ موسى: نفسه، ص 216.
(2) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس عصر المرابطين، ص 170.
(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 208.
(4) ابن عبدون: الحسبة، ص 55؛ الزهري: الجغرافية، ص 102؛ المراكشي: المعجب، ص 136؛ 124؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 215؛ سامية مسعد: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لإقليم غرناطة، ص 124.
(5) موسى: نفسه، ص 216.

نظراً لكثرة الطلب عليها في هذه الأسواق الأندلسية والمغربية التي كانت تستوعب معظم هذه المنتجات، نظراً لكثرة الطلب عليها في هذه الأسواق التي روجت للنشاط التجاري بين موانئ المغرب والأندلس، مما شجع الصناع على مضاعفة الانتاج والتفنن في صنائعهم فانتشر الأمن وساد الرخاء، في الوقت الذي قلت فيه الضرائب التي كانت كثيراً ما يعاني منها الصناع خاصة في عصر دويلات الطوائف الثاني(1).

في حين لجأ المرابطون إلى ترتيب صنائعهم في أسواق المدن بانتظام(2)، او أن يجعل لكل صنعة سوق أو حي خاص بها يكنى باسمها، مثل سوق العطارين والوراقين والطوابين والفخارين والصياغين والرباعين والكتانين والزجاجين والقرافين والحصارين وغيرها ممن كانوا يخضعون لمراقبة المحتسب، وهي من الواجبات الهامة في نجاح الصنعة، كما ذكرها ابن عبدون بقوله "يجب على المحتسب أن يرتب الصناع، ويجعل كل شكل مع شكله في مواضع معلومة فهو آجل وأتقن"(3).

---

(1) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 272.
(2) ابن عبدون: المصدر السابق، ص 43، 50؛ السقطي: الحسبة، ص 78؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 235.
(3) الحسبة، ص 43؛ السقطي: المصدر السابق، ص 78 – 83؛ العمري: مسالك الأبصار، ص 230؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 216؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 124؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 280 – 281، ص 335.

ومن هنا جاء تنظيم الصناع على أساس المهن أمر يسير فنجد على رأس كل مهنة رئيساً للمهن سماه المرابطون الرئيس أو المقدم أو العريف المقدمأو الأمين(1) الذي كان اختياره وفقاً لشروط محددة نظراً لأهمية منصبه وهو ما أشار إليه السقطي بقوله "... ويقدم (أي المحتسب) من ثقات أهل الأسواق ووجوه ارباب الصنائع من تعرف ثقته وينفع المسلمين نصحه ومعرفته، يستظهر بهم على سائرهم ويطلعونه على خفي أسرارهم وخبيث سرائرهم، حتى لا يختفي من امورهم كثير ولا قليل، ولا يستتر من شأنهم دقيق ولا جليل فيزول مكرهم، ويرتفع على المسلمين غشهم وضرهم"(2)، لذا كان للأمين رأيه المعمول به لدى القاضي أو المحتسب لاختصاصه ببلاغهم بتكاليف السلع وتحديد ثمن بيعها حتى لا يقع الظلم على الصانع أو المستهلك، فكان بمثابة الخبير الفني في الخلافات التي تقع بين أهل الحرف،

---

(1) ابن عبدون: الحسبة، ص 39، 53، 57؛ موسى: نفسه، ص 216؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 124؛ الشريف: سبتة الإسلامية، ص 41؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرينيين، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، 2001 م، 98؛ ومثال على ذلك أبو محمد عبد الله بن خيار الجياني كان مقدماً على الجيارين في العصر المرابطي ثم اصبح عاملاً على مدينة فاس في عصر المرابطين واستند بها يسيراً في قيامه عليهم بالدعوة الموحدية، وعلى يديه كان فتح الموحدون لها؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 24؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، د.ت، جـ 2، ص 235 – 236، هامش (1)؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 215؛ نشاط: إطلالات على العصر المريني، ص 86، 88؛ هناء الفقي: تاريخ مدينة مكناسة، ص 163.

(2) السقطي: الحسبة، ص 24؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 273.

ويتأتى أهمية منصب الأمين لاختصاص القاضي بتعيينه عن طريق الاختيار أو الانتخاب من أهل حرفته بموافقة المحتسب، كما كان من شروط تعيينه أن يكون من أهل الحذق في مهنته حتى يتسنى له كشف غشهم أو مراقبة الانتاج وجودته(1).

وفي العصر الموحدي جاء لقب رئيس الصنعة عريفاً أو أميناً(2) بجانب مهمته في تحصيل الضرائب من أهل مهنته في بلدته(3)، ثم جاءت عملية التدرج الحرفي في هذا العصر من صبي الحرفة إلى صانع مدرب إلى عريف(4)، إلى أن يصل إلى مرتبة "عريف العرفاء"(5)

---

(1) ابن عبدون: الحسبة، ص 24، 57؛ السقطي: المصدر السابق، ص24؛ الجرسيفي: الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955 م، ص 125؛ المجيليدي: التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق: موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970 م، ص 56؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 216؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 273؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 124؛ الشاهري: الأوضاع في المغرب، ص 98.

(2) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 86، 375؛ المراكشي: المعجب، ص 222؛ ابن الخطيب: الإحاطة، مج 1، ص 411؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 216؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 273.

(3) موسى: نفسه، ص 216؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 273؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 125.

(4) انتقل لفظ العريف إلى لاتينية أهل الأندلس في صورة "Alharif" ومنها إلى القشتالية "El-Alarifa" ثم اقتصر معناه بعد ذلك على رؤساء البنائين، وهو باقي حتى الآن في أسبانيا؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 274؛ مؤنس: فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية)، دار الرشاد، د.ت، ص 370.

(5) أبو مصطفى: نفسه، ص 275.

أو شيخ العرفاء، ولا يصلها إلا الصناع المهرة الذين برعوا في صناعاتهم ونبغوا فيها(1)، وممن أخذ لقب شيخ العرفاء "ابن باسة" الذي برع في صناعة البناء، وكذلك العريف علي الغماري"(2).

ومما سبق يتضح أن هذا التنظيم الحرفي داخل كل مدينة أدى إلى تقسيم الصناع إلى مراتب وخبرات، كشيخ الصناع والصانع والمعلم والمتعلم(3)، ومن هنا كان لاتقان الصنعة نتيجة الخبرات المتراكمة أثره في التدرج الحرفي، فضلاً عن توريثها لأبنائهم وخاصتهم(4)، بل كان من أصحاب كل حرفة يفخرون بها ويجعلون لهم لباساً خاصاً بهم يعتزون به ويميزهم عن غيرهم، بل نجد أن أهل الصنعة الواحدة قد يتميزون بلباس مختلف من منطقة لأخرى في نفس الإقليم، وهو ما وضحه ابن صاحب الصلاة أن زي زياتي قرطبة كان يختلف عن زي زياتي إشبيلية، ولهذا جاء تعارف الناس على أهل الصنعة من لباسهم(5).

---

(1) مؤنس: فجر الأندلس، ص 370.

(2) العريف علي الغماري: ألمع مهندسي العصر الموحدي، وهو الذي قام ببناء صومعة جامع إشبيلية، والذي أمر ببنائها الخليفة أبو يعقوب الموحدي عند وصوله إلى إشبيلية في غزوته إلى شنترين عام 580هـــ / 1184م؛ ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 390 – 392؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 212.

(3) الشريف: سبتة الإسلامية، ص 41.

(4) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، جـ 2، ص 321؛ أبو الحسن الأندلسي: الغصون اليانعة، ص 36.

(5) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 67؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 216.

على أي حال تنوعت الخبرات والصنائع نتيجة لتوطد العلاقة بين أهل المغرب وأهل الأندلس نتيجة للهجرات المبكرة من إفريقية التي قصدت بلاد المغرب، خاصة المغرب الأقصى، والذي غدا همزة الوصل بين المشرق والأندلس لانتصافه طريق القاصدإلى الأندلس والعكس، منذ عهد دولة الأدارسة واختلاطهم بالسكان، وهو ما في هذا التنوع ثم تطوره في عصر دولتي المرابطين والموحدين نتيجة للظروف السياسية التي صاحبت ذلك(1) كما سبق القول.

وعلى الرغم من ذلك فلم تنجح بعض الصنائع نتيجة لعدم اتقائها إما لغش الصانع أو تدليسه(2)، أو طمعه للعمل في أكثر من مهنة مما يشتت حذقة في صنعته(3)، مما أدى إلى تردي وضعه المادي والحرفي حتى أن دخلهم كان لا يكافئ احتياجاتهم(4)، ومن هنا برز دور القاضي والمحتسب في مراقبة أصحاب الحرف والصنائع والضرب على أيديهم في حالة غشهم(5) مما ساهم في انتعاش الحياة الاقتصادية بالمغرب والأندلس في فترة الدراسة، فراج الانتاج الصناعي والزراعي والتجاري.

---

(1) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 260.

(2) والمثال على ذلك بعض النساء يدلكن القطن والكتان بعد نسجهما حتى يسخن وجهها ويزيد وزنهما؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1995 م، ص 87؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 207، 217.

(3) موسى: المرجع السابق، ص 217.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 5، ص 35؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 217.

(5) السقطي: آداب الحسبة، ص 42؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 217.

الفصل الثاني

الصناعات القائمة على المعادن والمواد غير المعدنية:

أولاً- طريقة استخراج المعادن:

وضع لنا الإدريسي طريقة لاستخراج المعادن بصورة دقيقة عند مسلمي الأندلس في عصر دولة المرابطين كونه شاهد عيان لذلك أثناء زيارته منجم للزئبقفي حصن أبال(1) ومتابعة سير العمل في ذلك المنجم الذي وصفه على النحو التالي، فقد بدأ بوصف عمق المنجم البالغ أكثر من مائتي وخمسين قامة، وذكر عدد العمال البالغ أكثر من ألف عامل مقسمين إلى أربع مجموعات، فالأولى تختص بالنزول إلى المنجم وقطع الأحجار، والثانية تنقل الحطب لحرق المعدن، والثالثة لعمل أواني وأفران سبك الزئبق، أما الرابعة تقوم على حرقه في الأفران وتنقيته من الشوائب(2)، فكان أهل الأندلس على خبرة بطرق استخراج المعادن واستخلاصها من الشوائب(3).

---

(1) حصن أبال: حصن بالأندلس يقع في شمال قرطبة على مسافة 33 كم تقريباً؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 2، ص 581؛ الحميري: الروض المعطار، ص 10؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 204؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 543.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ص مج 2، ص 581؛ الحميري: المصدر السابق، ص 10؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 204؛ حركات: النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، ص 238؛ موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 244 – 245؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، ص 120؛ مؤنس: المرجع السابق، ص 544.

(3) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 181.

ومما سبق يتضح أن ذكر الإدريسي للعمل في المناجم الأندلسية كان يتم على نطاق واسع ويسيربنظام دقيق يشير إلى مدى تقدم المرابطين في عملية استخراج المعادن، وهو ما بينه أحد الباحثين الإسبان من مدى اهتمام العاملينفي المناجم الأندلسية وعنايتهم الفائقة لسطح المنجم وجدرانه ومداخله، فقد كانوا يستخدمون الكتل الخشبية لتدعيم الأسقف وبناء دهاليز تساعد العمال في النزول، فضلاً عن إضاءة المصابيح الزيتية لإنارة المناجم لتحقيق أعلى كفاءة إنتاجية في العمل وراحة العمال وتأمينهم من أي مخاطر قد تتسبب عنها الانهيارات التقليدية لأسقف المناجم(1).

وعلى سبيل المثال نجد أنه في استخراج الفضة كان المعدنيين يحفروافي جوف الأرض ثم ينصبوا نواعير لاستخراج المياة وعزل الفلزات، ولذا كان المورد الجيد يمثل الفضة الصافية ربع الخام المستخرج، ولهذا فإن عملية استخراج المعادن عملية شاقة كثيرة التكاليف، وكان الاستمرار فيها يتطلب عائد مادي كبير يتوافق مع ما تم صرفه من تكاليف، فضلاً عن ضمان عدم مزاحمة انتاج آخر له وتوافر عنصر الأمن للعامل، كل هذه العوامل قد أثرت على مناطق استخراج المعادنفي بلاد المغرب والأندلس، مما انعكس بصورة جيدة على توقف انتاج بعض المعادن وازدهار غيرها حسب توافر العوامل السابقة(2).

---

(1) أبو مصطفى: نفسه، ص 204.

(2) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 55.

ولذا نهض الخليفة "عبد المؤمن بن علي" (524 – 558 هـ / 1130 – 1163م) بالصناعة وساعده في ذلك مملكته الواسعة التي انتشرت فيها المعادن على اختلاف أنواعها، لذلك عمد إلى تكليف المتخصصين باستخراجها والانتفاع بها في انهاض حالة البلاد الاقتصادية(1).

ثانياً- الصناعات المعدنية ومناطق استخراجها:

1- الذهب:

يعد الذهب من أهم المعادن التي أشار إليها الجغرافيون المسلمون في بلاد الأندلس، فكان يستخرج من باطن الأرض في بلاد الأندلس ومن صخورها أو مجاري أنهارها(2)، ويبين لنا المعدنيون أن هناك ثلاثة أنواع من أحجار الذهب، هي:

الأحمر .

الأصفر .

الأسود الظاهر وأحمر الباطن .

---

(1) علام: الدولة الموحدية، ص 255.

(2) القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، تحقيق: ويســتفليد، مطبعة ليدن، برلين، 1848 م، ص 338؛ أبو مصطفى: تاريخ الندلس، ص 205.

لذا فقد عرف المسلمون في الغرب الإسلامي تنقية الذهب من شوائبه بجعله في كوجك وإناء مصنوع من دقاق العظم والجص، صنع خصيصاً لعملية صهر الذهب، ثم يوضع في فرن يوقد بالفحم بالإضافة إلى استخدام الكير لرفع درجة الحرارة حتى ينصهر المعدن ثم تضاف مادة تسمى مادة البروق الزجاجي، وهي من الأملاح والرصاص والصابون، فيوضع من المعدن الذي يحوي الذهب عشرة أجزاء ومن البورق والرصاص والصابون من كل الشوائب ليصبح الذهب نقياً، وهناك طريقة أخرى تبدأ بغسله بغسولات متتالية إما بالمياة الحارة إى المعدنية الساخنة أو بالأحماض (الخلول)(1)، وللحصول على ذهب مقبول تجارياً، نقوم بعمليات كيماوية خفيفة أو مزجاً بمواد معينة فالذهب السحاندي يصبغ بالزاج وتأليف قديم بالزئبق، ومن أعجب الحيل الكيماوية في صناعة الذهب أن الذهب إذا نقص عياره يذاب ويفرغ في مرارة الشقراق (وهو الطائر الأخضر المعروف بمنقاره الأحمر) فيزيد عياره ويحمر لونه(2).

---

(1) ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، دار الشروق، بيروت، 1986 م، ص 47 – 49؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 206.

(2) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 21 – 52.

كما أن لمعدن الزئبق دور هام أيضاً في عملية سبك الذهب فيذوب معه، لذا حرص الصناع على استقدامه من بلاد الأندلس والاستفادة منه في هذهالصناعة، نظراً لغنى بلاد المغرب بمعدن الذهب(1).

هذا وقد اشتهرت بلاد الأندلس بكثرة معادن الذهب بها(2)، حتى أشاد معظم المؤرخين بقول ابن غالب "الأندلس ... صينية في جواهر معادنها"(3)، ولم يكتف المرابطون باستخراجه من بلاد الأندلس، بل توجهوا بأنظارهم صوب البلاد المتاخمة لبلاد السودان، وكان الذهب بالسودان نوعان، النوع الأول ينبت بالصحراء ويبدأ في فصل الربيع، النوع الثاني يوجد بمناجم معروفة على ضفاف النيل (النيجر) حتى تحفر حفائر بعمق قامة وازهاءها يوجد الذهب بجنباتها حجراً أو حصى على مدار السنة(4).

---

(1) حركات: المرجع السابق، ص 110؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 25؛ الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، مطابع السياسة، الكويت، ص 2005 م، ص 81.

(2) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971 م، ص 130؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 129؛ أنظر أيضاً حركات: نفسه، ص 52؛ بالباس: المدن الإسبانية، ص 122.

(3) ابن الكردبوس: المصـــدر الســـابق، ص 129؛ ابن غالب: فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، ص 281؛ الحميري: الروض المعطار، ص 3؛ المقري: المصـــدر الســـابق، مج 1، ص 118؛ أنظر أيضـــاً مؤنس: الجغرافية والجغرافيون، ص 351.

(4) حركات: نفسه، ص 53.

وعملوا على تأمين طرق التجارة بين الشمال والجنوب، وعُد التبر(1) من أهم ما تحمله قوافل الجنوب إلى مراكش ومنها ينقلإلى فاس وسبتة واشبيلية وقرطبة(2)، ولهذا فقد وفر ذهب السودان على المرابطين تكلفة البحث والتنقيب(3).

ومن أهم المدن الأندلسية التي اشتهرت بانتشار مناجم الذهب فرنجولش(4) من قرطبة(5)، وحصن المعدن(6)، وهو ما ذكره لنا الإدريسي بمشاهدته عياناً بقوله "..... وسمي بذلك لأنه عند هيجان البحر (أي حصن المعدن) يقذف هناك بالذهب والتبر

---

(1) التبر: هو الفتات من الذهب قبل أن يصاغ، فإذا صيغ فهو ذهب، كما ذكر التبر ما كان من الذهب غير المضروب، فإذا ضرب دنانير فهو عين، ولا يقال تبر إلا للذهب، وبعضهم يقوله للفضة أيضاً؛ أبو العباس السبتي: إثبات ماليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، تخريج ودراسة محمد الشريف، المجمع الثقافي، أبو ظبي– الإمارات العربية المتحدة، 1999 م، ص 114، هامش (2).

(2) حجي (محمد): نظرات في النوازل الفقهية، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، سلا، 1999 م، ص 183 – 184؛ حركات: نفسه، ص 50.

(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 246.

(4) فرنجولش: مدينة بالأندلس من أعمال قرطبة، وتقع على بعد 18 كم من حصن المدور، وهي حصينة منيعة وكثيرة أشجار الكروم؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مج 2، ص 573 – 574؛ خاصة في موضع يسمى المرج؛ الحميري: الروض المعطار، ص 143؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 205.

(5) الحميري: المصدر السابق، ص 143؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 245 – 246.

(6) حصن المعدن: يقع على جنوب نهر تاجة أمام مدينة أشبونة؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مج 2، ص 547؛ وقد فتحه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) سنة 587 هـ / 1191 م، وكان آنذاك في يد النصارى، وأمر بهدمه وتخريبه؛ ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 211؛ الحميري: نفسه، ص 108؛ ومن الملاحظ أن الكلمة العربية 'المعدن' هي نفسها الكلمة القشتالية 'Almaden' وكان المسلمون يقصدون بها المنجم؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 205، هامش 2.

فإذا كان زمان الشتاء، قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الأرض"(1)، وكذلك بساحل أشبونة(2) معدن التبر الخالص غزير المادة(3)، كما وجد من سحالة(4) الذهب في مياة بعض مجاري الأنهار خاصة في مدينة غرناطة على النهر الكبير المسمى بوادي شنيل(5) يشق وسطها وفيه يؤخذ الذهب الأحمر الذي ليس في الأرض أطيب منه، والذهب الذي يؤخذ من هذا النهر إنما هو ورقة وأكثر، ويتوفر أيضاً بنهر حدرة(6).

---

(1) المصدر السابق، مج 2، ص 547؛ الحميري: نفسه، ص 16؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 205؛ تاويت: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، جـ 1، ص 281 – 282.

(2) أشبونة: مدينة بالأندلس تقع على شمال النهر المسمى تاجة، وهو نهر طليطلة وسعته أمامها 9 كم تقريباً، وبه مد وجزر، وهي مدينة حسنة ممتدة على النهر ولها سور قصبة منيعة وفي وسطها حمامات حارة في الشتاء والصيف؛ الإدريسي: نفسه، مج 2، ص 547؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مج 1، ص 80.

(3) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 290؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 28، 134؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 50، 52؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 383؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 181.

(4) سحالة: بالضم ما أسقط من الذهب والفضة إذا برد؛ ابن غالب: المصدر السابق، ص 283، هامش (3).

(5) وادي شنيل: يقع جنوب مدينة غرناطة، وينحدر من جبل شلير بجنوبها، ولا ينقطع عنه الثلج صيفاً ولا شتاءاً، لذا فهو شديد البرودة، وهو متفرع من نهر الوادي الكبير؛ ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 132 هامش (5)؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 227.

(6) حدرة: أما حدرة فينحدر من جبل بناحية وادي آش شرقي شلير فيمر بين بساتين ومزارع إلى أن ينتهي إلى مدينة غرناطة؛ الحميري: نفسه، ص 23.

خاصة في العصر الموحدي حيث استثمره الموحدون(1)، وهو النهر الذي اشتق اسمه من الذهب في المكان الذي يقع بين قنطرة الحواتين وقنطرة القاضي بوسط مدينة غرناطة، ويذكر الزهري "..... وهذا الذهب إذا اجتمع فإنه يباع مثقاله زائداً على جميع الذهب بالربع والخمس"(2) في القيمة، وجد بكثرة بكورة ألبيرة(3)وفي قسطيلية(4)

---

(1) الزهري: الجغرافية، ص 95 – 96؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 246.

(2) الجغرافية، ص 95 – 96؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 205 – 206؛ مؤنس: المرجع السابق، ص 386 – 387، 560؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 120.

(3) البيرة (بلبيرة): من أكبر كور الأندلس، وتقع بالغرب من قرطبة، وتعرف بـ إغرناطة اليهود، وذلك لأن أكثر نازليها كانوا من اليهود، كما أنها متصلة بأرض كورة قبرة، وكثرت بها الصنائع خاصة المعادن، ومن أهم المعادن المنتشرة بها معدن الرصاص والفضة والنحاس والصفر ومقاطع الرخام؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 111؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ القزويني: أثار البلاد، ص 337؛ ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 98؛ الحميري: الروض المعطار، ص ص 23 – 24؛ ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 41؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 120.

(4) قسطيلية: هي حاضرة مدينة ألبيرة، وعليها سور حصين،وهي مدينة مشهورة بكثرة نخيلها وتمورها، كما اشتهرت بكثرة فواكهها، ويزرع بها الأنرج الكثير، وبها مقاطع رخام لين أبيض تصنع منه الأكواب والأسطال؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص 92؛ ابن غالب: المصدر السابق، ص 283.

حاضرة ألبيرة، ووجد في عمالتها الذهب(1)، ويتضح لنا مدى ثراء مدينة غرناطة بمعدن الذهب في مناطق متفرقة(2)، وبنهر تاجة(3) قرب سبيطلة(4) كثير من معدن الذهب(5)، كذلك نجد معدن الذهب في مدينة لاردة(6) التي تعتبر أيضاً من المدن الغنية بمعدن الذهب(7).

كان اتساع مساحة دولتي المرابطين والموحدين، سبباً في امتداد تجارة الذهب من الأندلس إلى بلاد المغرب ، خاصة أن المرابطين ظلوا يسيطرون على مناجم الذهب من القسم الأكبر من السودان الغربي لفترة طويلة من الزمن استمرت حتى عهد الأمير "علي بن يوسف بن تاشفين " (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م)، وربما إلى ما بعده(8).

---

(1) ابن الخطيب: المصدر السابق، مجـ 1، ص 98.

(2) ويوجد بغرناطة في جرية ماءه برادة الذهب الخالص، ويعرف بالذهب المدني، ويكثر بغرناطة حتى يصل إلى أقصى بلاد مختلفة مثل ألبيرة؛ البغدادي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 111؛ ابن غالب: المصدر السابق، ص 283؛ الحميري: المصدر السابق، ص 24؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 205؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 50.

(3) نهر تاجة: هو نهر ينبع من مدينة طليطلة وسعته أمامها 9 كم تقريباً، يدخله المد والجزر كثيراً؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 547.

(4) سبيطلة: إحدى مدن إفريقية؛ البغدادي: نفسه، مج 2، ص 692.

(5) الحشايشي (محمد بن عثمان): العادات والتقاليد التونسية (الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية)، دراسة وتحقيق: الجيلاني بن الحاج يحي، تقديم: د/ محمد البعلاوي، سراس للنشر، تونس، 1992 م، ص 316.

(6) لاردة: ثغر أندلسي بني على نهر من أرض جليقية يعرف بنهر شيقر، وهو النهر الذي تلتقط منه شذرات الذهب الخالص، وتقع شرقي مدينة وشقة؛ الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 2008 م، ص 295؛ الحميري: نفسه، ص 168؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 52.

(7) الزهري: المصدر السابق، ص 82؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 128؛ حركات: نفسه، ص 50.

(8) الهرفي (سلامة): دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (دراسة سياسية وحضارية)، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، 1985 م، ص 287؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 25

كانت بلاد السودان الغربي أكبر سوق لتجارة الذهب في أفريقية، فكان التجار يدخلون بلاد السودان بالملح والنحاس والودع، ويعودون محملين بالصمغ والخرز والتبر(1)، وكانت التجارة مع بلاد السودان الغربي تقوم على المقايضة بين التجار المغاربة والتجار السودانيين في منطقة الساحل الصحراوية(2)، وكانت المبادلة التجارية تقوم على "التجارة الصامتة" في مناطق انتاج الذهب، ولم تكن تلك التجارة صمت عن الكلام فحسب، بل أن المتبادلين للسلع لم يكونوا يلتقون على الإطلاق، فقد كان منتجي الذهب يضعون الذهب على هيئة قضبان ويتوارون عن التجار الذين يأخذون الذهب ويضعون بضائعهم التي هي عبارةعن الصمغ والخرز والتبر(3)، ويقوم التجار السودانيون في بعض الأحيان بالتوغل في مناطق الانتاج الاستوائية، وكانت أغلب المقايضة تتم على الذهب(4).

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، تقديم: فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، جـــ 5، ص 159؛ أبو ضيف (مصطفى): أثر العرب في تاريخ المغرب، القاهرة، 1983 م، ص 308.
(2) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 302.
(3) البيلي (محمد بركات): مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان الغربي، مقالة في دورية المؤرخ المصري، عدد 3، جامعة القاهرة، كلية الآداب، يناير 1989 م، ص 80.
(4) موسى: المرجع السابق، ص 303.

وقد أصبحت الطرق التجارية الصحراوية منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي في قبضة الدولة المرابطية، ومن أهم مناطق المغرب انتاجاً للذهب مدينة سجلماسة التي قامت بدور الوسيط التجاري بين السودان وباقي العالم المعروف آنذاك، لذا فقد كانت سجلماسة بمثابة باب الصحراء إلى السودان(1)، وباباً لمعدن التبر(2)(*) الذي يصدر منها إلى جميع أنحاء المغرب(3)، ومن أكبر المناجم انتاجاً للذهب خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي(4) جزيرة جربة(5).

---

(1) البكري: المغرب، ص 151؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 211؛ القزويني: أثار البلاد، ص 11، 28؛ أنظر أيضـاً الجنحاني: المغرب الإسـلامي، ص 20، 25؛ الجنحاني: المجتمع العربي الإسـلامي، ص 158؛ بشـير (عبد الرحمن): اليهود في المغرب العربي، عين للدراسـات الإنسـانية والاجتماعية، القاهرة، 2001 م، ص 80؛ إبراهيم (عفيفي): الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002 م، ص 201.

(2) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مؤسسـة شـباب الجامعة، الإسكندرية، 1983 م، ص 113؛ أنظر أيضـاً الجنحاني: المجتمع العربي الإسـلامي، ص 158؛ السبتي (عبد الأحد): المدينة في العصـر الوسـيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994 م، ص 97؛ إدريس (صبحي): تاريخ مدينة سجلماسة في العصر الإسلامي منذ نشأتها حتى استيلاء المرينيين عليها (140 – 668 هـ / 757 – 1269 م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية تربية كفر الشيخ، 1995 م، ص 250.

(*) لذا كان أهل سـجلماسـة يتمتعون بثروة ذهبية كبيرة، فكانوا من أغنى الناس وأكثرهم مالاً، وهذا ما أكده البكري في حديثه عن سكان سـجلماسـة بقوله "... ومن الغرايب عندهم (أي أهل سـجلماسـة) أن الذهب جزاف عدد بلا وزن والكراث يتبـايعونـه وزنـاً لا عدداً " ؛ المغرب في ذكر بلاد إفريقيـة والمغرب، ص 151؛ أنظر أيضـاً الجنحاني: المغرب الإسـلامي، ص 26 – 27؛ الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، ص 158.

(3) الهرفي: المرجع السابق، ص 284، 287.

(4) البكري: المصـدر السـابق، ص 85؛ حركات: النشـاط الاقتصـادي، ص 52؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990 م، جـ 3، ص 414.

(5) جزيرة جربة: وهي جزيرة معمورة يسكنها قوم من البربر خوارج، وهي كثيرة الذهب، بينها وبين البحر الكبير مجاز، وهي آخر القصـير إلى الشـرق، ولكن أهلها غدارون أشـرار؛ البكري: نفسـه، ص 85؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 79.

لعبت أيضاً تامدلت(1) دوراً هاماً في تجارة الذهب، ويعد الأمير 'أبو بكر بن عمر اللمتوني' هو أول من وضع يده على مناجم الذهب في هذه المنطقة(2)، ويعد ذهب أودغست(3) من أجود أنواع الذهب في الأرض وأصحه، ووصف بأنه ذهب إبريز وخيوطاً مفتولة، وذلك لوقوعها على طريق تجارة الذهب، فهي مركزاً هاماً ومحور التبادل التجاري بين بلاد السودان والمدن المغربية، ولذا تجمعت عن طريق التجارة الصحراوية ثروات كبرى من الذهب في مدن المغرب(4).

---

(1) تامدلت: إحدى مدن بلاد المغرب الواقعة شرقي لمطة، وتبعد عن مدينة سجلماسة بنحو 330 كم وتكثر بها معادن الذهب والفضة؛ مجهول: الاستبصار، ص 213.

(2) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 52.

(3) أودغست: مدينة كبيرة آهلة بالسكان، تقع على الطريق بين غانة وسجلماسة، وأرضها رملية يطل عليها جبل كبير لا ينبت شيئاً، ولم يحدد الأوائل من الجغرافيين موقعها من الصحراء؛ البكري: المغرب، ص 158؛ أنظر أيضاً عبد الكريم (جودت): العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984 م، ص 259؛ موسى: طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى مصر في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، مقال ضمن مجلة البحوث التاريخية، 1983 م، عدد 1، ص 111؛ إدريس: مدينة سجلماسة، ص 169 – 170.

(4) البكري: المصدر السابق، ص 159؛ مجهول: المصدر السابق، ص 215 – 216؛ أنظر أيضاً الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 20، 24 - 25، 27؛ الجنحاني: المجتمع العربي، ص 161؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 285؛ العبادي وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط في المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999 م، جـ 2، ص 62.

وذهب مدينة تازا الذي يعد أجود أنواع الذهب(1)، كذلك ورجلان(2) التي اشتهرت بتبرها الخالص(3)، كما ازدهرت صناعة الذهب بمدينة درعة(4)، وكذلك تاهرت(5) التي تجمعت بها ثروات الذهب، ولذا عدت محور التبادل التجاري بين بلاد السودان والمدن المغربية(6).

ويتضح لنا العلاقة التجارية بين المغرب الأقصى وغيرة من البلدان مثل غانة وإقليم السودان في الجنوب، خاصة منطقة جنوب الصحراء، التي كان بها تجارها الذين يستوردون الذهب(7) لاشتهار إمبراطورية غانة بهذه التجارة، وذلك فضلاً عن حركة القوافل العايدة للصحراء والحاملة لذهب السودان، حيث كانت مدينة سبتة أخر محطة في أقصى شمال المغرب يصلها المعدن الثمين، ومنها يحمل إلى أوربا في العصر المرابطي(8).

---

(1) البكري: نفسه، ص 118؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 248.
(2) ورجلان: أو وركلان، تقع في طرف الصحراء مما يلي إفريقية، وهي بلد خصيب كثير البساتين وبها سبع قرب بعضها، وهي بلاد النخيل والعبيد، ومنها تدخل عبيد كثير إلى بلاد السودان؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 60؛ أنظر أيضاً إدريس: المرجع السابق، ص 105.
(3) العبادي: المرجع السابق، جـ 2، ص 62.
(4) ابن العربي (الصديق): كتاب المغرب، الجمعية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، بيروت – لبنان، 1984 م، ص 134.
(5) تاهرت: مدينة قديمة بالمغرب الأوسط الذي قامت فيه دولة الرستميين (160 – 296 هـ / 776 – 908 م) وتقع في سفح جبل يسمى قرقل، تتميز بشدة بردها وكثرة ثلوجها، وإلى الغرب منها بنحو 7 كيلو متر تقريباً أسس عبد الرحمن بن رستم مدينة تاهرت الحديثة؛ البكري: المصدر السابق، ص 67 – 70؛ مجهول: نفسه، ص 178.
(6) الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 25.
(7) حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ص 282، 344.
(8) حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص 71.

ومن أهم الصناعات التي قامت على صناعة الذهب صياغة الحلي وأدوات الزينة، وهذا فضلاً عن وفرة الذهب في بلاد الأندلس في عصر المرابطين، الأمر الذي أدى إلى تفنن النساء في ذلك العصر خاصة نساء مدينة غرناطة في حليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل المصنوعة من الذهب الخالص، ولذا كان النساء يتنافسن بالذهبيات والديباجات والتماجن في أشكال الحلي(1)، الأمر الذي ترتب عليه كثرة أعداد الصائغين خاصة في العصر المرابطي، وكانت نتيجة وفرة الذهب وكثرة انتاج الحلي(2)قام الصياغ بصوغ معدن الذهب لعموم الناس أقراطاً وخواتم وأساور وخلاخل وحلياً للسيوف والمصاحف(3)، مما ادى لزيادة أعداد الصائغين خاصة في العصر المرابطي.

وعن رواج صناعة الذهب في العصر المرابطي يتضح لنا من خلال الهدية التي أرسلها الأمير'يوسف بن تاشفين' إلى ابن عمه 'أبي بكر بن عمر اللمتوني' لإرضائه وكسب وده عام 465 هـ / 1072 م وأغلب المواد المهداة محلاة بالذهب، وقد وصفها صاحب الحلل الموشية بقوله "...

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـــــ 1، ص 138 – 139؛ اللمحة البدرية، ص 43؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 562؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 321؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 243؛ حجي: المرجع السابق، ص 183 – 184؛ بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 53 – 54.

(2) حجي: نفسه، ص 182 – 184؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 171.

(3) حجي: نفسه، ص 142.

بعث إليه (أي يوسف بن تاشفين) بهدية أهداها إليه (أي أبي بكر بن عمر) كان معظم ما فيها خمسة وعشرين ألف دينار من الذهب العين وسبعين فرساً منها خمسة وعشرون مجهزة بجهاز محلى بالذهب، وسبعين سيفاً منها عشرون محلاة بالذهب وخمسون غير محلاة، وعشرين زوجاً من المهامز المحلاة بالذهب"(1)، وهذا إن دل على شئ إنما يدل على الثراء الفاحش الذي عم حياة الأمراء في العصر المرابطي(2)، وخاصة بعدما حصل 'يوسف بن تاشفين' بعد استيلائه على غرناطة 483 هـ / 1090 م على الكثير من الحلي والآنية الذهبية التي كانت في إدخار(3) 'عبد الله بن باديس'(4).

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 27؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس، ص 61 – 62؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 263 – 264.

(2) بوتشيش: المرجع السابق، ص 133.

(3) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1983 م، جـ 24، ص 268؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ 2، ص 428 – 429؛ رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، جـ 3، ص 147 – 148.

(4) عبد الله بن باديس: هو الملك عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ملك مدينة غرناطة، وأحد ملوك الطوائف بالأندلس في القرن الخامس الهجري / العاشر الميلادي، ولم يقتله المرابطون حين ملكوا الأندلس كما فعلوا بمعظم ملوك الطوائف واكتفوا بنفيه إلى المغرب، ويرجع ذلك إلى أصله البربري؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 132، هامش (4)؛ انظر أيضاً الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1992 م، جـ 1، ص 174.

وقد اشتهر أهل الذمة بالعمل في صياغة الذهب والحلي وصناعة المشغولات الذهبية(1)، لما تمثله من سيولة واستثمار ولقرب بلاد المغرب من مصادر الذهب، مما كان له الأثر الكبير في انتشار هذه المهنة(2)، ولما كان لكل حرفة زقاقاً أو قيسارية خاصة به، فكان من بينها قيسارية أو سوق تعرض بها المصنوعات الذهبية(3) خاصة في المدن القريبة من مصادره، مثل مدينة سجلماسة(4) ومدينة درعة(5).

وزاد عدد الحرفيين بمدينة مراكش من الذين يصوغون الذهب(6)، ونجح اليهود في هذا المجال خاصة يهود المغرب(7)، فتجول الصياغ بين البلاد(8).

وبجانب اشتغال اليهود بصياغة الحلي قاموا أيضاً بزخرفة المعادن بمدينة فاس وغيرها من المدن(9)، بالإضافة إلى استخدامات الذهب العديدة في صناعة الحلي كان يستخدم أيضاً في تزيين المنسوجات والملابس والحلل الموشاة بخيوط من الذهب

---

(1) ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 136 – 137؛ الحشايشي: العدات والتقاليد التونسية، ص 144؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 110؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 221؛ بشير: اليهود في المغرب العربي، ص 81، 93؛ الشريف: سبتة الإسلامية، ص 46.
(2) ابن الحكيم: المصدر السابق، ص 136 – 137؛ أنظر أيضاً بشير: المرجع السابق، ص 93 – 94.
(3) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدي، ص 198؛ بشير: نفسه، ص 93 – 94.
(4) والسبب في تسخير أهل سجلماسة لليهود لصياغة حليهم في سكنى بلدهم للاكتساب لما علموا ان التبر بها، ولكونها باباً لمعدن التبر؛ مجهول: الاستبصار، ص 202؛ أنظر أيضاً بشير: نفسه، ص 94.
(5) بشير: نفسه، ص 94.
(6) جودة (جودة حسين): جغرافية الدول الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1984 م، ص 345.
(7) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 110، 280 – 281.
(8) بشير: نفسه، ص 94.
(9) حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 368؛ حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص 164؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 97.

وفي زركشة المنسوجات الرفيعة، مثل ذهب أودغست الذي كان يصدر على شكل خيوط مفتولة، ويظهر في أنوال المرية في عهد 'علي بن يوسف' التي كانت تستورد هذه الخيوط لإدخالها في خيوط المنسوجات الفاخرة(1) والتي كان يهدى منها إلى أمراء أوربا، وأهم مصاغات الأندلس كانت في قرطبة التي بها سائر الصناعات، وبها أجمل مصانع الدنيا في اتساع مساحتها وإحكامها الصنعة(2)، وإشبيلية وحرفيوها مسلمون ويهود، وأروع عمال الزخرفة والترصيع ما خص به مخطوط المصحف العثماني الذي عزم الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' على تعظيم بعد أن آل إلى دولة الموحدين من خزائن بني أمية بالأندلس، فأسرع في انتخاب كسوته واختيار حليته فجمع الصناع المتقنين ممن كان بمراكش وسائر بلاد المغرب والأندلس، فاجتمع له حذاق كل صناعة من المهندسين والصواغين والحلائين والرسامين وغيرهم، ولم يعرف أحد بحذقه في صناعة إلا وأحضر للعمل فيه والاشتغال به وصنعت له أغشية بعضها من السندس والبعض الآخر من الذهب،

(1) الهرفي: دولة المرابطين، ص 285.
(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 575؛ الحميري: الروض المعطار، ص 153.

بالإضافة إلى معادن أخرى مثل الفضة، ورصع بأنواع اليواقيت وأصناف الأحجار الغريبة(1)، وإن دل ذلك على شئ إنما يدل على حياة الترف التي كانت تعيشها البلاد في ظل دولة الموحدين، وأيضاً تدل على غزارة الثروة الذهبية التي كانت تشحن من السودان في مقابل البضائع المغربية(2)، كما اشتهرت مدينة قفصة(3) في العصر الموحدي بصناعة الأواني الذهبية البراقة لتوافر الذهب بها(4)، ومن أهم استخدامات الذهب العديدة أنه كان يستخدم في سك الدنانير ويرجع ذلك إلى وفرة الذهب في بلاد الأندلس في عصر المرابطين، لذا كانت العملات المرابطية بالمعدن الثمين من الذهب، وذلك بسبب سيطرتهم على مراكز تجارة ذهب سجلماسة وأودغست، وهذا نتيجة طبيعية لهذا العصر الذي تطلع فيه المرابطون لأقصى الصحراء المتاخمة لبلاد السودان مؤمنين في ذلك طرق التجارة بين الشمال والجنوب(5)

---

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 53 – 54؛ المراكشي: المعجب، ص 212؛ ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 118؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 152؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 114؛ أنظر أيضاً ابن تاويت: الوافي بالأدب العربي، ص 98 – 99؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين وانهيار الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001 م، جـ 6، ص 633؛ علام: الدولة الموحدية، ص 386 – 387.

(2) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 110 – 111.

(3) قفصة: بلدة صغيرة في طرف إفريقية ناحية المغرب وهي من عمل الزاب الكبير؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 3، ص 1113.

(4) مجهول: الاستبصار، ص 154؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 250؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 77.

(5) حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص 182 – 184؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 114؛ الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، ص 79؛ الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ص 100 – 101.

وهذا دليل على الشهرة العالمية التي تمتع بها الدينار الذهبي، فقد كان تجار أرغلان (ورجلان) ينقلون التبر الذي يوجد على ضفاف نهر النيجر إلى المغرب الأقصى إلى دور السكة فيضربونه دنانير ويتصرفون به في العمليات التجارية(1).

فقد ضرب المرابطون كميات كبيرة من الدنانير الذهبية ابتداء من عهد 'أبو بكر بن عمر' ضربت عام 450 هـ / 1058 م بسجلماسة وقد كانت هذه العملة عبارة عن دينار ذهبي مضروب باسم الخليفة العباسي، وتعددت بعد ذلك دور الضرب، فقد وجدت دنانير ضربت في مدينة إغمات(2)

(1) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 54.

(2) أغمات: مدينة بالمغرب قريبة من مراكش، وهي عبارة عن مدينتان متقابلتان هما أغمات ووريكة، وهي مدينة كثيرة الخير، ويخلفها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل أي نحو 120كم تقريباً، وليس ببلاد المغرب أكثر لأصناف الخيرات ولا أخصب منها بكثرة فواكهها؛ مجهول: الاستبصار، ص 207؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 98.

وفاس ونول لمطة(1) وتلمسان، هذا بالنسبة للمدن المغربية؛ ومن المدن الأندلسية التي ضربت بها أيضاً غرناطة وإشبيلية وقرطبة ومالقة(2) والمرية(3)، وإن دل ذلك إنما يدل على تدفق ذهب بلاد السودان إلى المالية المرابطية، ويتضح لنا هذا من خلال تتبعنا للدور الذي لعبته العملة المرابطية ابتداءاً من منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي(4).

(1) نول لمطة: أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب، وإحدى بلاد السوس وتقع في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، وسميت بذلك الإسم لأن قبيلة لمطة تسكنها؛ مجهول: المصدر السابق، ص 213؛ البغدادي: نفسه، مجـ 3، ص 1208.

(2) مدينة مالقة: مدينة بالأندلس من اعمال رية، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، ومن عجائبها الجسر الذي يوجد على ساحل البحر، والأحجار المكدسة التي انتشرت على شاطئ البحر؛ الزهري: الجغرافية، ص 93؛ البغدادي: المصدر السابق، مجـ 3، ص 1221.

(3) مدينة المرية: مدينة كبيرة من مدن الأندلس من أعمال كورة البيرة، ومنها يركب التجار، وبها مرفأ للسفن والمراكب بين المشرق والإسكندرية ومرسى الأندلس، وقيسارية الأندلس دار صنعتها؛ الزهري: المصدر السابق، ص 101؛ البغدادي: نفسه، مجـ 3، ص 1264؛ الحميري: الروض المعطار، ص 183 – 184؛ أنظر أيضاً مؤنس: الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص 382.

(4) الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي للمغرب الإسلامي، ص 101 – 102؛ الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، ص 225؛ حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص ص 141.

2- الفضة:

اشتهرت الأندلس بغناها من معدن الفضة، وذلك لتوافر مناجمه(1) في عدة مناطق، خاصة في العصر المرابطي، ومنها فرنجولش بموضع يسمى المرج(2)، ومرسية(3) كانت الفضة بها غزيرة المادة ومتصلة ببعضها(4)، فضلاً عن كورة باجة(5) التي كثر بها معدن الفضة(6)، كما وجدت فضة غزيرة المادة(7) في لوشة(8) وقرية كرتش من أعمال قرطبة التي أصبحت تمثل جزءاً هاماً للمعادن في الأندلس ومنجماً خالصاً للفضة(9)

(1) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 130؛ الحميري: المصدر السابق، ص 1؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 129؛ أنظر أيضاً بلباس: المدن الإسبانية، ص 122.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 574؛ الحميري: نفسه، ص 143؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 207؛ موسى: النشاط الاقتصادي الاقتصادي، ص 246.

(3) مدينة مرسية: مدينة أندلسية، كانت هي قاعدة كورة تدمير، كان الأمير عبد الرحمن بن الحكم قد بناها وجعلها داراً للعمال، وهي تقع على نهر كبير يسقي جميع أرجائها مثل نيل مصر، وهي مدينة عامرة بها أسواق وحمامات، وتشتهر بكثرة الفواكه والأشجار والمعادن، ولها أرحاء طاحنة وحصون وقلاع؛ الزهري: نفسه، ص 100؛ الحميري: نفسه، ص 181 – 183.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص 182؛ ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 42؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 273.

(5) باجة: مدينة أفريقية في خمس مواضع، وتعرف بباجة القمح وباجة الزيت، وهي مدينة جليلة كثير الأمطار والأنهار، وتقع بالقرب من القيروان بحوالي 160 كم تقريباً؛ البكري: المغرب، ص 56؛ مجهول: الاستبصار، ص 160؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 148.

(6) المقري: نفح الطيب، مجـ 1، ص 139؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى:تاريخ الاندلس، ص 207.

(7) لوشة: مدينة بالأندلس تقع غربي مدينة ألبيرة قبلي قرطبة على نهر سنجل بنهر غرناطة؛ البغدادي: المصدر السابق، مجـ 3، ص 1211؛ الحميري: المصدر السابق، ص 173.

(8) المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 132؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 207؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 120.

(9) المقري: نفسه، جـ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 207؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489؛ دندش: الأندلس نهاية عصر المرابطين ومستهل الموحدين، ص 181.

، لذا كثرت الفضة بضواحي قرطبة(1)، وجبال حمة بجانة(2)، التي عدت من أهم مناطق انتاج الفضة(3)، وبرقيق على مقربة من رندة(4) من أعمال غرناطة(5)، وجدت بكثرة وذلك لثراء غرناطة بهذا المعدن(6)، كما كانت مدينة برجة(7) غنية بمعدن الفضة(8)، وفي جهة إشبيلية ولكنها قليلة المادة(9)، وفي طوطالقة(10) مركز الفضة(11)، وفي شمال جيان(12)، وبها يستخرج معدن الفضة بغزارة(13)،

---

(1) المقري: نفسه، جـ 1، ص 167؛ جـ 2، ص 5؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 50، 55؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1998 م، ص 29.

(2) بجانة: بالفتح ثم التشديد وألف ونون، وهي مدينة بالأندلس من أعمال كورة ألبيرة، وبينها وبين المرية 6كم تقريباً، واشتهرت بطرز الحرير وكثرة أشجار الزيتون؛ البغدادي: نفسه، مجـ 1، ص 163؛ الحميري: نفسه، ص 37 – 39.

(3) ابن الحكيم: المصدر السابق، ص 42؛ المقري: نفسه، جـ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 207؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 181.

(4) رندة: مدينة بالأندلس من مدن تاكرنا، وهي مدينة قديمة وبها الكثير من الآثار، وتقع على نهر ينسب إليها، وجلب الماء إليها من شرقيها ومن جبل طلويرة بغربيها، فيدخلها الماء من شرقها وغربها؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 130؛ الحميري: الروض المعطار، ص 79.

(5) ابن الحكيم: نفسه، ص 41 – 42.

(6) مؤنس: المرجع السابق، ص 560.

(7) برجة: مدينة بالأندلس من أعمال البيرة بناحية مدينة المرية؛ ابن بشكوال: الصلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، القسم الأول، ص 130؛ البغدادي: نفسه، مجـ 1، ص 179.

(8) سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص 167.

(9) ابن الحكيم: المصدر السابق، ص 41 – 42.

(10) طوطالقة: مدينة بالأندلس من حصون مدينة باجة؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 208.

(11) أبو مصطفى: نفسه، ص 207.

(12) جيان: مدينة بالأندلس واسعة المساحة تتصل بكورة البيرة في شرقي قرطبة، وبينها وبين قرطبة 76.5 كم تقريباً، وهي مدينة كثيرة اللحوم والعسل، تكثر بها البساتين والمزارع والغلات وسائر الحبوب؛ البغدادي: نفسه، مجـ 1، ص 364؛ الحميري: نفسه، ص 70 – 72.

(13) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 208.

كما وجدت بأماكن متفرقة بغرناطة وإشبيلية(1) ومن أعمالها البيرة التي كثرت بها مناجم الفضة(2)، وفي قسطلية حاضرة البيرة، وفي عمالتها هذا المعدن(3)، كما وجدت الفضة بكثرة(4) في كورة تدمير(5)، وكذلك موضع شنترة(6) الذي اتسم بكثرة معدن الفضة(7)، اشتهرت العديد من المدن المغربية بانتاج معدن الفضة، ومنها في منطقة مجانة(8) التي عدت من أهم مراكز الفضة(9)، لذا أطلق عليها مجانة المعادن(10)

---

(1) القزويني: أثار البلاد، ص 334، 338؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 208.

(2) البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 111؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ ابن الخطيب: الإحاطة، جـ 1، ص 98؛ اللمحة البدرية، ص 18؛ الحميري: الروض المعطار، ص 24؛ ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 41؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 120.

(3) ابن الخطيب: المصدر السابق، مجـ 1، ص 98.

(4) تدمير: إحدى كور الأندلس وسميت باسم ملكها تدمير؛ الحميري: المصدر السابق، ص 62.

(5) ابن عذري: ترصيع الأخبار بتوسيع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965 م، ص 2، 12؛ ابن غالب: المصدر السابق، ص 285؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 181؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 42.

(6) شنترة: مدينة من أعمال لشبونة بالأندلس؛ البغدادي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 815.

(7) المراكشي: المعجب، ص 293.

(8) مجانة: بلد من إفريقية بالمغرب الأوسط وتقع بالقرب من مدينة تبسة، حيث توجد قلعة حجرية تسمى بسروقد، وقد استقربها العرب، والمعدن كان ملكاً لقبيلة لواتة كثيرة المعادن؛ البكري: المغرب، ص 145؛ البغدادي: نفسه، مجـ 3، ص 1230؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 54.

(9) اليعقوبي: كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1860 م، ص 135؛ ابن رسته: الأعلاق النفيسة، نشر وتعليق: دي فويه، المملكة الجغرافية العربية، ليدن، 1967 م، مجـ 7، ص 349؛ الزهري: الجغرافية، ص 130؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 55 – 56؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 245.

(10) البكري: المصدر السابق، ص 145؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 3، ص 414؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 254.

وفي مدينة تامدلت ويقال أن بها معدن الفضة غزير المادة كالنبات، ويقال أن الرياح تقية(1)، وفي جهة جبل قازاز(2) كثرت بها(3)، وفي معدن(4) عوام بالقرب من فاس(5).

وبالقرب من مدينة مكناسة الزيتون على بعد نحو 90 كم حصن يدعى وركناس وفيه معدن الفضة(6)، وفي بلاد السوس الأقصى بجبال زجندر(7)

---

(1) اليعقوبي: البلدان: ص 150؛ ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص 359؛ البكري: نفسه، ص 163؛ أنظر أيضاً حركات: نفسه، ص 55؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 4، ص 97.

(2) جبل قازاز: يوجد ببلاد المغرب، يبعد عن مدينة مكناسة الزيتون بحوالي 100 كم تقريباً ويقع بين نهر سبو نهر سلا، واسم قازاز يطلق على الجبال الممتدة من جنوب مكناس إلى وادي العبيد، ولم يسمى بقازاز اليوم إلا مكان بتلك الجبال، وتسكنه أمم كثيرة من البربر يعيشون على رعي الأغنام والأبقار والخيول، كما يتميز هذا الجبل بزراعة أشجار الأرز المستخدمة في الصناعات الخشبية؛ مجهول: الاستبصار، ص 187؛ ابن سعيد: الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1970 م، ص 141؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص 3، هامش (6).

(3) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 141.

(4) معدن عوام: ويطلق عليه الزهري اسم معدن غوان، ويقع بالقرب من وادي ام الربيع المعترض بين مدينة سلا ومدينة مراكش، وعلى مقربية من النهر مدينة تبة ومدينة فاس قلعة ابن تاولة، وهي كلها من الخشب وبالقرب منها الموقع الذي فيه الفضة؛ الزهري: المصدر السابق، ص 115.

(5) موسى: المرجع السابق، ص 248؛ العربي: المغرب، ص 116.

(6) المراكشي: المعجب، ص 293، 448؛ الزهري: الجغرافية، ص 115؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 248؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 257؛ هناء الفقي: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة مكناسة المغربية منذ الفتح المرابطي لها حتى نهاية دولة بني مرين (452 – 869 هـ / 1060 – 1465 م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة طنطا، 1428 هـ / 2007 م، ص 168؛ عبلة عبد لطيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدن جنوب المغرب عصر المرابطين والموحدين، ص 88.

(7) زجندر: وهي مدينة صغيرة تقع على معدن الفضة ، يسكنها الذين يستخرجون ما في ذلك المعدن المعروف بزجندر؛ المراكشي: المعجب، ص 292.

معدن الفضة التي عدت من أثمن أنواع الفضة(1)، وبمدينة درعة يوجد منجماً للفضة(2)، وكذلك بمدينة سجلماسة(3)، وفي وانشريس الذي يعد من أكبر المراكز الهامة انتاجاً للفضة(4).

وعن الطريقة التي اتبعت في تنقية معدن الفضة كما وصفها لنا المؤرخون المسلمون، فقد ذكروا أن الطبقات المعدنية التي تحوي معدن الفضة مختلطة بمعدن الرصاص، وقد تمكن الباحثون المسلمون من تنقية الفضة الخالصة وفصلها عن الرصاص عن طريق استخدام طريقة الصهر، وذلك بأن يوضع الرصاص المختلط بالفضة في كوجل مقاوم للصهر وتشعل النار عليه بشده حتى تصل لدرجة الانصهار، وبذلك يتبخر الرصاص وتترسب الفضة الخالصة في قاع الكوجل(5).

(1) المراكشي: المصدر السابق، ص 292 – 293؛ ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 147؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 212؛ ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 41؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 138؛ أنظر أيضاً نشاط (مصطفى): إطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 73، سلسلة بحوث ودراسات 23، جامعة محمد الأول، كلية الآداب واللعوم الإنسانية، وجدة، 2003 م، ص 77؛ موسى: المرجع السابق، ص 248.

(2) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت، ص 88؛ أنظر أيضاً العربي: المغرب، ص 134.

(3) عفيفي: الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، ص 201.

(4) ابن الحكيم: المصدر السابق، ص 41.

(5) ابن الحكيم: نفسه، ص 50؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 208.

كما توجد طريقة أخرى لتخليص الفضة من أي شوائب قد تكون عالقة بها، يوضع كمية معينة من الفضة في كوجل يضاف إليها مقدار الربع من بورق زجاجي ورصاص وتوقد عليه بنار الفحم والكير مدة ساعتين أو ثلاثة فتخلص الفضة وتبقى في قاع الكوجل(1).

تعتبر مدينة تارودانت(2)من أهم المدن التي اشتهرت بتذويب الفضة، وكانت الفضة تدخل في العديد من الصناعات، ومنها أنها كانت تستخدم في صناعة الحلي وأدوات الزينة(3)، وكانت النساء في العصر المرابطي يتحلين بالفضة(4).

ومن أهم المدن التي اشتهرت بصياغة الفضة مدينة أيت أياد(5)، وصنعت منه الحلي الفضية والخواتم والأطواق، كما اهتم نساؤها بالتزين بجميع أنواع الحلي(6)، لذا كان للفضة قيسارية خاصة بها تعرض بها الحلي الفضية(7)، كذلك مدينة "تيوت" بالسوس التي اشتهرت بغزارة فضتها، ولهذا كان النساء يصنعن منها الحلي ليستخدمونه في التزين(8)

(1) ابن الحكيم: نفسه، ص 48 – 49؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 208.
(2) العربي: المرجع السابق، ص 93.
(3) عفيفي: المرجع السابق، ص 186.
(4) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 53.
(5) أيت أياد: مدينة من تادلة، تقع فوق جبل صغير من الأطلس، وأسست على يد الأفارقة، ونساؤها مهتمون بالتحلي بالحلي الفضية؛ الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة: د. عبد الرحمن حميدة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2005 م، ص 192.
(6) الوزان: المصدر السابق، ص 192.
(7) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 198.
(8) الوزان: نفسه، ص 127

، فاشتهر الكثير من أهل الذمة خاصة يهود المغرب في صياغة الفضة(1)، ومنها مدينة سبته التي ينسب إليها صائغي الفضة من اليهود، وينزحون منها إلى أوربا(2)، ويتضح لنا أنه توجد علاقة بين هذه الصناعة وقرب مدينة سبته من أوربا، لذا أقبل سكان القرى من البربر على شراء المصوغات الفضية من الصناع اليهود بسبب رخص أسعارها عن الذهب، كما أن مشغولاتها تؤدي نفس الدور في الزينة والتحلي لنسائهم، لهذا كان تصميم هذه المشغولات وفقاً للتقاليد البربرية(3).

كما تدخل الفضة في استخدامات عديدة، ومنها صناعة سك العملة، وصنع الأواني وتحلية السروج والسيوف وصناعة الملابس الفاخرة(4)، والأمثلة على ذلك مدينة غرناطة التي اشتهرت بصناعة الأواني الفضية ، والدليل على ذلك عندما سلم صاحب غرناطة 'عبد الله بن باديس' إلى الأمير 'يوسف بن تاشفين' مدينة غرناطة سنة 483 هـ / 1090 م،

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 110، 280 – 281؛ بشير: اليهود في بلاد المغرب، ص 97؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 221.
(2) بشير: المرجع السابق، ص 94.
(3) بشير: نفسه، ص 94.
(4) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 186.

ونزل الأمير المرابطي بقصرها وجد بها الكثير من الكنوز ومنها الأواني الفضية(1)، وكذلك ازدهرت بمدينة سرقسطة(2)

صناعة الأواني الفضية، ويتضح لنا ذلك من خلال الهدية التي أهداها 'المستعين أحمد بن هود' صاحب سرقسطة إلى الأمير 'يوسف بن تاشفين' سنة 496 هـ / 1102 م، وهي مكونة من أربعة عشر ربعاً من الآنية الفضية المطرزة، وإن دل ذلك على شئ إنما يدل على توفر معدن الفضة وازدهارها في العصر المرابطي(3).

كما دخلت الفضة في صناعة زركشة المنسوجات الرفيعة خاصة في قرطبة وإشبيلية، وكان حرفيوها مسلمون ويهود، ومن أروع أعمال الزخرفة والترصيع خاصة ما خص به مخطوط المصحف العثماني الذي آل إلى الموحدين، فصنعت له أغشية من صفائح الفضة المنقوشة، وهذا دليل على ازدهار صناعة الفضة في العصر الموحدي(4)،

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ، ص 143؛ النويري: نهاية الأرب، جـ 24، ص 268؛ أنظر أيضاً دوزي: المسلمون في الأندلس، جـ 3، ص 147 – 148.

2(2) سرقسطة: مدينة من مدائن الأندلس عظيمة البناء تقع في شرق الأندلس، ويقال أنها من بنيان قسطنطين، فمن عجائبها أنها مردومة، وسورها من الكذان المنحور، وتسمى بالمدينة البيضاء، وسميت بذلك لكثرة بيضها وجيرها، وهي مدينة حسنة الديار كثيرة البساتين، الزهري: الجغرافية، ص 81؛ الحميري: الروض المعطار، ص 96 – 97.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 4، ص 43؛ أنظر أيضاً بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 133؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 365، نصر الله (سعدون): تاريخ العرب السياسي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1988 م، ص 294.

(4) السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 114؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 110 – 111؛ تاويت: الوافي بالأدب العربي، جـ 1، ص 99.

كما نشطت صياغة الفضة والسكة في العصر المرابطي والموحدي(1)، فاستخدمت الفضة في سك الدراهم، فكانت مدينة غرناطة صرفهم فضة خالصة، بجانب درهم مربع الشكل نسب إلى 'المهدي بن تومرت'(2).

ولذا مثل معدن الفضة مورداً هاماً لخزانة الموحدين، ولهذا بادر الخليفة 'يوسف بن عبد المؤمن الموحدي' (558 – 580 هـ / 1163 – 1184 م) سنة 578هـ/ 1182 م حينما وصلته الأخبار وهو بمدينة مراكش قبيلة هرغة(3)، استولت على معدن الفضة الذي كان يستخرج بالقرب منهم من جبل السوس، وحينما وصل الخليفة إلى جبل السوس أرغم قبيلة هرثمة على تجديد الولاء والتوبة مما ارتكبته واسترجاع ما اغتصبته من المعدن، وأمر الخليفة ببناء حصن منيع حول المنجم،

---

(1) حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص 164.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 137؛ اللمحة البدرية: ص 42.

(3) قبيلة هرغة: الهرثمي بفتح الهاء وسكون الراء وبعدها عين معجمة، هذه نسبة إلى هرثمة وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس أقصى المغرب، وتنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ويقال أنها نزلت إلى هذا المكان عندما فتح المسلمون البلاد على يد موسى بن نصير، وهذه القبيلة ينحدر منها المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجـ 5، ص 55.

ووضع عليه جنداً لحراسته، وما فعله الخليفة الموحدي كان لسببين، الأول أهمية منجم الفضة لخزانة دولة الموحدين، والثاني حتى لا تقوم بعض القبائل بهذا الفعل والتمرد على دولة الموحدين(1)، ومن هنا يتضح لنا مدى اهتمام الموحدون بهذه الصناعة واستغلال مناجمها(2).

3- الحديد:

تعتبر بلاد الأندلس من البلدان الغنية بمعدن الحديد(3)، فقد انتشرت مناجمه بمختلف أنحاء الأندلس خاصة في جبال المرية(4) في موضع يسمى كارش(5). وازدهرت أيضاً صناعة الحديد بجبل الشارات(6) الغني بهذا المعدن(7).

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 212؛ ابن بسام: أخبار ملوك الحضرة، ص 24؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 394؛ الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص 130؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 282؛ الصلابي: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ص 119؛ بخيت (رجب): تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2009 م، ص 335.

(2) المنوني: حضارة الموحدين، ص 174؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة المغربية، ص 168.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 109؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 130؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 129؛ القزويني: أثار البلاد، ص 338؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 209؛ بلباس: المدن الإسبانية، ص 122.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 562، أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 209؛ العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 59؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 293؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 121.

(5) كارش: موضع من أعمال مدينة المرية وعلى مسافة 45 كم تقريباً؛ المراكشي: المعجب، ص 293؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 246.

(6) جبل الشارات: يقع بالقرب من مدينة طليطلة في جهة الشمال منها، وهو غني بالبقر والغنم ويتجهز به الجلابون إلى سائر البلاد لأنها تتسم بالسمن الذي يضرب به المثل في الأندلس؛ الحميري: الروض المعطار، ص 132 – 133.

(7) أبو مصطفى: نفسه، ص 209.

وفي جزيرة شلطيش(1) التي بها داراً لصناعة الحديـد، والتي يعجز عن صنعه غيرها لجفائه(2)، وفي حصن قسنطينة(3) ويوجد بجبالها معدن الحديد الطيب(4)، ومن أكثر بلاد الأندلس وفرة في معدن الحديـد فريش(5) بالقرب من مدينة قرطبـة الغنية بمعدن الحديد الخالص خاصـة في شمالهـا الشرقـي(6)، وفي جبـل أنـدة(7) أيضاً يوجد معدن الحديد(8).

---

(1) جزيرة شلطيش: جزيرة صغيرة في الأندلس تقع إلى الغرب من إشبيلية على البحر ويحيط بها البحر من جميع الجهات، وبها داراً لصناعة الحديد، كما يوجد بها داراً لصناعة السفن، ورغم أنها قريبة من البر خاصة من الغرب، وتقع بالقرب من مدينة لبلة غرب الأندلس؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 2، ص 542؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـــ 2، ص 809؛ الحميري: المصدر السابق، ص 110 – 111.

(2) الإدريسي: نفسه، مجـــ 2، ص 542؛ الحميري: نفسه، ص 110؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 209؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 278.

(3) حصن قسنطينة: يقع على مسافة 24 كم تقريباً من فرنجولش وهو من أعمال كورة إشبيلية، وعرف هذا الحصن أيضاً باسم قسطنتية الحديد؛ الإدريسي: نفسه، مجـ 2، ص 574؛ الحميري: نفسه، ص 143.

(4) الإدريسي: نفسه، مجـــ 2، ص 574؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 209؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 246.

(5) فريش: موضـع بالأندلس بغرب قرطبة، كثير معدن الرخام وأشـجار القسـطل، ويتصـل بأحواز فحص البلوط؛ الحميري: نفسه، ص 143.

(6) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 290؛ الحميري: نفسه، ص 143؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 209؛ موسى: المرجع السابق، ص 246؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489.

(7) أندة: مدينة بالأندلس تقع شمالي بلنسية وهي من أعمالها، وهي مدينة كثيرة المياة والرساتيق والأشجار؛ البغدادي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 123؛ الحميري: نفسه، ص 31.

(8) ابن غالب: المصـدر السـابق، ص 285؛ المقري: المصـدر السـابق، جــــ 1، ص 154؛ أنظر أيضـاً أبو مصطفى: نفسه، ص 209؛ مؤنس: المرجع السابق، ص 67؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الفكر العربي – دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، جــــ 3، ص 221؛ أبو الفضل: المرجع السابق، ص 273.

وبوادي آش(1) الغني بمناجم الحديد(2)، وهذا ما أكده ابن الخطيب بقوله "..... وسندها (أي وادي آش) معدن الحديد"(3)، وجدت مناجم أخرى للحديد في مدينة بجانة(4) وجبل البرانس(5) قرب فحص البلوط(6) بالأندلس(7)، وقد استثمر الحديد الموجود في جبل إشبيلية قرب الشرف(8) خاصة في العصر الموحدي(9) حيث يتوفر به معدن التراب الحديدي المعروف في الإسبانية Acerode Alinde أي الصلب الهندي، ويذكره الزهري بقوله "وتراب حديدي، ينبت كما ينبت الطفل بطليطلة (10)

(1) وادي آش: مدينة الأثاث بالأندلس من كورة ألبيرة، تتميز بكثرة أشجارها من التوت والزيتون وأصناف الثمار والقطن والغالب على أشجارها الشاهبلوط؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 81؛ الحميري: الروض المعطار، ص 192.

(2) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 112؛ مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، ص 88؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 209.

(3) معيار الاختيار، ص 112.

(4) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 210؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 50؛ العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 59.

(5) جبل البرانس: بالأندلس واشتهر بمعدن الزئبق ويصدر منها إلى جميع الآفاق، وكذلك اشتهر بالزيتون متناهي الجودة؛ الحميري: المصدر السابق، ص 142.

(6) فحص البلوط: مدينة بالأندلس ناحية قرطبة، وهي غنية بالمعادن خاصة الزئبق، وهي كثيرة أشجار الزيتون؛ الحميري: نفسه، ص 141 – 143.

(7) أبو مصطفى: نفسه، ص 210.

(8) الشرف: تقع إلى الغرب من إشبيلية على مسافة 60 كم تقريباً منها، وهو جبل شريف البقعة، واشتهر بأشجار الزيتون والتين أولها في مدينة إشبيلية وآخرها عند لبلة وسعته 18 كم تقريباً وبه ثمانين ألف قرية عامرة، ويعد زيته من أطيب الزيوت؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ 2، ص 204، هامش (2)؛ الحميري: نفسه، ص 101.

(9) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 246.

(10) طليطلة: مدينة بالأندلس عظيمة، أحدق بها النهر المسمى تاجه، ومن عجائبها أن القمح يظل بها من سبعين إلى مائة عام وأكثر لا يسوس، وهي مدينة كثيرة الزرع؛ الزهري: الجغرافية، ص 83.

بكثرة" (1)، لذا كثر معدن الحديد بطليطلـة (2)، وفي موضع آخر يسمى أوربـة(3) بين مدينتي دانيـة(4) وشاطبــة(5) تنتشر مناجم الحديـد(6)، وكـذلك في جبل طنطته(7) يوجد بأسفله معدن حديد جيد(8)، وفي قسطلية حاضرة ألبيرة وفي أعمالها معادن الحديد(9)، وفي دلاية(10) نوعاً من الحديد الجيد(11)،

---

(1) الجغرافية، ص 89؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 210؛ مؤنس: المرجع السابق، ص 385.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 552؛ الحميري: نفسه، ص 133.

(3) أوربة: مدينة بالأندلس تقع بين مدينتي دانية وشـاطبة، وعلى مسـافة 17 كم تقريباً من دانية؛ المراكشـي: المعجب، ص 293.

(4) دانية: مدينة بالأندلس من أعمال بلنسـية على سـاحل البحر شـرقاً، وعليها سـور حصـين، وبها كثير من أشجار التين والكروم، وبها دار لإنشاء السفن، ويخرج منها الأسطول للغزو؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 557؛ البغدادي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 510.

(5) شاطبة: مدينة بالأندلس حسنة البناء، ولها قصاب يضرب بها المثل في الحسن والمنعة، ويعمل بها الكاغد (الورق) الذي لا نظير له في معمورة الأرض ويعم المشارق والمغارب؛ الإدريسي: نفسه، مجــــ 2، ص 556.

(6) المراكشـي: المعجب، ص 293؛ أنظر ايضـاً أبو مصـطفى: نفسـه، ص 210؛ حركات: نفسـه، ص 50؛ موسى: المرجع السابق، ص 246.

(7) جبل طنطته: وهو جبل كبير ممتد من الشرق إلى الغرب بنحو 9 كم تقريباً، وفي شماله عيون تنحدر منه ينبت فيها حشـــيش كثير يرتاده البرابر والعربان، وتقع الحرب عليه، وفي أســـفله معدن حديد جيد؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 61.

(8) ابن سعيد: الجغرافيا، ص 127.

(9) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 98.

(10) دلاية: مدينة أندلســية تقع إلى الغرب من مدينة المرية في جنوب ســفح جبل غدر على مقربة من البحر المتوسط؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 2، ص 531؛ الحميري: الروض المعطار، ص 77.

(11) مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 567؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 121.

كما وجد الحديد في كورة غرناطة(1)، وتعد مدينة كورة ألبيرة في أعمالها معدن الحديد المتميز(2)، كذلك في معدن عوام(3) قرب نهر الرقراق(4).

كما تنتج مليلة(5) كمية من هذا المعدن(6)، وكذلك منطقة جزولة(7) عدة مناجم للحديد(8)، وفيما بين مدينة سبتة ووهران قرب ساحل البحر يسمى تمسامان(9) يوجد فيه معدن الحديد بغزارة(10).

---

(1) الحميري: المصدر السابق، ص 24؛ أنظر ايضاً العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـــ 2، ص 59؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 74.

(2) البغدادي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 111ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ القزويني: أثار البلاد، ص 337؛؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، مجـــ 1، ص 98؛ ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 18؛ الحميري: نفسه، ص 24؛ أنظر أيضاً مؤنس: المرجع السابق، ص 560؛ ابو مصطفى: المرجع السابق، ص 209؛ سامية مسعد: نفسه، ص 121.

(3) معدن عوام: يقع شـمال شـرق مدينة قرطبة، بناها الخليفة عبد المؤمن بن علي على ضـفة نهر الرقراق، لأنه قد لاحظ أن منجم الحديد يقع في هذا الموضـــع، وكان الناس يترددون عليه بكثرة، ويقع على مقدار 15 كم من الأطلس؛ الوزان: وصف إفريقيا، ص 209 – 210؛ أنظر أيضاً مؤنس: نفسه، ص 489.

(4) الوزان: المصدر السابق، ص 209 – 210؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـــ 5، ص 103 – 104.

(5) مليلة: مدينة بالمغرب وتقع بالقرب من مدينة سـبتة على سـاحل البحر، وهي مدينة مسـورة بسـور من الحجارة، وداخلها قصبة مانعة، فيها مسجد جامع وحمام وأسواق؛ البكري: المغرب، ص 88؛ البغدادي: نفسه، مجـ 3، ص 1311.

(6) الوزان: نفسه، ص 344؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 104.

(7) جزولة: مدينة بالمغرب، ويسمى بانكسيت وهو جبل أوراس، ويسكنه قبائل لواته؛ مجهول: الاستبصـار، ص 163.

(8) الوزان: نفسه، ص 156.

(9) تمســـامان: مدينة بالمغرب، بينها وبين مدينة نكور 30 كم تقريباً، تقابل مدينة طونيانة من بر الأندلس، وعلى يديه أسلم بربرها وهم صنهاجة وغمارة، ثم ارتد أكثرهم لما ثقلت عليهم شرايع الإسلام؛ البكري: المصدر السابق، ص 90 – 91.

(10) المراكشـي: المصـدر السـابق، ص 292؛ أنظر أيضـاً موسـى: المرجع السـابق، ص 248 – 249؛ نشاط: إطلالات على تاريخ المغرب، ص 78.

وأول طريق من تامدلت أودغست يوجد في جبل أرزو(1) معدن الحديد(2)،وفي وابسنتار على ساحل البحر بين مدينتي سلا ومراكش، توجد معادن الحديد(3)، كما اشتهرت مدينة نول بتصنيعه(4).

كما اشتهرت العديد من المدن المغربية بغناها بمعدن الحديد، وأهمها مدينة مجانة التي يتوافر بها معدن الحديد(5)، ومدينة بجاية التي بها معدن الحديد الطيب(6)،

---

(1) جبل أزرو: جبل كبير فيه ثلاثة قلاع مسورة، وهو منبع نهر مدينة سجلماسة الكثير الحيات من عيونه، وتنقسم من سجلماسة قسمين ثم يعود القسمان ويتصلان في شرقيها وغربيها، ويتصل بها جبال صنهاجة؛ البكري: المغرب، ص 70؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 124.

(2) البكري: المصدر السابق، ص 700؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 63، 97؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 248.

(3) المراكشي: المعجب، ص 292 – 293؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 248 – 249.

(4) البكري: نفسه، ص 172.

(5) اليعقوبي: البلدان، ص 135؛ ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص 349؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 56؛ العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 59؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 84، 254.

(6) مقديش (محمود): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1988 م، جـ 1، ص 93؛ أنظر أيضاً الهادي إدريس: المرجع السابق، جـ 2، ص 108، 146؛ موسى: نفسه، ص 245؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2003 م، جـ 4، ص 284؛ برنشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، جـ 2، ص 240.

كما يستخرج من جبال كتامة(1) معدن الحديد(2)، وكذلك من منطقة واقعة بالقرب من بونة(3)، وكذلك جبل يدوغ (أدوغ) الغني بهذا المعدن(4)، والأربس(5) التي تميزت بكثرة مناجمها خاصة مناجم الحديد(6)، وكذلك مدينة درعة الغنية بمعدن الحديد(7). ولأهمية معدن الحديد دخل في العديد من الصناعات، وأهمها آلات الحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة، وغيرها من الآلات التي تستخدم لتجهيز العروس، كما دخلت في صناعة الأسلحة التي كانت تصدر إلى إفريقية والمغرب(8).

(1) جبال كتامة: جبال وعرة تتكون من جبال سطيف وجيجل وميلة الشهير، وهي مواطن لقبيلة كتامة البربرية البرنسية التي تعتبر واحدة من أكبر قبائل المغرب الأدنى، حيث تمتد عمارتها إلى أن تتجاوز أرض القل وبونة من المغرب، وهو كثير؛ مجهول: الاستبصار، ص 128.
(2) البكري: نفسه، ص 33؛ السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1983 م، ص 56؛ أنظر أيضاً العبادي: المرجع السابق، مجـ 2، ص 59؛ حركات: المرجع السابق، ص 55؛ الهادي إدريس: المرجع السابق، جـ 2، ص 104.
(3) بونة: من عمل إفريقية، تقع على البحر وليست كبيرة المساحة، وبها أسواق حسنة وتجارات، بها فواكه وبساتين ويزرع بها الكتان؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص 77؛ ابن بشكوال: الصلة، القسم 2، ص 398.
(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 291؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 106؛ مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 124؛ أنظر أيضاً حركات: نفسه، ص 56؛ موسى: نفسه، ص 245.
(5) الأربس: تقع إلى الغرب من القيروان بحوالي 100 كم، وأكثر علتها الزعفران، وتعرف ببلد العنبر؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 144، هامش (7).
(6) الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 292؛ مقديش: نفسه، جـ 1، ص 125؛ أنظر أيضاً العبادي: نفسه، جـ2، ص 59؛ الهادي إدريس: نفسه، جـ 2، ص 78؛ برنشفيك: المرجع السابق، جـ 2، ص 240.
(7) العربي: المغرب، ص 134.
(8) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 562؛ الحميري: الروض المعطار، ص 184؛ المقري: نفح الطيب، مجـ 1، ص 141؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 159؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 89، 166، 171؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 64، 217 – 218؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 286؛ حسن: قيام دولة المرابطين، ص 350، 355؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 278 - 279.

والتي اشتهرت بصناعتها كل من مدينة المرية وكذلك مدينة مالقة، أما الأولى فقد تميزت بغناها بمعدن الحديد وخاصة في العصر المرابطي(1)، والثانية تعتبر من أهم المدن صناعة لهذا المعدن(2).

كذلك تعتبر مدينة مرسية من أهم المدن صناعة للصناعات المعتمدة على معدن الحديد(3).

كما دخل الحديد في صناعة القيود(4) والأبواب ومقابضها والحصون(5)وفي صناعة شباك الصيد لصيد الأسود(6)، ودخل الحديد أيضاً في العديد من الصناعات ومنها صناعة المسامير وصفائح الخزائن(7)، وصناعة الصنج(8)، وكفات الميزان(9).

---

(1) المقري: المصدر السابق، مجـ 1، ص 141.

(2) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 234؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 219؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 121؛ بالباس: المدن الإسبانية، ص 136؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 250؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 181.

(3) المقري: نفسه، مجـ 1، ص 168؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 250؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيون، ص 485؛ أبو الفضل: المرجع السابق، ص 278.

(4) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 78، هامش (166)، ص 79.

(5) ابن القطان: نظم الجمان، ص 224.

(6) مجهول: الحلل الموشية، ص 149؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 432.

(7) ابن عبدون: الحسبة، ص 36.

(8) السقطي: الحسبة، ص 30؛ ابن عبد الرؤوف: الحسبة، ص 106.

(9) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص 107.

اشتهرت العديد من المدن المغربية بصناعات الحديد مثل أغمات وريكة وكانوا يصدرون إلى بلاد السودان آلات الحديد المصنوع(1) والمغرب يصدره إلى مصر(2)، كما دخل الحديد في صناعة أغمدة السيوف والسكاكين، ويصنع منه أيضاً حدوات الخيل(3)، وكثر الصناع وخاصة الحدادين في العصر المرابطي(4)، بالإضافة إلى أنه يدخل في بناء السفن وعمل المراسي والخطاطيف(5).

كما صدرت مدينة سجلماسة إلى بلاد السودان المنتجات الحديدية التي تصلها من مدينة تادلا التي كان يسكنها اليهود(6)، والمغرب الأقصى وغيره من البلدان يصدر آلات الحديد المصنوع إلى غانة(7)، ويتضح لنا مدى ثراء دول المغرب بمعدن الحديد، والدليل على ذلك أن مدينة فاس في أواخر العصر الموحدي كان بها اثنى عشر داراً لتسبيك الحديد(8)، كما دخل الحديد في صناعة الفؤوس والمحاريث والسلاسل(9)

(1) مقديش: المصدر السابق، مجـــ 1، ص 60؛ أنظر أيضاً المنوني: حضارة الموحدين، ص 55؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 101.
(2) حسن: المرجع السابق، ص 290.
(3) بوتشيش: التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 171.
(4) الوزان: وصف أفريقيا، ص 176.
(5) العبادي وسالم: البحرية، جـ 2، ص 57.
(6) بشير: اليهود في المغرب العربي، ص 102.
(7) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 344؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 160.
(8) الجزنائي: زهرة الآس، ص 80؛ أنظر أيضـــاً حســـن: قيام دولة المرابطين، ص 355؛ ســـالم: تاريخ المغرب الكبير، ص 523؛ الحريري: تـاريخ المغرب الإســـلامي والأنـدلس في العصـــر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1985 م، ص 284.
(9) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 185.

، وكذلك مدينة مكناسة الزيتون التي كان بها فندق أطلق عليه فندق الصناعة لاعتمار السكاكين به، ويقع هذا الفندق قرب درب القرسطون(1)، وكذلك تفسرة(2) التي بها العديد من الحدادين، نظراً لوجود العديد من مناجم الحديد قرب هذه المدينة، فلا يوجد لديهم عمل سوى تصنيع الحديد ونقله إلى مدينة تلمسان(3).

اشتهرت أيضاً مدينة يتدسي بالسوس بالكثير من الصناع اليهود، خاصة الحدادين الذين يقومون بتصنيع الحديد وتشكيله(4)، فالحداده من أهم الحرف التي زاولها اليهود في بلاد المغرب، خاصة في جنوبي المغرب الأقصى، حين ظلوا يحترفونها حتى أواخر العصور الوسطى(5)، وترنست مدينة من حاحة بها كثير من الحدادين(6).

---

(1) المنوني: أبحاث مختارة، وزارة الشؤون الثقافية، دار المناهل، 2000 م، ص 44.
(2) تفسره: بلد صغير في سهل يبعد عن تلمسان حوالي 27 كم؛ الوزان: المصدر السابق، ص 395.
(3) الوزان: نفسه، ص 395.
(4) نفسه، ص 131.
(5) بشير: المرجع السابق، ص 95.
(6) الوزان: نفسه، ص 110.

4- النحاس:

وعن معدن النحاس وجدت مناجم النحاس في أنحاء متفرقة من الأندلس(1)، ولكنها قليلة العدد عن غيرها من المعادن الأخرى، فتركزت مناجم النحاس خاصة في شمال الأندلس الذي كثر بها الصفر (أكسيد الكوبالت) الذي يكاد يشبه الذهب(2)، وفي جبل الشارات(3)، كما تقدمت مدينة المرية في صناعة آلات النحاس خاصة في العصر المرابطي، لذا كانت تصدره إلى أفريقية والمغرب وغيرها آلات الصفر(4)، وبكورة غرناطة موضع يسمى المعدن (AlmDEN) تقع بالقرب من منطقة البسيط(5)،

---

(1) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 130؛ الحميري: الروض المعطار، ص 1؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 2، ص 129؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 210؛ بالباس: المدن الإسبانية الإسلامية، ص 122.

(2) المقري: المصدر السابق، جـــ 1، ص 167؛ أنظر أيضاً مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 210.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص 132؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 210.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 562؛ الحميري: نفسه، ص 184؛ المقري: نفسه، جـــ 1، ص 141؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 159؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 89، 166، 171؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 64؛ العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـــ 2، ص 59؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 121؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 293؛ حسن: قيام دولة المرابطين، ص 350، 355؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 237.

(5) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 83؛ الحميري: نفسه، ص 24؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 210.

ويحصل منه على الصفر، وهذا الصفر عبارة عن سبيكة أو خليط معدني من النحاس أو الزنك والبرونز، كما أن مناجم الصفر والزنك لا تزال تستخدم حتى الآن هذا الموضع المعروف باسم ريوبار (Reopar) بمنطقة البسيط(1)، وهو النحاس الأصفر الجيد الذي يتوفر في كورة غرناطة(2)، مثل ألبيرة(3)، كما اشتهرت مدينة مالقة أيضاً بصناعة النحاس وآلات الصفر(4).

كما تميزت مدينة مرسية بصناعة آلات الصفر، فكانت أكثر مدن الأندلس انتاجاً، ومنها تصدر هذه الصناعة إلى البلاد الشرقية والغربية وبلاد أفريقية(5)، كما وجد النحاس أيضاً بمدينة طليطلة في جبالها(6).

كما عرفت بلاد المغرب بثرواتها من معدن النحاس، الذي وجد في أكثر من موضع، بسبب وفرة هذا المعدن وثراء بلاد المغرب به(7)، خاصة في العصر المرابطي الذي شهد بداية استثمار الثروات المعدنية في المغربية واستخراج النحاس(8)

---

(1) أبو مصطفى: نفسه، ص 211.
(2) القزويني: أثار البلاد، ص 337 – 338؛ الحميري: نفسه، ص 24؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 210، 215؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 74، 121؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 50.
(3) البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 111؛ ابن غالب: المصدر السابق، ص 283؛ الحميري: نفسه، ص 24؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 121.
(4) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 250.
(5) المقري: نفسه، مجـ 1، ص 168؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 250؛ أبو الفضل: المرجع السابق، ص 278 - 279.
(6) الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 552؛ الحميري: نفسه، ص 133.
(7) ابن منصور: قبائل المغرب، جـ 1، ص 15 – 16؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 208.
(8) مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 60؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 248.

، فتوجد علاقات تجارية بين المغرب الأقصى ومنطقة جنوب الصحراء، فالتجار يستوردون الذهب وغيرها من غانة ويصدرون النحاس المسبوك(1).

ومن أهم هذه المدن مدينة أغمات، حيث أشار إليها مقديش الصفاقسيفي حديثه عن أنواع السلع التي يحملها تجار أغمات إلى السودان، ومن اهمها معدن النحاس وذلك في قوله "…. وأهل هذه المدينة (أي أغمات وريكة) تجار مياسر يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من أنواع النحاس"(2) ، خاصة النحاس الأحمر والملون الذي كان يصنع بمدينة أغمات(3).

ومن هذه المدن مدينة سجلماسة التي كانت تصدر النحاس المصنوع لتعود بالتبر إلى بلاد السودان(4)، وتواجد النحاس أيضاً في تبنودادن فيما بين مدينتي سجلماسة ودرعة(5)، وفي مدينة تيسنت التي كانت عاصمة لإقليم درعة، وتصدر النحاس خاصة النحاس الأحمر والأصفر(6)

---

(1) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 344؛ بوتشيش: مباحث في تاريخ المغرب والأندلس، ص 160

(2) حسن: المرجع السابق، ص 273، 282؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 55.

(3) مقديش: المصدر السابق، جـــ 1، ص 60؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـــ 5، ص 103؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 101؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 287؛ المنوني: المرجع السابق، ص 55؛ حسن: نفسه، ص 282.

(4) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 211؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 164؛ أنظر ايضـاً الجنحاني: المغرب الإســلامي، ص 25؛ صـبحي إدريس: تاريخ مدينة سـجلماسـة، ص 250؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 53.

(5) البكري: المغرب، ص 156؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 55.

(6) كرنجال (مارمول): أفريقية، ترجمة: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للترجمة والتأليف والنشر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984 م، جـ 3، ص 147.

، وأهم صادرات سجلماسة نحو بلاد السودان خاصة أودغست، ويتجهز إلى أودغست بالنحاس المصنوع(1)، خاصة النحاس الأحمر الذي تصدره بلاد المغرب إلى بلاد السودان(2)، وبالقربمن سجلماسة موضع في الطريق بين أغمات وسجلماسة يسمى تيجامين يوجد به معدن النحاس(3).

كما استثمرت معادن النحاس في السوس(4) خااصة في السوسالأدنى(5)، الذي اشتهر بالنحاس الأصفر، كما في مدينة فاس التي برعت في الصناعات النحاسية(6)، وذلك لأنها قصبة بلاد المغرب والمشرق والأندلس، ومنها يحمل النحاس إلى جميع الآفاق، وكانت لها اليد الطولى في صناعات المخروطات من النحاس وتسبيكه، لذا كان بها اثنى عشر داراً لسبك النحاس في عصري المرابطين والموحدين(7).

(1) البكري: المصدر السابق، ص 159؛ أنظر أيضاً الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، ص 161؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 3، ص 515؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 27.

(2) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 210.

(3) البكري: المغرب، ص 152؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 55؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 248.

(4) الزهري: الجغرافية، ص 117؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 97.

(5) المراكشي: المعجب، ص 293؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 248.

(6) الوزان: وصف أفريقيا، ص 239؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 185؛ ابن تاويت: الوافي بالأدب، جـ 1، ص 293.

(7) مجهول: الاستبصار، ص 183؛ العمري: مسالك الأبصار، ص 183؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص 80؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 157؛ أنظر أيضاً السبتي: المرجع السابق، ص 105؛ المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، الدار البيضاء، 2000 م، ص 555؛ سالم: المغرب الكبير، ص 523؛ السبتي: المرجع السابق، ص 105؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 170 – 171؛ موسى: المرجع السابق، ص 250 – 251؛ بشير: اليهود في المغرب العربي، ص 95؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، ص 185؛ حسن: قيام دولة المرابطين، ص 355؛ الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 284.

ومناجم النحاس ليست ببعيدة من ايجلي(1) السوسية، التي كان يسبك فيها على سفوح جبال أطلس (درن)، فكانت تقوم بتصديره إلى بلاد السودان خاصة في عصر الموحدين(2)، وبفاس باعة للأواني النحاسية المصنوعة من النحاس الأصفر(3)، كذلك وجد معدن النحاس بوادي سبو الذي يضاهي الذهب في لونه، لذا كان يجهز بمصوغاته إلى بلاد السودان والمشرق وجميع الآفاق(4).

ومن أهم صادرات المغرب الأقصى إلى تكرور النحاس(5)، كما شغلت بلاد كتامة حيزاً كبير اص من المغرب الأوسط سوقاً، وأقيمت عدة موانئ من كتامة حول معدن النحاس الذي كانت تصدره إلى بلاد إفريقية ومناطق أخرى(6).

---

(1) مدينة ايجلي: مدينة بالمغرب وهي قاعدة بلاد السوس، وهي مدينة كثيرة البساتين والتمر، بها جميع الفواكه، وتتميز بكثر قصب السكر وكثرة معاصرها، وهي تعتبر أيضاً غنية بالمعادن خاصة معدن النحاس، ويعمل بها زيت الهرجان ويكثر بها العسل؛ مجهول: المصدر السابق، ص 212.

(2) البكري: المصدر السابق، ص 162؛ مجهول: نفسه، ص 55؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 3، ص 515، جـ 4، ص 97؛ حركات: المرجع السابق، ص 55؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 185 – 186؛ موسى: نفسه، ص 215.

(3) الوزان: المصدر السابق، ص 239.

(4) مجهول: نفسه، ص 183؛ عبد الحميد: نفسه، جـ 5، ص 103.

(5) الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 25.

(6) البكري: المغرب، ص 33؛ أنظر أيضاً العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 59؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 55؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 104.

كما وجد بالقرب من جبل صفرو(1) معدن النحاس(2)، وبمدينة داي(3) التي تزهو بمناجمها من النحاس الخالص الذي لا يوجد له مثيل في مشارق الأرض ومغاربها، فهو نحاس جيد اللون الأبيض، ويتحمل التزويج، كما أنه يدخل إلى لحام معدن الفضة، وإذا طرق عليه جاد ولم ينشرح مثل أنواع النحاس الأخرى، ولذا فإنه يستخدم في كثير من الصناعات، ومن الراجح أن الأمر يتعلق بمعدن آخر كالألمونيوم، ومن الشائع الاستعمال الأن فكأنه النحاس الأبيض(4)، كما دخل النحاس في العديد من الصناعات مثل صناعة الأدوات المنزلية التي عرفها المغرب الأقصى، ومثل صناعة الأواني والكيزان من الصناعات التي اشتهرت بها مدينة مكناسة الزيتون، التي بلغت شهرة عالية في هذه الصناعة من النحاس(5)، كما اشتهر الموالي (اليهود) بصنع القدور للطبخ وبيعها(6).

---

(1) صفرو: مدينة بالمغرب الأقصى تقع جنوب مدينة فاس بحوالي 30 كم تقريباً، وعليها سور كبير محيط بالمدينة أو بها العديد من القرى والعمائر المتصلة، إلا أنها صغيرة الحجم، وأكثر أهلها فلاحين يعتمدون على زراعة الفواكه واللوز الذي كان ينقل إلى مدينة فاس؛ مجهول: الاستبصار، ص 193.

(2) ابن منصور: قبائل المغرب، جـ 1، ص 79.

(3) مدينة داي: مدينة بالمغرب بينها وبين مدينة تادلة مرحلة، وهي تقع في أسفل جبل درن، وهذا المعدن ينسبه العوام إلى السوس، ومن هناك يحمل هذا المعدن إلى سائر البلاد، ويتصرف به في كثير من الأعمال؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 69.

(4) مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 69؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 103، العبادي: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 63؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 186؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 248.

(5) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين الخطيب، ص 109؛ معيار الاختيار، ص 165، 180؛ المقري: نفح الطيب، جـ 8، ص 357.

(6) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 24 – 25؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 284.

وقد استخدم أهل الأندلس القدور في تسخين المياة(1)، فقد عمل أهل الذمة خاصة اليهود في صناعة النحاس(2)، ويبدو أن انتاج النحاس وتصنيعه كان منتشراً في جميع المدن التجارية الصناعية، خاصة في مدن المغرب الأقصى التي يسكنها اليهود لعلاقته بالتجارة مع بلاد السودان، حيث كانت الصناعات النحاسية من أهم الصادرات المغربية إليها(3)

أما مدينة مراكش فقد حوت الكثير من مناجم النحاس(4)، فانتشر حرفيي هذه الصنعة وأخذوا في تشكيلها وتطويرها خاصة صناعة الأواني النحاسية(5)، وعلى غرار مدينة سبتة التي جملت صناعة الشمعدانات والصحاف والمحابر والأشياء الأخرى(6)، فضلاً عن سوق السقاطين التي كان بها محصص لبيع أواني الصفر(7)، وانتظمت الأسواق بالمدن المغربية، حيث انفردت كل صناعة بناحية معينة من السوق، مثل سوق النخاسين(8)،

(1) دندش: المرجع السابق، ص 323.
(2) موسى: المرجع السابق، ص 110؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 221.
(3) دندش: نفسه، ص 208؛ بشير: اليهود في المغرب العربي، ص 95.
(4) الزهري: الجغرافية، ص 116.
(5) حسنين: جغرافية الدول الإسلامية، ص 345.
(6) السبتي: اختصار الأخبار، ص 73؛ أنظر أيضاً الشريف: سبتة الإسلامية، ص 46.
(7) السبتي: المصدر السابق، ص 36؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 128؛ الشريف: المرجع السابق، ص 46.
(8) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 273.

وهذا وقد كثرت مناجم النحاس أيضاً في منطقة جزولة، مما جعلهم يقايضون لجودة صناعتهم من هذا المعدن إلى مختلف الأنحاء سواء أكان بالأقمشة أو الخيول أو ما يحتاجونه من ضروريات المعيشة(1)، ويوصف نحاس بني ملال بأنه لا يعدله شئ أفضل منه(2)، وكذلك مرسى سبيبة(3) التي امتارزت بنحاسها(4)، كما اقتدت مدينة تلمسان بالأندلسيين في مختلف الصناعات خاصة صناعة النحاس(5).

كما دخل النحاس في العديد من الصناعات مثل الكفات الخاصة بالموازين والتي كانت تصنع من النحاس(6)، وأيضاً في صناعة الأكيال النحاسية(7)، كما استخدم أيضاً النحاس الأحمر في صناعة أدوات الطبيخ خاصة في المدن في صناعة القدور والطاسات والمراجل(8) والأباريق والصواني وغيرها من الأدوات المنزلية، بالإضافة إلى استخدام رقائقه في تغشية أبواب المساجد والقصور(9).

---

(1) الوزان: وصف أفريقيا، ص 156.
(2) حركات: المرجع السابق، ص 55.
(3) سـبيبة: مدينة بالمغرب تقع بالقرب من مدينة القيروان، وهي مدينة قديمة ذات أنهار وعليها أرحاء، وبها قرى عامرة، وزراعات؛ مجهول: الاستبصار، ص 129، 161.
(4) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 3، ص 414.
(5) حاجيات (عبد الحميد): أبو حمود الزياني (حياته وأثاره)، الشـركة الوطنية للنشـر والتوزيع، ذخائر المغرب العربي، 1974 م، ص 58.
(6) ابن عبد الرؤوف: الحسبة، ص 107.
(7) السقطي: الحسبة، ص 28.
(8) بشير: اليهود في المغرب العربي، ص 95؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 112.
(9) عفيفي: الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، ص 185.

والغالب أنه كان يطلق على صائغ الأواني والأدوات المعدنية التي كانت من النحاس غالباً لقب الصفار(1)، كما استخدم أهل الأندلس الصفر في كسوة الأواني الفخارية والخزفية ببريق معدني أزرق اللون(2)، كما كانت التوتيا تستخدم في صبغ النحاس الأحمر فيصبح لونه أصفر، واشتهرت مدينة تارودانت(3) بتذويب النحاس(4)، ولازدهار صناعة النحاس في بلاد المغرب والأندلس لجأ الأمير 'علي بن يوسف بن تاشفين' (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م) لفرض قبالات على معدن النحاس(5).

(1) الصفار: أصبح مصطلح الصفار في المغرب يتصرف إلى صائغ النحاس وسوق الصفارين في المغرب يشبه سوق النحاسين في مصر؛ المجليدي: التيسير في أحكام التسعير، ص 95.
(2) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 215.
(3) تارودانت: إحدى مدن المغرب بالسوس الأقصى، وهي أكثر بلاد الله قصب سكر وفيها معاصر كثيرة، ومنها يجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وأفريقية، وأكثرها فواكه وخيرات؛ مجهول: الاستبصار، ص 212.
(4) ابن العربي: المغرب، ص 93.
(5) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، جـ 4، ص 421.

5- الرصاص:

أوضح لنا الجغرافيون المسلمون أماكن وجود معدن الرصاص في أماكن متفرقة في بلاد الأندلس(1)، ومن أهمها دلاية(2)، من أعمال مدينة المرية التي اشتهرت بصناعة الرصاص خاصة في العصر المرابطي(3)، وكذلك برجة التي حوت العديد من مناجم الرصاص(4)، وكذلك غرناطة مدينة كورة ألبيرة وفي أعمالها وجد معدن الرصاص الجيد(5)، وكذلك وجد الرصاص في ساحل مرسية(6) وساحل تدمير(7).

وعن المغرب فقد تميزت التربة المغربية بغناها بمعدن الرصاص(8).

---

(1) ابن حوقل: صـــورة الأرض، ص 109؛ ابن الكردبوس: تـاريخ الأنـدلس، ص 130؛ القزويني: أثـار البلاد، ص 338؛ الحميري: الروض المعطار، ص 1؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 129؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 211؛ بالباس: المدن الإسبانية، ص 122.
(2) المراكشي: المعجب، ص 293؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 211.
(3) سـامية مسـعد: الحياة الاقتصـادية والاجتماعية، ص 121؛ سـالم: تاريخ مدينة المرية، ص 89؛ موسـى: النشاط الاقتصادي، ص 246.
(4) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، جـــ 2، ص 228؛ المقري: المصدر السابق، جـــ 1، ص 133؛ أنظر أيضاً سالم: المرجع السابق، ص 166؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 211.
(5) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ ابن الخطيب: الإحاطة، مجـــ 1، ص 98؛ اللمحة البدرية، ص 18؛ الحميري: المصـدر السـابق، ص 24؛ أنظر أيضـاً سـامية مسـعد: المرجع السـابق، ص 121؛ أبو مصـــطفى: نفســـه، ص 211؛ مؤنس: الجغرافيـة والجغرافيين، ص 560؛ حركـات: النشـــاط الاقتصادي، ص 50.
(6) ابن العذري: ترصيع الأخبار، ص 2؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 211.
(7) ابن العذري: المصدر السابق، ص 2؛ أنظر أيضاً أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 42، 273.
(8) ابن منصور: قبائل العرب، جـ 1، ص 15 – 16.

ومن أهم المدن المغربية الغنية بهذا المعدن مدينة مجانة التي حوت العديد من الصناع الذين يقومون على استخراج هذا المعدن وتنقيته، كما وجد بها المرتك وهو أول أوكسيد الرصاص(1)، هذا بالإضافة إلى جبل عوام الذي اشتهر بكثرة معادنه ومنها معدن الرصاص(2)، كما أن الرصاص والكحل كانا يستخرجان من إقليم سجلماسة ويحملان إلى مدينة فاس(3).

وازدهرت صناعة الرصاص ببلاد إفريقية، لذا كانت تقوم على تصديره(4)، وبها جبل يطلق عليه جبل الرصاص، يقع على بعد حوالي 30 كم تقريباً جنوب شرق مدينة تونس(5).

وفي عاصمة إقليم درعة (تينست) معدن الرصاص، مما ادى إلى إزدهار المدنية اقتصادياً(6)، وأيضاً مدينة القصر(7) كان بها منجماً للرصاص يستغله الأهالي باستخراجه ثم يصفونه من الكبريت ويصنعون منه الكحل الذي يبيعونه بمدينة فاس،

---

(1) اليعقوبي: البلدان، ص 135؛ ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص 349؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 3، ص 1230؛ أنظر أيضاً الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 84.

(2) ابن العربي: المغرب، ص 116.

(3) نشاط: أطلالات على تاريخ المغرب، ص 78.

(4) برنشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، جـ 2، ص 460.

(5) نفسه، جـ 2، ص 240.

(6) كربخال: أفريقيا، جـ 3، ص 147.

(7) مدينة القصر: مدينة صغيرة بناها برابر قديماً في الصحراء المسماة نوميديا جنوب الأطلس الكبير، والتي تبعد عنها ستة فراسخ؛ كربخال: المرجع السابق، جـ 3، ص 161.

لأنه يعد موردهم الوحيد لسد احتياجاتهم(1)، وعن أهم الصناعات التي قامت على معدن الرصاص فقد استخدم في صناعة الموازين، وأحياناً كان يصبفي أقراص الأعمدة الضخمة لتتماسك فيما بينها(2)، كما استخدم أيضاً في عمل أنابيب توصيل المياه إلى قصور الخلفاء والأمراء والخاصة(3)، وغالباً ما كان يستخرج أيضاً معدنين الرصاص والفضة من منجم واحد، بمعنى أن العروق المعدنية للفضة كانت تحوي معها معدن الرصاص أيضاً(4)، كما تمكن الصناع المستخرجين له من فصل معدن الفضة عن الرصاص إما بالصهر أو بإجراء بعض الغسولات المتتالية، منها المياة الحارة المعدنية أو بالخلول (الأحماض)(5)، فاشتهرت مدينة تارودانت بتذويب الرصاص(6).

(1) الوزان: وصف أفريقيا، ص 657؛ أنظر أيضاً كربخال: نفسه، جـ 3، ص 161.
(2) السقطي: الحسبة، ص 30؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 211 – 212؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 186.
(3) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 211، 266؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 186؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 181؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: السيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1976 م، ص 29 – 30.
(4) أبو مصطفى: نفسه، ص 211.
(5) ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 49 – 51؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 211.
(6) ابن العربي: المرجع السابق، ص 93.

6- القصدير:

وجد معدن القصدير بالأندلس، ولكنه لم يوجد إلا في منطقة واحدة، ويبدو أن الأندلس(1) كانت فقيرة في انتاج هذا المعدن، ولم يوجد إلا في اشكونية (اكشونبة)(2)، ولا مثيل له ويشبه الفضة(3)، وعن استخداماته أنه يستخدم في طلاء النحاس لتغطية الصدأ، ويدخل في صناعة الصفيح وهو الحديد المطلي بالقصدير(4)، كما أنه استخدم على بعض الأبواب، منها باب مدينة الزهراء والذي كان من الحديد المطلي بالقصدير، كما يستخدم في تغشية السقوف، وبذلك يعتبر القصدير من المواد الأساسية في أعمال البناء والتشييد(5).

---

(1) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 129.

(2) أكشـــونبة: مدينة بالأندلس من اعمال إقليم شـــلب في غرب الأندلس، وجنوب كورة باجة وغرب كورة إشـبيلية، وتضـم حصـوناً كثيرة ومدناً أكبرها شـلب، وكانت كورة بحرية اشـتهرت بصـناعة بناء السـفن، وأكبرها في قاعدتها شلب؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ 2، ص 203، هامش (3)

(3) المقري: المصـدر السـابق، جـــ 1، ص 128؛ أنظر أيضـاً أبو مصـطفى: تاريخ الأندلس الاقتصـادي، ص 212.

(4) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 212.

(5) عفيفي: الحضارة الأسلامية في بلاد المغرب، ص 186.

7- الزئبق والزنجفور(1):

اشتهرت مناجم الأندلس بكثرة مناجم الزئبق والزنجفور، ولأهميته كان يطلب في مختلف انحاء العالم الإسلامي والمسيحي(2)، وأهم مناجمه توجد حول مدينة قرطبة خاصة في شمالها في حصن أبال، وكان يعمل بهذا المنجم أكثر من ألف عامل، فكانت مجموعة من هؤلاء العاملين تقوم بنزول المنجم وقطع الحجر، وتقوم مجموعة أخرى بنقل الحطب، ويقوم آخرون بعمل أواني سبك الزئبق وتصعيده، ومجموعة أخرى تقوم بمراقبة الأفران والحرق، وهذا ما أكده الإدريسي بقوله ".... وهو الحصن (أي حصن أبال) الذي به الزيبق ومنه يتجهز الزيبق والزنجفر إلى جميع أقطار الأرض"(3).

(1) الزنجفر أو الزنجفور: والاســـم العلمي له ســـلفيدات أو كبريتور (كبريتات) الزئبق الأحمر، وهو من الأصــباغ ذات اللون الأحمر، ولهذا سـمي بالأحمر الطبيعي؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 289؛ أنظر أيضــاً أبو مصــطفى: نفســه، ص 212، هامش (4)؛ مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص 544، هامش (1).

(2) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 130؛ الحميري: الروض المعطار، ص 1؛ المقري: نفسه، جـــ 1، ص 129؛ أنظر أيضاً بالباس: المدن الإسبانية، ص 122.

(3) نزهة المشتاق، مجـــ 581؛ الحميري: المصدر السابق، ص 10؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 212؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 29؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 238؛ مؤنس: المرجع السابق، ص 543؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 181؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 278.

كما وجد أيضاً في جبال البرانس المسمى "بسيروامورينا" أي بمعنى الجبال السمراء قرب فحص البلوط إلى الشمال من قرطبة، ويذكرها الحميري بقوله ".... ومن هذا الفحص (يقصد فحص البلوط) جبل البرانس وفيه معدن الزئبق، من هناك يحمل إلى الآفاق"(1).

والزنجفر في البرانس لا نظير له،(2) نلاحظ تركز مناجم معدن الزئبق في قرطبة(3)، كما ازدهرت صناعته(4) في (حصن مسطاطة أو بسطاطة)(5) قرب أوريط(6) وبه مادة غزيرة ومنه توزع على مختلف الأنحاء(7)، وكذلك في بطروش(8) قرب قرطبة، ولا يوجد إلا في هذا الموضع خاصة، ومنه يجلب لجميع الأقطار(9)،

---

(1) البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـــ 1، ص 220؛ الحميري: الروض المعطار، ص 142؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 128؛ أنظر أيضـاً أبو مصـطفى: تاريخ الأندلس، ص 213؛ حركات: النشــاط الاقتصادي، ص 50.

(2) الزهري: الجغرافية، ص 87؛ البغدادي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 220؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 289؛ البغدادي: المصدر السابق، مجـــ 1، ص 220؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 213؛ حركات: المرجع السابق، ص 50.

(3) سالم: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 63؛ حركات: نفسه، ص 50.

(4) المقري: نفح الطيب، مجـ 2، ص 5؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 213.

(5) مسطاطة أو بسطاطة: تنسب إلى قبيلة من قبائل البربر، حيث كانت تسكن هذا الحصن خاصة في فحص البلوط الواقعة شمال قرطبة وسكانها معظمهم من البربر؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 213، هامش (3).

(6) وريط: مدينة بالأندلس من أعمال فحص البلوط، متصل بجبالها وأكثره معادن؛ البغدادي: نفسه، مجـــ 1، ص 131؛ الحميري: المصدر السابق، ص 33.

(7) ابن غالب: المصدر السابق، ص 289؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفيه، ص 213.

(8) بطروش: بلدة بالأندلس تقع بالقرب من قرطبة بما يقرب من 30 فرســـخاً، أي 135 كم تقريباً، وهي مدينة كثيرة العمارة ويحيط بجبالها شجر البلوط، وبطروش مدينة من أعمال دانية بالأندلس؛ الإدريسـي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 580؛ البغدادي: نفسه، مجـ 1، ص 204؛ الحميري: نفسه، ص 45.

(9) الزهري: المصـدر السـابق، ص 87؛ أنظر أيضـاً أبو مصـطفى: نفســه، ص 213؛ موســى: النشــاط الاقتصادي، ص 247.

ويذكر المراكشي "... وعلى أربع مراحل من مدينة قرطبة موضع يسمى شلون(1) فيه معدن زئبق يفترق على جميع المغرب"(2).

وفي جهة شنت ياقورة قاعدة الجلالقة على البحر المحيط، وفي جهة قرطبة معدن الزئبق(3)، وفي جبل أرزوا الغني بمعدن الزئبق(4)، ففي العصر الموحدي كانت الأندلس تقوم على تصدير الزئبق الموجود بها إلى المدن الأندلسية الأخرى الفقيرة بهذا المعدن(5)، كما كانت البلاد المشرقية تستورد الزئبق الأندلسي(6)، كما كانت الأندلس تصدر الزئبق إلى أفريقية والحبشة(7)، كما كان يحمل من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب المختلفة لاستعماله في صناعة الذهب(8)، كما نشطت بمدينة المعدن هذه الصناعة لما تحتوي عليه هذه المدينة من العديد من المناجم، لذا كانت تقوم على تصديره(9).

---

(1) شلون: موضع بالأندلس من نواحي مدينة سرقسطة؛ البغدادي: نفسه، مجـ 2، ص 810.
(2) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 293؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 285.
(3) المقري: نفسه، مجـ 1، ص 167؛ أنظر أيضاً مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489.
(4) البكري: المغرب، ص 70.
(5) كونستبل (أوليفيا): التجارة والتجار في الأندلس، تعريب: د/ فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض – المملكة العربية السعودية، 2000 م، ص 58.
(6) موسى: المرجع السابق، ص 323.
(7) الزهري: الجغرافية، ص 124.
(8) المراكشي: المعجب، ص 293؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 212؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 25؛ المجتمع العربي الإسلامي، ص 81.
(9) مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 544، هامش (1)؛ بالباس: المدن الإسبانية، ص 121.

8- الكبريت:

ينقسم معدن الكبريت إلى نوعين نوع أحمر والآخر لونه أصفر(1)، وتوجد مناجم كبريت في جبال البرانس(2)، والكبريت الأحمر يستخرج من منجم في بليارش(3)، ولا يوجد في الأرض سوى هذا المكان، ومنه يصدر إلى جميع الأقطار حتى العراق والشام واليمن(4).

كما يوجد أيضاً فيما بين برقة وطرابلس بالمغرب من حصن طلميته، ومنه تحمله المراكب إلى جميع الجهات المختلفة(5).

---

(1) القزويني: أثار البلاد، ص 338؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 213؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 50.

(2) المقري: المصدر السابق، جـــ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 213؛ حركات: المرجع السابق، ص 50.

(3) بليارش: مدينة تقع على مسافة 54 كم تقريباً من مدينة مرسية؛ الزهري: المصدر السابق، ص 99؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 214.

(4) الزهري: نفسه، ص 99؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 214؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 247.

(5) المراكشي: المعجب، ص 283؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 146؛ أنظر أيضاً السيد (محمود): تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004 م، ص 83.

9- الكحل (الأثمد)(1):

يعد الكحل من المعادن الهامة التي تدخل في صناعة العقاقير الطبية(2)، وتتركز مناجمه مما يلي جبل شلير(3) في الشمال من مدينة بسطة(4) جبال الكحل (الأثمد) ومنه يصدر إلى بلاد المغرب(5)، وتتميز مناجم الكحل بطرطوشة(6) بأنها في غاية الأهمية لأنها من نوع طيب وتمتاز بجودتها العالية، ولهذا كان كحلها الأصبهاني يعد من أجود أنواع الكحل في العالم المعروف آنذاك(7)، ويذكر أن جبل الكحل يخرج منه في أوائل الشهر كحل أسود يسمى علمياً (كبريتيد الرصاص الأسود) وكان يجمع حتى النصف الثاني من الشهر(8).

---

(1) الكحل: من حجارة الرصاص، وهو ترابي، ومن خواص الكحل الأصفهاني أنه يستخدم في تقوية العين وغسول لها؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 214، هامش (2).

(2) أبو مصطفى: نفسه، ص 214.

(3) جبل شلير: جبل الثلج المشهور، وهو من عجائب الأرض، حيث أنه جبل لا يخلو من الثلج صيفاً ولا شتاءاً، وقد يوجد فيه الثلج من عشرة أعوام قد اسود ورجع مثل الحجر الأسود، فيكسر ويخرج من قلبه الثلج الأبيض، ولا ينبت بهذا الجبل نبات ولا يعيش فيه حيوان إلا طرفه، أسفله معمور بالسكان وهو متصل ببعضه البعض؛ الزهري: نفسه، ص 93؛ الحميري: الروض المعطار، ص 112.

(4) مدينة بسطة: مدينة بالأندلس من اعمال جيان، كثير الزراعات والخيرات، متوسطة المقدار حسنة عامرة، آهلة لها أسوار حصينة، وبها العديد من الصناعات، وبها أسواق نظيفة؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 568؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 197.

(5) الزهري: الجغرافية، ص 96؛ القزويني: أثار البلاد، ص 339؛ الحميري: الروض المعطار، ص 45؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 214؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 247.

(6) طرطوشة: مدينة حسنة البناء، تقع على نهر أبرة، بها قلعة حصينة، ينبت بجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد مثله بمعمور الأرض، وقد اشتهرت طرطوشة بصناعة الآلات الجيدة، واختصت جبالها بالنارنج والخروب الطيب، وتنشأ بها المراكب لكثرة أخشاب الصنوبر بها؛ الزهري: المصدر السابق، ص 102؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 734؛ الحميري: المصدر السابق، ص 134.

(7) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 129؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 214.

(8) أبو مصطفى: نفسه، ص 214.

ويوجد بإشبيلية باباً يسمى باب الكحل، ولعله كان ينفتح على منجم أو أحد مصادر الكحل(1)، وفي جبل الحصن(2) معدن الأثمد الجيد(3)، كما يوجد الكحل بمدينة مجانة(4).

10- التوتيا:

يشير المؤرخون الجغرافيون إلى وجود مناجم التوتيا و الاسم العلمي لها أكسيد الزنك في الأندلس(5)، ومن أهم مدن الأندلس الغنية بمناجم التوتيا غرناطة وفي أعمالها ألبيرة(6)، خاصة قرية بطرنة(7)

---

(1) باب الكحل: هذا الباب من الأبواب التي أضيفت إلى أبواب مدينة إشبيلية في عصري المرابطين، وينفتح في القطاع الغربي من السور المطل على الوادي؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 214، هامش (7).

(1) أبو مصطفى: نفسه، ص 214.

(2) جبل الحصن: أحد حصون ساحل مدينة تلمسان وله بساتين وأشجار كثيرة وغني بالزبيب الذي يصدر إلى النواحي المجاورة له؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص 80.

(3) البكري: المصدر السابق، ص 80.

(4) اليعقوبي: البلدن، ص 135؛ ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص 349؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 3، ص 1230؛ أنظر أيضاً الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 84.

(5) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 130؛ القزويني: أثار البلاد، ص 338؛ الحميري: نفسه، ص 1؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 214 – 215.

(6) البغدادي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 111؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 18؛ الإحاطة، مجـ 1، ص 98؛ الحميري: نفسه، ص 24؛ أنظر أيضاً مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 560؛ حركات: نفسه، ص 50.

(7) قرية بطرنة: تقع على ساحل مدينة ألبيرة، وهي من أعمالها على بعد 12 كم تقريباً من قرية شلوبنية؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 564.

وهي أزكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس(1)، كما وجدت مناجم عدة في كورة غرناطة وبالتحديد في حصن شلوبنيه(2) الذي كان غزير المادة(3)، وأغلب الظن أن استخراجها كان في العصر المرابطي(4)، وفي جبال قرطبة ولكنها ليست كتوتيا بطرنية(5)، وفي قسطيلية حاضرة ألبيرة وازدهرت بها صناعة التوتيا لكثرة صناعها(6)، ومن استخدامات التوتيا كما أشارنا أنهم الصناع المسلمون يستخرجونها لصبغ الناحس الأحمر ليتحول إلى نحاس أصفر اللون، وهي مثل التوتيا التي توجد بالسوس(7).

---

(1) الإدريسي: نفسه، مجـ 2، ص 564؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 128 – 129؛ أنظر أيضاً العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 64؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 121؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 215.

(2) حصن شلوبنية أو شلوبانية: من اعمال مدينة غرناطة، ويقع على ساحل البحر المتوسط قرب المنكب، ويجود فيها الموز وقصب السكر؛ الحميري: نفسه، ص 111.

(3) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ الحميري: الروض المعطار، ص 23؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 215.

(4) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 246.

(5) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 129؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 50.

(6) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 98.

(7) المركشي: المعجب، ص 293؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 129؛ أنظر ايضاً الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 284؛ أبو مصطفى: تاريخ الاندلس الاقتصادي، ص 215؛ موسى: المرجع السابق، ص 248.

11- الزاج والشب:

بلاد الأندلس غنية بمعدن الشب(1) والزاج(2)، والزاج بالإسبانية (Aceche)، وهو حامض كبريتي يعرف باسم كبريتات النحاس، ويستخدم بالقرب من النهر الأحمر بمدينة لبلة(3)، حيث تبعث عين الزاج(4)، ويذكر الزهري عين أخرى، وهي تقع على مقربة من إشبيلية، وعند نهاية جبل الشرف المطل عليها كانت توجد عين تبعث بالزاج، وهو ماء اسود لا يعدو معدناً يخرج من جوف الأرض على شكل تراب وحجارة(5)، وعن استخدامات أهل الأندلس لمعدن الزاج فكانوا يستخدمونهفي الطب وفي الصباغة، فقد امتاز الزاج في الأندلس بجودته ووفرته(6)، وأما الشب(7)

---

(1) كونستبل: التجارة والتجار في الأندلس، ص 315.
(2) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 130؛ الحميري: المصدر السابق، ص 1.
(3) مدينة لبلة: قصبة كورة كبيرة بالأندلس، يتصل عملها بعمل أكشونبة، وتقع إلى الشرق من أكشونبة وإلى الغرب من قرطبة، ويجود بها العصفر وأشجار الزيتون والقرنفل وهي مدينة سهلية وجبلية؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 3، ص 119؛ الحميري: نفسه، ص 168 – 169.
(4) ابن عذري: ترصيع الأخبار، ص 110؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 292؛ الحميري: نفسه، ص 168؛ المقري: نفسه، جـ 1، ص 167؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 215.
(5) الجغرافية، ص 88 – 89؛ أنظر ايضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 215 – 216؛ موسى: نفسه، ص 247؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 384.
(6) أبو مصطفى: نفسه، ص 216.
(7) الشب: وهو معدن أبيض اللون يستخدم في تلميع الألوان وتثبيتها خاصة الأحمر، واحتيج إليه كثيراً من أعمال الصباغة وحتى التنظيف، كمت ساعد على وقف الدم لأنه مادة قابضة ويدخل البوتاسيوم في تركيبها، وينبت نباتاً ويزداد بسرعة؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 216؛ حركات: مرجع السابق، ص 59؛ كونستابل: التجارة والتجار، ص 132.

بالإسبانية كما يذكر لنا الدكتور كمال أبو مصطفى (Jebe) ويعرف علمياً باسم ثاني سلفات الألمنيوم والبوتاسيوم، ويكثر في مدينة لبلة بغرب الأندلس(1)، كما استثمر الشب الموجود بالسوس، خاصة في العصر الموحدي الذي اهتموا فيه باستخراجه(2).

كما نشط استغلال مناجم الشب خاصة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي في بلاد كوار(3) وكوكو(4)، فقد كان تجار كوار يقوموا بتسويقه إلى مصر وأرغلان وبلاد المغرب، والشب الكوارى المشهور فيما بين فزان الليبية(5) وأفريقية تصدره على مختلف البلدان(6).

---

(1) ابن العذري: ترصيع الأخبار، ص 110؛ ابن سعيد: المغرب، جـ 1، ص 339؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 292؛ الحميري: الروض المعطار، ص 168؛ أنظر ايضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 216؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 247.

(2) الزهري: المصدر السابق، ص 117؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 249؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 97.

(3) كوار: إحدى مدن بلاد السودان التابعة لسلطان بلاد الكانم، واهلها مسلمون، وتقع كوار شمال بحيرة تشاد؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 48.

(4) كوكو: واحدة من أشهر بلاد السودان، تقع جنوب مدينة تادمكة بحوالي 270 كم، وهم على نهر يسمى كوكو ينبع من جبل مقورس، لباسهم من الجلود وحليهم من الذهب، وسموا كوكو لأن ما يفهم من نغمة طبلهم ذلك أثناء جلوس ملكهم، حيث يقوموا بضرب الطبلة كوكو؛ البكري: المغرب، ص 183؛ مجهول: الاستبصار، ص 225؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 48.

(5) العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 62؛ حركات: المرجع السابق، ص 59 – 60.

(6) برنشفيك: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، جـ 2، ص 460.

12- المغرة والطفل والقار:

أشار الدكتور كمال أبو مصطفى إلى أن المغرة بالإسبانية تعني التراب الحديدي أحمر اللون، ومن أهم مناجمه في الأندلس مدينة لورقة(1)، وبها معدن تربة صفراء، ومعادن مغرة تصدر إلى جميع الأقطار(2)، ومن ااستخداماته أنه يستخدم بصفة خاصة في الصباغة كمثبت للألوان(3)، وفي تقويم قرطبة في اليوم التاسع من شهر مارس من كل عام كان للنصارى بالأندلس عيد يسمى (عيد المغرة) ويطلون أبوابهم في هذا اليوم وقرون تغيرهم بالمغرة(4) احتفالاً بهذا اليوم، وتعتبر الأندلس غنية بمعدن الطفل (البرام)، (5)، ويكثر في جبال الشارات خاصة عند قرية مغام(6) قرب مدينة طليطلة، ويفضل على كل طفل بالمشرق أو بالمغرب،

(1) مدينة لورقة: إحدى مدن الأندلس الحصـــينة، تقع على ظهر جبل كثيرة الزروع والخمر، وبها أســـواق وأرباض؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 561؛ الحميري: المصدر السابق، ص 171.

(2) الإدريسـي: نفسـه، مجـــ 2، ص 561؛ الحميري: نفسـه، ص 171؛ أنظر أيضـاً أبو مصـطفى: نفسـه، ص 216؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 277، 278، 279.

(3) أبو مصطفى: نفسه، ص 216.

(4) نفسه، ص نفسه، ص216.

(5) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 130؛ الحميري: نفسه، ص 1.

(6) قرية مغام: هي إحدى القرى الواقعة بالقرب من طليطلة في الأندلس، وبترابها وجبالها الطين المأكول، ويتجهز به إلى مصر والشام والعراق، ولا يوجد مثله؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 2، ص 552؛ الحميري: نفسه، ص 133.

وهذا ما أكده لنا الحميري بقوله "جبالها (أي قرية مغام) وترابها الطين المأكول ويتجهز به منها إلى مصر والشام والعراق، وليس على قرارة الأرض مثله"(1).

ويذكر الزهري بالقرب من مدينة إشبيلية يوجد "... تراب يخلط فيه الدقيق فلا يمتاز منه لمجانسته إياه ويعجن ويختمر العجين ويطبخ ويؤكل ولا ينكره الأكل"(2).

واشتهرت مدينة مجريط(3) بتربة أو نوع من الطفل كانت تصنع منه القدور والأواني الفخارية، وتتميز الأواني التي تصنع منه أنها تستعمل على النار لمدة عشرين عاماً ولا تنكسر مهما طبخ فيها، ولا يكاد يتغير حر الهواء وأنابيب المياة(4).

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص 133؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 167؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 216.

(2) الجغرافية، ص 89؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 216 – 217؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 248.
ومن الملاحظ أن الطفل كان يستخدم في غسيل الشعر، خاصة تراب قرية مغام، كما أن هناك نوع يستخدم في علاج التهاب العيون؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 552؛ الحميري: المرجع السابق، ص 133.

(3) مدينة مجريط: مدينة بالأندلس، وموضعها اليوم مدينة مدريد الإسبانية، بناها الأمير عبد الرحمن الأوسط، وهي من أعمال وادي الحجارة، وهي مدينة صغيرة، بها قلعة منيعة، وتقع بالقرب من طليطلة؛ الحميري: نفسه، ص 179 – 180.

(4) الحميري: نفسه، ص 179؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 217.

وعن معدن القار (الزفت) فكانت الأندلس غنية بهذا المعدن، فقد كثر وجوده بقرية شغنشة(1) بالقرب من وادي الحجارة(2) فهناك جبلاً يطل عليها إذا كسر حجره يخرج منه زفت أسود يشبه القار(3).

كما اشتهرت بعض المدن المغربية بانتاجه مثل بجاية قاعدة المغرب الأوسط، وبها تقدمت الصناعات، وبها الصناع ما ليس بكثير من البلاد، وكان لأهلها معاملات مع تجار المغرب الأقصى، وبها الزفت البالغ الجودة، وكذلك القطران الموجود في أقاليمها(4)، فكانت السفن المغربية تقوم بتصدير هذا القطران إلى مصر(5)، كما وجد في العمائر المتصلة بقرية بنيوش(6) إلى أقصى الريف شرقاً إلى قصر كتامة(7) غرباً معدن القار(8)،

---

(1) قرية شـغنشـة: إحدى القرى العامرة بالمغرب، وهي قرية كثيرة الخيرات؛ البغدادي: مراصـد الاطلاع، مجـ 2، ص 815.

(2) وادي الحجارة: مدينة بالأندلس، تعرف هذه المدينة باســم مدينة الفرج، وهي بين الجوف الشـــرقي من قرطبة، وبينها وبين طليطلة خمســة وســتون ميلاً حوالي 100 كم تقريباً، وهي مدينة حصــينة كثيرة الأرزاق والخيرات، وبها الكثير من الغلات والزراعات؛ الإدريسـي: المصـدر السـابق، مجـــ 2، ص 553؛ البغدادي: المصدر السابق، مجـ 3، ص 1416؛ الحميري: نفسه، ص 193.

(3) أبو مصطفى: نفسه، ص 217.

(4) العبادي: تاريخ البحرية الإسـلامية، جـــ 2، ص 59؛ الهادي إدريس: الدولة الصـنهاجية، جـــ 2، ص 108؛ موسى: المرجع السابق، ص 245؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، جـ 4، ص 284.

(5) عفيفي: الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، ص 208.

(6) قرية بنيوش: أو بليوتش، ويطلق هذا الاســم على متنزهات مدينة ســبتة الشــهيرة، فهي تقابل الجزيرة الخضــراء، وهي عبارة عن سـبعة جبال متصــلة ببعضــها، وهي قرية كثيرة الفواكه، وبها مياة جارية، وعيون مطرده؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجــ 2، ص 528؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 207، هامش (2).

(7) قصــر كتامة: إحدى مدن الجزيرة الخضــراء بالأندلس، وهي مدينة عامرة؛ البغدادي: مراصـد الاطلاع، مجـ 3، ص 1100.

(8) السبتي: اختصار الأخبار، ص 56.

ويعد معدن القار أو الزفت بمثابة النفط، ويستخدم في الحروب لحرق سفن الأعداء، وهو يشبه في وظيفته النار الإغريقية، كما استخدمه الأندلسيون في طلاء السواقي (النواعير) حتى لا تتعرض للصدأ أو التلف(1)، ويستخدم أيضاً لكساء السفن حتى لا تتعرض الواجهات للتآكل(2).

13- الملح(3):

وأما معدن الملح فيستخرج من أماكن كثيرة ومتفرقة بالأندلس، سواءمن البحر (أي الملح البحري)، أو من البر من مناجم (الملح الصخري)(4).

---

(1) أبو مصطفى: نفسه، ص 217.

(2) نفسه، ص 217.

(3) الملح: إما من ترسبات الأنهار والبحار، وقد يوجد صلباً من عصور غابرة في مواقع نزح عليها البحر فتراكم تلال، وقد يكون الملح عبارة عن سباخاً توجد في الصحاري، وقد يوجد بألوان مختلفة منها الأبيض والأسود والأحمر وحتى الأخضر، كما انه يدخل في صناعة الطعام، مما جعل غانا تتوغل خلال القرن 4 هـ / 10 م في الصحراء شمالاً وتنتزع مدينة أودغست من حكامها البربر لتحكم عند الاقتضاء في طريق الملح؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 60.

(4) أبو مصطفى: نفسه، ص 217.

وعن النوع الأول من الملح فيستخرج من جزيرة يابسه(1)، وهذا ما أقره الحميري بقوله "... بها (أي يابسه) ملاحة لا ينفذ ملحها"، لذا كان يصدر ملحها إلى بلاد أفريقية(2)، وكذلك ساحل المرية عند دلاية(3)، وفي قصر أبي دانس(4) بغرب الأندلس(5).

أما النوع الثاني من الملح فهو الملح الصخري والذي اشتهرت به مدينة سرقسطة، ويوجد بها الملح المسمى بالملح (الذئامي أو الذراني) الأبيض الصافي الأملس، وهو ملح معدني متبلور، ولا يوجد بموضع آخر في الأندلس مثل هذا النوع من الملح(6)، وكذلك كان الملح يستخرج من منجم في لوشة من أعمال غرناطة(7)، بسبب ثراء غرناطة بهذا المعدن(8).

---

(1) جزيرة يابسة: هي إحدى جزر البليار وهي تلي جزيرة ميورقة، يبلغ طولها عشرة فراسخ حوالي 45 كم تقريباً، وعرضها ثمانية فراسخ أي 37 كم تقريباً، ومنها يجلب الملح والخشب إلى بلاد أفريقية، وتعد جزيرة يابسة جزيرة كثيرة الثمار والزروع، ومنها يجلب الزبيب واللوز والتين إلى ميورقة، ويجلب إليها الزيتون من بلاد الأندلس حيث لا يتواجد لديها، وبها ينبت شجر الصنوبر الذي يستخدم لانشاء السفن بها؛ الزهري: الجغرافية، ص 128 – 129؛ الحميري: الروض المعطار، ص 198.

(2) الروض المعطار، ص 198؛ الزهري: المصدر السابق، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 217 – 218.

(3) أبو مصطفى: نفسه، ص 218؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادة والاجتماعية، ص 122.

(4) قصر أبي دانس: اسمها البرتغالي (Alcacerdosel) تعني قصر الملح، وهي تقع إلى الغرب من الأندلس، وفيها انهزم المسلمون أمام الروم عام 614 هـ / 1217 م، وأعانهم أهل الاشبونة وغزوها، لذا أخذوا في نقب الأرض تحت الحصن؛ الحميري: نفسه، ص 161.

(5) أبو مصطفى: نفسه، ص 218.

(6) ابن العذري: ترصيع الأخبار، ص 22؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 176؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 288؛ الحميري: الروض المعطار، ص 96 – 97؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 218.

(7) ابن الخطيب: مشاهدات، ص 94؛ معيار الاختيار، ص 126؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 128.

(8) سامية مسعد: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص75.

ووجد الملح بكثرة في صحراء المرابطين، ويحفر من سائر المعادنوالجواهر، ويوجد تحت قامتين أو دونها من وجه الأرض، ويقطع كما تقطع الحجارة، ويوجد هذا المعدن في موضع يسمى تانتنتال(1)، ومبني عليه بحجارة الملح، وكذلك بيوته ومشارفه وغرفه كل ذلك ملح، ومناجمه في الصحراء على بعد 60 كم تقريباً من المجابة الكبرى بينها وبين مدينة سجلماسة مسيرة 600 كم تقريباً يحفر عنه تحت الأرض(2)، ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى مدينة سجلماسة وغانة وسائر بلاد السودان، وهذا ما أكده البكري وهو يذكر غرائب صحراء المغرب فيشير إلى معدن الملح الموجود بين مدينة سجلماسة وأودغست الواقعة على مسلك تجارة الملح بين مدينة سجلماسة(3) وبلاد السودان، بقوله "... ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى مدينة سجلماسة وغانة وسائر السودان والعمل فيه متصل والتجار إليه متسايرون، وله غلة عظيمة"(4)،

(1) تاتنتال: موضع بالصحراء، ومبني عليه حصن بالحجارة التي تخرج من المعدن، وبجوار معدن الملح الماء العذب الطيب؛ مجهول: الاستبصار، ص 214.
(2) البكري: المغرب، ص 171؛ انظر أيضاً الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، ص 176.
(3) الجنحاني: المرجع السابق، ص 79؛ المغرب الاسلامي، ص 20.
(4) المصدر السابق، ص 171؛ أنظر ايضاً الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، ص 81؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 25 – 26.

ومن مدينة سجلماسة يدخل التجار ويخرجون إلى بلاد السودان بالملح(1)، ويعد معدن الملح من البضائع المتبادلة بين المغرب الأقصى مروراً بسجلماسة وبين بلاد السودان للحصول على كميات من الذهب(2)، والمعدن الآخر للملح عند بني جدالة(3) غير بعيدة عن جزيرة أيوني(4)، وبموضع آخر يسمى أوليل(5) على ساحل البحر المحيط، ومن هناك تحمله إلى بلاد السودان وغانة(6).

كما احتكرت طبقة الأثرياء من الملثمين مناجم الملح وعمل بها العبيد الذين سخروا للعمل في مناجم الملح، وهم أسرى الحروب بين الوثنيين والملثمين(7)، لذا فاز المرابطين بالسيطرة والسيادة على مناجم الملح(8).

---

(1) العمري: مسالك الأبصار، ص 211؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 164.

(2) الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 183؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 344؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 53.

(3) بني جدالة: تقع على ضفة نيل مصر ببلاد السودان، ولها نظر واسع وعمارات متصلة وقراها بالبحر المحيط، وكانوا مثل سائر بلاد السودان على دين المجوسية وعبادتهم المجوسية إلى أن أسلموا؛ مجهول: المصدر السابق، ص 217.

(4) جزيرة أيوني: تقع بالقرب من وليلي وهي عند المد جزيرة لا يوصل إليها من البر، وعند الجزر يوصل إليها على القدم، وهي غنية بالعنبر، وأكثر معاش أهلها من لحوم السلاحف، فهي أكثر شيئ عندهم؛ البكري: المغرب، ص 171.

(5) أوليل: هي جزيرة صغيرة ببلاد المغرب، بها معدن الملح، وتقع على نحر البحر، وهي آخر العمارة؛ مجهول: الاستبصار، ص 214؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 133؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 60.

(6) البكري: المصدر السابق، ص 171؛ مجهول: المصدر السابق، ص 214؛ أنظر أيضاً الصلابي: الجوهر الثمين، ص 13 – 14؛ الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، ص 176؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 3، ص 513؛ جـ 4، ص 97.

(7) الصلابي: المرجع السابق، ص 15؛ نصر الله: دولة المرابطين، ص 16؛ الجنحاني: المرجع السابق، ص 176.

(8) العروي: تاريخ المغرب، ص 160.

خاصة في عهد 'يوسف بن تاشفين' (453 – 500 هـ / 1061 – 1106 م)، فكانت القوافل المحملة بالملحا تنقطع لتعود من بلاد السودان بمعدن الذهب(1).

من أهم مدن المغرب الغنية بهذا المعدن مدينة فاس، ويستخرج من ملاحة قرب الشاطئ، ووادي مكس على مسافة 27 كم تقريباً(2)، وفيها من الأنواع مالا يشبه بعضها البعض غير أن ملحها بدأ في التناقص، فبعد أن كان الحمل منه يباع في فاس بدرهم أصبح كل عشرة أصوع بدرهم(3)، واصبح الملح يتبلور في بعض البحيرات والمستنقعات خاصة في فصل الصيف، ويشكل طبقة بيضاء منتظمة في ضواحي مدينة فاس(4)، وقد كان تناقص ملح مدينة فاس سبباً في ظهور ملاحتين جديدتين في العصر الموحدي، أحدهما في بلاد حاحة(5) التي اشتهرت بكثرة الملح بها(6)، والآخر في جبل تاجموت التي تقع بالقرب من مدينة مراكش(7).

---

(1) الهرفي: دولة المرابطين، ص 285؛ حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص 127؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 160.
(2) الجزنائي: زهرة الآس، ص 69؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، القسم الأول، ص 44؛ أنظر أيضاً نصر الله: دولة الأدارسة في المغرب، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، ص 1987 م، ص 162.
(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 35؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 249.
(4) الوزان: وصف أفريقيا، ص 657.
(5) بلاد حاحة: وتختص بالعسل الأبيض والنيران الكبار الملاح؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 125.
(6) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 125؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 249.
(7) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 58؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 249.

ولأهمية الملح كمورد معدني في أفريقية قامت على تصديره إلى الدول الأخرى(1)، وكانت كتلات ملح المناجم الموجودة هناك محل استغلال محلي خاص في بسكرة(2)، التي كان بها جبل ملح يقطع منه الملح كالصخر، ولهذا كان يقدر هذا الملح من البلاد الأخرى بسبب جودته، وجودة المادة المستخرجة منه(3)، فالملح ببلاد المغرب يستخرج من الصحراء في جنوب المغرب الأقصى، وكانت الأقوام بالصحراء لهم منجم ملح يستخرجونها من جوف الأرض ويقطعونها ألواحاً كألواح الرخام، أو يضيف بأن ألواح الملح هي معظم تجارتهم، لذا كانوا يحملونها من بلد إلى أخرى(4).

وفي مدينة تونس وجدت سباخ الملح وملاحة كانوا يضعون بها ملحهم، وملح جيرانهم(5)، وكذلك مدينة طرابلس(6)، وملح طرابلس كانت تصدره إلى القيروان(7)، كما وجدت في مدينة القيروان سبخة من الملح الطيب النظيف(8).

---

(1) برنشفيك: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، جـ 2، ص 460.
(2) بسكرة: وهي قاعدة بلاد الزاب، وبلاد النخل والزرع، ومنها يجلب أصناف التمر الطيب إلى تونس وبجاية؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 60.
(3) البكري: المغرب، ص 52؛ أنظر أيضاً برنشفيك: المرجع السابق، جـ 2، ص 239.
(4) أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريس، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996 م، ص 66.
(5) البكري: المصدر السابق، ص 40؛ أنظر أيضاً برنشفيك: نفسه، جـ 2، ص 239.
(6) البكري: نفسه، ص 8؛ أنظر ايضاً برنشفيك: نفسه، جـ 2، ص 239.
(7) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 245.
(8) البكري: نفسه، ص 24.

كما أشار البكري إلى استغلال الملح بمدينة لمطة فملحها لا يفوقه ملح، لذا كانت تصدره إلى من جاورها من البلاد(1).

كما شكلت مدينة تغرة(2) المنطقة الكبرى الثانية لصحاري ليبيا، وتقع في شرق الأقاليم الصنهاجية، وكل ما تحتويه هو منجم الملح الحجري، ومعظممن يشتغل في مناجم الملح يكونوا من الغرباء، أي من مناطق أخرى ويقطنون في خيام ينصبونها قرب المنجم، وكان الملح يوضع على شكل صفائح مصفوفة بعضها فوق بعض كأنها منحوته، ويوجد الملح في أماكن فقيرة خالية، لذا كان يعاني المشتغلون بمناجم الملح من شظف العيش(3).

وكانت الدولة تقوم على تأجير بعض الملاحات لأفراد أو مجموعات من أفراد لاستغلالها مقابل مبلغ معين من المال، وأيضاً وفق عقد يبرم بينهما يوضع فيه أيضاً موضع الملاحة وحدودها ومرافقها ومدة الإيجار(4).

---

(1) المغرب، ص 84؛ أنظر أيضاً برنشفيك: نفسه، جـ 2، ص 239.

(2) تغرة أو تغاري: مدينة تبعد عن سجلماسة نحو 875 كم تقريباً في اتجاه الجنوب نحو بلاد السودان، ولا يوجد فيها عمران وكل ما تحتويه منجم للملح الصخري؛ كارنجال: أفريقيا، جـ 3، ص 184.

(3) كارنجال: المرجع السابق، جـ 3، ص 184؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 60؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 3، ص 515.

(4) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 218.

كما وجدت ملاحات أخرى خاصة بالأفراد، يستأجرون لها عمال لاستغلالها في مقابل أن يقتسم العامل وصاحب الملاحة ما يستخرج من أملاح، فيكون للعامل الربع أو الثلث ولصاحب الملاحة الباقي(1).

وعن الطريقة التي يتبعها الأندلسيون في الحصول على الملح البحري، فهو أن تترك كمية من الماء المالح في أحواض وتعريضها فترة لأشعة الشمس إلى أن تتحول إلى ملح ثم ينقل بعد ذلك إلى مكان خاص معد لتخزينه(2).

ومن اهم استخدامات الملح أنه يدخل في العديد من الصناعات أهمها صناعة الطعام ودباغة الجلود(3).

(1) نفسه، ص 218.
(2) نفسه، ص 218 – 219.
(3) السيد (محمود): تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004 م، ص 81.

14- الأحجار الكريمة:

تعتبر بلاد الأندلس من أغنى البلدان بالأحجار الكريمة، ومنها اللازورد(1) الذي يوجد بكثرة(2) في مدينة لورقة(3)، وفي جبل شلير بغرناطة(4)، وألبيرة وأعمالها اللازورد(5)، كذلك كانت بعض بلاد المغرب غنية به، مثل جبال كتامة التي اشتهرت بأحجار اللازورد(6)، كذلك حجر البجادي(7) الذي يستخرج من جبل يقع على مقربة من مدينة إشبونة، كما ذكره ابن غالب بقوله "... حجر البجادي بناحية الاشبونة في جبل هناك يتلألأ فيه ليلاً كالسراج"(8)، وأيضاً معدن الجزع(9)

(1) اللازورد: يسمى بالفارسية لازورد وبالرومية أرمنباتون، أما بالعربية فيسمى العوهق، وهو حجر كريم سماوي الزرقة رخو رطب، أجود أنواعه السماوي ويستعمل في صناعة الحلي، مثل تركيبه كفصوص في الأساور والخواتم، كما يستخدم عادة في الأصباغ؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 219، هامش (2)؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 104.

(2) مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 560؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 116.

(3) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 308؛ الحميري: الروض المعطار، ص 171؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 128، 144؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 219؛ أرسلان: الحلل السندسية، جـ 3، ص 377؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 273 - 274.

(4) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 98؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 219؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 75.

(5) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 18.

(6) البكري: المغرب، ص 33، 83؛ أنظر أيضاً الهادي إدريس: المرجع السابق، جـ 2، ص 104.

(7) حجر البجادي: وسمي بهذا الاسم نسبة إلى معدنه الذي يقع بالقرب من جبل البجادي بفارس، وأصله في الفارسية ببجادة، ويعرف بالعربية بالبجادي والبزادي، وهو يشبه الياقوت، كما أنه حجر فيه حمره تعلوه بنفسجية؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 219، هامش (7).

(8) فرحة الأنفس، ص 308؛ المقري: المصدر السابق، مجـ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 219؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 182.

(9) الجزع: وهو نوع من الأحجار الكريمة المتداولة ويشبه العقيق، ويذكر أنه حجر واحد ولكنه يتنوع في ألوانه ما بين الأصفر والأحمر والأبيض، ولا يعمل فيه الحديد، ويصنع منه العقود والدبابيس وفصوص الخواتم؛ مجهول: الاستبصار، ص 224؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 220، هامش (1)؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 59.

الذي يعد من أفضل أنواع الأحجار الكريمة، ويوجد بالصحراء الممتدة بين مدينتي غدامس وارغلان(1).

كما اشتهرت الأندلس بالياقوت الأحمر(2) الغنية به(3)، ومن أهم المناطق التي يوجد بها منت ميور بكورة مالقة(4)، ورغم أنه ردئ لصغر حجمه إلا أنه يستخدم في صناعة الحلي، ويستخرج أيضاً من قرية ناشرة الواقعة بالقربمن مدينة بجانة حجر يشبه الياقوت الأحمر، ويتميز بأنه حسن اللون وصبورعلى النار(5).

ويستخرج أيضاً من جبل هزرجة(6) بالقرب من مدينة إغمات الياقوت المتناهي الجودة، وهو حسن اللون يتكون على حجارة الجبل، ويكون شديد الصلابة حتى يكل حجر السنادج عن ثقبه(7).

---

(1) مجهول: المصدر السابق، ص 224؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 59.
(2) الياقوت الأحمر: اســـمه باللغة الفارســـية ياكنة، والياقوت عربة، وهو عدة أنواع أجودها الأحمر؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 220، هامش (2).
(3) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 75.
(4) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 308؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 220؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 122.
(5) ابن غالب: المصـدر الســابق، ص 309؛ المقري: المصـدر الســابق، جــــ 1، ص 128؛ أنظر أيضــاً أبو مصطفى: نفسه، ص 220.
(6) جبل هزرجة: جبل بالمغرب بينه وبين مدينة إغمات حوالي 35 كم تقريباً، وينســـب هذا الجبل إلى قبيلة يقال لها هزرجة؛ البكري: المغرب، ص 153.
(7) البكري: المصدر السابق، ص 153؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 4، ص 97؛ الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 153.

كما حفظت الدولة الموحدية على تنشيط وادخال الأحجار الكريمة خاصة الياقوت الأحمر في بعض الصناعات، والمثال على ذلك مصحف سيدنا عثمان الذي نقله الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م) إلى قصره وجعل له تابوتاً ورصعه بالياقوت الأحمر، وكان من اغرب مافيه الحافر الأحمر من الياقوت، والذي كان على شكل حافر الفرس، وكان فيه نفيس الجواهر والدرر، والياقوت بألوانه الأحمر والأصفر والأخضر، وكذلك الزمرد(1).

وحينما دخل الأمير 'يوسف بن تاشفين(453 – 500 هـ/ 1061 – 1106م) مدينة غرناطة سنة 483 هـ / 1090 م وجد بها اليواقيت والزمرد والجواهر مالا يحصى خاصة في العصر المرابطي(2).

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 53 – 54؛ المراكشي: المعجب، ص 212؛ ابن عذاري: البيان المغرب/ القسم الموحدي، ص 118، 156؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 152 – 153؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 114؛ انظر أيضاً عنان: دولة الإسلام، جـ 6، ص 633؛ ابن تاويت: الوافي بالأدب، جـ 1، ص 98 – 99؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 419.

(2) النويري: نهاية الأرب، جـ 24، ص 268؛ أنظر أيضاً دوزي: المسلمون في الأندلس، جـ 3، ص 148.

كما وجد في طريق تادمكه(1) غدامس حجارة شبيهة بالعقيق تسمى (تاس التسمت)، وربما يوجد في الحجر الواحد عدة ألوان(2).

كما كان يوجد حجر يسمى حجر الشاذنة(3) والشاذنج بجبال قرطبة، ويستعمل هذا الحجر في التذهيب(4)، والحجر اليهودي(5) في حصن ألبونت(6) في غربي شنترين(7) والذي اشتهر به(8)، ومن فوائده الطبية أنه يساعد على تفتيت حصى المثانة والكلى(9).

---

(1) تادمكة: إحدى مدن بلاد السودان وأشبهها بمكة المكرمة، وأهلها بربر يعيشون على اللحم واللبن، ودنانيرهم من الذهب الخالص وهي غير مختومة، تابعين لسلطان الكاتم بالسودان؛ البكري: المغرب، ص 181؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 49.

(2) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 97 – 98.

(3) حجر الشاذنة: يطلق على هذا النوع من الحجر الذي يقطع الدم؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 220، هامش (5).

(4) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 128؛ القزويني: أثار البلاد، ص 371؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 29؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 220.

(5) المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 220.

(6) حصن ألبونت: حصن بالأندلس يقع في شمال غرب مدينة بلنسية، وهي قرية من أعمال كورة بلنسية؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، جـ 2، ص 395؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 231؛ الحميري: الروض المعطار، ص 56.

(7) شنترين: مدينة بالأندلس من كورة مدينة باجة، وهي تقع إلى الشمال من لشبونة على جبل عال كثير العلو، وشرب أهلها من العيون ومن ماء النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه، كما اختار عليها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب في حركته الأندلسية بعسكره؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 291؛ الحميري: المصدر السابق، ص 113 – 114.

(8) الحميري: نفسه، ص 3؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 220.

(9) الحميري: نفسه، ص 3؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 220.

كما كانت الأندلس غنية بحجر المرقشتيا الذهبية(1)، وأهم مناطق استخراجه جبل شلير وجبل أبذه(2) الشهير به(3)، وهذا ما أكده المقري بقوله "... لا نظير له في الدنيا (أي حجر المرقشيتا) ومن الأندلس تحمل إلى جميع الآفاق"(4)، كما توجد في مدينة غرناطة كورة ألبيرة أو في أعمالها حجر المرقشتيا(5)، كذلك يوجد حجر المغناطيس(6) الذي يجذب الحديد في موضع يعرف بالصنهاجين(7) في كورة تدمير(8). كما وجد حجر الدهنج(9) بالأندلس.

من أنواع السلع التي يحملها تجار مدينة أغمات إلى السودان الأحجار الكريمة(10)،

---

(1) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 116؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 560.

(2) مدينة أبذه: مدينة بالأندلس تقع غلى الشرق من مدينة بياسة، وتبعد عنها نحو 10.5 كم تقريباً، وهي مدينة صغيرة تقع على الوادي الكبير، ولها مزارع وغلات قمح وشعير؛ الحميري: نفسه، ص 11.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 98؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 220.

(4) نفح الطيب، جـ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 221؛ دندش: الأندلس نهاية المرابطين، ص 208.

(5) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 98؛ ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 18؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 75.

(6) حجر المغناطيس: وهو حجر أسود وله قوة جذب لمعدن الحديد، وهو معدن قابل للصقل الجيد، ومن استخداماته أنه يستعمل في صناعة الحلي والخرز؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 220، هامش (2).

(7) الصنهاجين: موضع بالأندلس، وإحدى كور مدينة تدمير؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 309.

(8) ابن غالب: المصدر السابق، ص 309؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 221؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 50؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 274.

(9) الدهنج: وهو يعتبر من الأحجار النحاسية، وهو حجر أخضر اللون صلب ومعدني، وله أنواع عديدة؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 221، هامش (4).

(10) مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 60؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 273؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 287؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 55؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 101.

ومن أهم استخدامات الأحجار الكريمة أنها تدخل في تحلية المصوغات الذهبية لوفرة الذهب في بلاد الأندلس، خاصة في العصر المرابطي، وتفنن النساء في التزين به سواء كان مسبوكاً أو مرصعاً بالأحجار(1)، خاصة نساء غرناطة اللائي تفنن في التزين بالحلي والخلاخيل والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرد ونفيس الجوهر، والتماجن في أشكال الحلي، وبلغن درجة كبيرة في الزينة والتنافس بها(2)، كما استخدمت اليواقيت والزمرد في تحلية المصوغات الذهبية والسروج والسيوف، وتزيين عمائم الخلفاء والأمراء(3)، وإلى جانب الدور الذي لعبته الأحجار الكريمة في تزيين الحلي والمصوغات الذهبية، كان لها دور آخر هام في العلاج الروحي والبدني، كما أنها تدخل في بعض الصناعات(4).

وقد لعب اليهود دوراً هاماً في التبادل التجاري واستجلاب البضائع بين أفريقية ومصر وبلاد الشام خلال العصر المرابطي والموحدي(5)، فقد كان غالبية اليهود أصحاب حوانيت بفاس وكذلك كانوا من الصناع، فكان هناك ثمة صناعات معينة مثل الشغل بالأحجار الكريمة التي اقتصرت عليهم بحكم العادة(6).

---

(1) حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص 183 – 184.
(2) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ ، ص 138 – 139؛ اللمحة البدرية، ص 43.
(3) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 186.
(4) ميلاد: مكانة مصر وبلاد الشام في التجارة الأفريقية، ص 87.
(5) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 59.
(6) روجيه لوتورنو:فاس في عصـــر بني مرين، ترجمة: د/ نقولا زيادة، مكتبة لبنان، مؤســـســـة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، ص 1967 م، ص 45.

فكما كان لكل حرفة زقاقاً أو قيسارية - كما ذكرنا آنفاً - كان للأحجار الكريمة زقاقاً أو قيسارية خاصة به، فكان للأحجار الكريمة زقاقاً تعرض فيه أنواع كثيرة من الأحجار الكريمة والحلي الثمينة(1).

كما وجد معدن البلور قرب مدينة لورقة من أعمال قرطبة في جبل شجيرات شرقي قبرة(2) التي اشتهرت به لكثرته بها(3)، وشمالي مدينة بطليوس(4) حيث معدن البلور الجيد(5)، ولوفرة البلور الصخري وخاماته التي تتوفر بالمغرب الأقصى على مقربة من مدينة مراكش(6)، ولذا كان يصدر خاماته التي تتوفر بالمغرب إلى مصر(7)، كما كانت مدينة قفصة غنية بمعدن البلور(8).

---

(1) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 198.
(2) قبرة: وهي كورة بالأندلس، وقبلة من مدينة قرطبة، وأكثر أرضها بأنها بيضاء يحجب تكاثر ثمارها والتفاف اشجارها عيون النائلين، وتشتهر بكثرة أشجار الزيتون، ولها مدينة بيانة، والمسافة بين قرطبة وقبرة حوالي 45 كم تقريباً؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 282.
(3) ابن غالب: المصدر السابق، ص 308؛ المقري: نفح الطيب، مجـ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الاندلس الاقتصادي، ص 219؛ دندش: المرجع السابق، ص 182؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 274.
(4) بطليوس: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة، وهي مدينة عظيمة كثيرة الحذق وأرضها كريمة البقعة، وبها نهر كبير يسمى الغور، ولها عدة أقاليم؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 204؛ ابن غالب: نفسه، ص 290؛ الحميري: الروض المعطار، ص 46.
(5) الحميري: المصدر السابق، ص 3؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 219.
(6) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 183.
(7) عفيفي: المرجع السابق، ص 183، 208؛ حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 290
(8) الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 77.

أما المرجان(1) فيكثر في بحر الأندلس(2) خاصة في ساحل بيرة من عمل المرية، ويلقط منه في أقل من شهر نحو ثمانين ربعاً(3)، كما كان يستخرج من بلشأو بليش(4) من أعمال مدينة مالقة(5).كما اشتهرت بعض مدن المغرب بالمرجان، ومن أهم هذه المدن مدينة بونة التي كثر في شرقها(6)، وكذلك مدينة مرسى الخرز(7) التي اشتهر بها مغاص المرجان(8).

(1) المرجان (البسد): هو من الحيوانات البحرية الدنيا، ينمو بشكل أخطبوطي شبيه بالشجيرات المتفرعة والتي لها أغصان، ويفرز مادة جيرية ذات لون وردي وهي التي تعرف بالمرجان، أما عن طريقة استخراجه من البحر، وذلك بشد أغصانه إلى شباك على شكل صليب ويلفون عليها جرات الكتان أو القنب ويثقلونها بالحجارة ويلقونها في البحر ويمشون بالزوارق، فينجر ذلك الكتان على قعر البحر وينكسر ويتعلق بالكتان، فيتفقدونه ويأخذون ما يتعلق منه، ويقولون أن المرجان إذا كان في قعر البحر فإنما هو رطب لين، فإذا مسه الهواد فإذا هو مسه الهواد اشتد وتحجر، ويخرج البحر منه في ذلك كل سنة قناطير، وهو أنفس مرجان الدنيا، وهو أنفق شئ بالهند والصين، ومن استخداماته أنه يدخل في صناعة الحلي، وفي بعض العلاجات النفسي؛ مجهول: الاستبصار، ص 126؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 57؛ الهادي إدريس: المرجع السابق، جـ 2، ص 255.

(2) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 130.

(3) المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 128؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 221.

(4) بلش أو بليش: مدينة بالأندلس تقع شرقي مدينة مالقة؛ ابن العذري: ترصيع الأخبار، ص 138.

(5) أبو مصطفى: نفسه، ص 221.

(6) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 106.

(7) مرسى الخرز: يقع على ساحل إفريقيه بالمغرب الأوسط، وهي مدينة صغيرة وعليها سور حصين ولها قصبة، وحولها عرب كثيرون وعمارة، وبينها وبين مدينة بونة 100 كم تقريباً، وعمارة أهلها صيد المرجان لكثرته، وهو أجل من جميع المرجان بسائر الأقطار صقلية وسبتة ، ويقصده التجار من سائر الأقطار، وعن طريفه استخراج مرجان مرسى الخرز فهي شبيهة بما ذكرته من قبل، فيصاد بالآلات ذات ذوائب كثيرة تصنع من القنب، قد أر هذه الآلات في أعلى القوارب فتلف الخيوط على ما يقاربها من نبات المرجان، فيجذبه الصناع إلى انفسهم ويستخرجونه بكثرة، لذا يباع المرجان بأموال كثيرة، ويخدم معدن المرجان في هذه المدينة في كل عام حوالي خمسون قارباً تقريباً تحت الزيادة أو النقص، وفي كل قارب يعمل عشرون رجلاً تقريباً تحت الزيادة أو النقص؛ ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص 290 – 291؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 3، ص 1257 – 1258؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 124.

(8) ابن رستة: المصدر السابق، ص 290؛ البكري: المغرب، ص 55؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 143؛ البغدادي: المصدر السابق، مجـ 3، ص 1257 – 1258؛ القلقشندي: المصدر السابق، جـ 1، ص 110؛ مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 124؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 245؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 57؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 186؛ الشريف: سبتة الإسلامية، ص 37.

ومدينة سبتة التي كان مرجانها يصدر إلى غانا وسائر بلاد السودان الغربي على شكل خرز من النوع الجيد، وهذا ما أكده الإدريسي بقوله "…. ويصاد بمدينة سبتة شجر المرجان الذي لا يعدله صنف من صنوف المرجان المستخرج في جميع أقطار البحار، وبمدينة سبتة سوق لتفصيله وحكة وصنعة خرز وثقبه وتنظيمه، ومنها يتجهز به إلى سائر البلاد"(1)، خاصة في قرية بليوتش إحدى قرى مدينة سبتة، وهو من أجل وأطيب أنواع المرجان(2).

ولغناء مدينتي سبتة وطنجة بالمرجان، كان ما يصاد بسواحلها يصدره المغرب إلى مصر(3)، كما كانت أفريقية تصدر المرجان إلى مختلف البلدان(4).

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 529؛ القلقشندي: نفسه، جـــ 5، ص 158؛ السبتي: اختصار الأخبار، ص 64؛ أنظر أيضـــاً الشــريف: المرجع الســابق، ص 36 – 37، 47؛ المنوني: حضـــارة الموحدين، ص 55؛ السبتي: المدينة في العصر الوسط، ص 104؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 186 – 187؛ موسى: النشاط الاقتصادي، جـ 1، ص 279؛ نشاط: إطلالات على تاريخ المغرب، ص 78؛ وعن طريقة اســتخراج المرجان من مياه مدينة ســبتة لم تختلف عن مثيلتها المســتعملة بمدينة مرســى الخرز، حيث كان المركب يبحر بنحو عشـرين رجلاً بعضــهم يكون مكلفاً بالغطس تحت الماءوهو مزود بالآلات ذوات ذوائب كثيرة تصـــنع من القنب، تدار هذه الآله في أعالي المركب، فتلف الخيوط على ما قاربها من ثبات المرجان، فيجذبه الرجال إلى أنفسهم؛ الشريف: نفسه، ص 37.

(2) مجهول: الاستبصار، ص 126؛ حركات: المرجع السابق، ص 57.

(3) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 289 – 290.

(4) برنشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، جـ 2، ص 460.

أما عن الأصداف فيذكر مقديش أنواع السلع التي يحملها تجار أغمات إلى بلاد السودان بقوله "... وأهل هذه المدينة (اغمات وريكة) تجار مياسر يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة ... الأصداف"(1)، كما كانت الأصداف الثمينة المستخرجة من نهر فاس (2)، والتي استخدمت في صناعة أدوات الزينة(3)، وفي إشبيلية (بطليوس)، وفي وسطها سمط النهر الأعظم، وفيه جوهر في صدفه وشهرته أغنت من وصفه(4)، ووجدت أيضاً في خرائب بقايا مدينة طنجة، ووجدت بها أصناف الجواهر(5)، كما كان أهل مدينة سلا يأتون ما يروج من تجارة البلاد الأخرى، مثل الجوهر والمرجان والصدف، مما لا وجود له بمدينة سلا، كما كانوا يتجرون بهذه التجارة إلى مدن المغرب مثل فاس ومكناسة، ومراكش وسجلماسة وسائر بلاد المغرب(6).

---

(1) نزهة الأنظار، جـ 1، ص 60؛ أنظر أيضاً حسن: المرجع السابق، ص 273؛ المنوني: المرجع السابق، ص 55؛ السبتي: المرجع السابق، ص 101.

(2) نهر فاس: ويسمى نهر الجواهر، وهو أعلاها بنحو 9 كم تقريباً يخرج منه الصدف الثمين الذي يقوم الجوهر، لذا سمي بنهر الجواهر، ومن فوائده أنه يفتت الحصى التي في المثانة، كما يغسل به الثياب بدلاً من الصابون فيكسوها نقاوة ورائحة طيبة؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص 68.

(3) الزهري: الجغرافية، ص 114؛ الجزنائي: المصدر السابق، ص 68؛ أنظر أيضاً الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 284؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 249.

(4) الزهري: المصدر السابق، ص 88.

(5) البكري: المغرب، ص 109؛ مجهول: الاستبصار، ص 139.

(6) الدكالي: الاتحاف الوجيز (تاريخ العدوتين)، تحقيق: مصطفى بو شعراء، منشورات الخزانة العلمية الصبحية، مطبعة المعارف الجديدة، سلا – المغرب، 1995 م، ص 44.

15- الرخام والأحجار:

اشتهرت الأندلس بكثرة مقاطع الرخام، ويذكر ابن غالب عددهم بقوله "...وأما مقاطع الرخام فمن عشرة مقاطع"(1) بألوانه الأبيض والأحمر والخمري المجزع(2)، والأحجار اللازمة لأغراض البناء والتشييد(3)، ومن أهم المدن الأندلسية الغنية بمقاطع الرخام نذكر منها حصن قريش وبه مقاطع جيدة من الرخام الذي يتميز بأنه رخام أبيض وصلب، وهذا ما أكده الإدريسي بقوله "... أجل الرخام بياضاً .... وأشد صلابة"(4)، ويسمى الرخام الفريش، ويذكر المقري أنه يوجد بجبل قرطبة مقاطع للرخام الأبيض الناصع اللون والخمري(5)، كما وجد أيضاً بقرية ناشرت بالقرب من مدينة بجانة(6)، وفي مدينة سرقسطة التي تميزت بكثرة رخامها(7).

---

(1) فرحة الأنفس، ص 308.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 236؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 167.

(3) القلقشندي: المصدر السابق، جـ 5، ص 236؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 60؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 221.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 574؛ ابن غالب: المصدر السابق، 290؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 3، ص 121؛ الحميري: الروض المعطار، ص 143؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 247؛ بالباس: المدن الإسبانية، ص 122؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 221.

(5) نفح الطيب، جـ 1، ص 167؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 221 – 222؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 29.

(6) المقري: نفسه، جـ 1، ص 167؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 222.

(7) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 118، 150؛ الحميري: الروض المعطار، ص 96 – 97.

كما وجد أيضاً بأماكن متفرقة من كورة غرناطة مثل كورة ألبيرة، وبها مقاطع للرخام الأبيض اللون اللين الذي كان يستخدم في نقش المنحوتات، فكان يتصرف تصرف الكذان(1)، الحجارة الرخوة اللينة ورطوبته يصنع منه الأقداح والأطباق والأكواب والأسطال والحقاق، وكل ما يخرط من الخشب كان يخرط منه(2)، وكذلك مدينة باغة(3) التي اشتهر رخامها بأنه موشاه فيه خمرة وصفرة(4).

كان لتوفر المادة الخام أثره في إزدهار صناعة الرخام في العصر المرابطي، ومن أهم الصناعات التي اعتمدت على الرخام الأحواض والتوابيت وشواهد القبور، وتمتاز توابيت المرية التي اكتشفت في المقابر الأندلسية بأنها كلها مصنوعة من الرخام الأبيض، واشتهرت مدينة المرية بصناعة الأحواض الرخامية(5).

---

(1) الكذان: هو نوع من الرخام الأبيض الذي يتميز بأنه رخو ومسامي؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 222، هامش(4).

(2) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 7، 55، 122؛ بالباس: المدن الاسبانية، ص 122.

(3) مدينة باغة: إحدى مدن الأندلس، وهي بين الغرب والقبلة من ألبيرة، وهي مدينة كثيرة الأشجار، ولمائها خاصية دون المياه، فينعقد حجراً على أطراف وحافات جداوله ويجود فيه الزعفران؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 155؛ ابن غالب: المصدر السابق، ص 283.

(4) القزويني: أثار البلاد، ص 364؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 167؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 222؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 122؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 182.

(5) أبو مصطفى: نفسه، ص 271.

استثمرت مدينة المرية في العصر الموحدي الرخام بعد انقطاع رخام مدينة باغة(1)، ومقطع الرخام الموجود بمدينة المرية يسمى "الرخام الملوكي"(2)، وكان لكثرة رخامها أثره في صناعة التحف الرخامية، وقد وصفها ابن الخطيب بأنها بلد الرخام وذلك في قوله "... بلد (أي المرية) الخام والرخام"(3)، وتمتعت مدينة المرية بشهرة فائقة في صناعة الأحواض والبيلات المختلفة الشكل والزخرفة من الرخام الأبيض منقوشة(4)، كما عرفت مدينة المرية صناعة التوابيت وشواهد القبور، وقد بلغت هذه الصناعة في عصر المرابطين درجة كبيرة من الاتقان، وذلك من خلال نقوش تمثل أشكال محاريب، وفي ذكر تاريخ وفاة المتوفي بالخط الكوفي وبعض الآيات القرآنية مصنوعة من الرخام الأبيض(5)، وكانت أشكال المحاريب عقودها متجاوزة متكسرة تحملها عمد على مناكب ويدور بالعقود طرز مستطيلة الشكل تعلوها أفاريز وتحف بهذه الأفاريز والطرز، ونقوش كتابية، ويغطي المحاريب المنقوشة كتابات جنائزية، وهذا النوع من الشواهد وصل إلى المرية في عصر المرابطين، ومن المشرق الإسلاميفي سائر أنحاء الأندلس، ولذلك سمي هذا النوع باسم الشواهد،

---

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 247.

(2) أبو مصطفى: نفسه، ص 222؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 163؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 60؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 182.

(3) معيار الاختيار، ص 103؛ أنظر أيضاً سالم: المرجع السابق، ص 163، 166؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 271؛ كونستبل: التجارة والتجار في الأندلس، ص 283؛ دندش: المرجع السابق، ص 182.

(4) سالم: نفسه، ص 165؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 271.

(5) دندش: نفسه، ص 182؛ بالباس: المدن الاسبانية، ص 364 – 365.

وينسب إلى المرية معظم التوابيت التي اكتشفت في مقابر الأندلس، وتمتاز توابيت المرية بأنها مصنوعة من الرخام الأبيض، وتسمى بالألواح الضريحية لمدينة المرية، كذلك تسمى بالألواح المرابطية(1)، ويرجع هذا إلى وفرة الرخام في جبل المرية (جبل سيرادي لوس فيلابريس) الواقع إلى الشمال منها، ومن هذه الجبال يقطع وينحت لأغراض مختلفة، مما كان عاملاً من عوامل تقدم صناعة الأحواض والتوابيت وشواهد القبور، فكانت عادة الكتابة على رخام القبور أمراً شائعاً في هذا العصر(2).

لم يعثر بالمرية على أثر شواهد في عهد الموحدين، وكل ما عثر عليه منذ سقوط المدينة في أيدي النصارى عام 542 هـ / 1129 م حتى استيلاء القشتاليين عليها نهائياً عام 895 هـ / 1489 م، كل ما عثر عليه في هذه الفترة هذه الشواهد والآثار الجنائزية المصنوعة من الرخام الأبيض في العصر المرابطي، وإن دل هذاعلى شئ إنما يدل على التقدم الاقتصادي الذي بلغته مدينة المرية في عصر المرابطين، وازدهار فن النحت على الرخام في هذا العصر، ولكن هذه الآثار انعدمت بعد عام 542 هـ / 1129 م، وهو تاريخ بداية اضمحلالها الاقتصادي والذي استمر من هذا التاريخ حتى سقوطها في أيدي النصارى عام 695 هـ / 1259 م(3).

---

(1) سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 163 – 164؛ بالباس: المدن الاسبانية، ص 366 – 367، 392.
(2) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 109.
(3) سالم: المرجع السابق، ص 163، 164 – 165.

ومن أهم استخدامات الرخام أنه يدخل في فن المعمار في بناء عدة قصور ومؤسسات عمومية، كبعض المساجد والمدارس بالمغرب والأندلس(1)، كما كان يدخل في بناء بعض الدور(2)، ففي المساجد المرابطية اعتمد على الرخام في إنشاء الأعمدة التي ترتكز عليها العقود المؤدية إلى المحاريب، أما الأعمدة الحجرية والرخامية التي استخدمت في بعض الأبنية كالخيرالدة وصحن الجص بقصر إشبيلية(3).

كما استخدم الخليفة 'المنصور' الموحدي(580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) عندما أنشأ مستشفى مراكش، وفي صناعة برك المياه الذي أسسها شرق الجامع وأجرى منه مياهها، كثر تدور على البيوت وزيادة على أربع برك، وفي وسط إحداهما رخام أبيض(4)، كما اعتمد الخليفة 'يعقوب المنصور' عليه في بناء جامع حسان، على الأعمدة الرخامية والصخرية التي تقع على يمين الطريق أبو الرقراق من الرباط إلى مدينة سلا في مواجهة أبي الرقراق، الذي يعد من أكبر مساجد العالم الإسلامي،

---

(1) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 60.
(2) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 55.
(3) بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 19.
(4) ابن أبي دينار: المؤنس، ص 141؛ أنظر أيضاً موسى: الموحدون، ص 293؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 115؛ سالم: المغرب الكبير، ص 707 – 708؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 92 – 93؛ بالباس: الفن المرابطي، ص 33 – 34.

حيث بني على مائتي سارية من عمد الرخام الصلد، محيط العمود منها أربعة عشر شبر وطوله أزيد من عشرين شبراً، وشيد منارته في الجو، فكان زرعها من جهاتها الأربع أربع مائة ذراع تقريباً، وهي مبنية بالصخور مثل البناء الروماني، وانتهى من بناء هذا الجامع عام 593 هـ / 1196 م(1)، كما أوصى الخليفة 'المنصور' أن يدفن بمدينة سلا ويوضع فوق قبره شاهدان من الرخام (2)، فقد كان الرخام يستخدم في تزيين القبور(3).

يعد جامع حسان بالرباط هو الوحيد الذي اشتمل على أعمدة رخامية أسطوانية(4)، كما تميزت قسطيلية حاضرة ألبيرة بكثرة مقاطع الرخام الأبيض الذي يسمى (الكذان)، ويصنع منه الأقداح والأكواب والأسطال والحقاق من الرخام(5)، واشتهرت برجة برخامها الجيد اللون(6)،

(1) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 2، ص 566؛ الدكالي: الإتحاف الوجيز، ص 92؛ أنظر أيضاً العربي: المغرب، ص 138 – 139؛ العبادي: صــور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 215؛ بالباس: المرجع السابق، ص 22.
(2) الوزان: وصف أفريقيا، ص 209.
(3) ابن بشكوال: الصلة، ق 2، ص 558، 621؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 254.
(4) بالباس: نفسه، ص 22؛ أنظر ملحق رقم 4.
(5) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 222، 271.
(6) سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 166.

وأيضاً جبل من الرخام الأحمر يقع بغربي مرسية(1)، وفي كارش من أعمال المرية جبل للمرمر الملون(2)، كما وجدت مقاطع أخرى للرخام في أشكونيـة(3)، وشلوبنيـة(4)، وشلب(5)، الغنية برخـامها المتميز(6)، وأشبـونـة(7) ومـاردة(8)، التي تتميز بألواحها الرخامية الشديدة الصفــاء(9).

اشتهرت بعض المدن المغربية بجودة رخامها ومنها مدينة تونس التي استفاد أهل البلاد الشرقية من رخامها ومرمرها خاصة في العصر الموحدي، لذا كان يصدر إلى جميع الجهات(10)

---

(1) الزهري: الجغرافية، ص 99؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 222.
(2) أبو مصطفى: نفسه، ص 222.
(3) أبو مصطفى: نفسه، ص 222.
(4) أبو مصطفى: نفسه، ص 222.
(5) مدينة شلب: مدنية بالأندلس، وهي قاعدة كورة أكشونبة، تقع في قبلي مدينة باجة كثيرة المياه والمسارح، وأكثر ما ينبت بها شــجر التفاح العجيب، ويخرج منه روائح العود، وعليها ســور حصــين ولها غلات وجنات وعليها أرحاء وبها دار لصـــناعة الســفن، يكثر العود بجبالها ويحمل منها إلى جميع الأنحاء، وأسواقها مرتبة؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 543؛ الحميري: الروض المعطار، ص 106.
(6) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص222.
(7) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 163؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 222.
(8) مدينة ماردة: مدينة بالأندلس واســعة لها حصــون عديدة، تقع بين الغرب والشــمال من مدينة قرطبة، والمســافة بينهم للراكب ما يقرب من 175 كم، وهي من القواعد التي اختارها ملوك العجم للقرار، وترددت عليها الملوك وتجددت بها الأبار؛ ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص 147؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 3، ص 121؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 290.
(9) ابن الكردبوس: نفســه، ص 147؛ الحميري: الروض المعطار، ص 177؛ أنظر أيضــاً أبو مصــطفى: نفسه، ص 222؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 60.
(10) المركشــي: المعجب، ص 285؛ العمري: مسالك الأبصار، ص 145؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 300؛ أنظر أيضــاً موســى: النشــاط الاقتصــادي، ص 245، 253؛ عفيفي: الحضــارة الإسـلامية، ص 184.

فكانت مدينة تونس مفروشة بالرخام، وهذا ما أكده البكري بقوله "... دور (أي مدينة تونس) أبوابها رخام وداخلها سخام"(1)، ورخام مدينة قفصة الذي تميز بأنه لا يوجد أجمل منه بأفريقية(2)، وأيضاً رخام مدينة طنجة الذي تميز رخامها بأنه منجور وجيد الشكل(3).

أما فيما يتعلق بمقاطع الأحجار فكانت تكثر في مناطق عديدة من الأندلس أهمها في مدينة قرمونة(4) داخل المدينة وفي شمالها(5)، ومن أهم مناطق الأحجار في بلاد المغرب جبل إيجليز، وهو جبل صغير يحيط بمدينة مراكش المعروف "بدار الحجر"، وكانت تقطع منه الأحجار التي بنى بها الأمير 'علي بن يوسف بن تاشفين' قصره(6).

---

(1) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص 40؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 102؛ مجهول: الاستبصار، ص120؛ العمري: المصدر السابق، ص 145.
(2) مجهول: المصدر السابق، ص 153.
(3) البكري: المصدر السابق، ص 109؛ مجهول: نفسه، ص 138.
(4) قرمونة: إحدى مدن الأندلس تقع إلى الشرق من مدينة إشبيلية، وغرب مدينة قرطبة، وهي مدينة قديمة البناء، وتعد من أحصن المدن وأتقنها وأمنعها، ولها مدن كثيرة منها مرشأنه؛ ابن الكردبوس: نفسه، ص 138؛ ابن غالب: نفسه، ص 292.
(5) الحميري: المصدر السابق، ص 159؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 222.
(6) القلقشندي: المصدر السابق، جـ 5، ص 161؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 60 – 61؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 704؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 30؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 242؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 304.

كان لاهتمام دولة الموحدين ببناء أرض البساتين وتشييد الأبنية لتستوي كل قطعة من أرض منفصلة عن الأخرى، لذا استعملت الأحجار لهذا الغرض(1)، أما عن مقاطع الجير (الكلس) والجبس (الجص) فقد كانت متوفرة بالأندلس، من أهم مناطق الأندلس ثراءاً بمقاطع الجص والجير مدينة سرقسطة، لهذا سميت بالمدينة البيضاء(2)، كما انتشر الجص أيضاً بجبال بجاية قرب مدينة المرية(3).

واشتهرت مدينة المرية بأن جصها يشبه الدرر في رونقه، وله ألوان عجيبة فيتخذ للزينة، ومنها يصدر إلى جميع البلاد، وتستخدم في تبريد المياه فيضعونه في كيزان الماء والبراريد لتبريد المياه، لذا فهو يصدر إلى جميع البلدان(4)، وايضاً تستخدم في تزيين حوائط المنازل والقصور والمساجد(5)، لذا كان الأمراء والرؤساء بمراكش يستوردون من مدينة المرية (الحصا الملون) ليزينوا به بعض أدوات الطعام(6)، ولقد برع الصناع في الحفر على الجص والحجر الذي يستخدم في تزيين المنازل والقصور(7).

---

(1) موسى: المرجع السابق، ص 191.
(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 554؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 118، هامش (2)؛ الحميري: الروض المعطار، ص 96 – 97؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 222؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 85.
(3) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 222؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 122.
(4) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 182.
(5) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 167؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 247؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 122؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 163.
(6) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 285 – 286.
(7) دندش: المرجع السابق، ص 187.

كما اشتهرت مدينة متوسة التي تبعد عن مدينة بجاية بحوالي 18 كم تقريباً، وهي تقع على الساحل أو بالقرب منه "…. وهي (متوسة) قرية عامرة وبها معادن الجص، ومنها يحمل إلى بجاية"(1).

وفي العصر الموحدي ظهر الجص بمدينة جيجل(2) بكثرة(3)، كما ظهر أيضاً في بعض المدن المغربية ومنها ملاحة مدينة فاس ومن عجائبها أن بها معدن الجص وأنواع الحجارة(4).

---

(1) الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 104.
(2) جيجل: مدينة قديمة تقع على البحر، وهي كثيرة العنب والتفاح والفواكه، ومنها تحمل الفواكه والعنب والرب إلى بجاية، وعلى هذه المدينة يقع جبل كتامة؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 1، ص 268؛ الحميري: المصدر السابق، ص 128.
(3) موسى: المرجع السابق، ص 245.
(4) الجزنائي: زهرة الآس، ص 69؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 44.

16- العنبر:

السواحل الأندلسية الغربية المطلة على المحيط الأطلسي غنية بالعنبر(1) الغزير(2)، لاسيما ساحل مدينة شنترين الذي يقذفه البحر إلى ساحله على البحر المحيط في بعض الأوقات من السنة(3).

يكثر العنبر بمدينة شذونة(4) الواقعة جنوب الأندلس، ويصدر منهاإلى قرطبة ومصر (5)

---

(1) العنبر: تختلف الروايات عن تعريف العنبر، فيذكر البعض أنه نبات في قعر البحر، أو روث بعض الحيتان البحرية، كما يذكر ابن الكردبوس بأنه يخرج من غرب الأندلس، وهو عبارة عن مادة صـــلبة ليس لها طعم ولا رائحة إلا إذا ســـحقت أو أحرقت فإنه حينئذ ينبعث منه رائحة زكية (تاريخ الأندلس، ص 130، هامش (3)؛ أنظر أيضـاً حركات: النشـاط الاقتصـادي، ص 45) ؛ فيما يذكر الوزان بأن سـمكة العنبرة لا تشـاهد إلا ميتة لأن البحر يقذفها عندئذ على السـاحل ورأسـها صـلب جداً يبلغ طوله 16.75 م، ويذكر السكان بساحل المحيط أن هذا السمك يفرز العنبر ولا نعرف إن كان برازه أو منيه هو العنبر (وصف أفريقيا، ص 646 – 647)؛ ويرى البعض الآخر أنه مادة صمغية تستقر من أشجار بقاع البحر وبعد نزولها في مياة البحر تتحجر وتحملها الأمواج إلى الشـــاطئ (أبو مصـــطفى: تاريخ الأندلس، ص 223)؛ كما يذكر أن هذه العنبرة يتراوح وزنها من قنطار وأكثر ذات الرائحة الطيبة؛ الشكعة (مصطفى): المغرب والأندلس، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة – بيروت، 1987 م، ص 218)؛ أما الزهري فيذكر أن العنبر وهو على صـــفة الحيتان طول الدابة منها أربعون ذراعاً وأكثر، وعرضـــها عشـرون ونحوها، وارتفاعها مثل ذلك، فإذا خرجت الدابة من هذه الدواب قذف بها البحر فتؤخذ وتفتح بطونها ويخرج منها كراش العنبر، ويتصـــف بأنه طيب الرائحه (الجغرافية، ص 17).

(2) مؤنس: الجغرافية والجغرافيون، ص 488؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 223؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 238.

(3) وبه دابة تحك الحجارة في وســـط البحر فيقع بها وبره في لين الخز ولون الذهب، فيجمع منه ما يغزل وينســـج ثياب، ويتلون الثوب ألواناً ويزيد قيمة الثوب على الألف دينار لجودته؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجـــ 7، ص 138؛ القزويني: أثار البلاد، ص 364؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 223.

(4) مدينة شـذونة: إحدى مدن الأندلس المتصـلة بكورة موررور، وهي مدينة كثيرة الخيرات، بها نهر يسـمى برباط؛ ابن الكردبوس: نفسه، ص 135 – 136.

(5) المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 127، 129؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 223؛ العبادي وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 63؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 45.

كما يشير الحميري إلى أن أطيب العنبر الغربي إنما يوجد بساحل شذونة(1)، ومن مدينة أشبونة شنترة وبها عنبر جيد ويكثر بسواحلها،وهو يفوق كل العنبر ولا يشبهه إلا الهندي(2)، وفي إشبونة يوجد بساحلها العنبر الفائق(3)، وكذلك بكورة أشكونبة، خاصة بساحل قاعدتها شلب، حيث يتوفر بها العنبر الفائق الذي يشبه الهندي(4)، وعنبر جزيرة أيوني على ساحل المحيط من بلاد جدالة كذلك يتواجد العنبر الجيد(5).

كما اشتهرت مدينة أودغست بالعنبر الغزير ويجلب منها لقربها من البحر المحيط(6)، ومن أهم استخداماته أنه يدخل في صناعة العطور والطيب، ويستخدمه النساء على وجه الخصوص في تعطير أجسامهن(7).

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص 101، 113؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 223؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 247.

(2) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 111؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 291؛ الحميري: المصدر السابق، ص 113؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 223.

(3) القزويني: أثار البلاد، ص 373؛ ابن غالب: المصدر السابق، ص 308؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 134؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 223.

(4) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، جـ 1، ص 380؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 108؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 291؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 223.

(5) البكري: المغرب، ص 171؛ مجهول: الاستبصار، ص 214؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 3، ص 516، جـ 4، ص 98.

(6) البكري: المصدر السابق، ص 159؛ مجهول: المصدر السابق، ص 216؛ أنظر أيضاً الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي، ص 161؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 3، ص 515؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 27؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 285؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 45.

(7) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 223 – 224.

17- المياة المعدنية أو الحارة (الحمامات):

عرف الأندلسيون أهمية المياة الكبريتية الساخنة بالحمامات(1) في علاج بعض الأمراض لاسيما داء المفاصل(2)، وكثرت الحمات خاصة في شرقي مدينة بجانة على مسافة حوالي 8.5 كم تقريباً منها، وكانت مياهها تتميز بالحرارة العالية، لهذا كان المرضى يقصدونها من كل جهات الأندلس ويقيمون بها إلى أن يتم شفاؤهم، كما كان يقصدها أهل المرية ونساؤهم وأولادهم ليقضون بها فصل الربيع، وينفقون هناك الكثير من الأموال(3).

اشتهرت عدة حمات في الأندلس من أهمها في حمة شمالي بجانة أغزر من الأولى وأنجح منها في علاج المراض وإصلاح الأبدان(4)، كذلك يوجد في إشبونة حمة تقع بالقرب من ساحل البحر المحيط(5)، وهناك حمة أخرى تقع بالقرب من مدينة مالقة، وتشتمل على بيت لاستحمام الرجال وآخر للنساء(6).

---

(1) الحمة أو الحامة: هو عين ماء حار كبريتي ساخن، ويوجد في بعض القرى والحصون بالأندلس، والتي تحمل هذا الاسم لوجود هذه العين بها، والحمة بلد صغير تقع على قمة جبل بالقرب من مدينة بجانة من أعمال مدينة المرية، وأطلق العرب عليها اسم الحمة نسبة إلى العين الحارة التي توجد بها؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 92، هامش (2)؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 224، هامش (2)؛ عبد الحميد: نفسه، جـ 4، ص 62.

(2) ابن بشكوال: الصلة، ق 1، ص 62، ترجمة رقم 130؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 224.

(3) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2008م، ص 104، ترجمة رقم 85؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 84، 92؛ الحميري: الروض المعطار، ص 38؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 224

(4) الحميري: المصدر السابق، ص 39؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 224.

(5) أبو مصطفى: نفسه، ص 225.

(6) نفسه، ص 225.

وحمة أخرى تقع بالقرب من جبل شلير بغرناطة كان يتداوى به المرضى(1)، كما وجدت حمة أخرى بقرب مدينة مرسية تسمى حمة بلقوار، وكانت هذه الحمة تشتمل على بيتين مقببين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وأصل العين كان في بيت الرجال، ومازال الاسم يطلق عليها حتى الآن على حصن قريب من مرسية يسمى "Al hama"(2).

وعن أهم الحمات في بلاد المغرب توجد عشرة موارد للماء على طول الطريق من سجلماسة إلى فاس بعد مراحل الطريق العشرة، فكان طول هذا الطريق من مدينة سجلماسة إلى مدينة فاس يبلغ نحو 400 كم تقريباً، وأول هذه الموارد حمة، والطريق من مدينة درعة إلى مدينة سجلماسة يمتد مسافة 991 كم تقريباً في محطات مائها(3).

18- صناعة الأسلحة:

ويرجع نجاح الصناعة إلى وفرة الموارد الاقتصادية ووفرة الصناعالمحترفين، لذلك فمثلت الحرف القاعدة الانتاجية للمدنية، وكان الحرفيون يقومون بدور بارز في تنشيط الحياة الاقتصادية عن طريق تحويل المواد المعدنية إلى بضائع استهلاكية قابلة للتسويق، فالأسواق تمثل الاستهلاك، واكتسب الصناع خبرتهم نتيجة المهارات التي تجمعت لدربهم عبر السنين،

---

(1) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 225
(2) نفسه، ص 224
(3) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 62.

ونتيجة الهجرات المبكرة بين بلاد المغرب والأندلس وأفريقية، واختلاط المهاجرين بالسكان مما نتج عنه تنوع الخبرات(1).

اعتمدت صناعة الأسلحة بالدرجة الأولى على معدن الحديد الذي توافر في بلاد المغرب والأندلس خاصة في عهد المرابطين والموحدين(2)، أما بالنسبة للدولة المرابطية فكانت في بداية عهدها تتسم بطريقتها الصحراوية في القتال، تلك الطريقة التي تتناسب مع طبيعتهم الصحراوية(3)، فقد كانت أسلحتها حقيقية تناسب طبيعتهم البدوية مثل الرماح(4)، والسيوف(5)، والمزاريق، ودرق اللمط(6)، ونوع من الخناجر المقوسة أو المعقوفة التي يطلقون عليها اسم الأطاس أو الطاس،

---

(1) بنعبد الله (عبد العزيز): مظاهر الحضـــارة المغربية، دار الســـلمى، الجزائر، 1958 م،ق 2، ص 96؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة المغربية، ص 163.

(2) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 108.

(3) العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 123.

(4) الرماح اســـتخدمها المرابطون قبل اســـتخدام الفؤوس وانتشـــار حمل الرماح بين أهل البلاد المتاخمة للصحراء كما في السوس؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 4، ص 76.

(5) السيوف والرماح كما يذكر اليافعي كان لها دوراً كبيراً في تملك الأمير يوسف بن تاشفين لبلاد الأندلس؛ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإســـلامي، القاهرة، 1993 م، جـ 3، ص 166.

(6) درق اللمط: واللمط حيوان من فصـــيلة الظباء يعيش في صـــحاري بلادهم أفريقيا، كما ورد ما يفيد أن لمطة اسم مكان وقبيلة من قبائل صنهاجة عند السوس الأقصى، وبينها وبين مدينة سجلماسة 290 كم تقريباً، ويقال أنهم ينقعون الجلود في اللبن الحليب ســـنة كاملة ثم يعملونها درقاً، معدن الدرق اللمطية لا يوجد فيها في الدنيا، فعرف هذا النوع من الدرق الأندلسـيون من قبل واسـتخدمه الأمويون في جيوشـهم؛ مجهول: الاستبصار، ص 214؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجـــ 7، ص 115؛ أنظر أيضاً العبادي: صـــور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 46؛ الســـعيد (أحمد): الحياة الحربية لبني الأحمر في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة طنطا، 2005 م،ص85؛ أنظر ملحق رقم 5.

ويبدو أن سلاح الأطاس أو الطاس لم يكن معروفاً لدى الاسبان، بدليل الملك ألفونسو السادس قد ظنه منجلاً حينما طعنه به في فخذه أحد عبيد الأمير يوسف بن تاشفين في موقعة الزلاقة، حيث صاح قائلا "... غلام أسود فضربني في فخذي بمنجل أراق دمي"(1). يعود ازدهار هذه الأسلحة إلى الحروب المستمرة بين الملثمين وغيرهممن جيرانهم الوثنيين من السودان وغانة(2)، فكان ʻعبد الله بن ياسينʼ موهوباً يخوض حروباً بنفسه، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات والخنادق وآلات الرقاع(3).

اهتم المرابطون بالصناعات الحربية(4) وعملوا على تطويرها، خاصة بعد عبور المرابطين إلى الأندلس حينما وفد على الأمير ʻيوسف بن تاشفين جماعةمن الأندلس ليشكو له حال الأندلس المتردية عام 474 هـ / 1081 م، ولم يكتفي المرابطون بهذه الأسلحة اليدوية الخفيفة بل طوروها واستخدموا كل ما هو معروف وشائع من أنواع الأسلحة المعروفة في هذا العصر،

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 61؛ أنظر أيضاً العبادي: المرجع السابق، ص 125.
(2) نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص 15؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 13؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 136؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 143.
(3) الصلابي: المرجع السابق، ص 46.
(4) نصر الله: المرجع السابق، ص 16؛ الصلابي: المرجع السابق، ص 13، 46.

فيروي صاحب الحلل الموشية أنه لما عزم يوسف بن تاشفين إلى العبور إلى الأندلس بقوله "... بعث إلى الأندلس برسم شراء العدة، وآلات الحروب، فاشترى له منها كثر، وكان ذلك العام عام اقتناء العدة، واتخاذ السلاح، واقتناء الأجناد واختيار الرجال، فبلغ بجيشه إلى اثنى عشر ألف فارس، كلهم نخبة أنجاد، وجاز إلى الأندلس أربع مرات"(1). وعبر 'يوسف بن تاشفين' إلى الأندلس بدعوة من 'المعتمد بن عباد' وأعلمه بحال الأندلس، ووعده الأمير 'يوسف بن تاشفين' خيراً وأجاب طلبه(2)، وعاد 'المعتمد بن عباد' إلى إشبيلية ونشط السلاح من السهام والمطارد والرعادات للالتحام مع نصارى الأندلس(3)، فكانت وقعة الزلاقة(4)

---

(1) مجهول: المصدر السابق، ص 37؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 180؛ العبادي: صــــور من حياة الحرب والجهاد، ص 126؛ العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص 330 – 331.

(2) مجهول: نفسه،ص 48؛ أنظر أيضاً نصر الله: تاريخ العرب السياسي، ص 254.

(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 252؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 230؛ نصر الله: تاريخ العرب السياسي، ص 254؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، جـ 3، ص 130.

(4) وقعة الزلاقة: تقع الزلاقة على بعد 12 كم تقريباً شــمال شــرق بطليوس وأحد أعمالها، ويســمى أيضــاً الســهلة، ويســميه النصــارى أُســكرالياس؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس93؛ (ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 146)؛ وفي هذا المكان حدثت الواقعة الشــهيرة المعروفة باســم الزلاقة بين المرابطين بقيادة الأمير يوسـف بن تاشـفين والنصـارى بقيادة ألفونسـو السـادس، فكان النصـر للمسـلمين؛ (ابن أبي زرع: المصـدر السـابق، ص 146 – 149؛ الحميري: الروض المعطار، ص 83 – 85؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـ 4، ص 306).

عام 479 هـ / 1086 م، ومنها دفع الأمير 'يوسف بن تاشفين' حرصه الخاص من السودان إلى القتال فترجل منهم حوالي أربعة آلاف كانوا مسلحين بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان(1).

ووجد 'يوسف بن تاشفين' أن خيول العدو المدرعة لا يؤثر فيها السلاح، وبعث إلى الأندلس الأموال الكثيرة ليشتري ما يلزمه من السلاح المختلفة، فتوجه للأندلس للجهاد وعبر إلى الجزيرة الخضراء ومنها استنصر بالأندلسيين للجهاد فاستجابوا لطلبه، ووفد عليه البناؤون والنجارون والحدادون من مرسية بآلات الحرب(2).

وفي انتصار الزلاقة اكتسب المسلمين الكثير من الآلات الحربية والأموال والسيوف والحلي ومناطق الذهب والفضة ما أغناهم(3)، وفي جواز الأمير 'يوسف بن تاشفين' الثاني سنة 481 هـ / 1088 م وفدت عليه بالأندلس وجوه الأندلس من أهل بلنسية ومرسية ولورقة وبسطة وشكوا إليه ما حل بهم من ملوك النصارى، فأكثر من أعمال السهام والمطارد وعمل العرادات وغيرها من الآلات،

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجـ 7، ص 115؛ ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 4، ص 116؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 439؛ انظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 180؛ نصر الله: المرجع السابق، ص 240؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 104؛ حسن: قيام دولة المرابطين، ص 241، 331 – 332؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 111؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 134؛ بخيت: تاريخ الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص 294؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 4، ص 309.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص 67 – 68؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: نفسه، جـ 4، ص 322؛ نصر الله: نفسه، ص 254 – 255؛ دوزي: المرجع السابق، جـ 3، ص 139.

(3) مجهول: المصدر السابق، ص 66.

وجاءهم من مدينة مرسية النجارون والبناؤون والحدادون، واضطربت المحلة محدقة بحصن ليبط(1)، وتجمعوا بهذا الحصن الذي كان به 12 ألف مقاتل من الحامية النصرانية(2)، ومن هذه المعارك يتضح لنا مدى شجاعة المرابطين وشدة بأسهم، فهم يختارون الموت على الهزيمة، واتصفوا بقوة ضرباتهم بالسيوف عند الالتحام(3).

اعتمد الجيش المرابطي على الخيل في الحراب الطويلة والمزاريق القصيرة التي كانت تعتبر بمثابة العمود الفقري لقوات المشاة، وهذا التجديد في التسليح إنما هو دلالة واضحة على أخذ المرابطين بأساليب الحرب في بلاد الحضارة المتاخمة للصحراء، وقد وقع بين أيديهم من أطراق بلاد المغرب خاصة في بلاد السوس الأقصى بلاد اتسمت بالتحضر في استعمال النشاب والمزاريق، والتي كان الرجل يحمل عدداً منها دفعة واحدة، وهذا الأمر كان يتطلب اتخاذ خططاً حربية تتناسب مع هذا التجديد الحضري في التسليح(4)، فقد سلح الأمير 'يوسف بن تاشفين' الجيش بكل أنواع الأسلحة المعروفة من مغربية وبدوية وأندلسية ونصرانية(5).

(1) حصن ليبط: وهو أحد حصون الأندلس الواقعة على رأس جبل شاهق من أعمال لورقة، على مسافة 17 كم تقريباً من مدينة لورقة، ويسميه الأسبان "Aledo"؛ مجهول: المصدر السابق، ص 52، هامش (2)، ص 67.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 4، ص 142؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 67 – 68؛ أنظر أيضاً نصر الله: تاريخ العرب السياسي، ص 255.

(3) العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 122 – 123، هامش (1).

(4) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 201.

(5) حسن: قيام دولة المرابطين، ص 335؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 192 – 193.

فكان سلاح كل فرقة من الجيش يتناسب مع تركيبها ووصفها القتالي، فمشاة الصف الأول يتحلوا بالقنا الطوال (الرماح) والمزاريق ودرق اللمط(1).

وقد أبقى 'يوسف بن تاشفين' نظام التسليح الخفيف المكون من درق اللمط والقنا الطوال(2)، واستعان بفرق من الرماة بالسهام والنشاب التي ذاع صيتهافي شدة الفتك واتقان الرماية(3)، كما استعان بمقاتلة من العرب عندما التحم المرابطون بملوك الطوائف والأسبان، فوجدوهم يعتمدون اعتماداً مطلقاً على التسليح الثقيل، كما أنهم بدأوا يسلحون فرقهم بالتروس(4)، ويحملون الدروع ويلبسون البيضات(5)، بالإضافة إلى المطارد والرعادات، واستخدام الطبول الضخمة ذات الأصوات، فكانت تضرب قبل بدء المعركة لتجهز لذويها الأرض وتتجاوب اصداءها فيرتاع العدو(6)، وتشير لنا الهدية التي أهداها الأمير 'يوسف بن تاشفين' إلى ابن عمه 'أبو بكر بن عمر اللمتوني' إلى مدى اهتمام المرابطين بصناعة السلاح، وقد ذكرها صاحب الحلل الموشية بقوله "...

---

(1) نصر الله: دولة المرابطين، ص 171؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـــ 4، ص 201؛ حسن: المرجع السـابق، ص 335؛ الصـلابي: المرجع السـابق، ص 192 – 193؛ العبادي: المرجع السـابق، ص 122- 123.

(2) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص 89.

(3) حسن: نفسه، ص 335؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 136؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 262.

(4) حسن: نفسه، ص 335؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 136.

(5) الترس: عبارة عن صفحة مستديرة من الفولاذ تحمل في اليد، يقي بها الجندي ضربات السيف والرمح ويصنع من الحديد أو الخشب من أعواد مضمومة إلى بعضها بواسطة خيط من القطن، وهو يعد من الأسلحة الدفاعية الهامة بالأندلس؛ السعيد: الحياة الحربية لبني الأحمر، ص 84.

(6) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 143.

ولما وصل إليها(أبو بكر بن عمر) بعث إليه (يوسف بن تاشفين) بهدية أهداها إليه، كان معظم ما فيها ... سبعين فرساً منها خمسة وعشرون مجهزة بجهاز محلى بالذهب، وسبعين سيفاً منها عشرون محلاة بالذهب، والخمسون غير محلاة، وعشرين زوجان المهامز المحلاة بالذهب"(1).

نجح الأمير ʻيوسف بن تاشفينʼ في تكوين جيش قوي، مكون من مدافعين بالحراب الطوال ومهاجمين بالنشاب والمزاريق والسهام والنبال(2)، وبعد وفاة الأمير ʻيوسف بن تاشفينʼ استمر أبناؤه وأحفاده في الاهتمام بصناعة الأسلحة، واهتم الأمير ʻ علي بن يوسفʼ (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م) بصناعة الأسلحة، وقلد على الأسلحة أوسع الأرزاق(3)، ويذكر أحد المعاصرين للأمير ʻعلي بن يوسفʼ وهو الطرطوش (ت 520 هـ / 1126 م) خير وصف لصَفَةِ اللقاء أن تقدم الرجالة بالدرق الكامل والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيَصُّفوا صفوفهم(4)، كما أمر الأمير ʻعلي بن يوسفʼ في عام 514 هـ / 1120 م) بأحياء المجانيق والآلات الحربية(5)، فكانت من ضمن صلاحيات الولاة في عهد الأمير ʻعلي بن يوسفʼ ثم يقومون بتنشيط صناعة الأسلحة(6).

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 27؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 62.
(2) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 255.
(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس، ص 136.
(4) الهرفي: دولة المرابطين، ص 261.
(5) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، جـ 4، ص 82.
(6) الهرفي: المرجع السابق، ص 255.

وفي عهد الأمير 'تاشفين بن علي' (537 – 540 هـ / 1142 – 1146 م) وبالتحديد في العام 523 هـ / 1128 م ولى الأمير 'أبو محمد تاشفين' بن أمير المسلمين 'علي بن يوسف' وعمد إلى ناحية غرناطة إلى رحبة القصر وحرصعلى تزويد الحرب بما تحتاج إليه من عدة سلاح وقوى الحصون، وأقام بها البيوت واتخذها لخزن السلاح، ومقاعد للرجال وضرب السهام، وأنشأ القس وعمل التراس ونسج الدروع وصقل البيضات والسيوف وربط الخيول(1)، وفي بداية أمر المرابطين لم يألفوا لبس الخوذات والدروع مثلما كان يفعل الأندلسيون(2).

كما اعتمد المرابطون على نصارى المغرب الأقصى في صناعة الأسلحة، مما أدى إلى تطوير هذه الصناعة، فاختفى دور الجمل في المعركة، وحلت محلة الخيول(3)، كما كان لكل فرقة علمها الخاص، ففرق لمتونة راياتها بيضاء مكتوب عليها بعض الآيات القرآنية، بينما رايات الفرق الأندلسية حمراء، واتخذت فرق زناتة والحشم رايات متعددة الألوان، فكان لكل قبيلة لونها(4).

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـــ 1، ص 449 – 450؛ مجهول: المصدر السابق، ص 121؛ أ،ظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 124؛ حسن: قيام دولة المرابطين، ص 308.
(2) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 252.
(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 74، 89.
(4) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 143.

أشاد المؤرخون بمهارة الأندلسيين في صناعة الآلات الحربية، وهذا ما أكده ابن غالب بقوله "فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع، تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها، فهم أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب"(1).

عمل الأندلسيون على المحافظة على التراث الصناعي وتطويره، وشجعوا على التنقيب على المعادن ولاسيما معدن الحديد بالأندلس، الذي اشتهر بجودته في جميع أنحاء العالم،

(1) فرحة الأنفس، ص 282؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 4، ص 150؛ أنظر أيضاً العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد، ص 42؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيون، ص 351؛ بوتشـــيش: المرجع الســـابق، ص 170.

ومن أهم المراكز الصناعية التي اشتهرت بصناعة الأسلحة وآلات الحرب مدينة طليطلة(1) واشبيلية(2) والمرية ومرسية(3) وغرناطة(4)، ومدينة وشقة(5) التي كانت الدروع تصنع بها والبيضات الرشيقة(6)، كما صنع بطرطوشة كل آلة مسنة من الآلات الحربية مثل الأبراج والسلالم(7).

ومن أهم أسلحة الأندلسيين آلات الحرب من الترس والرماح الطويلة للطعن، ولا يعرفون الدبابيس ولا القسي العرب، بل يعدون قسي الافرنج للحصار(8)

---

(1) ابن سعيد: المغرب، جـــ 2، ص 9؛ أنظر أيضاً ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 60، 98.

(2) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 250.

(3) سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 171؛ العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص 331.

(4) وجند غرناطة صنفان، أندلسي وبربري يقودهم رئيس وفر العقل من شيوخهم، وزيهم يشبه زي أعدائهم من جيرانهم من الفرنج، وأسلحتهم الدروع وتعليق الترسة والبيضات وقرابيس السروج، واستركاب حملة الرايات كل منهم بصفة تختص بسلاحه وشهرة يعرف بها، والبيضات المرهقات والسروج العربية، والبيت اللمطية والأسل، وسلاحهم العصاة الطويلة المثناة عند قذفها تسمى بالأمدلس (ابن الخطيب: الإحاطة، مجـــ 1، ص 36؛ اللمحة البدرية، ص 41 – 42)؛ وفي غزوة غرناطة على ابن همشك، نظر الخليفة عبد المؤمن بن علي لمدينة غرناطة وملأ مخازنها في القصبة بالآلات الحربية من الرماح والدرق والسيوف والقسي والسهام والترسة بما أبهت الناظرين (سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 182 – 183؛ الغناي: قيام دولة الموحدين، ص 136).

(5) مدينة وشقة: مدينة أندلسية تقع إلى الشرق من مدينة سرقسطة، وهي مدينة حسنة البناء كثيرة المساجد، وأرضها كريمة البقعة، حدائقها ملتفة وبها أنواع من التفاح والكمثرى وغرائب الفاكهة عندهم الزعرور؛ ابن عذاري: ترصيع الأخبار، ص 55؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008 م، ص 305.

(6) الزهري: الجغرافية، ص 82؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 250.

(7) الزهري: المصدر السابق، ص 103.

(8) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 183؛ أنظر أيضاً العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 203.

كما عرفوا المزاريق والألجم والخوذات والدروع والمغافر(1)، فأكثرهم أهل الأندلس كانت معروفة لصناعة الأسلحة، ويصنع بها ما يبهر العقول وهي السيوف البرذليات المشهورة بالجودة، وبرذل(2) آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال والمشرق والفولاذ الذي باشبيلية، وهو من دقائق الصنائع(3).

فاقت مدينة سالم(4) المدن الأندلسية في صناعة الآلات الحربية الثقيلة مثل المجانيق، وآلاتها الخفيفة مثل السيوف والسهام والحراب والتروس والخوذات، لذلك كثرت بها المصانع الحربية(5).

يتضح لنا من هنا مدى تقدم صناعة الأسلحة في بلاد الأندلس عنها في بلاد المغرب والمشرق(6)، وظهور الآلة الحربية الأندلسية بشكل أكثر نشاطاً وفي أخبار الأندلس خاصة في عهد المرابطين(7).

---

(1) العبادي: المرجع السابق، ص 44.

(2) مدينة برذل: أو بردال أو برديل: تقع بالقرب من جزيرة ميورقة ومنورقة في جليقية، ويعد من احسن أقاليم المنطقة، وهو كثير الكروم والفاكهة والحبوب، وهي مدينة كبيرة مبنية بالكلس والرمل، وتقع على نهر عُجاج يسمى جرونة، وأهلها مثل الجليقيين في الأخلاق واللباس، كما أنها غنية بالعنبر؛ الحميري: الروض المعطار، ص 2 - 3، 41 – 42.

(3) المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 168؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 273؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 198، ص 490؛ العبادي: نفسه، 126؛ العبادي: تاريخ المغرب، ص 332.

(4) مدينة سالم: واحدة من أعظم مدن الأندلس وأحصنها، فيها آثار عظيمة اعتمرها المسلمون؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 684؛ ابن غالب: فرحة الانفس، ص 288.

(5) البنا (جمال عبد الحميد): التاريخ السياسي والحضاري لمدينة سالم الأندلسية في القرنين الرابع والخامس (335 – 483 هـ / 946 – 1090 م)، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية آداب جامعة طنطا، 1430 هـ / 2009 م، ص 160.

(6) المقري: نفسه، جـ 1، ص 117؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 252.

(7) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 438.

كما عرفت بلاد المغرب أيضاً بصناعة الأسلحة لتفي باحتياجات البلاد العسكرية، ومن اهم المدن المغربية التي اشتهرت بصناعة الأسلحة الحربية مدينة بجاية(1)، وأيضاً مدينة سبتة، التي اشتهرت بصناعة أسلحة الرمي، مثل السهام والنبال والنشاب، والنشاب عبارة عن سهام ذات نصول مثلثة، حتى صارت بعض الأسر تتوارث صناعتها هناك، والرمي كان من طابع أهلها، فلا نجد بها شريف ولا مشروفاً، ولا كبير ولا صغير إلا وهو بصير بالرمي وله فيه تقديم(2)، ومدينة مكانسة الزيتون التي عدت من المدن العسكرية الهامة، لذا وجد بها سوق للسلاح، وتوابعه الذي يقع في غرب القلعة، وهو الذي سار يعرف بسوق (السريرية) وهي تسمية حديثة نشأت بعد بعد ظهور البنادق النارية التي تدخل السرر في عملها بمعنى صنع في هيكلها الخشبي، وسوق السريرية الذي يشبه إلى حد ما بعض أسواق مراكش في اتساع رقعته وهندسة دكاكينه وشكل سقايته(3).

كما اشتهرت مدينة فاس بصناعة السيوف، معتمدة على الحديد، فإنهم يهتمون بصناعة الآلات لأن أهلها فيهم عزة ومنعة(4).

---

(1) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 185.

(2) العبادي: نفسه، ص 43 – 44.

(3) المنوني: أبحاث مختارة، دار المناهل، وزارة الشئون الثقافية، 2000 م، ص 37 – 38، 49؛ شبانة (محمد): مدينة مكناسة المغربية عبر التاريخ الوسيط، مقال ضمن مجلة الدارة السعودية، 1987 م، عدد 3، ص 165؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة المغربية، ص 231.

(4) العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 44؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 107.

ومما سبق يتضح لنا مدى اهتمام الدولة المرابطية بجميع أنواع الأسلحة المعروفة من نشاب وسهام ورماح وسيوف ودروع ورعادات ومزاريق ودرق لمطية والأطاس(1).

أما عن صناعة الأسلحة في العصر الموحدي فقد ازدهرت مصانع السلاح في بلاد المغرب والأندلس، وفيها تصنع الرماح والدرقة(2) والسيوف والدروع والبيضات والقسي والسواعد والسيقان والرماح والسهام والمجانيق وآلات الحصار والترسة، كما اختص الموحدون بأسلحة معينة من الرماح الطويلة التي تسمى بالعوالي(3)، ففي بلاد السوس لا يمشي الرجل منهم إلا وفي يده رمحان قصار العصي طوال الأسنان رقامها وينتخبونها من أجود الحديد(4) والأمراس والأسل وطولها أثنتا عشرة قدماً(5).

---

(1) الصلابي: دولة المرابطين، ص 194؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 261.

(2) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 38.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص 115؛ أنظر أيضاً العبادي: المرجع السابق، ص 198؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 244؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 148.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1994 م، مجـ 1، ص 228؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 185؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 105.

(5) وفي ذلك يقول الشاعر أبو عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاش في مدح الخليفة عبد المؤمن بن علي:

ماهر عطفية بين البيض والأسل　　　مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

وقد اكتفى الخليفة بهذا البيت ومنح الشاعر ألف دينار؛ العبادي: نفسه، ص 198.

يتضح لنا مدى اهتمام الخليفة ʻعبد المؤمن بن علي (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م) بصناعة الآلات الحربية أنه أنشأ مدرسة لتخريج رجال السياسة وموظفي الحكومة وقادة الجيش في كل يوم جمعة بعد الصلاة في قصره، ويمنحهم فيما درسوا في أيام أخرى كان يمتحن تدريباتهم العسكرية، فيختبرهم في الطعن بالحراب والرمي بالقوس والسهام والمبارزة وركوب الخيل والسباحة والمعارك البحرية في بحيرة أعدها ووضع فيها سفن كبيرة وصغيرة ليتدرب الشباب على قتال البحر وقيادة السفن(1).

اعتنى الخليفة ʻعبد المؤمن بن عليʼ بانتاج السلاح خاصة السهام والنبال وحفظها في مخازن معدة لذلك لحين الحاجة إليها، وكان يخزن تلك الأسلحة بكميات وافرة(2) خاصة بعد فتح مدينة مراكش ومير الجيش الموحدي بالسيوف الهندية والرماح والقسي والدرق والسكاكين(3)، فكثرت أسلحتهم وتنوعت بالإضافة إلى ما غنموه من المرابطين من أسلحة(4)، فإذا عزم الخليفة حرباً أمر بضرب السلاح في جميع طاعته(5).

---

(1) الصـــلابي: أحوال دولة الموحدين، ص 93 – 94؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 146؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 148 – 149.

(2) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـــ 5، ص 534؛ السـيد: دول المغرب، ص 234؛ الصــلابي: المرجع السابق، ص 96؛ أنظر ملحق رقم 8.

(3) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 79؛ أنظر أيضـــاً علام: الدولة الموحدية، ص 78؛ موســـى: الموحدون، ص 244.

(4) موسى: المرجع السابق، ص 244.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 79؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 244؛ بعد انتصـار الخليفة عبد المؤمن بن علي في بجاية وقلعة بني حماد واستقر بمراكش نظر في امور مملكته وإعداد السلاح؛ المراكش: المعجب، ص 175.

وتضاعف انتاج الموحدين من الأسلحة في عاصمة كل ولاية(1)، وقيل أنه كان يضرب للخليفة 'عبد المؤمن بن علي' كل يوم عشرة قناطير من الأسلحة في جميع بلاده من قواعد مملكته، وإن دل ذلك على شئ إنما يدلعلى اهتمام الخلفاء الموحدين بضرب الأسلحة وانتشار دور ضربها(2).

وفي عام 557 هـ / 1162 م عندما عزم الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' على استئناف الجهاد بالأندلس للقضاء على الممالك والإمارات الإسبانية، عمل على انتخاب السيوف المحلاة والرماح الطوال والدروع والبيضات والترسة والكساء والعمائم(3).

ومن أهم أسلحة الحصار التي استخدمها الموحدون المجانيق، فقد تفوق الموحدون في فنون الحصار على المرابطين، فاستخدموا المجانيق في اقتحام مدينة تلمسان عام 534 هـ / 1139 م، بعد أن قاومت الحصار لمدة عام، ونصبوا المجانيق وأبراج الخشب والقسي والمزاريق، كما استخدموا الدبابات(4) ذات الطوابق التي تتحرك بالهز(5)

---

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 252.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 201؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 139؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 128؛ أنظر أيضاص موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 245؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 534؛ موسى: النشاط الاقتصادي،ص 252؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 349.

(3) بخيت: تاريخ الأندلس، ص 327؛ العبادي: المرجع السابق، ص 182؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، جـ 4، ص 392؛ الغناي: سقوط الموحدين، ص 78؛ الصلابي: نفسه، ص 106.

(4) ابن الأثير: الكامل، جـ 10، ص 582؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 142؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 324؛ الجيلاني (عبد الرحمن): تاريخ الجزائر العام، منشورات مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، 1965 م، جـ 2، ص 296.

(5) موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 247؛ بروفنسال: رسائل موحدية، ص 105، 107، 204 – 205.

وفي حصار العديد من المدن أيضاً مثل حصار مدينة وهران التي قذفوا أبوابها وأبراجها بالنيران المحترقة(1)، كما استخدموا المنجنيقات والأبراج في حصار مدينة مراكش إلى أن سقطت، ويصور لنا تطور الصناعة المعدنية أن الأندلسيين استخدموا الكرات الحديدة الملتهبة في دك الحصون(2)، كما استخدمه الخليفة الموحدي 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م) في حصار مدينة في عام 540 هـ / 1145 م، فقد رماها بالمجانيق بالإضافة إلى أبراج من الخشب والدبابات، ودام الحصار عام(3)، كما استخدمه أيضاً في حصار مدينة المرية إلى أن فتحها عام 552 هـ / 1157 م(4)، وعند نزوله مدينة المهدية عام 554هـ/ 1159 م استخدم الرعادات(5) والمجانيق ليلاً ونهاراً في البروالبحر(6)، والمجانيق الكبار التي يرمي الواحد منها مائة ربع من الحديد(7).

---

(1) عفيفي: المرجع السابق، ص 142.
(2) ابن الأثير: المصدر السابق، مجـ 10، ص 584؛ النويري: نهاية الأرب، جـ 24، ص 297.
(3) النويري: المصدر السابق، جـ 24، ص 294؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 519.
(4) نصر الله: تاريخ العرب السياسي، ص 321؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 4، ص 346؛ الغناي: قيام دولة المرابطين، ص 114؛ بخيت: تاريخ الأندلس، ص 323؛ سالم: المرجع السابق، ص 791؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 96.
(5) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 247.
(6) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 80؛ ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 62؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 198؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 138 – 139؛ أنظر أيضاً الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 1، ص 445.
(7) موسى: المرجع السابق، ص 252.

فاستخدم الخليفة 'أبو يعقوب' باستجلاب الخيل من جميع بلاد العدوة وأفريقية، وانتخاب الأسلحة من السيوف المحلاة والرماح الطوال على أجمل الهيئات والدروع والبيضات والترسة ومن الثياب والكساء والعمائم والبرانس(غطاء الرأس)(1)، واستخدم آلات الحرب من رماح ودرق وسيوف وقسي وسهام وترسة من أعدائه(2).

كما استخدم الخليفة 'أبو يعقوب يوسف' في حصار مدينة قفصة عام 576 هـ / 1180 م المجانيق(3)، كما أمر الخليفة 'أبو يعقوب يوسف' الأول (558 – 580 هـ / 1163 – 1184 م) بصنع عشرة مجانيق جربت بعضها بالرمي أمامه في منطقة البحيرة خارج مدينة مراكش، لتنظم حركة جديدة للجهاد بالأندلس(4)، وحين وصل إلى مدينة شنترين عام 580 هـ / 1184 م جهز عساكره بالسيوف الهندية والدرق اللمطية والقسي(5).

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 148؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 184 – 185.

(2) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 137؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 426؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 182.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 141؛ ابن بسام: أخبار ملوك الحضرة المراكشية، ص 20؛ أنظر أيضاً عبد المنعم (حمدي): مدينة سلا في العصر الإسلامي (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993 م، ص 33.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ص 155؛ ابن بسام: المصدر السابق، ص 30؛ أنظر أيضاً عنان: دولة الإسلام في الأندلس، جـ 5، ص 198؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 183.

(5) ابن عذاري: نفسه، ص 159 – 160؛ ابن بسام: نفسه، ص 34.

كما استخدم الخليفة 'المنصور' (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) المجانيق على الأندلس في حصار مدينة شلب، وكان ينصب كل يوم وليلة أربعة عشر مجنيقاً بالإضافة إلى الآلات الحربية الأخرى(1)، كما استخدم الخليفة 'المنصور' المجانيق والعرادات في الإغارة على مدينة طليطلة عام 591 هـ / 1194م(2).

فتح الخليفة 'المنصور' مدينة قفصة عام 583 هـ / 1187 م، وقسم على البلد المجانيق والآلات وصم من المجانيق وأرفعها أثقالاً، وأقام برج على سبع طباق تدورنه مراحي في السبع طباق، فشحنه بالرماة والآلات ورجال بصفوف الأسلحة والرايات(3).

وفي عام 585 هـ / 1189 م، أمر الخليفة 'المنصور' العمال بضرب الآلات وما يحتاج إليه الجيش من العدد لإعانة الثغور الأندلسية(4)، وفي عام 600 هـ / 1203 م أمر الخليفة 'الناصر' (595 – 611 هـ / 1199 – 1214 م) بالنظر في الآلات الحربية، وأمر عمال إشبيلية بضرب الآلات وشراء الدروع المحكمة(5)،

(1) ابن عذاري: نفسه، ص 205، 210؛ الحميري: الروض المعطار، ص 106 – 108؛ ابن بسام: نفسه، ص 60، 64.
(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 229؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 143؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 342.
(3) ابن عذاري: نفسه، ص 194، 196؛ ابن بسام: نفسه، ص 53؛ أنظر أيضاً الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 1، ص 462؛ الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص 219.
(4) ابن عذاري: نفسه، ص 201.
(5) ابن عذاري: نفسه، ص 242؛ ابن بسام: نفسه، ص 85.

كما استخدم الخليفة 'الناصر' الموحدي المجانيق عام 602 هـ / 1205 م في فتح مدينةالمهدية، وقام على إضعافها الأكبش والسلالم والأبراج إلى أن فتحت، ونصب عليها منجنيقاً كبيراً لم يعمل مثله من قبل في عظم حجمه يرمى منه ربع ورقا وموقع الحجر من المجنيق في وسط دقة باب المدينة(1).

وفي عام 608 هـ / 1211 م أمر الناصر الموحدي باستنفار الحشود الأندلسية والصناع لعمل الآلات الحربية(2)، واستخدم المجانيق أيضاً في عام 608 هـ / 1211م، عندما فتح الخليفة 'الناصر' حصن شلبطرة(3)، كذلك استخدم آلات حربية قاذفة للحجارة(4) والسهام(5)، كما استخدمها الخليفة 'المأمون' الموحدي (626 – 630 هـ / 1229 – 1232 م) في حصار القبائل القازازية المكلاتية(6) التي أغارت على مدينة مكناسة الزيتون عام 629 هـ / 1231 م وحصارها بثلاث منجنيقات ترمي كل يوم عدة أحجار(7)

(1) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 244؛ ابن ابي زرع: الأنيس المطرب، ص 232؛ ابن ابي دينار: المؤنس، ص 144؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 515؛ ابن بسام: أخبار ملوك الحضرة، ص 87.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ص 260؛ ابن بسام: المصدر السابق، ص 101.

(3) حصن شلبطره: هو حصن من حصون الأندلس من عمل قلعة رباح؛ الحميري: الروض المعطار، ص 108.

(4) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، جـ 6، ص 640.

(5) ابن عذاري: نفسه، ص 260؛ الحميري: المصدر السابق، ص 108.

(6) المكلاتية: إحدى القبائل البربرية التي حاصرت مدينة مكناسة عام 629 هـ / 1231 م في عهد الخليفة الموحدي المأمون، الذي نجح في القضاء عليهم؛ ابن عذاري: نفسه، ص 297.

(7) ابن عذاري: نفسه، ص 297 – 298؛ ابن بسام: نفسه، ص 127.

ويصور لنا تطور الصناعات المعدنيةفي استخدام الجيش الموحدي بالأندلس للكرات الحديدية الملتهبة في دك الحصون(1)، وعلى الظن أن الموحدين لم يعرفوا البارود ولم يستخدموه لأن البارود عرف بالمغرب بعد سقوط دولة بني عبد المؤمن(2)، كما استخدم الموحدون أسلحة جديدة للحصار، ومنها السلالم العالية لتسلق الأسوار، لدرجة أنه لكل قبيلة سلمها الخاص بها(3).

فقد استخدمها الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1162 م) في حصار المدن منها مدينة سلا ومراكش وساهمت بنصيب كبير في فتح هذه المدن(4).

كانت الطبول طبقة أو صنفاً من أصناف الجيش الموحدي، وكانت هذه الطبقة من العبيد السود، وعن علاقة الطبل بالسود له ما يبرره حتى الآن أن الطبل الكبير ما يزال يعرف في المغرب باسم طبل جناده نسبة إلى مدينة غينيا، وكذلك يقال أيضاً أن طبل أجومي نسبة إلى الكومي 'عبد المؤمن بن علي' الذي استخدم طبولاً ضخمة بشكل لم يعرف من قبل، وفي ذلك يقول صاحب الحلل الموشية "....

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 252؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 247؛ عنان: المرجع السابق، جـ 6، ص 640؛ بروفنسال: رسائل موحدية، ص 204.
(2) موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 247.
(3) العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 199 – 200.
(4) مجهول: الحلل الموشية، ص 138؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 246 – 247.

وكانت عادته (أي الخليفة عبد المؤمن بن علي) في أسفاره أن يرحل بعد صلاة الصبح بعد أن يضرب طبل كبير مستدير الشكل يبلغ دوره خمسة عشر ذراعاً، مصنوع من خشب أخضر اللون مذهب، فإذا ضربت فيه ثلاث ضربات علم أنه طبل الرحيل، فيرحل الناس، وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع في يوم لا ريح فيه"(1).

يضيف المراكشي "إن جيش الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' كان يحتويعلى أكثر من مائتي طبل وطبولهم في نهاية الكبر وغاية الضخامة، يخيل لسامعها إذا ضربت أن الأرض من تحته تهتز ويحس قلبه يكاد يتصدع من شدة دويها"(2).

كما كانت علاقة السودان بالطبل والموسيقى كانت منتشره أيضاً في الحياة الاجتماعية المغربية، كما يذكر ابن غازي في معرض كلامه عن أهالي حارة تاورا(3) إحدى حوائر مدينة مكناسة قائلاً "... وكان يعيش معهم السودان المسمون هنالك عبيد الحرمة، وكان رجال السودان يلعبون الثقات بالحديد ويرقصون، ونساؤهم يضربن بألة اللعب ويغنين والزامر يزمر عليهم بأبي قرون، وكانت هذه المناكير من عوائدهم في أفراحهم"(4).

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 152؛ أنظر أيضاً العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 198؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 147.

(2) المعجب: ص 195؛ أنظر أيضاً العبادي: المرجع السابق، ص 198 – 199.

(3) تاورا: إحدى حوائر مدينة مكناسة الواقعة على ضفتي وادي فلفل، وأقربها إلى المدينة، ويخترق وادي فلفل جميع أزقتها وشوارعها، وهي عامرة بالأسواق والزراعات المختلفة، فضلاً عن كثرة صناعتها؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص 8، 11؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 86.

(4) الروض الهتون، ص 31؛ أنظر أيضاً العبادي: نفسه، ص 199.

يجب الإشارة إلى أن الموحدين حينما فتحوا المدينة المحاصرة أو فشلوافي حصارها أحرقت الآلات الموجودة معهم(1)، كما كانت ادوات الحصار قد تصنع في الحضرة (مراكش) لم تحمل إلى مواطن الحصار، وربما صنعوها عند موطن الحصار، لذا كان الجيش يصطحب معه عدد كبير من الصناع(2)، وكان العامل هو صاحب المخزن في الولاية من أعماله أنه يقوم بضرب السلاح وأعداد المؤن وشراء الدروع وأعداد الجياد والأقوات بأمر من الخليفة(3).

كما استخدم الموحدين الرايات من البنود المصنوعة بغرضالاحتفال(4)، كما مثل الحصان السلاح الرئيسي الذي قامت عليه طبقة الفرسان في النظام العسكري في العصر الوسيط الإسلامي والمسيحي، لذا اهتم الموحدون بتربية الخيول وإعدادها وتدريبها، ومنها الخيول القازازية من نتاج جبال قازاز(5)، كما استخدم الموحدون الإبل في حمل الأمتعة والأثقال، واستخدموه في القتال أيضاً في نطاق محدود كما فعل المرابطون من قبل،

(1) موسى: الموحدون، ص 247.
(2) ابن عذاري: البيان المغرب - القسم الموحدي، ص 159؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 247.
(3) موسى: نفسه، ص 170؛ العبادي: نفسه، ص 182.
(4) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 427.
(5) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 51، هامش 94؛ مجهول: الاستبصار، ص 187؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 141؛ أنظر أيضاً العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 200.

كما استخدم الخليفة 'يعقوب المنصور' (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) عند جوازه إلى الأندلس عام 585 هـ / 1189 م النجب الأبيض، أي الإبل(1)، ومن هنا يتبين لنا أهمية الإبل في حرب الموحدين ومدى اعتمادهم عليها.

وعن طريقة حرب الموحدين مع المرابطين، فقد كانوا يختارون مكاناً يجعلون منه الجيش على شكل مربع، الصف الأمامي بأيديهم القنا الطوال الطوارق المانعة، وخلفهم أصحاب المخابئ منها الحجارة، وخلفهم الرماة بقوس الرجل وفي وسطه المربع الخيل، فكانت خيل المرابطين إذ دفعت إليهم لا تجد سوى الرماح الطوال والحراب والحجارة والسهام(2).

وكذلك أهمية صناع الأسلحة اللذين كانوا لهم اهمية خاصة بقيامهم بإعداد الأسلحة لولاة الأمر من المرابطين والموحدين لاحتياجاتهم المستمرة للسلاح بكميات وفيرة بأنواعه المختلفة(3).

---

(1) العبادي: المرجع السابق، ص 200.
(2) مجهول: الحلل الموشية، ص 132؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 148.
(3) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 349.

19 – صناعة السكة:

تخضع دار السكة(1) لإشراف إداري وفني، فالاختصاص الإداري من اختصاص الناظر الذي يعد المشرف المباشر والدائم لدار السكة ويحضر فتحها والختم عليها عقب الانتهاء من الأعمال إلى جانب فحص النقود التي يقدمها له السكاك ليجربها بميزانه، ويقوم بتفقد الدنانير والدراهم بعد الطبع(2).

وتعد السكة من اهم الصناعات التي قامت على صناعة المعادن، كما أسهمت السكة في إعطائنا صورة عن الأوضاع الاقتصادية بالبلاد، وتوضح لنا مدى التقدم والاستقرار الذي ينعم به المجتمع، وذلك برسم صورة لطريقة التعامل بين أفراد الشعب عن طريق قيمتها، نستطيع أن ندرك مدى رواج التجارة أو تدهورها، فما ان قامت دولتي المرابطين والموحدين حتى اتخذت عملية نقدية من الذهب والفضة يتعامل بها السكان في داخل الدولة(3)، ولمعرفة دور صناع العملة لابد من دراسة النظام الفني والإداري لدار السكة في عصري المرابطين والموحدين.

---

(1) السكة: وهي الحديدة التي يطبع عليها الدراهم، ولذلك سميت الدراهم المضروبة سكة؛ الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989 م، ص 199؛ بينما يعرف ابن خلدون السكة بقوله ".... السكة هي الختم على الدنانير أو الدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أوكلمات مقلوبة ويضرب بها على الدنانير أو الدراهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة؛ المقدمة، جـ 1، ص 217.

(2) ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 69 – 70؛ أنظر أيضاً بن قربة (صالح): المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م، ص 30؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة المغربية، ص 179 – 180.

(3) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 225؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 190.

أ- الجهاز الإداري لدار السكة:

1- صاحب السكة:

يطلق على صاحب السكة اسم "ناظر السكة" ومهمته إصدار السكة للدولة، ولذلك لابد أن يتوفر فيه عدة شروط منها ما يعتبر في إمام الصلاة وأن يكون عالماً بوجوه العمل، ويتحمل مشاقه، وهذا ما ذكره ابن الحكيم بقوله "... ولما كان هذا الذهب والفضة من أشرف الأشياء، كان النظر في أمورها من أشرف الأمور، وكما يعتبر في إمام الصلاة فيما لا تصح الصلاة إلا به قراءة وفقهاً، وكما يعتبر فيمن أراد أن يتحمل شهاة، ان يكون عالماً بوجوه التحمل، كذلك ينبغيأن يكون الناظر في هذا المفراد هو الواجب على كل من قدم على أمر أن يعلم الحكم فيه ويستكمل له النظر حتى يستوفيه ولا يأخذ برأيه فيه على البديهة ولاعلى الظن"(1).

كما لابد أن يكون أميناً وعلى دراية بصناعة العملة وبأوصاف المعادن ومعرفة طرق غشها، ومعرفة خطوط الطوابع(2).

(1) الدوحة المشـــتبكة، ص 69 – 70؛ أنظر أيضـــاً ريهام إبراهيم فايد: تاريخ دار الســـكة في الأندلس (316 – 897 هـــ/ 928 – 1492 م)، رسـالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب جامعة طنطا، 1429 هـ / 2008 م، ص 19 – 20.

(2) ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 70.

2- الشاهدان:

يقوم الشاهدان بمراقبة بعض الأعمال المتعلقة بالصيانة والمحافظة على دار سك العملة(1)، والشهادة على كل ما تحتويه دار السكة من مواد خام يستخدم في صناعة السكة، فقد ذكر ابن بعره بقوله "... إن الشاهدان يقومان بالشهادةعلى جميع ما حوت الدار بما عاينه من أعمالهم ومباشرته إياهم ومقابلته على الحساب وخطة بذلك"(2)، ومن هنا تبين لنا أن مهمته هي مشاهدة عمالدار الضرب، ومراجعة حسابات دار السكة، ومعاينة أعمالهم والتوقيع على كل ما شاهد(3)، وتسجيل الأموال التي دفعها العميل إلى دار السكة والاحتفاظ بجوالق الأزواج(4) وحضرها ومعاينة سك العملة، ومتابعة السكاك، والقيام بعمل حساب بكل ما انتجه السكاكون في كل شهر.

---

(1) ابن الحكيم: المصدر السابق، ص 70 – 71؛ أنظر أيضاً هناء الفقي: مكناسة المغربية، ص 170.

(2) كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم رقم 2935، ورقة 31.

(3) الزهراني (ضيف الله يحيى): دار السكة نشأتها وأعمالها وإدارتها، مجلة الدارة السعودية، العدد الثاني، 1415 هـ / 1975 م، ص 38؛ ريهام فايد: تاريخ دار السكة في الأندلس، ص 30.

(4) جوالق الأزواج:وهو الصندوق الذي يوجد فيه جميع الأدوات اللازمة لسك العملة، من صنج العيار وإمام الذهب، وهي الأدوات التي تحتاج إليها عند طباعة العملة، وتسمى بذلك نسبة إلى أزواج الضرب التي تستخدم في طباعة العملة؛ راغب (طاهر راغب حسين): دار السكة الأيوبية والمرينية نموذجان لدور السكة المصرية والمغربية، ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، القاهرة، 1983 م، مجـ 3، ص 324.

وكل يوم بما يتم قبضه أو يطبع أو ما يدفع(1). لذا يخضع صاحب هذه الوظيفة إلى مراقبة شديدة داخل دار السكة، لذا لابد أن يتوفر فيه عدة شهور منها أن الأمانة والقيام على تعيين مراقبين للعمل داخل دار السكة، ومراقبة صاحب دار السكة وسائر عمال دار السكة، لهذا يجب أن يكون اختياره من قبل ولي الأمر الذي يعين صاحب السكة(2)، ولأهمية أعماله كان راتبه كبير، ويتم تغيير الشاهدان كل شهر وهذا للحرص على منع الغش(3).

3- المشارف:

تخضع هذه الوظيفة للإشراف صاحب السكة، كما يقوم بحفظ الذهب والفضة وآلات السك وصنج العيار، وختم الأقداح، وتحرير وزن عياري الذهب والفضة والمقابلة بالحساب، وتنحصر مهمته في الحفاظ على كل ما بدار السكة من مواد خام مثل الذهب والفضة وآلات وصنج الوزن وأختام دار السكة، لذا لابد أن يكون أميناً وعارفاً بكل ما يدخل إلى دار السكة من معادن، ومعرفة عيارهم وتسجيل ذلك والتوقيع عليه(4).

(1) ابن الحكيم: نفسه، ص 71؛ أنظر أيضاً الزهراني: المرجع السابق، ص 38 – 39.
(2) راغب: المرجع السابق، ص 323 – 324.
(3) ابن الحكيم: نفسه، ص 71.
(4) الزهراني: دار السكة، ص 38.

4- التحرير:

هي وظيفة كتابية بدار السكة، تقع تحت إشراف صاحب السكة وكتابة كل ما يملى عليه بداخل دار السكة سواء كانت مواد خام أو عملات تنتجهادار السكة، لذا تعرض على صاحب السكة(1).

5- النسخ:

هي وظيفة إدارية كتابية مهمتها عمل عدة نسخ مطابقة لأصل الكتاب الذي خطه صاحب التحرير، والاحتفاظ لديه بنسخة منه، ويوزع النسخ الأخرى وفق ما يؤمر به(2).

ب- الجهاز الفني لدار السكة:

ووظيفة هذا الجهاز فنية، وتختص فيما يتعلق بصهر المعادن من ذهب وفضة ونحاس وتحديد عيارهم والختم عليهم بقوالب الضرب، وذلك لإصدار سكة الدولة الرسمية ذات عيار جيد، ولذا لابد من توافر عمال نابغين وذلك من أجل تحقيق المعايير المطلوبة لسك النقود، وذلك بنقش ختم الدولة واسم الأمير أو الخليفة، وتضرب القطعة المعدنية بفن لكي تخرج العملة الإسلامية بصورة جيدة(3).

(1) نفسه، ص 39.
(2) الزهراني: نفسه، ص 39؛ ريهام فايد: تاريخ دار السكة في الأندلس، ص 31.
(3) الزهراني: نفسه، ص 40.

1- المقدم:

هو من أهم الفنيين بدار السكة لأهميته في دار السكة بحفظ عيارات الذهب والفضة من خلال وزن السبائك ليتعرف على أي نقص عند السبك في كل يوم لمعرفة عيارها، ويعرف هذا باسم الجواز(1)، معرفة المزيفين من خلال التجار الذين يتعاملون مع دار السكة من خلال بيع التجار سبائكهم لدار السكة مثل ختمها خارج دار السكة(2)، ولأهمية وظيفته كان لابد أن يتواجد بصورة مستمرة بدار السكة حتى لا يتلاعب أحد في عياري الذهب والفضة، كما يقوم بإزالة الشوائب المتعلقة بهما، لذا يعد المقدم من أهم الوظائف الفنية بدار السكة، ومن كبار العاملين بها(3).

2- النقاش:

هذه الوظيفة أيضاً تعد من أهم الوظائف الفنية، وإذا استقام استقامت الأعمال بها(4)، فهو الذي يصمم شكل العملة، ويختار نوع الخط الذي تنقش به العملة(5)، وقد أطلق على القائم بهذه الوظيفة عدة ألقاب منها "الفتاح" أو "الطباع" أو "الحفار"، وهو الذي يقوم بحفر أونقش أو طبع كتابات السكة مقلوبة على القالب حتى تصبح الكتابات ظاهرة على العملة(6).

---

(1) نفسه، ص 40.
(2) ابن بعره: كشف الأسرار، ورقة 32.
(3) الزهراني: نفسه، ص 40.
(4) ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 72.
(5) راغب: دار السكة الأيوبية والمرينية، ص 324.
(6) ريهام فايد: تاريخ دار السكة في الأندلس، ص 33.

لذا لابد أن تتوفر فيه عدة شروط منها أن يكون أميناً وحسن الخط، ولا يقوم بتغيير اسم السكة ولا يزيد في سطورها ولا ينقص إلا بإذن الحاكم، ويستطيع التمييز بين العملات التي سكت بدار السكة من العملات التي سكت خارجها خاصة تلك التي سكت في بيوت الصاغة(1)، وكان النقاش يضع أدواته في صندوق متخصص لأدوات السكة (جولق الأزواج)، كما كان لزاماً عليه ألا يراه احد أثناء القيام بعمله حتى لا يقلده في ذلك، ولا يعرف أحد يعمل بالكيمياء(2)، ومن أعماله أن يضع الخطوط الأولية للشعارات المطلوب رسمها، على أن يكون قياس الطابع مناسب لقياس العملة، وأن يكون نقشها متميزاً(3).

3- السباك:

هذه الوظيفة مرتبطة بصهر المعادن التي تستخدم في صناعة العملة، حتى تكون جاهزة للسك(4)، ومن ضمن مهام عمله أن يعاين النحاس قبل الصهر، والفضة عند سبكها، لذا يعد المسئول الأول عن أي اختلال في العيار(5)، لهذا يجب عليه أن يزن العيار ونسبة النحاس إلى الفضة والذهب وما يضاف إليهمن معادن أخرى(6).

(1) راغب: المرجع السابق، ص 325؛ الزهراني: دار السكة، ص 41.
(2) ابن الحكيم: المصدر السابق، ص 73؛ أنظر أيضاً راغب: نفسه، ص 325.
(3) الزهراني: المرجع السابق، ص 42.
(4) نفسه، ص 41.
(5) ابن بعره: كشف الأسرار، ورقة 35.
(6) ريهام فايد: المرجع السابق، ص 34.

يطلق عليه أيضاً الحداد، ومهنته مرتبطة بصهر المعادن وتجهيزها لعملية السك وصناعة أدوات السكة، واستلام كميات المعادن من ذهب وفضة، والتأكد من صحة وزنها وصهر المعادن وصب القوالب المستخدمة في السك(1)، وصناعة الأزواج التي كتبها النقاش، ويستخدمها السكاك في سك العملة(2).

4- السكاكون:

وتعد هذه المرحلة هي الأخيرة في صناعة السكة، لذلك احتلوا المرحلة الثالثة داخل المجتمع الأندلسي بشكل خاص وفي المغرب الإسلامي بشكل عام، في عهد الموحدين (541 – 668 هـ / 1146 – 1269 م)(3) لأنها شكلت طبقة خاصة في النظام الذي استحدثه الموحدون، والتي عرفت بطبقة السكاكين، لذا مثلت أهمية خاصة في المجتمع الأندلسي لأن السكة مثل الخطبة علامة يختص بها الخليفة دون غيره(4).

لابد أن تتوفر عدة شروط في السكاكين، من هذه الشروط الأمانة والمهارة في السك، إعداد القضبان المعدنية، كما وجدت فئة أخرى سميت بالمدادين، وكانت مهمتهم مساعدة السكاكين في تمديد القضبان المعدنية، ليقوم السكاكون بتقطيعها وتحويلها إلى عملة نقدية(5).

---

(1) راغب: دار السكة الأيوبية والمملوكية، ص 326.
(2) نفسه، ص 326.
(3) ريهام فايد: تاريخ دار السكة في الأندلس، ص 35.
(4) نفسه، ص 35.
(5) ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 90؛ أنظر أيضاً راغب: نفسه، ص 326 – 327.

كان يطلق على السكاكون في الأندلس "الصناع" وذلك لأهمية هذه الوظيفة، لذا كان ينضم إليهم صناع السيوف(1).

ينقسم السكاكون إلى ثلاثة مراتب، معلمون وعمال ومتعلمون، والمعلمون هم رؤساء الذين يعملون ويعدلون على السكاكين، والعمال هم السكاكون والمتعلمون هم الصبية الذين يتعلمون سك العملة(2)، لذا يبقى عليهم (المعلمون الرؤساء) أن لا يدخل معهم أشخاص أجانب(3).

5- المعدل:

معنى المعدل التعديل، أي تقويم العيار للمسكوكات، والتمييز بينها ما بين الجيد والردئ والوازن والزائف، وإذا وجدها ناقصة ردها للسكاك، وإن وجدها جيدة العيار أخرجها للتداول(4).

ومما سبق يتبين لنا مدى أهمية الجهاز الإداري والفني في جمال صناعة السكة الإسلامية، لذا فإن مهارة السكة تعتمد على مهارة هؤلاء الصناع في سك العملة.

وبعد حديثنا عن صناع سك العملة، فلابد أن نتطرق إلى أهم الآلات التي استخدمت في هذه الصناعة ومنها:

(1) ريهام فايد: المرجع السابق، ص 37.
(2) ابن الحكيم: المصدر السابق، ص 74.
(3) نفسه، ص 74.
(4) الزهراني: دار السكة، ص 43.

أ- قوالب الضرب:

يرتبط شكل العملة بشكل القالب الذي وضعت به القطعة المعدنية التي يتم الطرق عليها، ويعرف ابن خلدون السكة بقوله "... السكة هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع من حديد ينقش فيه صوراً وكلمات مقلوبة ويضرب بها على الدنانير أو الدراهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة"(1).

القوالب المحفورة:

فتوجد قوالب محفورة تصنع من حديد وبرونز، وتحفر عليها نصوص السكة المقلوبة، لذلك تكون نقوشها واضحة(2)، وأهم هذه القوالب المحفورة يرجع إلى عهد الأمير ‛علي بن يوسف بن تاشفين’ (500 – 539 هـ / 1106 – 1145 م)، ويتكون من جزأين الأول مربع ونقشت عليه كتابات الوجه مقلوبة، والثاني مستدير ونقشت عليه كتابات الظهر مقلوبة أيضاً، ويحتوي على الكتابات الآتية:

الوجه: المركز: لا إله إلا الله

محمد رسول الله

أمير المسلمين علي

بن يوسف

(1) المقدمة، ص 217.

(2) ريهام فايد: تاريخ دار السكة في الأندلس، ص 64.

الهامش: من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

الظهر: المركز: الإمام

عبد

الله

أمير المؤمنين

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بنول سنة تسع وخمسماية(1).

القوالب المصبوبة:

وهذه أكثر انتشاراً في العالم الإسلامي بما أنها طريقة سريعة في صناعة السكة، وعن طريق القوالب المحفورة يتم حفر قالب أم أصلي من الحديد، تنقش منه كتابات السكة مقلوبة، وهذا الأساس الذي تصنع منه جميع القوالب الأخرى عن طريق صنع بصمة لهذا القالب على طبقة رقيقة من الطين، ثم تحرق هذه الطبقة التي تحمل بصمة القالب الأصلي، ثم تصب عليه قوالب من معادن متعددة، مثل الحديد والرصاص(2).

(1) السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 54.
(2) راغب: دار السكة الأيوبية والمملوكية، ص 318.

ب- صنج السكة:

هي أقراص مستديرة تحدد أوزان العملة التي تنتجها دار السكة، وتحمل كتابات تشير إلى اسم الأمير أو الخليفة الذي أمر بصنعها، وعبارات قرآنية وعبارات دعائية للخليفة(1)، وبعض الخلفاء يخصصون صنج لأنفسهم، وفي مركزها اسماء بعض الصناع(2).

أما عن الخامات التي استخدمت في صناعة العملة كما أشرنا إليهافي بداية الفصل الثاني موضوع البحث عن (الذهب والفضة والنحاس)، فقد توفر الذهب والفضة والنحاس في مناجم المرابطين بكميات وفيرة، ففي عهد الأمير ‘يوسف بن تاشفين’ (453 – 500 هـ / 1061 – 1106 م)، وفي عهد الأمير ‘علي بن يوسف بن تاشفين’ فاق وزن الدينار المرابطي الوزن الشرعي للدينار(3).

أما عن أهم أماكن سك العملة المرابطية في بلاد الأندلس والمغرب، فعندما قضى المرابطون على دول الطوائف 484 هـ / 1091 م وفتحوا الأندلس واستولوا على دور السكة التي أنشأها ملوك الطوائف في بعض المدن، وبلغ عدد المدن الأندلسية التي سك بها المرابطون عملتهم الذهبية والفضية نحو سبعة عشر مدينة،

---

(1) الزهراني: دار السكة، ص 24.
(2) ريهام فايد: تاريخ دار السكة في الأندلس، ص 68.
(3) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 4، ص 146؛ أنظر أيضاً الهرفي: دولة المرابطين، ص 288.

وأول عملة عثر عليها لدولة المرابطين ترجع إلى عام 486 هـ / 1093 م قد سكت بمدينة قرطبة(1)، ووجدت عملات أخرى سكت في كل من مدينة شاطبة سنة 489 هـ / 1095 مـ وفي مدينة إشبيلية عام 491 هـ / 1097 م، وفي مدينة المرية عام 492 هـ / 1098 م، وفي غرناطة عام 493 هـ / 1099 م(2)، وفي مدينة مالقة عام 494 هـ / 1100 م، وفي بلنسية عام 496 هـ / 1102 م، وفي مدينة دانية عام 497 هـ/1103م(3).

كما ضرب المرابطين دراهم نحاسية(4) إلى جانب النقد الذهبي والفضي، وذلك لتسهيل عملية البيع والشراء، ونقش على أحد الوجهين (لا إله إلا الله محمد رسول الله) (5)، ومن الملاحظ أن الدراهم الفضية التي ضربت في العصر المرابطي لم تكن تحمل تاريخ الضرب ومكانه، ووجدت منها القليل النادر الذي نقش عليه اسم أمير المسلمين وولي عهده، فالدراهم التي ضربت في عهد الأمير 'علي بن يوسف' (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م)

(1) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 235.
(2) استخدم أهل الأندلس عامة وأهل غرناطة خاصة الدينار المرابطي؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص 191.
(3) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 314؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 125؛ الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي، ص 101، 102؛ موسى، ص النشاط الاقتصادي، ص 253؛ حسن: قيام دولة المرابطين، ص 308 – 309؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 198.
(4) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 191.
(5) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 234 – 235؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 191.

ونقوش الوجه جاءت (لا إله إلا الله محمد رسول) وفي الظهر (ولي الله – أمير المسلمين – علي)(1)، ووجدت درهم نقش عليه اسم ولي عهده الأمير 'سير' في الوجه (لا إله إلا الله محمد رسول الله/ الأمير سير)، وفي الظهر (أمير المسلمين/ وناصر الدين علي بن يوسف)(2).

كما كتب الأمير 'تاشفين' (537 – 540 هـ / 1142 – 1146 م) اسم ولده وولي عهده 'إبراهيم' على السكة، وكان يقال (أمير المسلمين تاشفين بن علي وولي عهده الأمير إبراهيم)(3).

نلاحظ أن هذه العملات المرابطية اتخذها المرابطون لتأكيد سيادتهمعلى البلاد، لأن العملة نوع من تأكيد السيادة السياسية على الدولة(4)، والعملات التي عثر عليها دنانير ذهبية مرابطية، لأنها كانت تبر أي خام الذهبالخالص، لوفرة التبر الذي جلب من بلاد السودان(5)، لذا كان يطلق عليها أحياناً المثاقيل الذهبية المرابطية،

---

(1) عفيفي: المرجع السابق، ص 234 – 235.
(2) نفسه، ص 232 – 235.
(3) نفسه، ص 232.
(4) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 4، ص 22؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 190.
(5) حسن: المرجع السابق، ص 350؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 314؛ موسى: المرجع السابق، ص 253.

لذلك كانت تتمتع بثقة تجار أسبانيا المسيحية وجنوب أوربا والمشرق الإسلامي، لهذا لقي الدينار المرابطي إقبالاً شديداً، مما كان له أثره في ارتفاع قيمة هذه العملة ورواج التجارة الخارجية(1)، فكانت العملة الرئيسية لدولة المرابطين الدينار الذهبي خاصة في عهد الأمير 'علي بن يوسف بن تاشفين'(2).

استخدمت العملة الفضية المعروفة بالدرهم الفضي لتسهيل المعاملات التجارية(3)، كما كانت هناك دراهم فضية عرفت في العصر المرابطي باسم القراريط، والقيراط عبارة عن قطعة مستديرة من الفضة، تحمل مركز الوجه كتابة تتألف من أربعة أسطر تشير إلى الشهادتين مكان الضرب، وأما في مركز الظهر فقد نقشت أيضاً كتابة من ثلاثة أسطر تحمل اسم ولقب صاحب النقد، وكان القيراط يساوي نصف درهم، وكذلك ضربت من القيراط أو يضيف الدرهم أجزاء النصف والربع والثمن وكذلك واحد من ستة عشر جزء من القيراط، وذلك لتسهيل التعامل في الأسواق(4).

---

(1) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 314 – 315؛ أبو مصطفى: جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب الأقصى، ص 76؛ رمضان (عاطف منصور): موسوعة النقود في العالم الإسلامي، دار القاهرة، القاهرة، 2004 م، جـ 1، ص 98 – 99؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 190؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 45.

(2) راغب: دار السكة، ص 314؛ طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 230.

(3) الصلابي: دولة المرابطين، ص 198.

(4) أبو مصطفى: جوانب من النشاط الاقتصادي، ص 286.

وظلت النقود الذهبية التي جددها ‘يوسف بن تاشفين’ مدة طويلة العملة السائدة في حوض البحر المتوسط(1)، وقيل أن الدينار المرابطي وصلإلى القسطنطينية وكاد يصبح عملة دولية(2)، وأصبحت السكة المرابطية عملة دولية يتعامل بها في الأسواق العالمية شرقاً وغرباً في عهد الأمير ‘علي بن يوسف’ (500 – 537 هـ / 1061 – 1106 م)(3).

كما وجدت علاقات اقتصادية بين الأندلس والمغرب خاصة مدينتي فاس ومراكش، والدليل ما عثر على عملة أو نقد في موضع محتمل وهو أودغست، ويشمل على أربعة دنانير أندلسية تعود لفترة ما بين 501 هـ / 1107 م، و 510 هـ / 1116 م، وقد ضرب ثلاثة منها كما ذكرت أوليفيا كونستبل "مورسيا" وتعني مرسية التي فتحها المرابطون 568 هـ / 1172 م(4)، وأخرى في مدينة مالقة، وهذا دليل على وجود علاقات تجارية مع بلاد السودان الغربي خلال القرن الخامس الهجري / أوائل القرن الحادي عشر(5).

يستخدم الذهب المستورد من غانة وجنوبها يستخدم في صناعةالعملة، ويعود تجار المغرب الأقصى بالذهب إلى دور السكة، وهناك يضربون دنانيراً ويتصرفون بها التجارات والبضائع(6).

(1) العروي: المغرب محاولة في التركيب، ص 172؛ نصر الله: المرابطين، ص 178.
(2) سامية مسعد: المرجع السابق، ص 190.
(3) الهرفي: دولة المرابطين، ص 281، 289؛ القبلي: مراجعات حول المجتمع في العصـر الوسـيط، ص 17؛ سـامية مسـعد: نفسـه، ص 190؛ التازي (عبد الهادي): الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص 1984 م، ص 32.
(4) رمضان: المرجع السابق، ص 99.
(5) التجارة والتجار، ص 76.
(6) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 282.

وعن أهم أماكن سك العملة في بلاد المغرب في العصر المرابطي، لقد ظل ذهب السودان طوال ستة قرون يغذي مصانع ضرب العملة الذهبية في بلاد المغرب ومنطقة البحر الأبيض المتوسط(1)، كما كانت دور السك لم تقتصر على العاصمة أو بلد، بل كانت في كثير من بلاد المغرب والأندلس(2).

أسس الأمير 'يوسف بن تاشفين' (453 – 500 هـ / 1061 – 1106 م) داراً لسك العملة في مدينة مراكش عام 444 هـ / 1071 م(3)، وبأغمات وتلمسان وفاس ونول لمطة وسبتة وسلا(4)، كما اشتهرت مدينة سجلماسة وكثر بها دور ضرب العملة الذهبية، والتي كان يأتي ذهبها من السودان، وقد عرفت سجلماسة بأنها باب التبر(5)، وأول دينار ضرب بسجلماسة سنة 450 هـ / 1058 م باسم 'أبو بكر بن عمر اللمتوني'(6)، كما ضرب الأمير 'يوسف بن تاشفين' العملة بسجلماسة سنة 480 هـ / 1087 م(7)،

---

(1) الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 32.
(2) موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 295 – 296.
(3) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 4، ص 22؛ أنظر أيضاً العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص 328؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 260 – 261؛ حسن: قيام دولة المرابطين، ص 308 – 309؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 198؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 253؛ حسن: مرجع السابق، ص 226؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، ص 232؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية، ص 192؛ أنظر ملحق رقم 10.
(4) حسن: نفسه، ص 311؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 235؛ الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي، ص 101 – 102.
(5) إدريس: تاريخ مدينة سجلماسة، ص 282.
(6) نفسه، ص 285.
(7) حسن: نفسه، ص 226.

وكانت تحمل نفس النقش مع وضع اسمه بدلاً من سلفه، وضع اسم الخليفة العباسي، لذا عدت مدينة سجلماسة من أهم المدن في دور السك في ظل الدولة المرابطية(1)، ولتوفر المعادن اتخذت مدينة مكناسة مقراً لسك العملة، فكان بها داراً لسك العملة في عصري المرابطين والموحدين(2)،وفي عام 508 هـ / 1114 م ضرب بمدينة تلمسان دينار مرابطي جديد ظهر عليه لأول مرة كتابة لفظة عام في هامش الظهر بدلاً من كلمة سنة(3).

وبما أن الدنانير المرابطية المسكوكة بالمغرب والأندلس نقية، لهذا استمر التعامل بها والإقبال عليها شطراً مهماً من عهد الموحدين، وتأرجحت الدنانير والدراهم المسكوكة بعد ذلك بين وزنة ناقصة وصافية ومغشوشة بما يخالطها من نحاس وغيره، فكانت دور السكة في ازدهار الدولة متوافرة حتى في بعض المدن الصغيرة، ولكنها تختفي عند انهيار السلطة، فيكثر الغش حينئذ وتنذر المسكوكات الرسمية، وتنتشر المسكوكات المزورة ومقصوصة الأطراف(4).

---

(1) إدريس: نفسه، ص 285.
(2) سامية مسعد: المرجع السابق، ص 192.
(3) إبراهيم بدر: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة تلمسان في عهد دولة بني زيان (669 – 962 هـــ / 1270 – 1554 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، 2002 م، ص 39.
(4) حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص 143.

أما عن صناعة السكة في العصر الموحدي، فقد أدخلت الدولة الموحدية تعديلاً على شكل العملة خاصة في عهد 'المهدي بن تومرت'، فغيرت شكل الدرهم الفضي جعلته مربع الشكل، بينما كان فيما سبق مستديراً، ورسموا في وسطه شكلاً مربعاً في داخله كتابات(1)، ويرى بعض الباحثين إلى أن 'ابن تومرت' لم يضرب عملة في عهده لأنه لم يفرض سيطرته السياسية على البلاد، ولكي يتمكن من إصدار عملة تؤكد سلطته، لأن الدولة المرابطية كانت ما تزال قائمة تفرض سلطانها السياسي وعملتها النقدية(2).

سار الموحدون على نظام التعدين الذهبي والفضي، ولكن أخفق الموحدون في استخراج معدن الذهب في بلاد المغرب، بينما كثر عندهم إنتاج معادن الفضة(3)، وبعد المحتسبين رسم السكاكين من قبائل الموحدين من أهل تينملل وواحد من هنتات(4)، فكانت السلطة الحاكمة هي التي تشرف على بعض الصناعات، ومنها صناعة ضرب العملة(5).

(1) ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 68، هامش 1؛ ابن خلدون: المقدمة، ص 219؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: جوانب من النشاط الاقتصادي، ص 286؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 319؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 235؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 193؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 295.

(2) عفيفي: المرجع السابق، ص 236.

(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 253.

(4) البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1917 م، ص 57 – 58.

(5) الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 79.

كما يذكر بعض المؤرخين أن 'المهدي بن تومرت' ليس هو الذي ضرب العملة المركنة المربعة الشكل، لأنه لم يكن الخليفة أو الأمير، ولكن أول من ضرب العملة المربعة الشكل كان الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163م)(1) الذي عدل في شكل ونظام العملة السائدة، إذ جعل الدراهم الفضية مربعة الشكل، وكما جعل الدينار الذهبي دائرياً وفي وسطه إطار مربع الشكل، نقشت الكتابات بداخله، وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله "... ولما جاءت دولة الموحدين كان من مماسن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسمفي دائرة الدينار شكل مربع في وسطه، ويملأ من احد الجانبين تهليلاً وتحميداً ومن الجانب الآخر كتباً في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك الموحدون، وكانت سكتهم على هذا الشكل بهذا العهد، ولقد كان المهدي فيما ينقل يبعث قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع، نعته بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله المخبرون في ملاحمهم عن دولته"(2).

---

(1) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 193؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 294؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 227؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 220.

(2) ابن خلدون: المقدمة، جـ 1، ص 219؛ أنظر أيضاً العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 179 – 180؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 193؛ موسى: الموحدون، ص 294؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 286 - 287.

يتضح لنا من هذا النص أن الأمر الذي لا شك فيه هو أن الأسطورة تتفق مع هذا التجديد الذي أحدثه الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' في نظام العملة الموحدية، وسار عليه أبناؤه بعد ذلك(1)، ونفهم منها أيضاً أن ' المهدي بن تومرت' ضرب لنفسه عملة خاصة باسمه، ليثبت للعامة صدق دعوته، لكن هذا الحديث لم يصلنا منه شئ على الأقل، فمن المعروف أن أقدم عملة للموحدين ضربت في عهد الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' ونسبت إليه مثل الدينار المؤمني، ولاسيما أن العملة الموحدية لم يذكر فيها تاريخ الضرب(2).

ومن أهم أماكن دور سك العملة في الأندلس في عهد الموحدين، مدينة غرناطة، وهذا ما أكده ابن الخطيب بقوله "... وصرفهم (أي أهل غرناطة) فضة خالصة، وذهب إبريز محفوظ، ودرهم مربع الشكل وعليه المهدي القائم بدولة الموحدين"(3).

كما ظهرت في عهد الموحدين داراً جديدة للسكة في منورقة(4) لم تكن موجودة قبل ذلك(5).

(1) العبادي: المرجع السابق، ص 180.
(2) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 321؛ موسى: المرجع السابق، ص 296.
(3) الإحاطة في أخبار غرناطة، جـــ 1، ص 137؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 192؛ الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي، ص 101 – 102.
(4) جزيرة منورقة: هي جزيرة صــغيرة كثيرة الزرع والكروم، ولا يوجد في معمور الأرض أطيب من لحم بقرها فهي كثيرة الفواكه، وتضـاف هذه الجزيرة إلى بلاد الأندلس، لأن أخلاقهم وطبائعهم كطبائع وأخلاق أهل الأندلس، ويوجد عندهم حيوان القنلية؛ الزهري: الجغرافية، ص 129 – 130.
(5) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 319.

وعن أهم دور سك العملة في المغرب في العهد الموحدي، فقد جرى الموحدون على نهج المرابطين، بيد أن الدينار كان لا يضرب إلا في مدينة فاس (القرويين والأندلس)، فقد كانت في كل منهما داراً للسك ثم ضمهما الخليفة 'الناصر الموحدي' (595 – 611 هـ / 1199 – 1214 م) عام 600 هـ / 1203 م في دار واحدة، حيث بنى داراً وجعلها مودعاً للأموال المندفعة والطوابع سكها وأتقنها، وغالب ما يسبك منها الذهب، وأما الدراهم كانت ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن(1).

كما اعتنى الخليفة 'المنصور' (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) بإصلاح الميدان المالي، وذلك بالعمل على مضاعفة وزن الدينار الموحدي وكان ذلك في عام 581 هـ / 1185 م، لأنه كان في القديم صغير الحجم، وكان وزنه القانوني لا يعدو جرامين وخمسة وثلاثون من المائة من الجرام،

---

(1) الجزنائي: زهرة الآس، ص 80؛ ابن الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص 68؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 253؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 295؛ سالم: المغرب الكبير، ص 523؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 226.

فأمر الخليفة 'المنصور' بمضاعفة وزنه، وأخرجت دار السكة الموحدية بمدينة فاس الدينار الجديد بوزن أربعة جرامات وسبعين من مائة من الجرام، وإليه ينسب الدينار اليعقوبي(1).

قام الخليفة 'المنصور' بسك نصف دينار يزن ديناراً عادياً أي نصف دبلة، وقد عثر على عملات ترجع إلى عهد الخليفة 'المنصور' وابنه 'الناصر' منها دينار مضاعف (دبلة)، لذا أطلق عليه النصارى الإسبان (الدبل أو Dabla)، ونصف وربع دبلة(2).

وقد أزال كل ذلك الخليفة 'المأمون' (626 – 630 هـ / 1229 – 1232 م) وانكر إمامة "المهدي بن تومرت" وأزال اسمه من العملة عام 623 هـ / 1226 م، فأزال من السكة عبارة 'المهدي إمامنا' وأحل مكانها عبارة "القرآن إمامنا"(3).

وقد أعاد الخليفة 'الرشيد' (630 – 640 هـ / 1232 – 1242 م) رسوم الدولة التي كان والده قد محاها وعليه إمامة المهدي وعصمته، وذكر اسم المهدي في الخطبة ونقشه في السكة من الذهب والفضة(4).

---

(1) الجزنائي: المصدر السابق، ص 80؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـ 4، ص 322؛ ابن الحكيم: المصدر السابق، ص 102؛ أنظر أيضاً موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 296 – 297؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 180 – 181؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، جـ 5، ص 44؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 319؛ سالم: المرجع السابق، ص 523؛ أبو مصطفى: جوانب من النشاط الاقتصادي، ص 286؛ سامية مسعد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص 193 – 194؛ حسن: المرجع السابق، ص 228.

(2) أبو مصطفى: جوانب من النشاط الاقتصادي، ص 319 – 320.

(3) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 321؛ موسى: المرجع السابق، ص 295.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 317؛ أنظر ايضاً الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص 284.

أوزان السكة في عصري المرابطين والموحدين:

نجد أن الدنانير المرابطية موحدة في الوزن ويتضح ذلك من خلال النقود الذهبية التي بدأ سكها في الدولة المرابطية بوزن ثابت(1)، ويزن الدينار المرابطي 3.96 جرام تقريباً(2)، وقد وجدت بعض الدنانير ما يقرب من 116 دينار يزن ما بين 3.9 و 4.23 جرام، ومن هنا نستنتج أن الاختلاف في الأوزان قد يرجعإلى الطريقة التي تسك بها العملة، والتي تتطلب مهارة، والذي جعل من الصعب الحصول على قطع متماثلة في الوزن(3).

ويعتبر النظام النقدي في عهد الأمير 'علي بن يوسف' (500 – 539 هـ / 1106 – 1145 م) فقد أحدث نظام جديد، فقد سك على دنانيره عبارة "وزن قديم" على الدنانير التي سكت في مدينة غرناطة في أعوام 520 هـ / 1126 م، 521 هـ / 1127 م، 522 هـ / 1128 م، وهذا ما يؤكد أن العملة المرابطية رجعت إلى وزنها القديم بعد ما حدث تزوير في أوزان العملة،

(1) ريهام فايد: تاريخ دار السكة في الأندلس، ص 108.
(2) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 227.
(3) ريهام فايد: المرجع السابق، ص 109.

وانتج تدهور في نظام النقد منذ أن تولى الإمارة(1)، وفي عام 534 هـ / 1135 م ضرب المرابطون بمدينة تلمسان دنانير ذهبية وكان وزن الدينار الواحد 4.15 جرام(2).

تراوحت أوزان الدراهم بين 1.9 و 2.9 جرام، كما تراوحت أوزان أنصاف الدراهم بين 0.7 و 1 جرام، وبهذا فإن أوزان قراريط الأمير 'يوسف بن تاشفين' وفقاً للنماذج التي تم العثور عليها تراوحت بين 0.88 و 0.91 جرام و 1.2 جرام(3).

كما اهتم الموحدين بالدراهم مربعة الشكل، فكان الدينار الموحدي يزن ما يقرب من 2.32 جرام(4) أي 36 حبة شعير، وعندما قام الخليفة 'يعقوب المنصور' (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) بمضاعفة وزن الدينار ليعود إلى وزنه الشرعي 72 حبة شعير، ويكون وزنه بالجرامات 4.64 أو 4.72 جرام(5)، ولهذا عرف الدينار الموحدي عند الغرب المسيحي باسم (الدوبلا) أو الضعف(6).

---

(1) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 315.
(2) بدر: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة تلمسان، ص 39.
(3) ريهام فايد: نفسه، ص 109.
(4) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 319.
(5) حسن: المرجع السابق، ص 229؛ إدريس: مدينة سجلماسة، ص 286.
(6) أبو مصطفى: نفسه، ص 319؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، 193؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 241.

وكما ذكرنا آنفاً أن السبب الذي جعل الخليفة 'المنصور' يقوم بهذا التغيير في وزن الدينار هو عدم تناسب الدينار القائم وقتها من حيث الوزن مع ضخامة ثروة الدولة وقدرتهاعلى توفير كميات وفيرة من الذهب اللازم لمضاعفة الدينار في الوزن(1)

، لذا كانت مقادير العملات تختلف من خليفة إلى الآخر، ولهذا كانت العملة تنسب إلى الخليفة الذي أمر بسكها، كما أشرنا إلى الدرهم المؤمني نسبة إلى 'عبد المؤمن بن علي'(2)، والدينار اليعقوبي نسبة إلى 'يعقوب المنصور'(3).

وبهذا تكون النسبة بين الدينار والدرهم الموحدي 3:1 أي أن كل ثلاثة دراهم تساوي ديناراً موحدياً، ومن هنا نعرف وزن الدرهم عندما يقسم على وزن الدينار، أي أن الدينار الموحدي الذي يساوي 4.7 جراماً يقسم على ثلاثة دراهم في الوزن فيكون وزن الدرهم 1.56 جرام(4)، والأوقية بها عشرون درهماً موحدياً(5).

---

(1) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 229.
(2) نفسه، ص 228.
(3) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 193 – 194؛ حسن: نفسه، ص 228؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة، ص 180.
(4) ريهام فايد: تاريخ دار السكة، ص 110.
(5) دندش: الأندلس نهاية المرابطين، ص 241.

استمرت دار سكة فاس في انتاج الدنانير المضاعفة في عهد الخليفة 'الناصر الموحدي'(1)، فلهذا إطمئن الناس في تعاملاتهم، والدرهم المؤمني يعادل وزن نصف درهم النصاب أو درهم الكيل الشرعي، فالدرهم الشرعي يبلغ 2.975جرام ÷ 2 يساوي 1.492 جرام تقريباً(2)، بينما وزن أنصاف الدراهم نحو 0.75 جرام(3) كما ظهر أن بعض الخلفاء الموحدين يصنعون من النحاس ما يعطونه زيفاً باسم الدينار الذهبي(4).

يتضح لنا أن العملة الموحدية كانت تقوم أساساً على الدينار والدرهم، كما ان الموحدون ضربوا عملة صغرى أساسها الدرهم منها نصف درهم وربع درهم وثمن(5) ونصف الثمن من الدرهم وهو القيراط(6)، فكانت أصغر وحدة في الدرهم هي "الخراريب" وكان الموحدون يهدفون من ذلك تسهيل المعاملات بين الناس إلى حد كبير في عمليات البيع والشراء التي تتم بشكل يومي(7).

---

(1) إدريس: مدينة سجلماسة، ص 285.
(2) بن قربة (صالح): شخصية عبد المؤمن بن علي من خلال نقوده، مقالة منشورة في دورية الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2001 م، العدد التاسع، ص 289.
(3) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 321.
(4) حسن: نفسه، ص 228 – 229.
(5) موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 294؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 236 – 237؛ حسن: نفسه، ص 229.
(6) موسى: المرجع السابق، ص 294 – 295.
(7) موسى: نفسه، ص 295؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 236 – 237؛ حسن: نفسه، ص 229.

وعن كتابات السكة ففي العصر المرابطي، كتب على مركز الوجه كتابات عبارة عن ألقاب الأمير المرابطي واسمه، ويحيط به الكتابات الهامشية، التي هي عبارة عن الآية القرآنية ﴿ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين﴾(1)، وكان الظهر يشمل مركزه على اسم الخليفة العباسي ولقبه الخلافي، أما الهامش فيشتمل مركزه على مكان وتاريخ السك، ولجمال الخط الكوفي كان المرابطون يستخدمونه في الكتابة على عملاتهم، وقد لوحظ ان عملات المرابطين في الأندلس بأنها عملة جيدة الضرب(2).

وكان يرمز للخليفة العباسي دائماً باسم "عبد الله"(3)، ولكن عندما فتح المرابطون في المغرب والأندلس أرسل الأمير 'يوسف بن تاشفين' للخليفة العباسي 'المستنصر بالله' وطلب منه أن يعقد له على المغرب والأندلس، فأجابه إلى طلبه(4)، ومن خلال عملات الأمير المرابطي 'أبو بكر بن عمر اللمتوني' نجد اسم الخليفة العباسي مقترناً باسمه حتى وفاته عام 480 هـ / 1087 م،

(1) سورة آل عمران، الآية 85.
(2) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 233؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 282.
(3) نفسه، ص 233 – 234.
(4) ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 188.

أو من بعده 'يوسف بن تاشفين'(1) ولم يظهر اسم 'يوسف بن تاشفين' كأمير إلا بعد أن ولاه 'أبو بكر بن عمر' حكم المغرب عام 462 هـ / 1067 م، ولم يستقل بالمغرب إلا بعد عام 464 هـ / 1069م، ولم يجرؤ على نقش اسمه على السكة إلا بعد وفاة الأمير'أبو بكر بن عمر' وآل إليه الأمر رسمياً سنة 480 هـ / 1087 م(2).

ضرب الأمير 'يوسف بن تاشفين' الدينار الذهبي لتوفر التبر في جميع عمله(3)، ومن الكتابات التي تنقش على العملة المرابطية في عهد الأمير 'يوسف بن تاشفين' يكتب على عملته "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وتحت ذلك "أمير المسلمين يوسف بن تاشفين"، وفي الوجه الآخر "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"، وكتب على الوجه الآخر "الأمير عبد الله أمير المؤمنين العباسي"(4)، وفي الدائرة حولها تاريخ ضربه وموضع سكته(5).

---

(1) ثريا ملحس: المرابطون، ص 43.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 137؛ أنظر أيضـاً العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص 324؛ حسن: قيام دولة المرابطين، ص 195؛ عفيفي: نفسه، ص 232.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 143؛ أنظر أيضاً نصر الله: دولة المرابطين، ص 178؛ رمضان: النقود في العالم الإسلامي، ص 98 – 99؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 190 – 191.

(4) ابن أبي دينار: المؤنس، ص 132؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 191؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـــ 4، ص 261 – 262، 372؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 233 – 234.

(5) السلاوي: الاستقصا، جـــ 2، ص 29؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 191؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 233 – 234.

يلاحظ على العملة المرابطية أن الأمراء المرابطين ينقشون أسمائهم مصحوبة باسم العائلة، وأحياناً يذكرون اسم الجد، كما هو الحال بالنسبة للأمير ‘اسحاق بن علي بن يوسف’، كما استخدموا لقب "أمير المسلمين وناصر الدين"، وكما كانوا ينقشون على عملتهم "الإمام عبد الله أمير المؤمنين العباسي"، وعلى الوجه الآخر نقش "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، واسم أمير المسلمين، وفي الدائرة في مركزها ينقشون الآية ﴿ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين﴾، وكذلك تاريخ ومكان الضرب(1).

ومن أمثال العملات المرابطية التي سكت في الأندلس دينار مرابطي ضرب بمدينة المرية يحمل تاريخ سنة 494 هـ / 1100 م، وآخر سك بقرطبة ويحمل تاريخ سنة 495 هـ / 1101 م، كما عثرنا على درهم من الفضة سك في قرطبة، ويحمل تاريخ 502 هـ / 1108 م، نقش في أحد الوجهين "بسم الله الرحمن الرحيم / لا إله إلا الله / محمد رسول الله"، وعلى الوجه الاخر "أمير المسلمين علي / قرطبة"، وفي المركز "بسم الله ضرب هذا الدرهم عام اثنتين وخمسمائة"، كما عثر أيضاًعلى قيراط بقرطبة نقش عليه "الأمير يوسف / الأمير علي / قرطبة"، وقيراط آخر ضرب في قرطبة

(1) السلاوي: المصدر السابق، جـــ 2، ص 54؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 317.

ونقش على أحد الوجهين "محمد عبده ورسوله / لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، وعلى الوجه الآخر "أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف / قرطبة"، ودرهم آخر سك في مدينة جيان نقش على أحد الوجهين "لا إله إلا الله محمد رسول الله / بسم الله الرحمن الرحيم / ولي العهد الأمير تاشفين"، ونقش على الوجه الآخر "أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف / ضرب هذا الدرهم بجيان عام 536 هـ / 1141 م.

عثر درهم آخر سك في غرناطة ولا يحمل تاريخ الضرب، نقش عليه "لا إله إلا الله محمد رسول الله / ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير"، وعلى الوجه الآخر "أمير المسلمين علي بن يوسف / بسم الله / ضرب هذا الدرهم بمدينة غرناطة"، كما عثر على عملات أخرى ترجع إلى عهد الأمير ‘تاشفين بن علي’، منها دينار ضرب في المرية ونقش عليه "لا إله إلا الله / محمد رسول الله / أمير المسلمين وناصر الدين تاشفين بن علي / ولي عهده الأمير إبراهيم" ونقش على الوجه الآخر "الإمام عبد الله أمير المؤمنين العباسي / بسم الله الرحمن الرحيم / ضرب هذا الدينار بالمرية في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة". كما وجد دينار آخر ضرب في إشبيلية في عهد الأمير ‘إسحاق بن علي’ ونقش عليه "لا إله إلا الله محمد رسول الله / صلى الله عليه وسلم تسليما / أمير المسلمين إسحاق بن علي بن يوسف"، ونقش على الوجه الآخر "الإمام عبد الله أمير المؤمنين العباسي / بسم الله الرحمن الرحيم / ضرب هذا الدينار بإشبيلية عام إحدى وأربعين وخمسمائة"(1).

---

(1) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 315 – 316.

وعن الكتابات التي ظهرت على السكة في العصر المرابطي في بلاد المغرب، ضربت هذه العملات في مدن سجلماسة وفاس ونول لمطة وتلمسان، ونقود ترجع إلى فترة مبكرة من قيام دولتهم، ترجع إلى العام 450 هـ / 1058 م(1)،في عهد الأمير 'أبو بكر بن عمر' ضرب في مدينة سجلماسة(2)، وقد نقش على وجه أحد هذه الدنانير الذهبية "لا إله إلا الله / محمد رسول الله / الأمير أبو بكر بن عمر / ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين"، وعلى الظهر "الإمام عبد الله / أمير المؤمنين / بسم الله ضرب هذا الدينار بسجلماسه سنة سبع وخمسين وأربعمائة"(3)، كما ضرب الأمير 'أبو بكر بن عمر' ديناراً ذهبياً بمدينة سجلماسة سنة 462 هـ / 1069 هـ باسم أبيه وقد نقش على أحد وجهيه "الأمير إبراهيم بن أبي بكر"(4).

وأما عن كتابات السكة الأندلسية في العصر الموحدي، فقد استبدل الموحدون الخط الكوفي بالخط النسخ، ومن الملاحظ أيضاً أن نقود الموحدين لم تكن تحمل تاريخ الضرب ولا المكان الذي ضربت فيه، إلا ما قبل منها يرسم عليه في آخر الكتابة حروف ضئيلة اسم المدينة أو تاريخ الضرب،

(1) الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي، ص 101 – 102؛ حسن: قيام دولة المرابطين، ص 167 – 168.

(2) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 231؛ الجنحاني: المرجع السابق، ص 101 – 102.

(3) عفيفي: المرجع السابق، ص 231.

(4) نفسه، ص 231.

فلا وجود له فيها، مخالفين بذلك العملات الإسلامية ونقوشها غريبة المعنى(1)، كما أن خلفاء الموحدين من بني عبد المؤمن منذ عهد جدهم ‘عبد المؤمن بن علي’ حتى آخر خلفائهم ‘أبي دبوس’ (665 هـ / 1267 م)، فكان في أول صكوكهم بعد البسملة "الحمد لله وحده"(2)، ومن أمثلة ما يكتبونه على أحد الوجهين "لا إله إلا الله، الأمر كله لله، ولا قوة إ لا بالله"، وعلى الوجه الآخر كتب في سطور ثلاثة "الله ربنا / محمد رسولنا / المهدي إمامنا" وتنقش عليها اسم الخليفة(3).

من أمثلة العملات الموحدية التي سكت في الأندلس التي عثر عليها في عهد الخليفة ‘عبد المؤمن بن علي’ (524 – 558 هـ / 1130 – 1162 م) نصف دينار سك بمدينة إشبيلية، بدون تاريخ، الوجه نقش عليه "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، الهامش "بسم الله الرحمن الرحيم / صلى الله على محمد / وآله الطيبين / الطاهرين"، الظهر على الوجه الآخر "المهدي إمام الأمة القائم / بأمر الله / أبو محمد عبد / المؤمن بن علي / أمير المؤمنين / الحمد لله رب العالمين"(4).

---

(1) موســى: الموحدون في الغرب الإســلامي، ص 295؛ عفيفي: نفســه، ص 236؛ بن قربة: شــخصــية عبد المؤمن، ص 287؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 287.

(2) ابن الأحمر: مســتودع العلامة ومســتبدع العلامة، تحقيق: محمد التركي التونســي وآخرون، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1933 م، ص 22.

(3) موســى: الموحدون في الغرب الإســلامي، ص 295؛ أبو مصــطفى: تاريخ الأندلس الاقتصــادي، ص 320.

(4) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 320.

كما عثر على نصف دينار مضاعف (دبلة) ترجع إلى عهد الخليفة 'يوسف بن عبد المؤمن' (557 – 580 هـ / 1163 – 1184 م) إلا أنه لا يحمل تاريخاً ولا مكان الضرب، ونقش عليه "بسم الله الرحمن الرحيم / لا إله إلا الله محمد رسول الله / المهدي إمام الأمة / إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم"،وعلى الوجه الآخر نقش "القائم بأمر الله الخليفة أبو محمد عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أمير المؤمنين"(1).

كما عثر على دينار مضاعف يرجع إلى عهد 'يعقوب المنصور' (621 – 624هـ/ 1224 – 1227 م) على أحد الوجهين بسم الله الرحمن الرحيم / والحمد لله وحده / لا إله إلا الله محمد رسول الله / المهدي إمام الأمة / وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم / وما بكم من نعمة فمن الله / وما توفيقي إلا بالله"، وعلى الوجه الآخر "القائم بأمر الله الخليفة أبو محمد عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن أمير المؤمنين أبو يوسف يعقوب بن أمير المؤمنين"(2).

(1) نفسه، ص 320.
(2) نفسه، ص 320 – 321.

كما عثر في إقليم لاردة في شمال شرق أسبانيا على دنانير موحدية مختلفة، منها دينار مضاعف سك في عهد الخليفة 'يوسف الثاني المستنصر بن الناصر الموحدي' (610 - 620 هـ / 1213 – 1224 م)(1)، وبذلك نعمت الأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين بنظام دقيق في النواحي المالية، وكانت العملة المرابطية والموحدية فيما بعد لها ثقلها في المجال الاقتصادي وحازت على ثقة الدول المعاصرة لهاتين الدولتين(2).

وعن عملات الموحدين المغربية فقد وجد نصف دينار موحدي ضرب بمدينة مكناسة في عهد الخليفة 'عبد المؤمن بن علي'وكتب عليه:

الوجه: المركز: لا إله إلا الله محمد رسول الله

الهامش: بسم الله الرحمن الرحيم / صلى الله على محمد / وآله الطيبين / الطاهرين

الظهر: المركز: المهدي إمام / الأمة القائم / بأمر الله

الهامش: أبو محمد عبد / المؤمن بن علي أمير المؤمنين / الحمد لله رب العالمين.

وكانت هذه العملة مجهولة تاريخ الضرب(3).

---

(1) نفسه، ص 321.
(2) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 241.
(3) العملات الذهبية الإسلامية من 5 / 12 / 1445 هـ *http//www.islamiccoins.net*
هناء الفقي: مدينة مكناسة المغربية، ص 179 – 180.

يبدو أن العملة الموحدية تعرضت في آخر عصر الموحدين للتدهور، فضعفت قيمتها وأصبحت تضرب من النحاس دراهم أصبح الصيارفة يستعملونها في الأسواق، ويضيف أن تلك الدراهم الموحدية كانت في بدايتها دراهم طيبة من الفضة يبرق بياضها(1).

20- المعمار:

وكما دخلت المعادن في فن المعمار، فقد بلغ فن التطعيم في بلاد المغرب والأندلس من الرقي والذوق مالم يبلغه في أنحاء العالم الإسلامي، فكان ذو أهمية كبيرة خاصة في عصري المرابطين والموحدين، فقد ساهم في أغراض متعددة في بناء القصور والمباني الدينية، لذا دخلت صفائح المعادن الرقيقة في هذه الصناعات الراقية(2)، واهتم ولاة الأمر من المرابطين والموحدين بالبناء والتعمير، وتنوعت هذه المباني ما بين عسكرية ودينية ومدنية، فتجلت هذه الصناعة(3).

وبما أن المساجد هي أهم العمائر في المدن الإسلامية بصفة عامة، ودولتي المرابطين والموحدين قامتا على أساس دعوتين دينيتين، هما دعوة 'عبد الله بن ياسين'، و'المهدي بن تومرت' ولهذا اهتموا ببناء المساجد وتجديدها وتعميرها لأنها تعد من مراكز الإشعاع الفكري والديني للدعوتين، ولهذا اسهمت المساجد بدورها بحكم أهميتها الدينية والتعليمية، في إثراء الحياة الفكرية في بلاد الأندلس والمغرب(4).

---

(1) أبو مصطفى: جوانب من النشاط الاقتصادي، ص 286.
(2) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 187.
(3) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 218.
(4) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 59؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 15.

وهذا يرجع إلى مهارة الصناع والفنانون من أهل الأندلس التي استفادت منهم دولة المرابطين وقامت على تشجيعهم وحمايتهم(1)، فاهتم الأمير 'يوسف بن تاشفين' (453 – 500 هـ / 1061 – 1106 م) باستقدام الصناع الأندلسيين للاستفادة من خبراتهم الفنية في مجال المعمار إلى بلاد المغرب لمهاراتهم في بناء المساجد والحصون وغير ذلك(2).

حفلت مدن المغرب بمؤسسات معمارية بديعة الفن، وبهذا أصبحت مؤسسات مدن كل من فاس ومراكش وتلمسان تصارع مؤسسات مدن الأندلس مثل قرطبة وإشبيلية، لذا أصبح الفن في العصر المرابطي هو فن أندلسي في أرض المغرب(3)، استقدم الأمير 'يوسف بن تاشفين' جملة من صناع الأندلس – من قرطبة – لبناء مدينة فاس فتأثرت مدينة فاس بالفن الأندلسي(4).

(1) حسن: قيام دولة المرابطين، ص 374؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 118.
(2) الجزنائي: زهرة الآس، ص 78؛ أنظر أيضاً حسن: المرجع السابق، ص 391.
(3) حسن: نفسه، ص 392.
(4) الجزنائي: المصدر السابق، ص 78؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 517.

لاشك أن هؤلاء الصناع جميعاً كانوا عصب الحياة، وكونوا جماعات كبيرة من سكان المدينة وشكل البنائون طائفة من طوائف الصناع على الرغم من مهارة الأندلسيين في فن المعمار، إلا أنه ازدهر بالمغرب بعض الصناع الذين اشتهروا بفن المعمار، والدليل على ذلك اشتغل بمدينة مكناسة المغربية جماعة كبيرة بهذا الفن نتيجة للحركة العمرانية التي شهدتها المدينة خلال عصور المرابطين والموحدين في بناء المساجد والمنازل والقصور والمرافق، مما استلزم جماعات متنوعة تقوم بعمليات البناء، وعرفوا باسم طائفة البنائين وأهل الهندسة(1).

فبرع البنائين في بناء مدينة مراكش(2) في عهد الأمير ‘يوسف بن تاشفين’(3)، ولا شك أن بناء مدينة مراكش جلب العديد من الحرفيين من مختلف المناطق المغربية وصناع مدينة أغمات على الخصوص(4)، وقد ساهم الصناع في بناء مدن وقلاع وغيرها من المنشآت الأخرى في مختلف نواحي المغرب والأندلس، كما استغلت مهارة غير المسلمين من أهل الذمة في إتمام بعض مباني مراكش(5)،

---

(1) رأفت (اسماعيل): التبيان في تخطيط البلدان، القاهرة، 1329 هـ، جـ 1، ص 217.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 138؛ أنظر ايضاً بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 171.

(3) سالم: المرجع السابق، ص 703؛ العبادي: تاريخ المغرب، ص 222؛ بروفنسال: نخب تاريخية، ص 32.

(4) بوتشيش: المرجع السابق، ص 171.

(5) نفسه، ص 114.

خاصة يهود مدينة سجلماسة(1)، واستفاد المغاربة من الأندلسيين من أهل الذمة في هذا المجال(2)، لتميزهم بنشاطهم الصناعي(3)، وعن أهم المهندسين اليهود في عهد الأمير 'علي بن يوسف' والذين برز منهم المهندس المشهور بالأندلس 'عبد الله بن يونس' اليهودي الأصل يعلم أن هذا المهندس لعب دوراً هاماً على المستوى الاجتماعي، إذ تمكن بفطنته بتوفير المياة لسقي بساتين وكذلك يهود مدينة درعة(4)، فاشتهر اليهود بالأعمال الحرفية(5).

ولأهمية مدينة مراكش لكونها عاصمة جديدة تدفقت إليها رؤوس الأموال فوفد عليها المستثمرون والصناع والتجار من مختلف الأصقاع، وغدت مراكش من أجمل المدن المغربية وأكبرها لازدهار صناعتها، أصبحت محط أنظار الأندلسيين والمغاربة(6).

---

(1) البكري: المغرب، ص 148؛ مجهول الاستبصار، ص 202؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 242؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 361، 371.

(2) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 114.

(3) زينير (محمد): المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1970، ص 324.

(4) البكري: المغرب، ص 148 – 149؛ أنظر أيضاً بوتشيش: المرجع السابق، ص 97، 110، 111.

(5) هناء الفقي: مدينة مكناسة، ص 116.

(6) الهرفي: دولة المرابطين، ص 370 – 371.

ومن أهم المساجد التي دخلت الصناعات المعدنية في تزيينها جامع الكتيبة بمراكش، فقد شرع الأمير 'علي بن يوسف' (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م) في بناء جامعها ومنارها، وجمع لذلك الصناع والفعلة من الدور في مدة ثمانيةأشهر، وذلك لاتساع مساحتها واتساع دورها(1)، ودخل في صناعة "جامع الكتيبة" بمراكش العود والصندل الأحمر والأصفر وصفائحه من الذهب والفضة، وكان ذلك مابين عامي 534 هـ - 538 هـ / 1139 – 1143 م(2).

لقد تأثر الفن المرابطي بمدينة فاس إلى درجة كبيرة بالأثر الأندلسي(3)، كما تجلى روائع الفن المغربي الأندلسي في جامع القرويين بمدينة فاس، واستجلب خيرة الصناع المهرة والمهندسين حتى جاء من أجمل روائع الفن في عهد الأمير 'علي بن يوسف' وذلك في عام 531 هـ / 1136 م، كما قد سبق وأضيفت على المسجد زيادات هامة بين عامي (528 – 529 هـ / 1133 – 1134 م)، فقد صنع للجامع محراب، وعلى المحراب ودوائر القبلة التي عليه وزرقش ذلك كله بورق الذهب واللازورد واللون لأزرق وألوان أخرى، وبلغ من جمال هذا الأثر الفني أنه كان يشغل المصلين ويجذب انتباههم(4)، ومنبران جديدان، كما أعيد بناء الأبواب التي تعتبر تحفة فنية رائعة وكسيت هذه الأبواب الخشبية بالنحاس الأصفر،

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 90.
(2) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 188 – 189.
(3) لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص 126 – 127.
(4) بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 12 – 13.

كما أقيم مع كل باب قبة صغيرة، ولكل باب من الأبواب الثمانية عشر مفرغ ذو حلقة معدنيةكبيرة، وتزين واجهة الأبواب صفوف من المسامير ذوات الرؤوس، كما كانت تكثر فيه الإنارة والسرج، والذي ترى فيه صحن الجامع الثريات الكبيرة التي تتفرق في كافة أرجاء المسجد، وفي الوسط ثريا ضخمة إلى جانبها ثريا أصفر، ويبدو أنها كانت في الأصل ناقوساً حمل من إحدى المعارك التي جرت في الأندلس، وكسي الجرس بثلاث حاملات للقناديل ونقش عليه "صلى الله على سيدنا محمد..." وبالمسجد بعض من الأجراس الأخرى التي حولت إلى ثريات، وكانت قد نزعت بأيدي الجنود المسلمين من أعالي الكنائس القشتالية في شمال الأندلس(1)، لذا بلغ ما انفق 'علي بن يوسف' في إصلاح جامع القرويين بفاس ما يقرب من ثمانين ألف دينار(2)،

(1) الجزنائي: زهرة الآس، ص 16 – 17؛ ابن القاضـــي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 68 – 69؛ أنظر أيضاً الهرفي: دولة المرابطين، ص 377 – 378؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 377؛ حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 393 – 394؛ بالباس: الفن المرابطي، ص 15 – 16.
(2) الجزنائي: المصدر السابق، ص 102؛ أنظر أيضاً حسن محمود: المرجع السابق، ص 393 – 394.

وقد أغشيت بعض السقوف الخشبية بمدينة فاس بالقصدير والأصباغ الملونة(1) وعندما استولى المرابطون على مدينة برشلونة(2) في شرق الأندلس، رجعوا محملين منها بالنواقيس والصلبان وأواني مرصعة بالفضة والعقيان، أمر بتركيبها كثريات في جامع بلنسية(3).

وعن تقدم الصناعة المعدنية في مجال فن المعمار في العصر الموحدي في استخدام معدن الحديد والرصاص لتوصيل أنابيب لجر المياة إلى المدن أو توزيعها فيها مثل ما فعله الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م) في مدينة الرباط(4)، وما فعله الخليفة 'المنصور الموحدي' بجامع مراكش، فجلب أعمدة من أسبانيا وبنى تحت الجامع خزان مياة يسمى "ماجنة" في نفق وجعل سقفه من رصاص محفوف بقنوات تجري فيها المياة العاطلة على السقف وتصب في الخزان(5).

---

(1) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 180؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ 5، ص 154 – 156؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 234؛ المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 553 – 554؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 158.

(2) مدينة برشلونة: مدينة كان يمتلكها الروم، بينها وبين طركونة نحو 75 كم تقريباً، وتقع على البحر، عليها ســور منيع والدخول إليها والخروج منها إلى الأندلس على باب الجبل المعروف بهيكل الزهرة، وهي مشهورة بالحنطة والحبوب والعسل، ويسكنها أهل الذمة، وهي تعد القسم الثالث من الأندلس؛ الحميري: الروض المعطار، ص 42 – 43.

(3) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 110؛ أنظر أيضاً نصر الله: تاريخ العرب السياسي، ص 290.

(4) موسى: المرجع السابق، ص 251.

(5) الوزان: وصف أفريقيا، ص 139 – 140.

وأيضاً الخليفة 'محمد الناصر' في مدينة فاس الذي استخدم معدن الرصاص كأنبيب تجر المياة(1).

يظهر لنا تقدم الصناعة المعدنية في عصر الموحدين جلياً عندما شرع الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' في بناء المسجد الجامع الذي يتبع القصر، وهو المعروف بـ "جامع الكتيبة" بمدينة مراكش، ولما أتمه صنع فيه ساباطاً يدخل من القصر إليه ومنه إلى الجامع دون أن يراه أحد، ونقل له منبراً عظيماً صنع بالأندلس في غاية الاتقان، قطعانه عود وصندل أحمر وأصفر وصفائحه من الذهب والفضة، وأشكال في عمله من الذهب الإبريز يتلألأ نوراً، صنع له مقصورة من الخشب ذات ستى أضلاع تفتح بفتح أبوابها دفعة واحدة بطريقة آلية، فكان لا يفتح إلا عند صعود الخطيب بطريقة آلية، والذي صنع المنبر والمقصورة الفنان 'الحاج يعيش المالقي'، فكانت تسع أكثر من ألف شخص(2).

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 233، 272؛ ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص 42؛ الجزنائي: نفسه، ص 106، 109؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 196؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 818 – 819؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 170؛ المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 71؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 251.

(2) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 387؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 144 – 145؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 397 – 398؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 416؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 305؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 58؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 4، ص 343 – 344؛ جلاب (حسن): دراسات مغربية في التراث، ص 170؛ علام: الدولة الموحدية، ص 373 – 374؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 245؛ أنظر ملحق رقم 3.

وتتجلى رعاية الدولة للفنون المعمارية وبالأخص مدينة إشبيلية عاصمة الأندلس خلال العصر الموحدي، فكانت مسرحاً لأعظم المنشآت العمرانية الموحدية بالأندلس(1)، ويتضح لنا ذلك عن صومعة جامع إشبيلية، المسماة الأن الخيرالد (La giralda)، فقد شرع في بنائها الخليفة 'يوسف بن عبد المؤمن' (558 – 580هـ / 1163 – 1184 م)، ثم توقف البناء بموته عام 580 هـ / 1184 م، عقب غزوة شنترين(2)، فأكمل العمل ابنه الخليفة 'يعقوب المنصور' (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) بعد وصوله إلى مدينة إشبيلية عام 584 هـ / 1188 – 1189 م، وأشرف على البناء العريف 'علي الغماري' والمهندس 'أحمد بن ياسة' هو الذي وضع أساسه، وفي عام 594 هـ / 1198 م احتفل بوضع أربعة تفافيح(3) وقد موهت بمئة ألف دينار من الذهب وسترت بالأغشية من شقاق الكتان لحمايتها من الضرر، وحملت على العجل مجرورة حتى رفعها بأعلى الصومعة، كما أحضر المهندسون مركبة في عمود عظيم من الحديد ورفعت عالياً غير متأثرة بزعازع الرياح وصدمات الأمطار والذي رفعها المعلم 'أبو الليث الصقلي'.

---

(1) عنان: المرجع السابق، جـ 6، ص 742.

(2) غزوة شـنترين: كانت بين الخليفة يوسـف بن عبد المؤمن بن علي، الذي اجتاز في حركته إلى الأندلس بعسكره أربعون ألفاً من الفرسان والموحدين والجنود وفرسان الأندلس، وبلغ عدد جيشه مائة ألف فارس، وأرسل أسطوله فحاصر الإشبونة عشرين يوماً، وبين ابن الرنق عدو المغرب الذي آذى المسلمين من قاعدته شنترين، وفي أثناء هذه الغزوة توفي يوسف بن عبد المؤمن عام 580 هـ / 1184م؛ الحميري: الروض المعطار، ص 114.

(3) وقيل عن هذه التفافيح أن زوجة الخليفة أبو يوسف يعقوب (المنصور) رغبت بمساعدة زوجها في بناء هذا الجامع عام 594 هـ / 1197 م، في أن تخلف هي نوعاً من الذكرى لنفسها في تزيين هذا البناء، فباعت حليها الذهبية الخاصة والفضة والأحجار الكريمة وجميع ما قدمه لها الخليفة المنصور عن صداقها منه، وأمرت بصنع التفاحات الذهبية لتعطي مظهراً جميلاً فوق قمة المنار؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص 143؛ أنظر أيضاً كرنجال: أفريقيا، جـ ، ص 22.

ورفعت كل واحدة على عمود حديدي، زنة العمود الواحد مائة وأربعون ربعاً من الحديد، وقد صنع الصناع هذه التفافيح بين يدي الخليفة 'المنصور' وأعجب بها كل من يراها، فأثرت إعجاب المسيحيين والمسلمين على السواء، ومن جمالها تلفت الأبصار، ومن تألقها بالذهب الخالص والإبريز وشعاع رونقها(1)، وذلك نتيجة طبيعية لاهتمام الخليفة 'المنصور' بالبناء والتعمير، حيث كان من أكثر خلفاء العصر الموحدي شغفاً بالبناء والتعمير وفن الزخرفة خاصة في المساجد والصوامع، التي انتشر بناءها في عهدهفي بلاد المغرب والأندلس وإفريقية(2)، لذا بلغت مدينة إشبيلية في عهده ذروة مجدها(3).

تجدر الملاحظة أن دولة الموحدين في بداية أمرها لم تهتم بزخرفة المنشآت، ولاسيما المساجد، معتبرين هذه الزخرفة من الأمور الغير مقبولة من الناحية الدينية، وكان كل ما يراعى في هذه الصروح هو البساطة والمتانة،

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 392 – 394؛ ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 122؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 229؛ الوزان: وصف إفريقية، ص 143؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 174؛ انظر أيضاً سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 115، 121، 172؛ مؤنس: رحلة الأندلس (حديث الفردوس الموعود)، الدار السعودية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985 م، ص 131؛ نصر الله: تاريخ العرب السياسي، ص 335؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 18، 164؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 251؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 220؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 5، ص 230، 232، 246؛ جـ 6، ص 725؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 567؛ بالباس: الفن المرابطي، ص 25؛ أنظر ملحق رقم 2.
(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 217 – 218؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 292.
(3) سالم: المرجع السابق، ص 22؛ منصور: قبائل العرب، جـ 1، ص 128؛ بروفنسال: حضارة العرب، ص 28؛ شبانة (محمد): الأندلس (دراسة تاريخية وحضارية) دار العالم العربي، القاهرة، 2008 م، ص 158.

وعندما استمالت الخلافة الدينية من بعد الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م) إلى ملك باذخ وبلاط يمتاز بالفخامة والروعة، بدأت حينها الزخارف الموحدية تظهر بكثرة، ومنها منبر جامع إشبيلية السابق الذكر والمرصع بصفائح الذهب والفضة، وزودت صومعته التي أنشئت فيما بعد بتفافيحها الذهبية(1)، ومنبر جامع إشبيلية الذي ألقيت أول خطبة به عام 577 هـ / 1112 م، وصنع هذا المنبر من أغرب ما قدر عليه الفعلة من غرابة الصنعة، وعليه صفائح من الذهب والفضة، وأشكال عمله من الذهب الإبريز تتألق بنورها وحسنها للناظر لها في الليل(2)، وجاء بعده 'أبي العلاء إدريس' الذي حاول أن يعيد إلى مدينة إشبيلية ازدهارها كما كانت في عهد الخليفة 'المنصور'، فقام ببناء برج الذهب عام (616 – 617 هـ / 1220 – 1221 م) على الوادي الكبير بإشبيلية، والذي يعد من أهم آثار الموحدين الحربية(3)، وأطلق على البرج اسم "برج الذهب" لأنه كان محلى بغطاء من الخزف المذهب(4)،

(1) ابن أبي زرع: نفسه، ص 229؛ أنظر أيضاً عنان: المرجع السابق، جـ 5، ص 74؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 12.
(2) بالباس: المرجع السابق، ص 59.
(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 242، 273؛ ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص 54 – 55؛ أنظر أيضاً العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 222؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 22 – 23، 115 – 116؛ شبانة: الأندلس، ص 160؛ بالباس: الفن المرابطي، ص 39، 92؛ أنظلا ملحق 1.
(4) بالباس: المرجع السابق، ص 92.

ويعد هذا البرج من أضخم الأبراج، وأحياناً كان يستخدم الحديد في بناء الأبراج، مثل مدينة مراكش التي بنيت بها عدة أبراج من الحديد(1).

استخدم الحديد في صناعة الشبابيك(2)، وفي تزيين الأبواب(3)، فاستخدمت المعادن في تجميل الأبواب، فكانت أبواب مدينة مالقة مغشاة بالصفائح(4)، كما تاخذ الصفر المزخرف لتزيين الشبابيك، مثلما استخدم في جامع الخليفة 'المنصور الموحدي' (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) في تامراكش(5) فقد صنع على صحنه شبك من الصفر الأندلسي، فجاء في غاية الزخرفة والاتقان(6)، كما استخدمت الثريات لتزيين المساجد مثل الجامع الأعظم بمدينة مكناسة، توجد بها الثريا الكبرى التي كتب في دائرتها السفلى ما يلي "صنعت هذه الثريا بمدينة فاس حرسها الله لجامع مكناس شرفه الله بذكره وكان الفراغ منها في 20 ذي القعدة سنة 604 هـ"(7).

---

(1) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 108.
(2) مجهول: الاستبصار، ص 130.
(3) ابن القطان: نظم الجمان، ص 224؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 284.
(4) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 58.
(5) تامراكش: مدينة صغيرة تقع خلف مدينة مراكش من دكالة على نهر أم الربيع، وتحمل هذا الاسم وهو تصغير لكلمة مراكش، وكانت تضم أربعمائة أسرة التي بناها الخليفة يعقوب المنصور؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص 164؛ أنظر أيضاً المنوني: حضارة الموحدين، ص 164.
(6) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 200؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 251؛ المنوني: المرجع السابق، ص 168.
(7) ابن العربي: المغرب، ص 185؛ المنوني: أبحاث مختارة، ص 42.

وثرية جامع القرويين بمدينة فاس المؤلفة من 509 إلى 520 قنديلاً تزن من 17 وربع إلى 17 ونصف قنطار و13 رطلاً من النحاس، وتحمل هذه القناديل قنطاراً من خمس إلى سبع قلال من الزيت، ويرجع تاريخ صنعها إلى عام 600 هـ / 1203 م(1)، يتضح لنا مدى اهتمام دولتي المرابطين والموحدين بالإصلاح في جامع القرويين(2).

ضمت مدينة تازة (تازا) مآثر تاريخية من أهمها المسجد الأعظم الذي بناه الموحدون، ووجد به ثريات من أعظم الثريات بالمغرب وزنتها 32 قنطاراً من النحاس، وكان العوام يعتقدون أن القرآن كله منقوش بجوانبها، لكن اتضحأن ما كتب بجوانبها بعض أبيات من الشعر(3).

وفي عهد الخليفة 'يوسف الموحدي' (558 – 580 هـ / 1163 – 1184 م) نصبت ساعة على باب جامع الكيتين في مراكش وارتفاعها في الهواء خمسون ذراعاً، وتنزل عند إنقضاء كل ساعة صنجة وزنها مائة درهم، وتتحرك بنزولها أجراس يسمع وقعها من على بعد، وتسمى عندهم بالبجانة أو المجانة(4).

---

(1) الجزنائي: زهرة الآس، ص 103؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 252؛ بالباس: نفسه، ص 60.

(2) نشاط: إطلالات على تاريخ المغرب، ص 12.

(3) ابن العربي: المغرب، ص 94 – 95.

(4) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 197 – 198؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 162؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 252؛ سالم: المغرب الكبير، ص 709؛ المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 559؛ ابن العربي: المرجع السابق، ص 179؛ جلاب: دراسات في التراث، ص 18، 179 – 180.

كما زخرف الصندوق الذي أمر الخليفة ‘عبد المؤمن بن علي’(524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م) بصنعه في مراكش ليحفظ فيه نسخة القرآن القديمة المشتملة على أربع ورقات بخط الخليفة ‘عثمان بن عفان’ رضي الله عنه، وهذا يدل على انتشار الفنون الزخرفية المعدنية في المدن التي كان يسيطر عليها المرابطون والموحدون في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، فزينه بصفائح النحاس التي تغطي المصراعين الخشبيين بباب جامع القرويين بفاس عام 532 هـ / 1137 م(1).

كما ازدهر فن آخر من الفنون الجميلة في العصر الموحدي، ألا وهو فن كتابة المصاحف وتنميقها وزخرفتها وتذهيبها(2)، كما ازدهر هذا الفن أيضاً في العصر المرابطي(3)، وقد ساهم الصناع في بناء مدن وقلاع وغيرها من المنشآت الأخرى في مختلف نواحي المغرب والأندلس، وكان البناؤون يتجمعون في "الموقف" لانتظار من يستأجرهم، ويبدو أن مدة عملهم كانت من طلوع الشمس إلى نصف المدة الزمنية من العصر إلى المغرب(4).

---

(1) بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 60.

(2) ونذكر منهم عدة فنانين، وهم ‘محمد بن عبد الله بن سهيل الأنصاري البلنسي’ والمعروف بابن غطوس (ت 610 هـ / 1213 م)، والذي وهب حياته لكتابة كتاب الله، وبرع في تنميق المصاحف وزخرفتها، مما جعل الملوك والأمراء يتنافسون في إقتنائها، كذلك من اهم هؤلاء الفنانين ‘محمد بن محمد بن يحيى بن حسين’ من أهل جزيرة شقر (ت 630 هـ / 1232 م)، وقد كان من أبدع أهل عصره في كتابة المصاحف وزخرفتها؛ كذلك ‘محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز’ المعروف بابن حمنال، وهو من أهل مدينة مرسية (ت 633 هـ / 1235 م)، ومنهم ‘موسى بن عيسى اللخمي القرطبي’ المعروف بابن الفخار (ت 621 هـ / 1224 م)؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 6، ص 726.

(3) موسى: المرجع السابق، ص 251.

(4) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 171 – 172.

ومما سبق يتضح لنا مدى اهتمام خلفاء الموحدين بالفنانين الأندلسيين، ومنهم مهندسين اشتركوا في تشييد معظم آثار بني عبد المؤمن، منهم 'أحمد بن باسه' وكان عريف البنائين في الأندلس، و'الحاج يعيش المالقي'(1)، ومن الملاحظ أيضاً أن اليهود كان مسموح لهم أيضاً بصناعة البناء في العصر الموحدي(2)، رغم تعرضهم للبطش تحت سيف المهدي بن تومرت في بداية الدولة الموحدية، وكان البطش الموحدي قد أصاب جميع الطوائف اليهودية خاصة في مدينة مكناسة وغيرها من البلدان(3).

ثالثاً- الصناعات غير المعدنية:

1- الصناعات الزجاجية:

اشتهرت العديد من المدن الأندلسية والمغربية بصناعة الزجاج خلال عصري المرابطين والموحدين، وعن أهم المدن الأندلسية التي اشتهرت بصناعة الزجاج، مدينة المرية التي اشتهرت بانتاج الأواني الزجاجية(4)، ومدينة مرسية(5)

---

(1) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 128.
(2) المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، جذور للنشر، الرباط، 2006 م، ص 114.
(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 102؛
Eisenbeth: Les juifsan Maoc tessar histoir izueolger, imprimerie charras; 1948, p. 29.
(4) المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 141؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 159؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 166؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 254؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 137.
(5) موسى: المرجع السابق، ص 254؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 273.

ومدينة مالقة التي تميزت بانتاج الزجاج المتميز والغريب الشكل(1)، فقد ازدهرت هذه الصناعة في هذه المناطق الثلاثة خاصة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ثم انفردت بها مدينة مرسية ومالقة بعد خراب مدينة المرية(2)، ولازدهار صناعة الزجاج بالأندلس(3)، انتشرت مصانع الزجاج، وكان يصدر إلى البلاد الشرقية المصنوعات الزجاجية(4)، وتعد صناعة الزجاج من أهم الصناعات التي أسندها الأمير 'علي بن يوسف' إلى اليهود(5).

وانتقلت هذه الصناعة في العصر الموحدي إلى بلاد المغرب، فاشتهرت مدينة قفصة بصناعة أواني الزجاج العجيبة والمذهبة(6)، وربما كان لاستخراج زجاج نفراوة(7)

---

(1) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، جـــ 1، ص 424؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 132؛ زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ص 320؛ موسى: نفسه، ص 254؛ دندش: الأندلس في نهارية المرابطين، ص 181.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص 184؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 168؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 254؛ العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـــ 2، ص 63؛ سامية مسعد: نفسه، ص 137.

(3) دندش: المرجع السابق، ص 280؛ موسى: نفسه، ص 323؛ سامية مسعد: نفسه، ص 137.

(4) موسى: نفسه، ص 323.

(5) بوتشيش: المرجع السابق، ص 97؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 291، 293.

(6) مجهول: الاستبصار، ص 154؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 108؛ موسى: نفسه، ص 254؛ برنشفيك: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، جـ 2، ص 243.

(7) نفراوة: بلاد نفراوة من ضمن بلاد الجريد، وهو قطر مثل قسطيلية، فيه مدن وقصور وعمائر كثيرة متصلة آهلة بالسكان؛ مجهول: المصدر السابق، ص 157.

أثره في تطور صناعة قفصة(1) هذه، كما تركزت في مدينة فاس صناعة الزجاج، فكان بها أحد عشر داراً لصناعة الزجاج في أواخر العصر الموحدي، خاصة عصر 'لمنصور' وولده الخليفة 'الناصر' الموحدي (595 – 611 هـ / 1199 – 1214 م)(2).

كما ذكر 'مقديش' أن أنواع السلع التي يحملها تجار أغمات إلى السودان، ومن أهمها الزجاج بقوله "... وأهل هذه المدينة (أي أغمات وريكة) تجار مياسر يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من .. صنوف النظم من الزجاج"(3)، كما صدرت الأواني والكؤوس الزجاجية التي اشتهرت بصنعتها عدة مدن إلى بلاد المغرب والسودان(4).

كما عدت مدينة طرا(5) من أشهر مدن المغرب وأكبر المراكز التي انتجت أجود أنواع الزجاج الصافي، ومنها يجلب إلى الإسكندرية(6)،

---

(1) ابن سعيد: الجغرافيا، ص 127؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 245.

(2) الجزنائي: زهرة الآس، ص 80؛ أنظر أيضـاً علام: الدولة الموحدية، ص 256؛ الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 284؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 105؛ سالم: المغرب الكبير، ص 523؛ حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 355؛ موسى: المرجع السابق، ص 254.

(3) نزهة الأنظار، جـ 1، ص 60؛ أنظر أيضاً السبتي: المرجع السابق، ص 101؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 287.

(4) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 208.

(5) مدينة طرا أو طرة: هي إحدى بلاد الجريد، وهي من ضمن مدن نفراوة، وهي ميدنة مسورة حصينة لها غابة كثيرة النخل والزيتون وبها جميع أنواع الفواكه؛ مجهول: الاستبصار، ص 157.

(6) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 61؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 127؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 183.

كما ازدهرت صناعة الزجاج بمدينة بجاية(1)، كما دخلت صناعة الزجاج في مجال تجميل المعمار، فاستخدمه الأمير ‘علي بن يوسف بن تاشفين’ في تزيين جامع القرويين بمدينة فاس، فأخذ في عمل الطبقة التي بأعلى المحراب، ونقش على المحراب دوائر القبلة التي عليه بالأصباغ وركب في الشماسات التي بجوانب القبة أشكالاً متقنة من أنواع الزجاج جميلة الألوان(2).

كما استخدمه الخليفة ‘عبد المؤمن بن علي’ (524 – 558 هـ / 1130- 1163 م) في تزيين المسجد الجامع بمدينة مراكش، فبدأ عام 553 هـ / 1158 م، وكمل على أغرب الصنائع وأفسح المساحة وأحكم النجارة، وفيه شمسيات الزجاج ودرجات المنبر وسياج المقصورة في هذا الأمر، ولم يتخيل أحد من الصناع أن يتم تقديره وتخطيطه، فضلاً عن بنائه(3).

كما استخدمه الخليفة ‘المنصور’ (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) عن إعادة بناء صومعة إشبيلية وصنع في داخل المسقف شمسيات من الزجاج وسطحه(4)،

(1) عفيفي: المرجع السابق، ص 183.
(2) الجزنائي: المصدر السابق، ص 102؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، القسم الأول، ص 68 – 69؛ حسن محمود: المرجع السابق، ص 393 – 394؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 392.
(3) المقري: نفح الطيب، مجـــ 2، ص 144؛ السلاوي: الاستقصا، جــــ 2، ص 114؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 398.
(4) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 392.

كما استخدمه الخليفة 'المنصور' في تزيين جامع مدينة سلا، وعمل بقاعة الصلاة على تزيينها بأبهة المرمر المجزع والفسيفساء، وكانت النوافذ ذات الزجاج الملون(1)، كما ظل استخدام الزجاج للتزيين مقصور على الطبقات الميسرة(2).

فكان الزجاج يصنع من نوع معين من الرمل يسمى "السيلكا" التي اختصت بها مدينة طرطوشة(3)، وتذكر كتب الحسبة الأندلسية الزجاجيين، كما ذكر السقطي بقوله "وكذلك يمنع الزجاجيين من إخراج الزجاج من فرن التبريد إلا بعد يوم وليلة، وذلك لما يعتريه من الصدع إن عجل إخراجه قبل ذلك، ويختبر الأرماد على أصحاب الأفران (معامل الزجاج)، لئلا يبسطوا التراب في مستوقداتها ويوقد عليها النار، فإذا كان الليل جمع الجميع وذلك دلس ووجه اختباره أن يوضع في الماء فيسرب التراب ويطفو الرماد"، وهذا يعني أن أصحاب معامل الزجاج ملزمين باستخدام وقود الفحم (الكربون) وعدم خلطه بالتراب(4)، كما يمنع الزجاجيومن أن يصنعوا آنية مشاكلة للخمر(5)، ويمنعوا أيضاً من جعل الأحطاب على مقربة من مكان النار خوفاً من أن تشب فيها النار فتحترق فتؤذي الناس والجيران(6).

---

(1) الوزان: وصف أفريقيا، ص 209.
(2) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 113.
(3) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 270.
(4) آداب الحسبة، ص 83؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 271.
(5) ابن عبدون: الحسبة، ص 43.
(6) ابن عبد الرؤوف:الحسبة،ص 112؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية،ص 137.

2- الصناعات الفخارية والخزفية والزليجية:

بالنسبة للصناعات الفخارية فقد اشتهرت العديد من المدن الأندلسية بصناعة الفخار المذهب(1)، وتركزت هذه الصناعة في جنوب البلاد الأندلسية وشرقها على وجه الخصوص، ويبدو أن مدينة المرية كانت رائدة صناعة الفخار المذهب والمزجج، خاصة في العصر المرابطي(2)، ولكن بعد خراب مدينة المرية أصبح التصنيع أكثر في مدينتي مرسية ومالقة(3)، اللتان ازدهرت بهما صناعة الفخار المذهب والمزجج(4)، وكذلك مدينة مالقة التي اشتهرت بانتاج نوع جيد من الفخار المذهب العجيب، والذي يصدر إلى خارج البلاد(5)، كما برع أهلها بصناعة الأواني الفخارية(6) التي يصدرها إلى مدينة سلا(7).

---

(1) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 217.

(2) سالم: المرجع السابق، ص 64؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 253.

(3) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 168؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 253؛ العبادي: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 63.

(4) بالباس: المدن الإسبانية، ص 372.

(5) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، جـ 1، ص 424؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 234؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 87، هامش 65؛ مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 59، 77؛ خطرة الطيف رحلات في المغرب والأندلس (مفاخرات مالقة وسلا)، تحقيق وتقديم: مختار العبادي، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1964 م، ص 59؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 219؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 134؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 583؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 182؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 136 – 137، 158، 160، 164؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 132؛ زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ص 320.

(6) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 259 – 260؛ بالباس: المدن الإسبانية، ص 362، 372؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 61؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 329؛ بروفنسال: حضارة الإسلام، ص 98.

(7) الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 44.

ومما يدل على تقدم الأندلس في هذه الصناعة تشهد به جودة انتاج التحف الفخارية وكثرته، وتوافرها في شتى أنحاء البلاد، ومن ذلك اندراش(1) بكورة غرناطة، والتي يذكرها القلقشندي بجودة فخارها وتربتها بقوله "... ليس في الدنيا مثل فخارها للطبخ"(2).

وكما يشير الحميري عن مجريط(3) بقوله "... وفي مجريط تربة يصنع منها البرام (أي القدور الفخارية) وتستعمل على النار عشرين سنة لا تنكسر، وما طبخ منها لا يكاد يتغير في حر الهواء"(4)، كما اشتهرت مجريط أيضاً بصناعة أنابيب المياة الفخارية(5).

---

(1) اندراش: وهي إحدى بلاد الاندلس، من أعمال ألبيرة، وفيها يقول الحجاج بن عتبة الاشـــبيلي الطبيب الشاعر لأنها من أنزه البلدان:

لله اندرش لقد حازت على — حسن تيته به على البلدان

العمري: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 238، هامش 4؛ الحميري: الروض المعطار، ص 31.

(2) العمري: نفسه، السفر الرابع، ص 238؛ القلقشندي: المصدر السابق، جـــ 5، ص 221؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 259؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 136.

(3) مجريط: مدينة صغيرة من مدن الأندلس، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، وهي حصينة وقلعة منيعة، تقع بالقرب من مدينة طليطلة؛ الحميري: المصدر السابق، ص 179 – 180.

(4) الحميري: نفسه، ص 179 – 180؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 259.

(5) أبو مصطفى: نفسه، ص 259.

كما ازدهرت صناعة الفخار في الأندلس وتعددت مواطنها في العصر المرابطي، ومنها قلعة أيوب(1)، فكان يصنع بها الغضار (الفخار المذهب)، وتصدره إلى جميع الأنحاء(2)، لذا كانت البلاد الشرقية تجلب من الأندلس المصنوعات الفخارية(3)، كما انتشرت بعض هذه الصناعات في العصر الموحدي في البلاد الشرقية والغربية ومنها قصر قناطة(4)، الذي يصنع به فخار كثير يرسل إلى مدينة المهدية(5) وغيرها، وقد صنع هذا الفخار من الطين الأحمر(6)، كما اشتهرت مدينة تونس بفخارها(7).

---

(1) قلعة أيوب: مدينة عظيمة بالثغر من أعمال سرقسطة بالأندلس، لها عدة حصون، بينها وبين مدينة سالم 75 كم تقريباً شرقاً، وهي مدينة عظيمة البقعة شديدة المنعة، كثيرة الأشجار والثمار وعيونها مخترقة كثيرة الخصب رخيصة الأسعار؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 553 – 554؛ أنظر أيضاً مؤنس: فجر الأندلس، ص 444.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 2، ص 553 – 554؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 111، هامش 8؛ الحميري: نفســه، ص 163؛ أنظر أيضــاً أبو مصــطفى: نفســه، ص 260؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 61؛ أبو الفضل: شرق الاندلس، ص 278.

(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 323.

(4) قصـر قناطة: يقع في الطريق ما بين مدينتي المهدية وصـفاقس؛ الإدريسـي: نزهة المشـتاق، مجـــ 1، ص 304.

(5) مدينة المهدية: إحدى مدن المغرب، كانت مرســى للقيروان، اســتخدمها المهدي عبيد الله، وســماها بهذا الاســم، وتقع على نحر البحر، بينها وبين القيروان حوالي 3 كم تقريباً ومنازلها نظيفة وحســنة البناء، اشــتهرت بصــناعة الملابس الجيدة المنســوبة إليها وتصــدرها إلى جميع البلاد، ولا يوجد بها بســاتين؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 281 – 282.

(6) الإدريسي: نفسه، مجـــ 1، ص 304؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 138؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 184.

(7) العبادي: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 63.

كما كان والد الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م) صانعاً للفخار و الأواني الفخارية ويبيعها(1)، ومن أهم المدن المغربية التي اشتهرت في العصر الموحدي انتاجاً للفخار ومدينة فاس(2)، فكان بها عصر الخليفة 'المنصور' (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) ولده 'الناصر' (595 – 611 هـ / 1199 – 1214 م) من 180 إلى 188 معملاً للفخار(3)، لذا كان أهل مدينة فاس يفضلون أن يجمعون محصول نخيلهم طرية، فيودعون جنيهاً في جرار الفخار ويسدون عليها سداً محكماً(4).

كما اشتهرت جزيرة جربة بعمل أنواع الفخار ساذجاً ومطلياً بكل غريب يعم الآفاق وخصوصاً أوعية الزيت والماء(5)، كما اشتهرت منطقة حاحة منطقة من مملكة مراكش باستعمال الأدوات المنزلية، مثل القدور الصحاف وتكون مصنوعة من الفخار(6).

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجـــ 3، ص 237؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985 م، جـ 20، ص 366؛ اليافعي: مرآة الجنان، جـ 3، ص 315؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـــ 4، ص 183؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 462؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 89؛ الزركلي: الأعلام، مجـ 4، ص 170؛ أنظر أيضاً علام: الدولة الموحدية، ص 83.

(2) لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص 40.

(3) الجزنائي: زهرة الآس: ص 80؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 253 – 254؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 105؛ سالم: المغرب الكبير، ص 523؛ الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 284.

(4) مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 107.

(5) نفسه، جـ 1، ص 142.

(6) الوزان: وصف أفريقيا، ص 109.

كما اشتهرت مزدغة(1) بالتربة الصلصالية الجيدة، فيضعون منها عدد لا يحصى من الأواني الفخارية ويبيعونها في مدينة فاس(2)، وكذلك مدينة أغمات التي كثر بها انتاج الفخار(3)، وأيضاً مدينة سلا، التي تنوعت بها صناعة الفخار المزجج المكتوب عليه بالخط الكوفي، الأمر الذي يجعله في غاية الاتقان(4)، لذا فإن عمدة التجار من أهل سلا يتاجرون بمصنوعات الفخار، وهذا ما أكده الدكالي بقوله "... وأما صناعة الفخار فمازالت من أعظم الحرف بالعدوتين، إلا أنها نقلت جميع معاملها للرباط، ولم يبق من دور الفخار بسلا إلا داران فقط، ويحمل الفخار المزدج إلى مراكش وفاس ومكناسة وسائر بلاد المغرب ما يشذ عن الحصر، وكان هذا النوع المزدج أن يكون خاصاً بعدوتي سلا والرباط"(5).

كما اشتهرت مدينة قفصة بصناعة الأواني الفخارية التي لا مثيل لها(6)، وكذلك جبل نفوسة الذي اشتهر بصناعة الأواني الفخارية(7).

---

(1) مزدعة: بلدة صــغيرة تقع على سـفح جبال الأطلس الواقعة على مســافة 13 كم تقريباً، وتقع بالقرب من مدينة صفرو وكل سكانها خزافون؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص 366.

(2) الوزان: المصدر السابق، ص 366.

(3) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 131.

(4) الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 171.

(5) الاتحاف الوجيز، ص 44، 46؛ أنظر أيضاً زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ص 320 – 321.

(6) كرنجال: أفريقيا، جـ 3، ص 172.

(7) الويش (عطية): جبل نفوسة دراسة في التاريخ السياسي والحضاري منذ عهد العبيديين وحتى نهاية عهد الموحدين في المغرب الأدنى (296 – 628 هـــ / 908 – 1230 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بنها، 2009 م، ص 192.

نلاحظ أن كثرة ما ورد عن كلمة "الفخارين" في مدن الأندلس، ويقصد بالفخارين حومة (أي حي) يتخصص أ هلها بصناعة الفخار، فكان يصنع بعيداً عن قلب المدينة، أي عند الأبواب لأن صناع الفخار يحتاجون بحكم طبيعة عملهم إلى مكان متسع، كما في مدن مثل قرطبة وإشبيلية ومالقة وغرناطة(1)، وكان يطلق على المكان الذي يصنع به الفخار بمدينة غرناطة "ربض الفخارين"(2).

كان المحتسبون يهتمون بمراقبة الفخارين، فيذكر ابن عبد الرؤوف ضرورة أن "..يؤمر الفخارون بتسييل ترابهم وتطييبه وأن يقللوا فيه من الرمل"(3)، ويضيف السقطي قائلاً "يتفقد بائعي الفخار ألا يرموا المعيب إلا ببياض ومسحوق الخزف والجيار والرماد، فإن منهم من يدلس ويعمل ذلك بالدم، ويأمر عملته أن يوسعوا أفواه أقداح الوضوء ليتمكن من اغتراف الماء منها ويوسعوا قيعان القلال ويوطئوها لئلا تقع"(4)، ويمنع الفخارين من أن يصنعوا آنية من الفخار للخمر(5)،

(1) ابن بشكوال: الصلة، ق 1، ص 306؛ ق 2، ص 235؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 260.
(2) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 230؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 137.
(3) الحسبة، ص 112؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 260؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 137.
(4) في آداب الحسبة، ص 82؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 260.
(5) ابن عبدون: الحسبة، ص 43.

كما أمروا ألا يضعوا حوائجهم في الطرق، وخيفة أن تفسد عليهم لتضييقهم الطريق بها فتكون داعية للشر والخصومة(1).

من ضمن استخدامات الفخار العديدة أنه يستخدم في مكيال الزيت، لذا لابد أن يكون الفخار ختم مزجج رقيق(2)، لهذا زاد الطلب على صناعة الأواني الفخارية الخاصة بالأغذية والأطعمة المختلفة، فصنعوا القدور وأقداح الوضوء والغلال، فصنعوا أشكال جميلة من المنتجات الضرورية الهامة، كأواني الطبخ التي كانت تستعمل في ذلك الوقت(3).

وعن طريقة صناعته فإن الرجال الذين تخصصوا بممارسة صنعة الفخار فإنهم يستعملون مخرطة يحركونها بأرجلهم يتولون شئ في أفران خاصة(4).

كما كانت المناطق الريفية بمدينة مراكش يستخدمون المقلاة من الفخار ليشوا به خبز الشعير بدون خميرة(5)، كما يشحن فيها بذور الهرجان لاستخراج الدهن أو الزيت منها(6)،

---

(1) ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص 111؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 138.
(2) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص 108.
(3) السقطي: المصدر السابق، ص 82؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 138.
(4) برنشفيك: أفريقية في العهد الحفصي، جـ 2، ص 222.
(5) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 112.
(6) نفسه، جـ 5، ص 112.

كما كانت الأواني الفخارية تستخدم أيضاً لخاصيتها في حفظ الحرارة، خاصة في الفصول الباردة، ولا بأس إن كانت بعض تلك الآلات من الحديد(1)، كما كانت التحف الفخارية تتخذ عادة من طينة معينة، ولا تكسى بطبقة من الزجاج، والفخار أقدم وجوداً من الخزف الذي يصنع أيضاً من الطين، ولكنه يزجج أي يغطى بطبقة من مادة الزجاج الذائب(2).

صناعة الخزف:

اشتهرت العديد من المدن الأندلسية بصناعة الخزف(3)، ومن أهمها مدينة المرية التي اختصت بصناعة الخزف المزجج المذهب لزيادة انتاجه تقوم على تصدير(4)، وكذلك مدينة مرسية التي اشتهرت بصناعة الخزف المذهب(5)، ومدينة مالقة التي ازدهرت بها صناعة الخزف المذهب المزين، ولذا قام اقتصادها على تصدير الأواني الخزفية(6).

---

(1) نفسه، جـ 5، ص 112 – 113.
(2) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 259.
(3) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 217؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 265.
(4) أبو مصطفى: نفسه، ص 261؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 166؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 353 – 354.
(5) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 261.
(6) سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 171؛ بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ص 59؛ بالباس: المدن الإسبانية، ص 136؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 287.

كما كانت مدينة مالقة تنتج أطباقاً من الخزف ذو البريق المعدني وقوام زخارفها مناطق فيها رسوم نباتية(1)، كما اشتهرت مدينة غرناطة بكثرة الأواني الخزفية في العصر المرابطي(2)، ومدينة سالم بانتاج الخزف المذهب(3).

اشتهرت العديد من المدن المغربية بصناعة الخزف، وكثر انتاج الخزف في مدينة فاس(4)، وكذلك مدينة تونس، فكان يصنع بها آنية للماء من الخزف شديد البياض في نهاية الرقة، تكاد تكون تشف ليس لها نظير في سائر الأقطار(5)، وكذلك مدينة أغمات التي ازدهرت بها صناعة الخزف(6)، ومدينة قفصة التي اشتهرت بخزفها الأبيض المعروف بالزلجية التي تصنع منه أوان للنساء في نهاية الرقة(7)، كما كان أهل أفريقية يصنعون من الطين الخزف التي اصبحت صناعته رائجة على نطاق واسع(8).

---

(1) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 137.
(2) دوزي: المسلمون في الأندلس، جـ 3، ص 148.
(3) عبد الجيد: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة سالم، ص 161- 162.
(4) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 199.
(5) بن أبي دينار: المؤنس، ص 21؛ أنظر أيضاً العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 63؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 245.
(6) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 131.
(7) مجهول: الاستبصار، ص 154؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 253؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 252؛ برنشفيك: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، جـ 2، ص 243.
(8) برنشفيك: المرجع السابق، جـ 2، ص 239.

وعن أنواع الخزف التي ظهرت بالأندلس نذكر منها الخزف والزخارف البارزة، ومثل ذلك جره تحمل زخارف وآيات قرآنية وأسماء خاصة عثر عليها في سوق مدينة بلنسية(1)، كما عثر على قصعات وجرة كاملة وجزء كبيرمن إبريق، وكلها ترجع إلى الفترة من القرن الخامس الهجري إلى السابع الهجري / الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي(2).

وعن النوع الثاني من الخزف وهو الذي يزدان بزخارف مدهونة بأكسيد المنجنيز(3)، والنوع الثالث من الخزف المطلي بالإنجوتي، وهي مواد ترالية تذوب في الماء ولا تتحول إلى زجاج بفعل النار، وإنما تفيد في إكساب اللون الأصفر والأخضر بريقاً(4).

وعن النوع الرابع وهو الخزف المطلي بأكسيد الرصاص، وهو معروف في أسبانيا في العصر الروماني، ويحصل على هذا الطلاء من كبريتيد الرصاص(5)، ويوجد نوع خامس، وهو الذي يسمى الخزف ذو الفواصل الجافة، فقد اختصت به الأندلس، وترسم الزخارف فيه تحت الطلاء الزجاجي، قوام هذه الزخارف العناصر النباتية أو الطيور أو العناصر الهندسية، أو الكتابات العربية،

---

(1) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 261؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 266.
(2) نفسه، ص 261.
(3) نفسه، ص 261؛ أبو الفضل: المرجع السابق، ص 267.
(4) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 261؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 267.
(5) نفسه، ص 261.

ويمتاز بأن له طريقة خاصة تعرف باسم "طريقة الفواصل الجافة"، وكما يذكر الاستاذ الدكتور كمال أبو مصطفى أنها تسمى بالأسبانية "cuerda seca" بمعنى الإناء الذي يتمتشكيله، ولكنه لم يزجج كله مرة واحدة بلون واحد، بل كان يقسم إلى أقسام يزجج كل منها بلون خاص، ويفصل كل لون عن الآخر بحز عميق، ثم يسوى في الفرن بعد عملية التزجيج(1)، وأما عن النوع السادس وهو الخزف المطلي بالأنجوتي الأبيض، وتعلوه زخارف ملونة باللونين الأخضر والبنفسجي وتكسوه طبقة زجاجية(2).

وعن النوع السابع وهو خزف ذو طلاء قصديري(3)، والثمان خزف مطلي باليشب "اليصب"(4)، وتعد بطرنة ومنيشة (أنيشة)(5)، من أهم مراكز صناعة الخزف في منطقة بلنسية، خاصة والأندلس بصفة عامة، وعثر ببطرنة على أنواع عديدة من الخزف الذي تميز بنوع ذو زخارف مرسومة بالأخضر والبني والأرجواني الفاتح على أرضية بيضاء اللون، وتتكون من زخارف خزف بطرنة من رسوم تجريدية لحيوانات وطيور.

---

(1) نفسه، ص 261؛ أبو الفضل: المرجع السابق، ص 268.
(2) نفسه، ص 262 أبو الفضل: نفسه، ص 269.
(3) نفسه، ص 262؛ أبو الفضل: نفسه، ص 269. .
(4) أبو مصطفى: نفسه، ص 262؛ (اليشيب واليصب من الأحجار الكريمة وهو نوعان أبيض وأزرق؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 626، هامش 4).
(5) منيشة أو أنيشة أو أنيجة: موضع بالأندلس ويقع بالقرب من مدينة بلنسية وبالقرب من نبشكلة، وعقبة أنيشة جبل معترض عال على البحر والطريق عليه لابد من السلوك على رأسه وهو صعب جداً، وفيه كانت الوقعة بين المسلمين من أهل بلنسية وبين النصارى، تلك الوقعة التي كانت عام 634 هـ / 1236م؛ الحميري: الروض المعطار، ص 32.

أما عن منيشة أمتازت بإنتاج الأواني والطيافر والقدور البرميلية(1)، وظلت صناعة الخزف مستمرة في مدينة بلنسية حتى بعد خروج المسلمين منها، وعندما احتل ملك أرغون 'خايمي الأول' على المدينة قانوناً عام(646 هـ / 1248 م) يمنح فيه المسلمين من صناع الخزف في مدينة شاطبة بالاستمرار في مزاولة صنعتهم بالخزف، وهذا دليل على ازدهار تلك الصناعة وأهميتها في هذه المنطقة(2).

يتضح لنا من هنا مدى الإقبال على اقتناء خزف بلنسية لحودة صناعته خاصة في الفترة موضوع البحث خلال العصور الوسطى، لذا وجد في أماكن مختلفة من المشرق وأوربا عن طريق التجارة أو الإهداء(3).

ذكر لنا برنشفيك أن صناعة الخزف مارستها بعض النساء في المنازل، فكان النسوة يستعملن آلة واحدة في صناعة الخزف وهي اللوحة أو البكرة(4).

---

(1) أبو مصطفى: نفسه، ص 263؛ أبو الفضل: نفسه، ص 271.
(2) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 263.
(3) نفسه، ص 263.
(4) تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، جـ 2، ص 222.

كما عثر على أنواع مختلفة من الخزف الأندلسي الذي يرجع إلى العصرين المرابطي والموحدي في مدينة طلبيرة، وعثر بجوار دير سان أغسطين san Augastin، بالقرب من القصبة القديمة على مجموعات من الخزف الروماني والإسلامي، أما بالنسبة للخزف الإسلامي فقد عثر على أمثلة منه على عمق 180 كم من سطح الأرض، وهي قطع مختلفة فيما بينها من حيث الرسم الفني وتلك المجموعة ترجع إلى العصر المرابطي(1)، كما عثر بمدينة مالقة على أوان خزفية مزخرفة ترجعإلى عصر المرابطين وأخرى من الخزف المخروز ترجع إلى عصر الموحدين(2).

على الرغم من ذلك فلم يكن للخزف المعدني والبريق واسع الانتشار، لأن مصنوعاته أسعارها غالية فكانت لا تصنع إلا للأمراء والطبقة الميسرة، وقد تخصص صناع أهل بلاد المغرب خاصة المغرب الأوسط والأقصى من خزف فكان خزفاً شعبياً للاستعمال العادي، وهو ما كان يقوم بصناعته بعض الفلاحين للانتفاع بأوقات الفراغ التي كانت تتأتى لهم من زراعتهم للحقول الصغيرة(3)، كما ظهر الخزف المموه في المغرب والأندلس، وأهم ما يمثل هذا النوع من الخزف صومعة جامع الكتيبة بمراكش(4).

---

(1) أبو مصطفى: نفسه، ص 262.
(2) أبو مصطفى: نفسه، ص 626؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 61.
(3) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 184.
(4) بالباس: المرجع السابق، ص 25، 27.

صناعة الزليج:

وإلى جانب صناعة الأواني الفخارية المذهبة والمزججة وصناعةالخزف، كان الصناع ينتجون نوعاً من الزليج، وهو نوع من الآجر المدهون بالألوان المختلفة ويفرشون به البيوت ويقيمونه مقام الرخام(1)، واشتهرت المدن الأندلسية بصناعة الزليج(2)، فقد اهتم الأندلسيون بمنازلهم وكانت القصور يبسط به قاعات ديارهم نوع من المفصص يعرف بـ "الزليجي"، ويسمى بالمشرق "الفسيفساء"(3)، وهو ذو ألوان يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشاذروان(4).

وقد اشتهرت بانتاجه عدة مدن منها مرسية(5) والمرية ومالقة، وكانوا يستخدمونه في زخرفة منازلهم(6)، كما اهتمت الأسرة الأرستقراطية بتزيين دورها وقاعاتها بنوع من المفصص الذي يشبه الرخام الملون ذو الألوان العجيبة(7).

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 156؛ انظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 254.
(2) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 217.
(3) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 168؛ انظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 324.
(4) المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 168؛ أنظر أيضاً دندش: المرجع السابق، ص 183، 324؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 490.
(5) العبادي: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 63.
(6) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 137؛ العبادي: المرجع السابق، جـ 2، ص 63.
(7) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعية للمغرب والأندلس، ص 153.

انتشرت صناعة الزليج في بعض مدن المغرب منها مدينة الرباط، ويصنع بها الأجور المزدج الملون الرفيع المسمى "الزليج" نظير ما يصنع بمدينة فاس(1)، يذكر القلقشندي أن أهل مدينة فاس استخدموا الزليج في فرش أرضية منازلهم، وهو نوع من الآجر مدهون بدهان ملون "كالقيشاني" الأبيض والأسود والأزرق والأصفر والأخضر، وما يركب من هذه الألوان وغالباً ما يكون الأزرق الكحلي، ربما اتخذ منه الوزرات بحيطان الدور(2).

كما ازدهرت بمدينة تونس صناعة الزليج وتأثروا في صنعته بالأندلسيين(3)، وأيضاً استخدموا الفسيفساء والمرمر المجزع في تزيين المنشآت، من أهمها تزيين جامع مدينة سلا الذي أعاد بنائه الخليفة 'المنصور الموحدي'(4) (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م)، كما اشتهرت مدينة سلا بصناعة الزليج(5).

---

(1) الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 46.
(2) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 180؛ القلقشندي: المصدر السابق، جـ 5، ص 154، 156؛ أنظر أيضاً المنوني: ورقات في حضارة المرينيين، ص 553 – 554؛ السبتي: المدينة، ص 158.
(3) برنشفيك: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، جـ 2، ص 240، 242.
(4) الوزان: وصف افريقيا، ص 209.
(5) الدكالي: المصدر السابق، ص 94.

الفصل الثالث

الصناعات القائمة على الانتاج الزراعي والغابي والحيواني

أولاً: الصناعات القائمة على الانتاج الزراعي:

1- **صناعة النسيج** (القطن – الكتان – الصوف – الحرير)

تقدمت صناعة المنسوجات تقدماً كبيراً في عصري المرابطين والموحدين، لقد بلغت ذروتها في التنوع والاتقان، وقد تساعد على ذلك حالة الاستقرار التي سادت البلاد، فنشطت التجارة والصناعة إلى جانب توفر المواد الخام اللازمة لقيام هذه الصناعة، مثل القطن والكتان والحرير ومواد الصباغة(1).

كما بلغت هذه الصناعة إلى ذروتها وقمتها بفضل التوسع في زراعة القطن والكتان حتى بلغت أوج تقدمها وازدهارها في عصر الموحدين(2)، وكان طائفة صانعي الثياب، وتضم عدة حرف تقوم على تحويل المواد الخام إلى ملابس قطنية وصوفية وغيرها من أنواع الملابس(3).

---

(1) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 287 – 288؛ الحميري: الروض المعطار، ص 112، 167؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 229.

(2) ابن غازي: الروض الهتون، ص 7؛ أنظر أيضاً المنوني: حضارة الموحدين، ص 162؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 77، 85؛ نوال عبد العزيز: علاقات المغرب الخارجية، ص 133 – 135؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة، ص 164؛ كارنجال: أفريقيا، جـ 2، ص 140.

(3) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 347.

أ- القطن:

اهتمت بعض مدن الأندلس بالمنسوجات القطنية(1)، ومن أهمها مدن بلنسية، التي كانت تصدر منسوجاتها إلى بلاد المغرب، فيباع البلنسي والكيراني(2) بالأثمان الغالية(3)، ويتميز الكيراني ببياضه ويصعب على المرء أن يفرق بينه وبين الكاغد(4).

كما اشتهرت مدينة إشبيلية بجودة قطنها الذي يعم أكثر بلاد الأندلس، ويتجهز به التجار إلى أفريقية وغيره من البلدان(5)، وكذلك مدينة غرناطة، التي اشتهرت بكثرة انتاجها من المنسوجات القطنية(6)، فكان يصنعمن القطن أقمصة تعرف بالدراريع، جمع دراعة، وهو ينتشر في المناطق الريفية خاصة بالأندلس(7).

---

(1) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 217.

(2) حصن بكيران: أحد حصون الأندلس يقع جنوبي مدينة بلنسية، يقع إلى الغرب من مدينة شاطبة، على بعد حوالي 60 كم تقريباً، وهو حصن منيع عامر مثل المدينة، وبه سوق مشهور وحوله عمارات متصلة، ويصنع به أفضل أنواع الثياب؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 557؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 183.

(3) الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 2، ص 557؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 286؛ دندش: المرجع السابق، ص 183؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 229، 232.

(4) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 220؛ دندش: نفسه، ص 183؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 279.

(5) ابن العذري: ترصيع الأخبار، ص 96؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 293؛ الحميري: الروض المعطار، ص 21؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 285؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 166؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 289.

(6) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 197؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 111، 256.

(7) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 236؛ دوزي: المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: د/ أكرم فاضل، وزارة الإعلام، بغداد، د.ت، ص 43.

كما اهتمت دول المغرب بالنباتات الصناعية، مثل القطن والتي انتشرت بأقطار المغرب والأسواق المحلية والأفريقية عموماً بأصناف المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية والحريرية، لتوفر المواد الخام(1)، وعلى الرغم من ذلك لم تنل الأنسجة القطنية حظها من الانتشار مثل المنسوجات الأخرى، وهذا يعود إلى قلة الناتج بسبب ضيق المساحة المزروعة، ولذا لم تكن من القطن الخالص وإنما أضيف إليها مواد أخرى من الحرير والكتان، فنجد في مدينة تونس يصنع بها القماش الأفريقي وهو نسيج من القطن والكتان معاً(2)، وأخرى يسمى السفاري يصنع من خيوط الحرير والقطن، أو حرير وصوف رفيع جداً(3)، ومن مدينة تونس كان ينقل إلى مدينة القيروان حيث يصنع بدور الطراز(4) برقادة(5)،

---

(1) ابن العربي: المغرب، ص 120؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 72، 106؛ منصور: قبائل المغرب، جـ 1، ص 16.

(2) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 146؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 102؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 180، 291؛ موسى: المرجع السابق، ص 220؛ برنشفيك: تاريخ أفريقيا، جـ 2، ص 25.

(3) العمري: المصدر السابق، ص 159؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 180، 291؛ برنشفيك: المرجع السابق، جـ 2، ص 25.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 75؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 180؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 77.

(5) رقادة: بلدة بأفريقيا، تبعد عن مدينة القيروان حوالي 6 كم تقريباً، بناها إبراهيم بن أحمد الأغلبي، سميت برقادة، لأن إبراهيم بن أحمد قد أصابه الأرق وشرد عن النوم فأخذ يمشي إلى أن وصل إلى هذا المكان، فنام به وسمي رقادة، ويقال سميت بذلك لطيب هوائها ونقائه؛ البكري: المغرب، ص 27؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 2، ص 624.

ومن عادة المغاربة ارتداء ثياب القطن والكتان في فصل الصيف، كما امتازت مدينة داي والسهول الغربية مثل مدينة تادلة(1) بصناعة الثياب القطنية(2)، وترجع شهرتها إلى اهتمامهم بزراعة القطن الذي كان يصدر إلى جميع الجهات، وخاصة بلاد المغرب الأقصى، والتي استحسنته عن كثير من أنواع القطن المجلوب من المناطق الأخرى(3).

اشتهرت السهول الغربية ومنها مدينة فاس بانتاج المنسوجات القطنية، فكان بها وحدها 3064 داراً معدة للحياكة، لذا تميز الانتاج المغربي بجودة الصنعة(4)، كما اشتهر اللباس السجلماسي ما بين المنسوجات الصناعية للمدينة، ويبدو أن تطور صناعة النسيج بها جعلها تحتاج إلى توريد القطن الإشبيلي الشهير، بالرغم من أننا نجد القطن من المنتجات الزراعية للواحة.

---

(1) الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 86؛ موسى: نفسه، ص 195؛ حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص 136، 154؛ بدر: تاريخ الزراعة في المغرب الإسلامي (668– 923هـ / 1269 – 1517 م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، 2007 م، ص 229.

(2) عفيفي: نفسه، ص 180؛ حركات: المرجع السابق، ص 77؛ بدر: المرجع السابق، ص 229.

(3) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 180.

(4) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 220؛ الشاهري: الوضاع الاقتصادية، ص 109؛ (ونقل عن المشرف علي بن الأوس نقلاً عن مشرف مدينة فاس أيام الخليفة الناصر الموحدي أن تلك المنشآت تعرضت للنهب إبان الفتنة الموحدية سنة (618 – 637 هـ / 1221 – 1239 م)، ذكر أن عدد دور النسيج كانت بمدينة فاس نحو 3094 داراً؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص 80)

يذكر الحميدي ذلك بقوله "... والقطن يجود بأراضيها ويعم بلاد الأندلس ويتجهز به التجار إلى أفريقية وسجلماسة وما ولاها"(1)، لذا كانت مدينة سجلماسة تصدر إلى بلاد السودان المنسوجات السجلماسية الشهيرة(2)، وتعددت أسواق المغازل في العصر المرابطي(3)، خاصة صناعة المنسوجات والألبسة من القطن، فيغزلونها وينسجون منها ملابس خاصة في مدينة تارودانت(4).

كما اشتهرت مدينة صفاقس(5) بغزارة انتاجها من المنسوجات القطنية(6)، كما ان معظم سكان مدينة سلا من الحاكة الذين يصنعون قماشاً من القطن شديد النعومة، وبها غزل ونسج وحياكة لأنها معدن القطن(7)

(1) الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 183؛ الجنحاني: المجتمع العربي، ص 162.
(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجــــ 1، ص 226؛ مقديش: نزهة الأنظار، جــــ 1، ص 56؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 273؛ موسى: المرجع السابق، ص 195؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 13؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 71، 77؛ نصر الله: دولة المرابطين، ص 14؛ الجنحاني: المجتمع العربي، ص 157؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 25، 174؛ الشاهري: المرجع السابق، ص 110.
(3) الهرفي: دولة المرابطين، ص 287.
(4) نصر الله: المرجع السابق، ص 16؛ الصلابي: المرجع السابق، ص 13.
(5) صفاقس: أو سفاقس، هي مدينة قديمة عامرة تبعد عن مدينة قابس بحوالي 105 كم تقريباً، في حين تبعد عن مدينة المهدية بحوالي 60 كم تقريباً؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 280 – 281.
(6) الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 250.
(7) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 104؛ الوزان: وصف افريقيا، ص 214؛ الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 43 – 44؛ أنظر أيضاً الشاهري: نفسه، ص 86؛ بدر: تاريخ الزراعة في المغرب، ص 229.

وكذلك أسواق مدينة برقة(1)، التي كانت تدر غلات جيدة من القطن ليس لها نظير، فقامت عليها صناعة المنسوجات القطنية(2)، ومدينة البصرة(3)، والتي انتشر بها غزل المنسوجات القطنية لاهتمام أهلها بزراعة القطن، لذا فقد قامت بتصديره لأفريقيا(4)، فكانت من عادة المغاربة اتخاذ ثياب من القطن والكتان في فصل الصيف(5).

ب- الكتان:

اشتهرت الأندلس بجودة اللباس(6)، كما اشتهرت بعض المدن الأندلسية بصناعة المنسوجات الكتانية، ومنها مدينة غرناطة ومن أعمالها ألبيرة الغنية بالكتان، لذا قامت بتصديره إلى معظم البلدان، فعدت مدينة غرناطة من أهم مراكز انتاج النسيج، وخاصة الكتان الذي يربو على كتان النيل(7)،

---

(1) برقة: مدينة قديمة كبيرة تقع بين الإسـكندرية وأفريقية، تبعد حوالي 9 كم تقريباً عن البحر، تبعد عن شرق طرابلس حوالي 600 كم، عاصمتها بنغازي، فتحها عمر بن العاص سنة 22 هـ / 642 م، دون = قتال؛ الاصـطخري: مسـالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1937 م، ص 46؛ أنظر أيضـاً بازامة (محمد): ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، مؤسسة ناصر، بنغازي، 1972 م، جـ 8، ق 1، ص 105.
(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 311؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 74.
(3) البصـرة: مدينة بالمغرب الأقصـى، بها قرى وعمارات عديدة، تتميز باعتدال هوائها، مما أدى إلى جودة زراعة القطن بها؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 531.
(4) الإدريسي: نفسه، مجــ 2، ص 531؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 289؛ موسى: النشاط الاقتصـادي، ص 195؛ السبتي: المدينة في العصـر الوسـيط، ص 101؛ عفيفي: الحضـارة الإسـلامية، ص 161.
(5) موسى: المرجع السابق، ص 222.
(6) المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق وتعليق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، القاهرة، 1939 م، جـ 1، ص 61.
(7) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـــ 1، ص 109؛ الحميري: الروض المعطار، ص 24؛ أنظر أيضـاً سامية مسـعد: الحياة الاقتصـادية والاجتماعية، ص 111، 130 – 131، 165، 256؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 166؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 387.

كما ذاعت شهرة مدينة بلنسية بصناعة النسيج البلنسي، وخاصة الأقمشة الكتانية بالأندلس، كما يذكر الزهري أنه ينسج من الكتان الثياب الرفيعة الغالية التي تصدر لأقطار المغرب(1).

ومن كورة بلنسية مدينة أندة التي يجود بها الكتان(2)، وكذلك لاردة التي كانت مخصوصة بالكتان، وطيبة التي يتجهز منها بالكتان إلى جميع البلاد(3)، وبجبل شلير الذي يعد أفضل أنواع الكتان به، لذا كان يفضل على كتان الفيوم وطوله يومان، وهو في غاية الارتفاع، فقامت عليه صناعة المنسوجات الكتانية(4)، كما اشتهرت مدينة المرية بالثياب المعينة، وهو نوع من القطن أو الكتان يزدادان بترابيع صغيرة على شكل معينات(5).

---

(1) الجغرافية، ص 102؛ المقري: نفح الطيب، مجـــــ 4، ص 210؛ أنظر أيضـــاً أبو مصـــطفى: تاريخ الأندلس، ص 236؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 273.

(2) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 285.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص 168؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 126.

(4) الحميري: نفسه، ص 112؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 126.

(5) أبو مصطفى: نفسه، ص 236؛ سالم: مدينة المرية، ص 158.

كذلك مدينة برجة التي اشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية الرفيعة(1)، ومدينة باجة التي اختصت بصناعة الكتان(2)، واشتهرت العديد من المدن المغربية بالمنسوجات الكتانية(3)، ومن أهم مراكز صناعتها مدينة سوسة(4)، التي ازدهر الكتان بها، وفي أحوازها فيما بين مدينة سوسة والحمام(5)، وكانت هذه الأحواز مجهزة بالأبار اللازمة لتصنيع الكتان، ومن هناك يرفع إلى مصانعه في مدينة سوسة التي كانت تقوم بتبييضه، ثم تعمل على مراحل تصنيعه من غزل ونسيج، حتى يخرج في النهاية من المصنع على هيئة مقاطع(6)، ولأهمية هذه المنسوجات الكتانية وجمال صنعتها ودقتها، فقد كان الغزل ينسج بمدينة سوسة ويباع المثقال منه بمثقالين من ذهب، لذا استقر بها اليهود بكثرة لاحتراف هذه المهنة(7).

---

(1) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 284.

(2) منى شعبان: النسيج واللباس في عصر الإمارة الأندلسية (الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى ودورها في بناء الحضارة العالمية)، حصاد 10، ندوة عقدها الاتحاد بمقرها في القاهرة، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2002 م، ص 306.

(3) ابن العربي: المغرب، ص 12؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 72.

(4) مدينة سوسة: مدينة تقع بين الجزيرة والمهدية طيبة، ولها أسواق حسنة وفنادق وحمامات، تقع بالقرب من القيروان بحوالي 35 كم تقريباً، وهي كثيرة الغلات والثمار؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص 74.

(5) الحمام: مدينة تقع بالقرب من مدينة تونس، وتقع مدينة سوسة إلى الشرق منها على الساحل؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 143 – 144.

(6) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 178 – 179.

(7) البكري: المغرب، ص 36؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 179؛ بشير: اليهود في المغرب، ص 42؛ حركات: المرجع السابق، ص 106.

كان يصنع من هذه المقاطع الكتانية أشرعة السفن وقلوعها، والثياب الرفيعة والعمائم السوسية(1)، والتي يبلغ ثمن العمامة منها مائة ديناراً أو يزيد(2)، لذا صدرت الثياب السوسية إلى الشرق(3)، لذلك اشتهرت المنسوجات والعمائم التي عمت جميع الآفاق، فكان التجار يحملونها إلى جميع البلاد شرقاً وغرباً(4)، وامتازت بجودة أقمشتها(5).

وللشهرة التي نالتها مدينة سوسة في تبييضها للمنسوجات الكتانية، كانت مدينة القيروان ترسل ثيابها إلى مصانع سوسة لتبييضها(6)، وكان بسوسة سوق للغزل(7)، كما اشتهرت مدينة تونس بصناعة المنسوجات الكتانية التي تضاهي ثياب الحرير، ولذا كانت تصدرها مدينة تونس إلى جميع الأقطار(8).

كما كانت مدينة سلا الغنية بالكتان ومصنوعاته(9)، فقد كانت مهنة أهل سلا الغزل والنسيج والحياكة، وذلك لوفرة القطن والكتان بها(10).

---

(1) المراكشي: المعجب، ص 284؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 179.
(2) مجهول: الاستبصار، ص 119؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 179، 287؛ حركات: نفسه، ص 106.
(3) بشير: المرجع السابق، ص 101؛ أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية، ص 67 – 68.
(4) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 203؛ مجهول: الاستبصار، ص 119؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 179؛ العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 62؛ حركات: نفسه، ص 106؛ البشير: نفسه، ص 101.
(5) برنشفيك: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، جـ 2، ص 241.
(6) البكري: المصدر السابق، ص 36؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 162، 179.
(7) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 70.
(8) الزهري: الجغرافية، ص 109.
(9) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 104؛ الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 43 – 45؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 85 – 86؛ زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ص 320؛ حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص 164؛ بدر: تاريخ الزراعة في المغرب، ص 228.
(10) الدكالي: المصدر السابق، ص 57، 166.

كما كانت مدينة مكناسة الزيتون من أهم المدن المغربية التي اشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية، لذا كانت تصدر الجزء المتبقي منها إلى مدينة فاس، وكان يكلف الدولة أموال كثيرة(1)، لذلك أصبحت البيوت في مدينة مكناسة بمثابة معامل صغيرة للحياكة(2)، وهذا ما أكده صاحب الاستبصار بقوله "... إلا أن في صبيانها دعارة وسفاهة لأن أكثرهم حاكة يصنعون أشغالهم في بيوتهم، فإذا خرجوا إلى الفضاء الواسع حركتهم طبائعهم الذميمة، فلا يعرفون إلا تجرد الشررة، لسيما كان منهم تجد زعامة في نفسه أو نجدة في بدنه"(3).

ولقد ضرب المثل بكثرة الكتان بمدينتي فاس ومكناسة، لذا قيل "إذ عز فهو بز، وإذا هان فهو كتان"(4)، كما كان كتان مدينة فاس يتكلف أيضاً أموالاً كثيرةمن الدولة(5)، وكما سبق الذكر أن مدينة تونس كان يصنع بها ثياب كتانية تسمى القماش الأفريقي،

---

(1) ابن غازي: الروض الهتون، ص 7؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص 220؛ أنظر أيضاً الشاهري: المرجع السابق، ص 77؛ المنوني: أبحاث مختارة، ص 46؛ بدر: المرجع السابق، ص 228.
(2) الشاهري: نفسه، ص 109.
(3) مجهول: الاستبصار، ص 188؛ أنظر أيضاً السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 163؛ الشاهري: نفسه، ص 109؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 173؛ هناء الفقي: مدينة مكناس المغربية، ص 164.
(4) الشاهري: نفسه، ص 85.
(5) المنوني: المرجع السابق، ص 46؛ وكان بمدينة فاس مائة وعشرون مؤسسة للنساجين، هذه المصانع عبارة عن أبنية كبيرة مؤلفة من عدة أدوار وقاعات فسيحة كقاعات القصور، تحتوي كل قاعة على عدد كبير من عمال نسيج الكتان؛ (الوزان: المصدر السابق، ص 250).

وهو نسيج رفيع من القطن والكتان معاً أو من الكتان وحده، وهو أمتع من النصافي البغدادي وأحسن ومنه جل كساوي أهل المغرب(1).

كما اشتهرت مدينة البصرة بصناعة المنسوجات الكتانية، لذا سميت ببصرة الكتان، لوفرة انتاجها منه، لهذا كان أهلها يتبايعون في بدء أمرها في جميع تجارتهم بالكتان(2)، وأيضاً مدينة سبتة(3)، كما اشتهرت مدينة مراكش بصناعة المنسوجات الكتانية خاصة في العصر المرابطي، لذا كثر بها الصناع الذين يعملون بالنسج(4).

كما عدت مدينة متيجة(5) الجزائر من أهم وأكبر مراكز انتاج الكتان الأفريقي، لذا كانت تقوم على تصديره إلى المعامل المتخصصة بالنسيج في المناطق المجاورة(6)،

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 102؛ أنظر أيضاً حركات: المغرب الإسلامي، ص 106؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 179، 291؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 220؛ برنشفيك: تاريخ أفريقيل في العهد الحفصي، جـ 2، ص 241.

(2) البكري: المغرب، ص 110؛ مجهول: الاستبصار، ص 189؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 179، 162.

(3) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 146؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 102؛ السبتي: اختصار الأخبار، ص 70.

(4) الوزان: وصف افريقيا، ص 136؛ أنظر أيضاً الهرفي: دولة المرابطين، ص 279.

(5) متيجة: هي متصلة بجزائر بني مزغناي، وهي فحص كبير يسمى فحص متيجة كثير الخصب، والقرى والعمائر تشقه الأنهار، وهو مرحلتين، أي 70 كم تقريباً، في مثلها قد أحدقت به جبال مثل الإكليل وفي آخر هذا الفحص جبل عليه طريق، وهو وعر ويسمى حلق واجر، ويسميه أهل البلاد باب الغرب، وليس يدخل إلى بلاد الغرب إلا منة؛ مجهول: المصدر السابق، ص 132.

(6) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 107؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 162؛ بدر: تاريخ الزراعة في المغرب، ص 227.

فكانت النساء بالجزائر يتزين جميعاً عند خروجهن من منازلهن بتلك السراويل الكتانية، التي يجعلها ناصعة البياض للغاية، وهي تتدلى حتى موضع أقدامهن، ورجال الجزائر يرتدين قمصاناً وسراويل(1).

انتشرت زراعة الكتان في منطقة الجريد وخصوصاً في مدينة بونة التي كثر بها زراعة الكتان، فقامت عليها صناعة المنسوجات الكتانية(2)، وكذلك مدينة توزر(3)، ومدينة تارودنت(4)، وقد تدارك الموحدون أخطاء المرابطين ونهضوا بالزراعة وتطويرها، مما أدى إلى زيادة الانتاج الاقتصادي(5)، ورواج الصناعة وتوافر المادة الخام اللازمة لها في عصري المرابطين والموحدين، تدفقت من أسواق الأندلس وبلاد السودان بعد رواج التجارة ونشاط التجارة بين موانئ الأندلس والمغرب، وساعد هذا النشاط التجاري بدوره على رواج الصناعة، التي أصبح من الميسور تسويقها وتصديرها إلى أسواق الاستهلاك في الخارج، فأقبل الصناع على مضاعفة الانتاج،

(1) دوزي: المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب، ص 53.
(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 1، ص 291؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 124؛ أنظر أيضاً بدر: المرجع السابق، ص 227.
(3) بدر: نفسه، ص 227.
(4) الوزان: المصدر السابق، ص 129.
(5) السائح: الحضارة الإسلامية، ص 247؛ علام: الدولة الموحدية، ص 371؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة، ص 144.

وظهرت العديد من المراكز الصناعية التي ذاع صيتها(1)، مثل نول لمطةالتي اشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية، وتعددت الأسواق المتخصصة في بيع المنسوجات الكتانية(2)، خاصة في العصر المرابطي(3).

وبوادي درعة حجارة التامصغيت (الاسبتوس) التي تغزل خيوطاً كالكتان، وتصنع منها الأمرسة والقيود لدواب، مثلما تنسج منها الثياب والمناديل التي لا تؤثر فيها النار(4).

وقد أشار ابن عبد الرؤوف إلى منع الكتانيين رش الكتان، وذلك بقوله "... إلى منع الكتانيين من رش الكتان بالماء وعن جعله في المواضع الندية ليكتسب بذلك رطوبة ويثقل عند الوزن وذلك من الغش، وكذلك يؤمر بائعو الغزل تيبيس الغزل للشمس لأن النساء يدلكنه عند تمام غزله بالماء ليحتسن وجهه ويزيد في وزنه"(5)، كما احترف الموالي من بني شيبون(6) حرفة غزل الكتان(7).

(1) حسن محمود: المرابطين، ص 355.
(2) نفسه، ص 350
(3) الهرفي: دولة المرابطين، ص 287.
(4) البكري: المغرب، ص 179 – 180؛ مجهول: الاستبصار، ص 207؛ انظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 98؛ إدريس: تاريخ مدينة سجلماسة، ص 249.
(5) الحسبة، ص 87؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 238.
(6) بني شيبون: هم من البربر ويتميزون بأنهم بيت أهل علم وفقه، ولهم زقاق بمدينة فاس يقال له درب بني شيبون، يقع بالقرب من باب عجيسة، وفي الأندلس مدينة يقال لها شيبونة، يحتمل أن يكون منهم من دخل الأندلس من برابر المغرب واستقروا بمدينة شيبونة ثم انتقلوا منها إلى فاس؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، ص 22.
(7) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 23؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 284.

جـ- الصوف:

اعتمد المرابطون في لباسهم على الأنسجة الصوفية، التي كانت لباس الرجال والنساء على السواء(1)، وقد اعتمد المرابطون على وبر الجمال في صناعة المنسوجات والألبسة الصوفية، فكانوا ينسجون منه ملابسهم، خاصة في مدينة تارودانت(2)، كما اعتمدوا على الأغنام والأبقار في صناعة ملابسهم(3)، فكان لباس الأمير 'يوسف بن تاشفين' (453 – 500 هـ / 1061 – 1106 م) من ثياب الصوف الخشنة(4)، وكانت القوافل تحمل إلى المرابطين مصنوعات الأندلس من الألبسة(5)، فكان لباس المرابطين من الغفائر والعمائم السوسية، التي كانت تستورد من مدينة سوسة بأفريقية(6)،

---

(1) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 291.
(2) عبد الحميد: المرجع السابق، جـــ 4،ص 74؛ نصر الله: المرابطين، ص 15 – 16؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 13.
(3) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 297؛ نصر الله: المرجع السابق، ص 15؛ الصلابي: المرجع السابق، ص 13.
(4) ابن أبي دينار: المؤنس، ص 130؛ ابن القاضـــي: جذوة الاقتباس، ق 2، ص 545؛ أنظر ايضـــاً عبد الحميد: نفسه، جـــ 4، ص 248؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 131؛ الصلابي: نفســه، ص 48؛ عفيفي: المرجع الســابق، ص 29؛ ســامية مســعد: الحياة الاقتصــادية والاجتماعية، ص 258.
(5) نصر الله: المرابطين، ص 17.
(6) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 81.

وهذا ما أكده ابن غازي عن زي الجندي المرابطي بقوله ".. زي المرابطين اللثم والغفائر القرمزية والمهاميز التاشفينية، والسيوف المحلاة والعمائم ذوات الذؤابات"(1).

تفنن المرابطون في اللباس، وقلدوا العباسيين في اتخاذ اللون الأسود في لباسهم، وقد أصبح اللثام يرمز إلى وضع اجتماعي متميز(2)، فكان المرابطون يتلثمون خاصة القوم باللثام الأبيض، بينما الطبقة الدنيا تتلثم باللثم البيضاء وعامة الناس غير المرابطين سواء في المغرب أو في الأندلس فلم يكن لباسهم يختلف عن اللباس التقليدي الذي كان شائعاً(3)، فقد كان المرابطون يتلثمون من شدة البرد أو من شدة الحر(4)، فقد كانت ملابس المرابطين باللون الأسود لتبعيتهم للخلافة العباسية التي يستمدون منها الصفة الشرعية للحكم، هذا بالإضافةإلى ألوان كحلية وصفراء وبيضاء(5).

---

(1) الروض الهتون، ص 14؛ أنظر أيضاً السبتي: المدينة، ص 43؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 132؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 82؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 98؛ العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص 289؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 292؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 260؛ شبانة: مدينة مكناس المغربية، عدد 3، ص 169؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة، ص 137؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 282؛ الشرقاوي (عوض): العيون (الجواسيس) في المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى سقوط دولة الموحدين (22 – 668 هـ / 642 – 1269 م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الاداب جامعة طنطا، 2010 م، ص 167، هامش 5.

(2) ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 181؛ أنظر أيضاً بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 132؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 75 – 80؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 65 – 96، 100؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 77؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 88، 290، 292؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 258 – 259؛ حسن: المرجع السابق، ص 438 – 439.

(3) الهرفي: دولة المرابطين، ص 302.

(4) النويري: نهاية الأرب، جـ 24، ص 263؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية، ص 41.

(5) حسن: المرجع السابق، ص 438.

وفي فصل الشتاء كان المرابطون يلبسون الجوخ، بينما في الربيع يلبسون أثواب الخز(1)، ويتضح لنا ذلك من خلال الهدية التي أهداها الأمير 'يوسف بن تاشفين' إلى ابن عمه 'أبو بكر بن عمر اللمتوني'، وهي بعض الأزياء الرفيعة الخاصة تتمثل في العمائم المقصورة والثياب السوسية والبرانس ذات اللون الأسود والأحمر والأكسية البيضاء والمصبوغة والقبطية.

يذكرها صاحب الحلل الموشية بقوله "... ومائة عمامة مقصورة وأربعمائة من السوس، ومائة غفارة، ومائتين من البرانس منها بيض وكحل وحمر، وألف شقة من لون حب الرمان، ومائة شقة أشكرى، وسبعمائة كساء بيض ومصبوغة ومائتي قبطية شال مختلف الألوان والأنواع ومائتي جبة، واثنتين وخمسين جبة اشكرلاط ملف رفيع وسبعين كبة ملف رفيع وسبعة بنود كبار منها بند واحد محلي"(2).

كما كان البيت في العصر المرابطي في بداية الدولة بدوي، يتكون من خباء من الشعر أو الصوف أو الوبر(3)، كما استخدمت أصواف الماعز في صناعة

(1) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 82؛ دوزي: المعجم، ص 19.
(2) مجهول: الحلل الموشية، ص 27؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 62؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 62؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 99 – 100؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 83؛ دوزي: المعجم: ص 18 – 19.
(3) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 124.

الأحبال(1).

كان الناس عندما تسوء بهم الأحوال يلجأون أحياناً إلى صنعة يكتسبون منها، وعندما انقلبت الأمور على 'المعتمد بن عباد' وأخذ أسيراً في مدينةأغمات، أصبح حال بناته سيئاً فأصبحن يقمن بغزل الصوف للناس للتكسب(2).

وأما عن لباس اليهود في العصر المرابطي لبس الغيار والتقليد بدنانير النحاس والرصاص والقصدير في رقابهم، ويدخلون بها الحمام، وإذا لبسوا القلانس يجعلون في وسطها أو أعلاها رقاعاً من لبود أحمر أو خرق يعرفون بها، ويشددون الزنانير على أوساطهم، فكان لباس اليهود رقعة مخيطة على قميصة أو برنسة أو جبته من نحو الشبر من طوقه إلى آخر الكتفين، ورقعة أخرى تدها على الصدر مصبوغتين(3).

وكان لازدهار صناعة الصوف في العصر المرابطي أن لجأ الأمير 'علي بن يوسف' إلى فرض القبالات على المغازل(4)، ولكن عندما انتهت الدولة المرابطية وقامت على أنقاضها الدولة الموحدية، نهى 'المهدي بن تومرت' عن عمائم الجاهلية

(1) السيد: دول المغرب، ص 80.
(2) ابن أبي دينار: المؤنس، ص 132؛ أنظر أيضاً الصلابي: المرجع السابق، ص 82؛ نصر الله: تاريخ العرب السياسي، ص 280؛ بوتشيش: المرجع السابق، ص 45؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، جـ 3، ص 175.
(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 101.
(4) عنان: دولة الإسلام، جـ 4، ص 421.

ولبس الفتوحات للرجال بقوله "... لا تتزيوا بزي النساء فإنه حرام"، وكان ذلك عند مرورة بمدينة بجاية(1).

وكذلك نجد المصامدة، وهم القبائل المؤسسة للدولة وغالبية سكان المنطقة ملابسهم من الصوف ويحتزمون في أوساطهم بمأزر صوف ويسمونها أسفاقس، مع ترك رؤوسهم عارية، وقد حث 'ابن تومرت' أتباعه على التقشف في ارتداء الملابس والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن(2)، فقد كان لبس 'المهدي بن تومرت' العباءة المرقعة للتقشف والعبادة(3)، فكان لبس الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م) ثياب الصوف تواضعاً وزهداً(4)، فاستخدم الموحدون الملابس الصوفية بكثرة(5).

(1) ابن القطان: نظم الجمان، ص 93؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 13؛ انظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 773؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 207.
(2) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 441.
(3) الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تعليق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 م، ص 7؛ أنظر أيضاً حسن: المرجع السابق، ص 440 – 441.
(4) حسن: نفسه، ص 441.
(5) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 259.

استغل الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' وخلفاءه ما وهب الله به البلادمن مواد أخرى صالحة للصناعة، كالصوف الذي قامت عليه صناعة النسيج، وعمل على تشجيع هذه الصناعة(1)، وكان الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' يرتدي غفارة ريبية وعلى رأسه عمامة صوف(2).

اختص خلفاء الموحدين بلباس الغفائر الريبية والبرانس المكسية(3)، كما ميز الخليفة 'المنصور' اليهود بلباسهم لأنهم قد علوا على زي المسلمين، وتشبهوا بهم في ملابسهم، وجعل لهم صفة كحداد نكلى المسلمين اردان قمصهم طول ذراعاً، وفي العرض ذراعاً زرق وبرانيس زرق، وبدل من العمائم لبسوا كلوتاتعلى أشنع صورة، كأنها البرازيغ تبلغ إلى تحت آذانهم، فشاع هذا في جميع يهود المغرب(4)، وألزمهم الخليفة 'المنصور' على لبس الشكلة(5).

(1) علام: الدولة الموحدية، ص 255؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 83؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 292.
(2) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 44.
(3) ابن عذاري: المصدر السابق – القسم الموحدي، ص 187؛ ابن بسام: أخبار ملوك الحضرة المراكشية، ص 49؛ أنظر أيضاً العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 196؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 5، ص 160.
(4) ابن عذاري: نفسه، ص 228؛ ابن بسام: المصدر السابق، ص 79؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 260 – 261؛ المغراوي: الموحدون، ص 130 – 131.
(5) الزركشي: المصدر السابق، ص 16؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 157؛ أنظر أيضاً المغراوي: المرجع السابق، ص 138.

ثم لبسوا ثياب أخضر وعمائم صغيرة في عهد الخليفة 'الناصر الموحدي' (595 – 611 هـ/ 1199 – 1214م) بعد أن توسلوا إليه سمح لهم بذلك(1).

استفادت دولتي المرابطين والموحدين من اليهود في حرفة غزل الصوف(2)، أما عن زي جنود الموحدين فقد كانت الثياب توزع عليهم من قبل الخليفة، ويتكون من العمامة والغفارة عبارة عن أو كساء يلبس فوق آخر، مثل السلهام المغربي حالياً، والقبضية وهي ثوب أبيض من الكتان رقيق وجمعة قباض والبرانس، وهي الزي المغربي عبارة عن كساء يكون غطاء الرأس جزءاً متصلاً به(3)، لهذا ازدهرت صناعة المنسوجات في العصر الموحدي، وقد ساعد على الإقبال على شراء منسوجات الدولة على زيادة الانتاج(4)، لذا تفنن الموحدين في تفصيل ملابسهم بأساليب متعددة تأخذ شكل الموضات(5)، كما بلغ الرفو غاية الاتقان حتى أن الرفاء يرفوا الثوب ويصعب على غير أهل الصنعة معرفتة(6).

---

(1) المراكشي: المعجب، ص 251 – 252؛ أنظر أيضاً المغراوي: نفسه، ص 131 – 132.
(2) البشير: اليهود في المغرب العربي، ص 81.
(3) العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 195؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 260؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 243؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 441 – 442.
(4) موسى: المرجع السابق، ص 52؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 222.
(5) موسى: المرجع السابق، ص 222.
(6) نفسه، ص 222.

ويعد الصوف المادة الرئيسية للمنسوجات، ويرتبط بانتاج الصوف الموشى التي ازدهر في الأندلس وتمتعت الأندلس بشهرة فائقة في انتاجه(1)، كان أهل الأندلس يتطلسون فيلفون الطيلسان على الكتف والكتفين مطوياً طياً ظريفاً، ويلبسون الثياب الرفيعة الملونة من الصوف والكتان ونحو ذلك ، وأكثر لباسهم في الشتاء الجوخ وفي الصيف البياض والمنقسم منهم قليل(2).

كما ساعد وفرة الصوف وشدة البرودة في فصل الشتاء في بلاد الأندلس على إقبال طبقة الأغنياء والفقراء على الأقمشة الصوفية(3)، التي انتشرت صناعتها في غرناطة وبسطة، فكان يصنع بها "ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يعرف بالمختم ذو الألوان العجيبة"(4)، والملبد بثياب مبطنة تشيع الدفء، وفي نفس الوقت تتميز بألوانها البديعة(5)، كما كان يصنع من الصوف الأوطية خاصة في جنجالة(6)، فيعمل بها منوطاء من الصوف، وألا يمكن صنعه في غيرها وينسب إليها الوطاء الجنجاني، وكان يعمل بها وطاء الصوف، ومالا يمكن صنعة في غيرها(7).

(1) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 103.
(2) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 231.
(3) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 318.
(4) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 168؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 235.
(5) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 235.
(6) مدينة جنجالة: مدينة متوسطة المساحة حصينة، تقع على مساحة 75 كم تقريباً من مدينة مرسية ويتميز بحصانتها؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 560؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ 2، ص 223، هامش 1.
(7) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 560؛ الحميري: الروض المعطار، ص 112؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 229، 235 – 236؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 107؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ، ص 183؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 278.

وعن المنسوجات الصوفية الثمينة صوف البحر الذي يحصل عليه من دابة بحرية تسمى أبا قلمون، وكما يذكر أن من عجائب مدينة شنترين "ما ذكر أن دابة تخرج من البحر هناك وتحتك بحجارة على ساحل البحر فيسقط منها وبرة على لون الذهب ولين الخز، وهي قليلة غزيرة جداً فيجمعها الناس وينسج منها الثياب فيحجر عليها ويتلون الثوب ألواناً ملوكهم ولا تنتقل إلا بالخفية وتزيد قيمة الثوب منها على ألف دينار لحسنه وعزته"(1)، وصوف البحر هذا يعد من أجود أنواع الصوف(2)، فكان أهل الأندلس الغالب عليهم لبس العمائم ولاسيما في شرق الأندلس ، وأكثر عوامهم يمشي دون طيلسان، وغفائر الصوف كثراً ما يلبسونها الأحمر أو الأخضر، والأصفر مخصوص باليهود(3)، ومن أسلم من بني شيبون (الموالي) نسج الأزرار ونسج قلنسوة وصنعها وجلب الصوف ونسجه(4)، كما استفاد الأندلسيون من الأغنام الضان في كثر من الأعمال يصنعون من وبرها الأصواف(5).

وقد برع أهل الأندلس في ملابس الربيع، فقد كانت ملونة من الخز، لا بطائن ولا أكمام، وفي الصيف تكون الملابس خفيفة من الكتان والقطن.

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـــ 7، ص 138؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 198؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 220.
(2) كونستبل: التجارة والتجار، ص 243؛ برنشفيك: تاريخ أفريقية، جـ 2، ص 238.
(3) المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 182؛ أنظر أيضاً بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 81؛ دندش: المرجع السابق ص 319.
(4) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 24 – 25؛ أنظر أيضاً دندش: نفسه، ص 284.
(5) أبو مصطفى: نفسه، ص 181.

ومن أهم المدن الأندلسية التي اشتهرت بصناعة الأنسجة الصوفية، مدينة غرناطة، الملف من نسيج الصوف المصبوغ في الشتاء والجوخ المنسوج من الصوف، أو بتفصيل أجناس البز بتفاصيل الجده والمقدار والكتان والحرير والقطن والمرغري والأردية الأفريقية، والمقاطع التونسية والمأزر المشفوفة صيفاً(1).

يذكر الإدريسي شهرة مدينة قونكة(2) بصناعة الصوف، فيقول ""ويصنع بها من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة"(3)، هذا إلى جانب الغفائر(4) الصوفية، وهي قلانس كان يلبسها الجند تحت الخوذة، وانتشرت خاصة في عهدي المرابطين والموحدين(5).

---

(1) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 41؛ ابن الخطيب: الإحاطة، مجـــ 1، ص 134 – 135؛ أنظر أيضاً مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 561؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 256؛ بوتشيش: المرجع السابق، ص 82؛ دندش: نفسه، ص 317 – 318.

(2) مدينة قونكة: هي مدينة بالأندلس تبعد عن مرسية نحو 75 كم تقريباً، وتقع على منقع ماء مصنوع قصداً، ولها سور وليس لها ربض، وبينها وبين جنجالة حوالي 70 كم تقريباً؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 560.

(3) نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 560؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 229، 236؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 183.

(4) الغفارة: جمعها غفائر، وتعني غطاء الرأس، تلبس تحت العمامة مثل الطاقية أو الشاشية، ومثل الزرد الذي يلبسه المحارب تحت القلنسوة، وشأنها شأن المغفر والمغافر والمغفرة، ويتميز بأنه واسع يرتدية الجنود، ويستعمل في المغرب باسم "السلهام"؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص98؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 292؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 442.

(5) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 236.

كما اشتهرت فرقصة (إحد حصون مدينة المرية) الأندلسية بصناعة الأكسية الفرقصية(1)، وبجانب شهرة الأندلس بانتاج الملابس الصوفية، استقدموا من المغرب اللبود التي تعالج بأنواع من الحشائش الأندلسية من الأنسجة الصوفية الأخرى والأوطية(2).

كما اشتهر العديد من المدن المغربية بصناعة الصوف، وازدهرت هذه الصناعة خاصة في فصل الشتاء(3)، خاصة مدن المغرب الأدنى مثل برقة(4) وسرت(5) وأجدابية(6) وودان(7) بصناعة الأنسجة الصوفية من الأكسية والبسط والخيام، وتوقر الانتاج في هذه المناطق(8)، كما امتازت مدينة طرابلس بصناعة الأنسجة الصوفية الفاخرة الملونة بصفة خاصة(9).

---

(1) أبو مصطفى: نفسه، ص 233؛ منى شعبان: النسيج واللباس في عصر الإمارة الأندلسية، ص 311.
(2) منى شعبان: المرجع السابق، ص 306.
(3) حسنين: جغرافية الدول، ص 150؛ منصور: قبائل المغرب، جـ 1، ص 19؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 221؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 243.
(4) الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1،ص 311.
(5) سرت: مدينة كبيرة تقع شرق طرابلس بحوالي 54 كم تقريباً، وتبعد عن ساحل البحر بحوالي 3 كم، وهي مدينة ذات سور كبير منيع، وتكثر بها قبائل البربر، وهي كثيرة الغلات والفواكه، وخاصة النخيل والأعناب؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص 70؛ البكري: المغرب، ص 12.
(6) أجدابية: مدينة كبيرة طيبة الماء والهواء، بها عين ثائرة عذبة، لها بساتين ونخل وأسواق حافلة، وأكثر أهلها أقباط، ليس لمبانيها سقوف من خشب، وإنما هي أقباء من الطوب لكثرة الرياح بها؛ مجهول: الاستبصار، ص 144.
(7) جزيرة ودان: مدينة تقع في جنوب مدينة سرت، كما كانت مضمومة إليها، وهي جزيرة لا تقصر في رخص التمور وكثرتها وجودتها عن أوجلة، وتمور ودان غزيرة ورطبة؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 70.
(8) عفيفي: المرجع السابق، ص 177.
(9) ابن حوقل: نفسه، ص 71؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 177؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 1، ص 250.

كما اختصت جزيرة جربة بصناعة الأكسية(1)، ومدينة قابس بكثرة أصوافها(2)، وأما بلاد الجريد التي اشتهرت معظم مدنها بدون استثناء بصناعة الأنسجة الصوفية، مثل مدينة "طرا" فكان يصنع بها تفاصيل الصوف التي تجلب إلى الإسكندرية(3)، وكذلك مدينة طراف(4)، فكان ينسب إليها الكساء الطرافي الشهير وهو من جهاز مصر(5)، وأيضاً مدينة قفصة التي يصنع بها أردية وطياليس وعمائم من صوف في غاية الرقة تضاهي ثياب الشرف(6)، كما عرفت نفراوة بتفاصيلها(7).

---

(1) ويعمل بها أصناف من المنسوجات الصوفية، مثل الساذج والممزوج بالحرير، ويصدر إلى جميع البلاد لجودته، وإليها يجلب قناطير الأموال فتحمل طيالسهم وأكسيتهم وأحزمتهم وبرانسهم لجميع البلاد؛ ابن سعيد: الجغرافية، ص 145؛ بسط الأرض، ص 79؛ الحشايش: العادات والتقاليد، ص 121؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 142؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 71؛ كربخال: أفريقيا، جـ 3، ص 104؛ برنشفيك: أفريقيا في العهد الحفصي، جـ 2، ص 234، 241؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 300.

(2) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 177.

(3) ابن سعيد: الجغرافيا، ص 127؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 61؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 108؛ الحشايش: المصدر السابق، ص 120؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 177؛ بدر: المرجع السابق، ص 301.

(4) مدينة طراف: تقع في منتصف الطريق بين مدينة قفصة إلى فج الحمار، وهي مدينة كبيرة آهلة، وبها جامع وسوق حافلة بأنواع التجارات؛ البكري: المغرب، ص 47.

(5) البكري: المصدر السابق، ص 47؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 177.

(6) مجهول: الاستبصار، ص 154؛ الحشايش: نفسه، ص 120؛ عفيفي: نفسه، ص 177؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 220 – 221؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 77؛ برنشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، جـ 2، ص 241؛ كرنجال: أفريقيا، جـ 3، ص 172.

(7) موسى: المرجع السابق، ص 220.

ومن عادة المغاربة أنهم يرتدون لباس يدعى (Gelebia) وهو مصنوع من قماش صوف غليظ، وهو ثوب لا أكمام له، ولكنه مزود بثقوب لإمرار الذراع منه ويتدلى حتى يبلغ الركبتين(1)، وكان لباس عامة أفريقيا من الجوخ (منسوجمن الصوف) والثياب الصوف من الأكسية(2)، فيصنع ببلاد أفريقية قماش يعرف بالحريري، وهو صوف رفيع جداً(3)، لذا كانت تقوم على تصديره(4)، وفي مدينة قسطيلية(5) أيضاً تصنع الأنسجة الصوفية من الشقة والكسي والحنبل، وهو نوع من (الأبسطة)، وكان يحمل منها إلى جميع الأقطار(6).

(1) دوزي: المعجم بأسماء الملابس عند العرب، ص 23.
(2) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 160؛ القلقشندي: المصدر السابق، جـ 5، ص 143.
(3) العمري: المصدر السابق، ص 159.
(4) برنشفيك: المرجع السابق، جـ 2، ص 460.
(5) قسـطيلية: من بلاد الجريد، وهي مدينة كبيرة عليها سـور حصـين، كثيرة النخيل والتمر والفواكه، بها الأترج الكثير، وكثيرة التجارات، لها أرباض واسعة، لها 4 أبواب عليها غابة كبيرة؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص 92؛ مجهول: المصدر السابق، ص 155.
(6) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 92؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 177.

وفي آخر بلاد الجريد مدينة تسمى درجين(1)، وفيها تصنع الأكسية الدرجيني، التي كانت تشبه السجلماسي في ثوبه ولونه، ولكنه دونه في الجودة(2)، ومن اهم بلاد المغرب إنتاجاً لصناعة الأقمشة الصوفية مدينتا وجدة(3) وسجلماسة، فكان يصنع بوجدة الأكسية البالغة الجودة، والتي يبلغ ثمن الثوب منها خمسين ديناراً وأكثر(4).

عدت مدينة سجلماسة من أهم المراكز الصناعية التي ازدهرت بها الصناعات اليدوية، فقد جلبت أصوافها من حصن برارة(5)، وهي منطقة كثيرة الأغنام وأصوافها من أجود الأصناف، يعمل منه بسجلماسة، وتقوم بعمل أثواب فاخرة منه يبلغ ثمن الثوب أكثر من عشرين مثقال(6)،

---

(1) مدينة درجين: أخر بلاد الجريد، مدينة درجين مدينة قديمة قريبة من لمطة، ويصاد منها الفنك الذي لا يوجد لجلده نظير؛ مجهول: الاستبصار، ص 159.

(2) مجهول: المصدر السابق، ص 159؛ أنظر أيضاً؛ عفيفي: الحضارة الاسلامية، ص 177 – 178؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 220؛ الجنحاني: المجتمع العربي، ص 157؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 174 – 175؛ الويش: جبل نفوسة دراسة في التاريخ السياسي والحضاري منذ عهد العبيديين وحتى نهاية عهد الموحدين في المغرب الأدنى، ص 215 – 216؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 301؛ برنشفيك: نفسه، جـ 2، ص 241.

(3) مدينة وجدة: مدينة بالمغرب بينها وبين تلمسان حوالي 105 كم تقريباً؛ البكري: المغرب، ص 87.

(4) البكري: المغرب، ص 147؛ مجهول: الاستبصار، ص 177؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 178؛ موسى: المرجع السابق، ص 220 – 221؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 27.

(5) حصن برارة: إحدى بلاد المغرب، تقع بالقرب من مدينة سجلماسة، وهي مدينة عامرة بها سوق وجامع، وبها جدول ماء، وهي بلد يحسن فيها الغنم ويقال أن أصول أغنامهم من فيس من أرض فارس؛ البكري: المصدر السابق، ص 147.

(6) البكري: نفسه، ص 147؛ أنظر ايضاً عفيفي: نفسه، ص 178، 201؛ نصر الله: دولة الأدارسة، ص 142؛ موسى: نفسه، ص 221؛ الجنحاني: المجتمع العربي، ص 157؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 174؛ إدريس: تاريخ مدينة سجلماسة، ص 249.

فقد ذاع صيت النساء السجلماسيات بمهارتهن في صناعة النسيج، ولنسائهم مهارة في غزل الصوف، فهن يعملن كل حسن "... ونساؤهم (أي نساء سجلماسة) يد صناعة في غزلالصوف، فهن يعملن منه كل حسن بديع من الأزر(1) يفوق القصب الذي بمصر يبلغ ثمن الإزار خمسة وثلاثين ديناراً أو أكثر"(2)، ويكثر بأسواقها الصوف والزرابي والأغطية الرفيعة(3).

وفي منطقة وادي درعة جنوب المغرب توجد حجارة (تامضغيت) والتي تلين بعد حكها وتصبح مادة قابلة للغزل، وتصنع منها مناديل وأكسية لا تؤثر فيها النار، وهي شبيهة بهذه الحجارة "شجرة توبربري" بسودان غرب أفريقيا، حيث تنتج ثمراً بداخله صوف أبيض يغزل وتصنع منه ثياب أكسية تقاوم النار(4).

---

(1) الأزر: وهي كالملاحف شبه قطعة من الجوخ المربع، طولها نحو ثلاثين شبر وعرضها أربعة عشر أو خمسة عشر شبراً، يلتف بها النساء ويعلقن أحد أطرافها بالصدر بمعونة بعض الأبازيم أو الدبابيس الكبيرة المعمولة من الفضة المذهبة، وهن يطرحن جماع الأزار على الأكتاف والرأس، وأما الطرف الآخر وهو التمتاني فإنهن يسترن به الذراع الأيمن؛ دوزي: المعجم بأسماء الملابس، ص 31.

(2) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 362؛ الجنحاني: المجتمع العربي، ص 158؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 175؛ إدريس: المرجع السابق، ص 302 – 303.

(3) كربخال: أفريقيا، جـ 1، ص 156.

(4) مجهول: الاستبصار، ص 207؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي ص 107؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 99.

وأيضاً قلعة بني حماد(1) يصنع بها اللبابيد الجيدة والأكسية القلعية العفيفة النسيج والمطرزة بالذهب، والذي يبلغ ثمن الكساء منه ثلاثين ديناراً، لصنع هذه العمائم صناع متفرغون لذلك(2)، كما كانت قبائل صنهاجة(3) التي تسكن مدينة نول لمطة تعتمد بشكل أساسي على الأنسجة الصوفية سواء في لبس الرجال أوالنساء ويضعون على رؤوسهم عمائم من الصوف تسمى بالكرازي(4).

ومدينة بجاية يصنع بها عمائم مذهبة يغلون في أثمانها، يبلغ ثمن العمامة 500 ديناراً، وتصل أحياناً إلى 600 ديناراً، ويأخذ الصانع على العمامة الواحدة دينارين أو أكثر، ولهم قوالب معدة لهذه الصناعة، لهذا كانت هذه العمائم مثل التيجان على رؤوسهم(5).

(1) قلعة بني حماد: وهي مدينة كبيرة كثيرة الزرع عامرة، لذا كانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة، الذين كانوا ملوك إفريقية أيام بني عبيد، وهي في جبل سامي العلو ويتميز بكثرة فواكهها ولحومها رخيصة الثمن؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 255؛ مجهول: الاستبصار، ص 167.

(2) مجهول: المصدر السابق، ص 170؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 178، 287؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 220؛ حركات: المرجع السابق، ص 107.

(3) قبائل صنهاجة: لمتونة قبيل من صنهاجة، وصنهاجة ولمطة أخوان لأب وأم واحدة، وأبوهم لمط بن زعزاع من أولاد حمير، وتكاثروا واجتمع عليهم قبائل البربر ونزحوا إلى الصحاري، كما أنهم أصحاب إبل ونجب، يقيمون بمكان واحد، وعيشهم من ألبان الإبل ولحومهم مطحونة؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 223 – 224.

(4) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 224؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 178، 287؛ حركات: المرجع السابق، ص 107؛ موسى: المرجع السابق، ص 221؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 83؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 437 – 438؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 320.

(5) مجهول: نفسه، ص 129؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 287؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 100.

وبنول لمطة أكسية مسماة السفسارية (السفاسر) فضلاً عن البرانيس للحاف الذي تستعمله المرأة عند خروجها، ويساوي الزوج من البرانيس خمسين ديناراً أو أقل أو أكثر(1)، ويلبس أهل نول لمطة متعددات ثياب الصوف ويسمونها بلغتهم القدوار(2)، كما يعمل بمدينة المهدية الأكسية الرفيعة الجيدة، والتي يتجهز بها إلى جميع الآفاق(3)، كما تخصصت مدينة طرابلس بصناعة الأقمشة الصوفية الورادة من جبل نفوسة(4).

اشتهرت مدينة تورز(5) بتصدير الأقمشة الصوفية البالغة

الرقة(6)، واشتهرت مدينة تاهرت بكثرة انتاجها للصوف(7)، كما اشتهرت بالمغرب الأقصى عدة مراكز حضرية وقروية يقوم أهلها بنسج أكسية وأغطية وثياب وعمائم وزرابي، وتختص كل جهة أو مركز بنوع من المنسوجات وببعض الأشكال المميزة(8)، ونظراً لوفرة انتاج المغرب الأقصى من الصوف يقوم بتصديره إلى تكرور(9)

(1) الإدريسي: نفسه، مجـــ 1، ص 225؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 55؛ أنظر أيضاً بوتشيش: المرجع السابق، ص 84؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 195؛ موسى: نفسه، ص 221؛ نصر الله: المرجع السابق، ص 141.

(2) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 225.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 281 – 282؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 112.

(4) الويش: جبل نفوسة، ص 195.

(5) مدينة توزر: هي إحدى مدن أفريقية، وهي إحدى مدن بلاد قســطيلية من بلاد الجريد من نواحي الزاب الكبير، وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب، لها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة، وحملها أرباض واسـعة آهلة، وهي مدينة حصـينة لها أربعة أبواب كثيرة النخل والبسـاتين والثمار، وهي من أكثر بلاد أفريقيا تمراً؛ البكري: المغرب، ص 48؛ مجهول: الاســتبصـــار، ص 155؛ البغدادي: مراصـــد الاطلاع، مجـ 1، ص 280.

(6) الحشايش: العادات والتقاليد، ص 120؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 75.

(7) الجنحاني: المجتمع العربي، ص 136.

(8) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 109.

(9) الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 25؛ الجنحاني: المجتمع العربي، ص 81، 161.

فقد قامت المرأة في مجتمع المغرب الأقصى بجانب مهمتها في رعاية الأسرة والأبناء بالاشتغال ببعض الأعمال رغبة في الكسب، وفي بعض الأحيان يكون هذا ناتجاً عن عادة متأصلة في بعض القبائل، فزي المرأة المصمودية من أهل السوس لا يختلف عن زي الرجل في الشكل وإن اختلف في الرقة وفي الألوان، لذا قامت المرأة بأعمال الثياب والغزل والنسيج والحياكة(1)، لذا اشتهرت الأكسية السوسية برخصها وجودتها(2)، مما دفع النساء من أهل السوس وأغمات للعمل، وهذا ما أكده لنا البكري بقوله "... وأهل السوس وأغمات أكثر الناس تكسباً وأطلبهم للرزق يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب"(3)، لذا عد المغرب الأقصى لما ينتجه من المنسوجات السوسية والأكسية الرفيعة، من اهم مراكز انتاج المنسوجات(4).

---

(1) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 114 – 115.
(2) الشاهري: الأوضاع الاقتصادي، ص 110.
برعت النساء بالسوس بغزل الصوف ومنه يعمل كل عجيب وحسن وبديع، ولباسهم من الصوف إلتفافاً؛ الأدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 227 – 228؛ مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 57؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 107؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 45.
(3) المغرب، ص 163؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 362؛ علام: الدولة الموحدية، ص 246.
(4) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 221؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 102.

وزي بلاد السوس أكسية من الصوف التفافاً ويحترمون في أوساطهم بمأزر صوف يسمونها سقاقس(1)، ومن صادرات المغرب إلى مناطق الجنوب الأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر(2)، وكما يذكر أن أهل مدينة أغمات وهم أملياء وتجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر(3).

وفي مدينة تونس تصنع العمامات الرفيعة المسماة بالعماماتالتونسية، وهي تحظى بشهرة خاصة عند مسلمي أفريقيا(4)، وكما اشتهر الكساء التلمساني الرقيق المختم وغير المختم والذي يزن تسع أواق(5)، ومن مدينة تلمسان كان يحمل ثياب الصوف المفضلة والسفاسير المصنوع الذي يحمل إلى سائر بلاد المغرب(6)

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 228؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 137؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 105؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 84.

(2) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 282.

(3) العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 62؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 55؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 101؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 210؛ حسن: المرجع السابق، ص 273؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 77؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 287.

(4) كرنجال: أفريقيا، جـ 3، ص 21؛ وتصنع بتونس الشاشية، وهي عبارة عن طاقية للرأس حمراء اللون من الصوف، وبها تعمل قلانس وهو أكثر صنع أهلها؛ الحشايش: العادات والتقاليد، ص 103، 107.

(5) الزهري: الجغرافية، ص 113؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 159؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 142؛ موسى: المرجع السابق، ص 221؛ نصر الله: الأدارسة، ص 141؛ برنشفيك: أفريقية، جـ 2، ص 25.

(6) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 74؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 140؛ الزهري: المصدر السابق، ص 113؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 220؛ الجيلاني: تاريخ الجزائر، جـ 2، ص 245 – 246؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 244.

وكانت المرأة بتلمسان تلبس أنواع من الكنابيش (خمار تغطية الوجه) المصنوعة من الصوف، لا توجد إلا بمدينة تلمسان وكذلك الأكسية والبرانيس(1).

كما يصنع النسوة بجبل زرهون(2) أقمشة صوفية مصنوعة حسب طراز أهل البلد(3) كما اشتهرت مدينة سبتة بصناعة الزرابي عن طريق المغازل المنزلية، فاهتموا بصناعة النسيج(4).

كما كانت مدينة فاس مليئة بالخيرات والصنائع الغريبة(5)، وفي جبل مديون(6) تعمل البرانس المديونية التي لا ينفذ منها المطر(7)، فكان عامة رجال فاس يرتدون المعاطف الصوفية الخشنة الغليظة السمراء اللون(8)

---

(1) بدر: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة تلمسان، ص 30، 36.

(2) جبل زرهون: يقع إلى الشمال من بسيط سايس الممتد بين مدينة فاس ومكناس، وهو مزدحماً بالسكان والعمران، وبمحاذاته خرائب مدينة رومانية مسماة عند المغاربة (قصر فرعون)، ومن أشهر قراه زاوية المولى إدريس بن عبد الله الكامل، وكان لهذا الجبل دوراً تاريخياً هاماً في انتشار الإسلام بالمغرب الأقصى، هذا فضلاً عن كثرة زراعته، وفيه يقول ابن الخطيب:

ولقد كفاها شاهداً مهما ادعت — قصب السباق القرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوه — فبكت عذاب عيون بعيون
وكأنما هو بربري وافد — في لوحة التين والزيتون

ابن غازي: الروض الهتون، ص 4 – 8، 70 – 71؛ المقري: نفح الطيب، جـ 8، ص 356 – 357؛ أنظر أيضاً سعيد (حسين): الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين، دار الشعب، القاهرة – نيويورك، 1972 م، جـ 1، ص 940؛ شبانة: مدينة مكناس المغربية، عدد 3، ص 160، 180؛

Evan Denzel, ency clopae dia of islam, NewYourk, 1993, p. 35.

(3) الوزان: وصف أفريقيا، جـ 3، ص 295.

(4) الشريف: مدينة سبتة الإسلامية، ص 43 – 44.

(5) ابن سعيد: الجغرافية، ص 140.

(6) جبل مديون: يقع إلى الشرق من مدينة فاس، ويمتد إلى الجنوب، ويختلط هذا الجبل من جنوبه بجبل درن ومن شماله بجبال تازا وجبال غمارة؛ ابن سعيد: المصدر السابق، ص 141.

(7) ابن سعيد: نفسه، ص 141؛ أنظر ايضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 221؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 109 – 110؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 302.

(8) دوزي: المعجم باسماء الملابس عند العرب، ص 42.

وامتلأت أسواق مدينة فاس بالسلع والمتاجر، فكانت القوافل التجارية تخرج من مدينة فاس بالثياب والبضائع والأمتعة الحسنة متجهة إلى المدن المغربية الأخرى، كمدينة تازا ومكناس وسلا(1) ومراكش، حيث كان تجار فاس يحملون معهم الأقمشة وأغطية الرأس(2)، ولباس رجال أهل مدينتي فاس ومراكش حيكاً فوق القفطان، وهو يحتوي على قطعة من القماش الصوفي الأبيض يبلغ طولها عادة سبعة أذرع ويبلغ عرضها ثلاث أذرع، والجميع يلتفون بهذا الرداء على أنماط مختلفة، ومع ذلك فأن أشيع هذه الأنماط هو وضع الحيك على الرأس وطرفي نهايته على الكتف اليسرى(3)، وكان لباس أهل فاس الأزر يلتفون بها(4)، فاشتهرت مدينة فاس بصناعة المنسوجات(5)، كما كان أهل فاس يرتدون القلانس الرقيقة البيضاء ويلفونها ست أو سبع لفات حول الرأس(6) وأكسية (رجراجة أو ركراكة)(7) يلتف بها النساء، ويصنع بها أكسية في غاية الروعة(8).

---

(1) اشتهرت مدينة سلا بصناعة الأكسية؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 61.
(2) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 271؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 199 – 200.
(3) دوزي: المرجع السابق، ص 32.
(4) نفسه، ص 31.
(5) حسنين: جغرافية الدول، ص 345.
(6) دوزي: نفسه، ص 58.
(7) رجراجة أو ركراكة: تقع غرب تينملل، وبلاد ركراكة مخصوصة بشجر كان يفضل زيته على ما يعصر من الزيوت ورائحته عطرة؛ ابن سعيد: نفسه، ص 125.
(8) ابن سعيد: نفسه، ص 125؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 59؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 221.

كما لبس أهل مدينة مراكش البرانس والعمامات وجبات من الجوخ ملونة تصل إلى الأرجل على شكل الفرن كأنصاف سترات من فوق شبه رقيقة أو من خيوط الحرير أو الصوف وقمصان وقلنسوات قرمزية(1)، ولكثرة المغازل بمدينة مراكش كثرت أعداد الحرفيين بها(2).

وقد اهتمت الدولة الموحدية بصناعة المنسوجات الصوفية خاصة أهل صفاقس الذين كانوا يستخرجون الصوف من البحر، فيما يشبه البصل فينشرونه في الشمس فتنتفخ كمائمة عن وبر فيغزل ثم ينسج ثياباً رفيعاً مختمة وغير مختمة ويباع الواحد منها بمائتي دينار، وهذا الصوف عند العامة يسمى صوف السمك(3).

كما عرفت مدينة القيروان صناعة المنسوجات الصوفية وازدهرت بها صناعة النسيج والزرابي، كما اشتغل النساء في المنازل بصناعة النسيج، فكانت لهن مناسج(4)، كما كانت نساء مدينة مكناسة "النساء يتجولن ملفوفات لفات ببعض الأزر البيض الفضفاضة بأقراط مصنوعة من الصوف والمسماة (Haygues) بحيث لا يستطيع أحد رؤية وجه النساء"(5).

---

(1) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 85.

(2) حسن محمود: المرابطين، ص 355؛ حسنين: جغرافية الدول، ص 345.

(3) العمري: مسالك الأبصار، ص 160؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ 5، ص 104 – 142؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 2، ص 189؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 221؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 42؛ كرنجال: أفريقيا، جـ 3، ص 94.

(4) الجنحاني: المغرب الإســـلامي، ص 78 – 79؛ الجنحاني: المجتمع العربي، ص 107؛ برنشـــفيك: أفريقيا، جـ 2، ص 242.

(5) دوزي: المعجم بأسماء الملابس، ص 31.

وتنوعت ملابس أهل مكناسة، فمنها الكتاني والقطني والصوفي والحريري، وهذا ما ذكره أحد المحدثين بقوله "... وبمكناسة تغزل النساء الصوف الرقيق جداً ويصغن أقمشة جميلة من الحرير والقطن، وآخر من القطن والصوف تحمل اسم البلد، وهي قصيرة جداً في أفريقيا لنعومتها وحسن صنعها، فإنهن محجبات بخمارات الصوف الأبيض الرقيق جداً لدرجة أن وجوههن لا ترى"(1).

وكانت مدينة أسفى(2) تصنع المنسوجات الصوفية(3)، وفي فصل الشتاء كانت الملابس عبارة عن أكنة من الصوف، وإذا اشتد الشتاء ارتدوا الفراء، والذي تفننوا في صناعته وتحلية الملابس به(4)، وكان لازدهار صناعة المنسوجات الصوفية في بلاد المغرب فقد قامت بتصديرها إلى مصر(5).

---

(1) كرنجال: المرجع السابق، جـــ 2، ص 141؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 46؛ دوزي: المرجع السابق، ص 31؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة المغربية، ص 137.

(2) مدينة أسفى: مدينة تقع في أقصى المغرب على شاطئ الأطلسي بين الجديدة والصويرة، وتعد من أهم المراكز الصناعية في المغرب؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 549؛ العمري: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 185، هامش 3؛ الحميري: الروض المعطار، ص 18.

(3) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 107.

(4) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 318.

(5) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 208.

ومن أهم الآلات المستخدمة في صناعة النسيج النول، وهو الآلة الوحيدة المستخدمة في النسيج إلى جانب أنوال بدائية لصنع العباءات ذات القبعة، وهي اللباس الشعبي، وقد كانت تستخدم لصناعة الصوف الخشن(1) وأيضاً من أدوات النساج "النير" أي الخشبة المعترضة التي يستخدمونها في كراء الحاكة(2).

وكان أهل صناعة الحياكة يكترون المناسج من النيارين على عمل معلوم وأجرة معلومة من غير أجل، ويقومون بصنع الملاحف وغير ذلك من الثياب والمنسوجات(3)

وعن صناعة المنسوجات فهي تبدأ بنسج الخيوط وصنعها على هيئة أقمشة ثم تقوم بصبغها، ثم إلى عملية حلج أو تمشيط النسيج، وبعض أنواع القش المحتمل في صنعها وبيعها(4)، وكما تنهى كتب الحسبة كما يقول السقطي "... ويحفرعلى عملة اللبود ألا تعمل من صوف الميتة، ويعلم ذلك بتغير رائحته، ولا من صوف الرؤوس، ويعلم ذلك من خشونته، ويجاد عمله ويسقى والصمغ دون نشا"(5).

يضيف ابن عبدون إلى ذلك بأن اللبادين "... يؤمر بتحسين عملهم فإنما يعملونها محلولة قليلة الصوف لا ينتفع به"(6).

---

(1) نصر الله: الأدارسة، ص 142؛ لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص 132.
(2) الوانشريسي: المعيار المعرب، جـ 8، ص 295؛ أنظر أيضاً هناء الفقي: مدينة مكناس، ص 165.
(3) الوانشريسي: المصدر السابق، جـ 5، ص 223؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 68.
(4) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 238.
(5) آداب الحسبة، ص 84؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 238.
(6) آداب الحسبة، ص 50؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 238.

ومن أهم الصناعات التي قامت على الصوف صناعة البسط (الطنافس)، والتي اشتهرت بصناعتها العديد من المدن الأندلسية(1)، فاهتم الأندلسيون بمنازلهم، فكانت منازل علية القوم بها الفرش الوثيرة وأنواع البسط الفاخرة التنيلية، وتنتالة إحدى قرى مدينة مرسية، وفرش أرضيات المساجد والدور خاصة عند الأثرياء وتزين الجدران(2)، ومن أهم مراكزها مدينة مرسية حاضرة شرق الأندلس، التي تميزت بصنع البسط الرفيعة الشريفة، ولأهلها حذق بصناعتها وتجويدها مالم يبلغه غيرهم(3)، فقد تميزت مرسية ببسطها التنتلية(4)، فقد اعتمد عليها المرابطون في النوم عليها(5).

كما اختصت مدينة المرية بصناعة البسط التنتلية التي تصدرها لبلاد المشرق(6)، وهي بسط تنسب إلى تنتالة من عمل المرية، وكان يغالى في ثمنها بالمشرق(7)، كما اشتهرت مدينة بسطة(8) والتي تنسب إليها المصليات البسطية والتنتالية(9).

(1) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 217.
(2) أبو مصطفى: نفسه، ص 237؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 279.
(3) الحميري: الروض المعطار، ص 182؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 168، جـ 4، ص 210؛ أنظر أيضاً سالم: المرية، ص 171؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 77؛ العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 63؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 356.
(4) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 107؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 233؛ دندش: الأندلس والمغرب، ص 183.
(5) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 124.
(6) سالم: المرية، ص 171.
(7) نفسه، ص 171.
(8) مدينة بسطة: إحدى مدن الأندلس، تقع بالقرب من وادي آش، حسنة الموضع، عامرة ذات أسواق، بها تجارات وكثير من الصناعات، وهي إحدى مدن كورة جيان، كما أنها كثيرة المياة؛ الحميري: الروض المعطار، ص 44 – 45.
(9) الحميري: المصدر السابق، ص 45؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس والمرجع السابق، ص 324؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 233، 237؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489؛ سامية مسعد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص 131؛ منى شعبان: النسيج واللباس في عصر الإمارة الأندلسية، ص 306.

وبها كانت "... تعمل البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق"(1).

وبالإضافة إلى مدينة بسطة، اشتهرت مدينة غرناطة بصناعة البسط، ولكثرة انتاجها قامت على تصديره إلى بلاد المشرق(2)، كما اشتهرت إلش(3) بصناعة البسط الجيدة الجودة(4)، وكذلك في مدينة مالقة، وجنجالة وكونكة، اشتهرت تلك المدن بجودة الصناعة(5)، وامتازت الدور العربية بالأبسطة التي لا يقتصر استعمالها على فرش أرض الحجرات، وإنما امتد إلى فرش المساجد وتزيين الحوائط(6)، ومما يدل على أن شرق الأندلس كان المنطقة الأساسية لانتاج البسط، كان الخليفة "المنصور" (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) قد بعث إلى شرق الأندلس يأمر بنسج كساء وفرش جامع القيروان حينما أراد تعميره(7)،وخير ما يصور لنا متانة البسط الأندلسية أن الموحدين فرشوا جسر وادي أم الربيع بفرش لا يؤثر فيها الحافر(8)، ومن الصوف أيضاً صنع المغاربة البسط، وتميزت البسط المغربية بطولها ولونها الأحمر وزخرفة متنها وحاشيتها بأشكال هندسية مختلفة(9)، ففي جبل وانشريس صنع فيه البسط الملوكية(10).

(1) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 237؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 221؛ مؤنس، المرجع السابق، ص489
(2) الحميري: نفسه، ص 45؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 158.
(3) إلش: مدينة بالأندلس من اعمال مدينة تدمير؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 111.
(4) البغدادي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 111؛ منى شعبان: المرجع السابق، ص 306.
(5) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 221؛ منى شعبان: نفسه، ص 306.
(6) سامية مسعد: نفسه، ص 131.
(7) موسى: المرجع السابق، ص 221 – 222.
(8) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 222.
(9) نفسه، ص 221 – 222.
(10) ابن سعيد: الجغرافيا، ص 141؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 221.

د- الحرير:

كما ازدهرت صناعة الحرير في الأندلس والتي عمت أقطار المغرب، عن طريق تربية دودة القز والتوسع في زراعة أشجار التوت(1)، وهو يتكون من ورق ويتقلب جميع الورق القيام على علف الدود، وإعداد الآلات التي تحتاج إليها حتى ينتهي العمل إلى أن تخرج لوز الحرير(2)، وبالتالي ازدهرت حرفة تربية الحرير (القز) الذي يعيش على التوت(3)، لذا شكلت خيوط الحرير القسم الأكبر من النسيج المصدر للأندلس(4).

وعن أهم مراكز صناعة المنسوجات الحريرية بالأندلس مدينة المرية، التي أصبحت مركزاً رئيسياً للمنسوجات الحريرية، خاصة في العصر المرابطي، وهذا ما أكده الإدريسي بقوله "... ومن مدينة المرية كانت في أيام الملثم مدينة الإسلام، وكان بها من طراز الحرير ثماني مائة طراز (نول)

(1) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 141؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 72؛ حجي: النوازل الفقهية، ص 138.
(2) الونشريسي: المعيار، جـ 5، ص 59 – 60.
(3) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 189.
(4) كونستبل: التجارة والتجار، ص 243.

ويعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور الملكية والثياب المعينة والخمر والعتابي والمعاجر وصنوف أنواع الحرير"(1).

وقد أوضح لنا الإدريسي مدى شهرة مدينة المرية مدينة الإسلام في عهد المرابطين وفي ميدان الصناعة ورواجها وتقدمها في هذا العصر، كما يدلنا على أن أنوال دور الطراز لم تكن تقتصر على نسج الأصناف المحلية من المنسوجات، وإنما كانت تنتج أيضاً أنواعاً شرقية ذاعت شهرتها في أنحاء العالم الإسلامي، وأنواعاً أخرى اشتهرت بها منها بلاد اليونان قديماً واقتبسها المسلمون منهم السقلاطون(2)، فتأنق الرجال والنساء في العصر المرابطي وارتدوا الملابس الحريرية الفاخرة والمطرزة بالذهب في بعض الأحيان(3).

---

(1) نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 562؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283 – 284؛ الحميري: الروض المعطار، ص 184؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 141؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 59؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 89؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 64؛ حركات: المرجع السابق، ص 104؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 291؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 112، 128 – 129، 164 – 165، 257 – 258؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 240؛ دندش: المغرب والأندلس، ص 184، 318؛ كونستبل: المرجع السابق، ص 225، 263؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 231.

(2) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 231؛ سالم: المرية، ص 88، 114؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 240.

(3) الهرفي: دولة المرابطين، ص 301.

لذا بلغت مدينة المرية شهرة عالمية في صناعة المنسوجات الحريرية التي عدت أحد أسباب ازدهارها الاقتصادي(1)، ورغم تدهور مدينة المرية عقب انهيار وسقوط دولة المرابطين، إلا أن استعادت شهرتها في العصر الموحدي كمركز أساسي لصناعة المنسوجات في الأندلس(2)، وكانت المنسوجات الحريرية مصدر ثراء أهلها، لاتقان صنعها لتوفر المواد الأولية التي ينتجها إقليمها من الحرير(3)، والذي كانت له أسواق خاصة في العصر المرابطي(4).

ومن أهم مصادر الحرير لمدينة المرية حصن شنش، الذي يقع على مسافة حوالي 1.5 كم تقريباً من المرية، ويزرع به الكثير من أشجار التوت، مما يؤدي إلى زيادة انتاج الحرير بها(5).

(1) الزهري: الجغرافية، ص 102؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 217؛ أنظر ايضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 218 – 219؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 56؛ حسن محمود: دولة المرابطين، ص 279، 350؛ دندش: الأندلس، ص 385.
(2) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 231.
(3) أبو الفضل: المرجع السابق، ص 239.
(4) الهرفي: المرجع السابق، ص 287.
(5) ابن سعيد: المغرب، جـ 2، ص 225؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 142؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 15 – 16؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 190؛ منى شعبان: النسيج واللباس، ص 305.

ومن أهم أنواع المنسوجات الحريرية الحلل الموشية والديباج وهو نسيج حريري يحلى بخيوط ذهبية(1)، فكان ينسج خاصة في مدينة المرية(2)، ويضع بها على اختلاف أنواعه ومن صنعة الخز وجميع ما يعمل من الحرير مالم يبصر مثله في المشرق في بلاد النصارى(3) وقرطبة،(4) وفي مدينة مالقة ينسج بها الحلل الموشاة(5) المرتفعة الأسعار الخاصة بالخلفاء وحاشيتهم(6)، وتصدر من موانيها أنسجة الحرير، والتي يتعجب من صنعتها أهل المشرق(7)،

(1) الزهري: المصدر السابق، ص 101 – 102؛ أنظر أيضاً سالم: المرجع السابق، ص 157؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 233 – 234؛ دندش: المرجع السابق، ص 185.

(2) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 74؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 140؛ المقري: المصدر السابق، جـــ 1، ص 168، جـــ 4، ص 209 – 210؛ انظر أيضاً سالم: نفسه، ص 166؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 64، 280؛ العبادي: تاريخ البحرية، جـــ 2، ص 63؛ أبو الفضل: نفسه، ص 239؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 107؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 234؛ موسى: المرجع السابق، ص 218 – 219؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 257؛ كونستبل: المرجع السابق، ص 330؛ دوزي: المعجم باسماء الملابس عند العرب، ص 23.

(3) ابن سعيد: المغرب، جـ 2، ص 193 – 194؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489.

(4) أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 239 - 240؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 219؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 234؛ بالباس: المدن الأسبانية، ص 121.

(5) ابن سعيد: المغرب، جـــ 1، ص 424؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 74؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 140؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 59، 61، 77؛ ابن الخطيب مفاخرات مالقة وسلا، ص 59؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ 5، ص 102؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 168، جـ 4، ص 209؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 274، 280؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489، 583؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 233 – 234؛ سامية مسعد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص 112، 165، 258؛ موسى: المرجع السابق، ص 218 – 219؛ دندش: الأندلس، ص 184؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 330؛ دوزي: المعجم باسماء الملابس، ص 23؛ منى شعبان: النسيج واللباس، ص 305.

(6) المقري: نفح الطيب، جـ 4، ص 209.

(7) بالباس: المرجع السابق، ص 136؛ دوزي: المرجع السابق، ص 23؛ دندش: المرجع السابق، ص 184.

وحينما ضرب الروم المرية في فترة الانتقال انفردت مالقة ومرسية بصناعة الحرير في العصر الموحدي، خاصة الموشاة بالذهب، كانت تصدر للمشرق والمغرب(1)، ومدينة مرسية يصنع بها أفضل أصناف الحلل والديباج(2).

يعد الديباج من المنسوجات الحريرية السميكة التي تزدان بالتنميقات الرائعة، والتي تتسم بالمتانة والجودة، ولذا كانت أسعارها مرتفعة في الأندلس(3)، والتي اختصت بها المرية وقرطبة ومرسية(4).

وأما عن العتابي (هو نوع من الخمر ينسب إلى بغداد وهي أقمشة تغطي بها النساء رؤوسهم، وكان يقصد بها أقمشة مموجة عتابي بغداد)(5) وهو نسيج حريري يصنع في حي العتابية ببغداد، واشتهرت به مدينة المرية(6)،

(1) الحميري: الروض المعطار، ص 184؛ موسى: نفسه، ص 218؛ أبو الفضل: المرجع السابق، ص 240؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 130.
(2) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 74؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 140؛ ابن سعيد: المغرب، جـ 2، ص 245؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 285؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 168، جـ 4، ص 210؛ انظر أيضاً سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 77، 274، 280؛ موسى: نفسه، ص 218 – 219؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 233 – 234، 356؛ منى شعبان: المرجع السابق، ص 305؛ كونستبل: المرجع السابق، ص 330.
(3) أبو مصطفى: نفس، ص 234؛ سالم: المرية، ص 157؛ الهرفي: المرابطين، ص 391؛ دندش: نفسه، ص 185.
(4) أبو مصطفى: نفسه، ص 234.
(5) سالم: المرجع السابق، ص 277؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 234؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 158؛ مؤنس: المرجع السابق، ص 382؛ دندش: نفسه، ص 185؛ منى شعبان: نفسه، ص 305.
(6) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ الحميري: الروض المعطار، ص 184؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 234؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ص 185.

وعن طريق الأندلس انتقل هذا النوع من المنسوجات إلى إيطاليا وفرنسا خلال العصور الوسطى، وحرف إلى (tapis)(1).

ومن المنسوجات الحريرية المعاجر الشفافة التي كانت تستخدمها النساء لتغطية وجوههن، كما كان يستعملها الرجال كعمامة لتغطية الرؤوس(2)، وأهم مراكز انتاجه مدينة المرية(3).

وعن نوع السقلاطون الذي ينسج من الحرير مطرزاً بالذهب(4)، اما الستور المكللة بأقمشة من الحرير خفيفة رقيقة تزدان بزخارف نباتية وأزهار تشبه الأكاليل(5).

أما الخمر فأقمشة حريرية كانت النساء يغطين بها رؤوسهن وتنسدل على الوجه فتغطيه(6)، بينما الأصبهاني(7) والجرجاني نوع من أنواع النسيج الموشى ذاعت شهرته في مدينتي أصبهان وجرجاني بفارس(8)، وبذلك نجح الأندلسيون في تقليد المنسوجات البغدادية في الأندلس، خاصة في مدينة المرية فصنع بها منسوجات حريرية بأنواعها المختلفة من الخمر والعناني والأصبهاني والجرجاني(9)،

(1) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 234؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 158.
(2) أبو مصطفى: نفسه، ص 234؛ سالم: المرجع السابق ص 158.
(3) ابن غالب: المصدر السابق، ص 283 – 284؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 234.
(4) أبو مصطفى: نفسه، ص 234؛ منى شعبان: النسيج واللباس، ص 305.
(5) أبو مصطفى: نفسه، ص 234 – 235؛ سالم: نفسه، ص 158؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 391.
(6) أبو مصطفى: نفسه، ص 235؛ سالم: نفسه، ص 158.
(7) الزهري: الجغرافية، ص 52؛ أنظر أيضاً دندش: المرجع السابق، ص 185؛ منى شعبان: المرجع السابق، ص 305؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 226.
(8) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 277؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 235؛ دندش: نفسه، ص 185؛ منى شعبان: نفسه، ص 305؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 158.
(9) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 276.

لذا ازدحمت المراكب التجارية بها لتعود محملة بالأقمشة الثمينة، والتي تصدر إلى المشرق الإسلامي وإيطاليا وفرنسا(1)، لذلك كان ثمن الحلة الموشية من انتاجها يتجاوز آلاف الدنانير، فكان هذا النوع ينتج برسم الملوك والخاصة(2)، والرجال كانوا يزينون عمائمهم بجوز تنسج من حرير ملون في طرفي العمامة، ثم تشد في وسطها(3).

وقد اهتم الأندلسيون بقصورهم، لذا قاموا على فرشها بالستور الجميلة الشكل من الديباج وغيره(4)، لهذا ازداد عدد الدور الخاصة بهذه الصناعة في مدينة المرية، فكان بها عام 546 هـ / 1151 م نحو 4604 داراً يسكنها أكثر من سبعة وعشرون ألف من السكان بمعدل تسعة أشخاص في كل دار(5)، كما كان يصنع بفنيانة(6)

(1) مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحلاوب الواقعة بينهم، تحقيق: د/ محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994 م، ص 47؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 353؛ بروفنسال: حضارة العرب، ص 38؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 171.

(2) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 218؛ (لذا كانت المنسوجات الأميرية أي معمل الطراز تشرف عليها السلطة الحاكمة مباشرة؛ الحبيب الجنحاني: المجتمع العربي، ص 107؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 79.)

(3) حجي: نظرات في النوازل الفقهية، ص 139.

(4) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 324.

(5) سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 114.

(6) فنيانة: قرية بالأندلس تقع بالقرب من وادي آش، وتتميز بكثرة أشجار التوت بها؛ الحميري: الروض المعطار، ص 143؛ أنظر أيضاً منى شعبان: النسيج واللباس، ص 305.

طراز الديباج(1)، واشتهرت سرقسطة بجودة منسوجاتها الحريرية، وكذلك المنسوجات الكتانية والصوفية، لذا فملابسها لا تسوس(2).

كما اهتم سكان مدينة بلنسية بصنع أنسجة الحرير الموشى، فكانت مثيلة لما كان يصنع في دور الطراز الإسلامية، فكانت تصدر إلى جميع المناطق في بلاد المغرب(3)، وكذلك مدينة جيان(4)، التي عدت من أهم مراكز انتاج المنسوجات الحريرية، فكان بها ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير، لذا عرفت بجيان الحرير لغزارته بها(5)، بالإضافة إلى إقليم البشارات(6)، وتعد مدينة جيان من ضمن مدنه، وبه حصون وقرى كثيرة حوالي ستمائة قرية، ويعمل أهلها بصناعة الحرير(7).

---

(1) ابن الخطيب: مشـــاهدات لســـان الدين بن الخطيب، ص 89؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 113؛ الحميري: المصدر السابق، ص 144؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 190، 233؛ ســـامية مســـعد: الحياة الاجتماعية والاقتصـــادية، ص 112؛ منى شـــعبان: المرجع الســـابق، ص 305.

(2) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 165؛ أنظر أيضاً منى شعبان: نفسه، ص 310.

(3) ســـالم: تاريخ وحضـــارة الإســـلام، ص 93؛ أبو مصـــطفى: المرجع الســـابق، ص 232؛ بالباس: المدن الأسبانية، ص 137؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 268.

(4) مدينة جيان: مدينة بالأندلس كثيرة الثمار والعيون، ومدنها كثيرة، وهي مدينة حصـــينة، ومن أهم مدنها منتشة وتتصل أعمالها بكورة ألبيرة؛ البغدادي: مراصد الاظلاع، مجـــ 1، ص 364؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 284.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 568؛ ابن سعيد: المغرب، جـــ 2، ص 51؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ 5، ص 299؛ الحميري: نفسه، ص 70؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 4، ص 407؛ الجناني (أحمد بن فرج): الحدائق والجنان من أشـــعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شـــعراء جيان، جمعه ورتبه وشـرحه: د/ رضـوان الداية، إصـدارات نادي تراث الإمارات العربية المتحدة، 2002 م، ص 13؛ أنظر أيضـــاً موســـى: النشـــاط الاقتصـــادي، ص 197، 218؛ أبو مصـــطفى: نفســـه، ص 190، 233؛ دندش: المرجع السابق، ص 166، 184؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 104؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 190؛ كونستبل: المرجع السابق، ص 263؛ منى شعبان: نفسه، ص 305.

(6) إقليم البشارات: في مدينة جيان وبه عدد كبير من الحصون والقرى بما يزيد عن ستمائة قرية؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 537.

(7) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 537؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 162.

ومن الراجح أن انتاج مدينة جيان ومدينة غرناطة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي قد تدنى كثيراً بالنسبة لما كان عليه قبل ذلك، لأن المشتغلين بزراعة الحرير وتصنيعه غالباً ما كانوا من المعاهدين والذين هم نصارى أسبانيا في عام 487 هـ / 1094 م أعداد منهم إلى مدينة طليطلة لعمارتها، وكان المرابطون قد غربوا أعداداً أخرى إلى البلاد الغربية، ولم يكن وضع هؤلاء المعاهدة أفضل حالاً مع الموحدين من وضعهم أيام دولة المرابطين(1)، ومع ذلك استمرت مصانع المنسوجات الحريرية الإسلامية بأسبانيا المسيحية تنتج المنسوجات الحريرية الغرناطية، كملاحف المأزر والخمر المختلفة الألوان التي كانت تغطي بها النساء المسلمات(2).

يعد الغرناطيين من كبار تجار الحرير لاشتهار المدينة بانتاجه(3)، لذا تميزت منسوجات غرناطة بالملبد المختم ذي الألوان العجيبة(4)، فقد بلغ نساء مدينة غرناطة المسلمات شأناً عظيماً في التطريز بالخيوط الذهبية والفضية والتزيين بالديباج والأصباغ، ووصلوا في ذلك إلى حد التماجن(5).

---

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 218.
(2) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 280 – 281.
(3) الزهري: الجغرافية، ص 96؛ ابن الخطيب: الإحاطة، مجـــ 1، ص 99، 109؛ اللمحة البدرية، ص 19؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 91؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص 222؛ أنظر أيضاً سالم: المرجع السابق، ص 280؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 130؛ موسى: المرجع السابق، ص 197، 218؛ دندش: الأندلس والمغرب، ص 166؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 219.
(4) المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 168؛ موسى: نفسه، ص 219؛ سالم: نفسه، ص 274؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 130؛ دندش: المرجع السابق، ص 183؛ منى شعبان: النسيج واللباس، ص 311.
(5) سامية مسعد: نفسه، ص 130، 261.

وكان الصناع يقومون على تزيين إنتاجهم بالصور والزخارف الهندسية على هيئة المعين أو غيره، وقد زينت قطعة من انتاج المرية في إمارة الأمير 'علي بن يوسف' (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م) بدوائر بداخلها أسود تفترس وعولاً صغيرة، وحول هذه الدوائر مجموعة من الحيوانات الخرافية(1)، وتعد الصناعات النسيجية من أهم الصناعات التي قام الأمير 'علي بن يوسف' على تشجيعها، لذا زاد انتاجها(2).

تتميز المنسوجات في هذا العصر برسوم معينات بدلاً من الدوائر، التي كانت تزدان بها المنسوجات السقلاطون(3)، لذا لم يستطع نصارى شمال أسبانيامقاومة إغراء الملابس الحريرية المرابطية، فأقبلوا على شرائها، والتباهي بارتدائها في الاحتفالات الرسمية(4).

ازدهرت صناعة المنسوجات في الأندلس خاصة في عهد المرابطين إلى حد كبير، حيث كان أعيان مدينتي قشتالة وأراجون يتخذون ثيابهم من الأقمشة الأندلسية الإسلامية،

---

(1) موسى: نفسه، ص 219؛ سامية مسعد: نفسه، ص 130.
(2) الهرفي: دولة المرابطين، ص 291.
(3) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 230؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص63 – 64.
(4) الهرفي: دولة المرابطين، ص 291.

ومن ذلك كان ثوب القداس الذي يرتديه القديس في الاحتفالات الدينية "جوان دي أوتيجا" عليه طراز يحمل اسم أمير المرابطين ‘علي بن يوسف’ وتحتفظ بهذا الثوب إحدى الكنائس بمدينة برغش(1)، ومن المحتمل أن هذا الثوب قد صنع بالمصانع الأندلسية للنسيج، وهذا الثوب محفوظ بكاتدرائية شلمنقة وشعونغة قد صنعت بالمرية(2).

ولتميز اليهود في الصناعات النسيجية فقد أسند لهم الأمير‘علي بن يوسف’ صناعة الحرير(3)، كما استخدم المرابطون كثير من الرايات ذات الألوان المختلفة والممثلة لقطاعات الجيش، ويظهر أنه كان هناك راية كبرى أثناء الحرب، وعددها سبع رايات في عهد ‘علي بن يوسف’ كانت موشاة بالذهب(4).

---

(1) مدينة برغش: من بلاد الروم وتقع بالقرب من مدينة ليون، وهي مدينة كبيرة يفصلها نهر ولكل منهما سور، الأغلب على الجزء الواحد منها اليهود، وتتمتع بالحصانة والمناعة، بها أسواق وتجار، وكثيرة الكروم؛ الحميري: الروض المعطار، ص 44.

(2) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 238 – 239؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 292؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 62.

(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعية، ص 97.

(4) الهرفي: نفسه، ص 262.

كما كانت البيرة أهم المناطق الأندلسية انتاجاً لصناعة المنسوجات الحريرية لاهتمامها بتربية دودة القز(1)، وتعد أيضاً مدينة بطليوس أهم المدن الأندلسية انتاجاً للمنسوجات الحريرية(2)، كما تميزت مدينة بسطة بالمنسوجات ومنها الملبد المختم ذي الألوان(3)، لكثرة ما بها من أشجار التوت، فكثرت بها غلة الحرير وزاد انتاج طرز الوطاء البسطي من الديباج الذي ليس له نظير(4).

كما تقدمت صناعة المنسوجات الحريرية في دلاية(5) وفي أندرش التي وصفها ابن الخطيب بقوله "حريرها (أي أندرش) ذهب"(6)، وكذلك بوادي آش(7)، لذا يعد من أهم المناطق الأندلسية صناعة للمنسوجات الحريرية، وفي مدينة برجة كثر انتاج المنسوجات الحريرية(8)

---

(1) الحميري: المصدر السابق، ص 24؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 104.

(2) أبو مصطفى: نفسه، ص 190، 233.

(3) الحميري: نفسه، ص 45؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 1، 168؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 219؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489؛ منى شـعبان: النسـيج واللباس، ص 310؛ دندش: الأندلس والمغرب، ص 183.

(4) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 284؛ ابن الخطيب: مشـاهدات لسـان الدين بن الخطيب، ص 31؛ أنظر أيضـاً سـامية مسـعد: الحياة الاقتصـادية، ص 112؛ أبو مصـطفى: تاريخ الأندلس، ص 190؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 107؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 574.

(5) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 99؛ اللمحة البدرية، ص 26 – 27؛ أنظر أيضـاً أبو مصـطفى: المرجع السابق، ص 190؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 130.

(6) معيار الاختيار، ص 111؛ أنظر أيضـاً سـامية مسـعد: المرجع السـابق، ص 111؛ أبو الفضـل: المرجع السـابق، ص 382؛ سـالم: تاريخ وحضـارة الإسـلام، ص 280؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 184.

(7) الحميري: الروض المعطار، ص 192.

(8) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 88؛ معيار الاختيار، ص 112؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 112؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 190.

وهذا ما أكده ابن الخطيب بقوله "... مدينة برجة ... وغلتهم حرير"(1)، وأيضاً حصن شبالش(2) الذي تميز بجودة الحرير والحياكة(3)، كما تميزت قلسانة(4) (قلشانة) بعمل ثياب تعرف بالقلشانية، التي اشتهرت بها عن غيرها من مدن الأندلس بصنعته الجيدة(5).

وكان لثراء المدن الأندلسية بانتاجها من المنسوجات الحريرية أثراً كبيراً في تصدير هذه المنسوجات إلى الصحاري(6)، وبلاد المغرب خاصة الحرير الخام والمشغول(7).

ويتميز عصر الموحدين في زخرفة النسيج فالدوائر الكبيرة التي كانت تحلي الأقمشة أخذت تختفي تدريجياً ليحل محلها شكل المعينات في التطريز(8)، كما استخدم الموحدون الديباج الفاخرة في تحلية الناقة التي يحمل عليها مصحف سيدنا 'عثمان' رضي الله عنه بالحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة، وصنعوا تحته بردعة من الديباج الأخضر(9).

(1) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 99؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 144، 165.
(2) حصن شبالش: لم أجد له ذكر في أي من المصادر العربية.
(3) ابن الخطيب: مشـاهدات لسـان الدين، ص 88؛ معيار الاختيار، ص 111؛ اللمحة البدرية، ص 26 – 27؛ أنظر أيضاً دندش: المرجع السابق، ص 184.
(4) قلسـانة أو قلشـانة: مدينة بالأندلس من كور شـذونة، وهي مدينة سـهلية على مقربة من وادي لكة، ويقع بقبلتها، وبها جامع، وهي متوسـطة المدن بكورة شـذونة، وبها كان مقر العمال والقواد على شـذونة؛ الحميري: المصدر السابق، ص 162 – 163.
(5) الحميري: نفسه، ص 163؛ أنظر أيضاً منى شعبان: النسيج واللباس، ص 310.
(6) الزهري: الجغرافية، ص 124.
(7) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 212.
(8) بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 63 – 64.
(9) المراكشي: المعجب، ص 212؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 147 – 148.

كما تحولت صناعة المنسوجات ذات الصور الحيوانية في عصر دولة الموحدين إلى منسوجات ذات زخارف هندسية من تشابكات ومربعات ووريدات وكتابات نسخية، ومع ذلك فقد اتقنت صناعتها إلى حد كبير، رغم أن دار الطراز أبطلت في عهد الموحدين، وسنذكر سبب ذلك فيما بعد، ورغم ذلك وصلت إلينا أمثلة كثيرة من صناعة المنسوجات في هذا العصر عثر عليها في مقابر المسيحيين، مثل أكفان "دون رودريجو خيمنت دي رادا"، والأمير "دون فيليب" وزوجته، ومثل أنسجة كاتدرائية لاردة، فكان أعيان قشتالة أرغون يتخذون ثيابهم من الأقمشة الأندلسية الإسلامية(1).

يتضح لنا مدى تقدم صناعة الوش التي تمتعت بمكانة هامة في الأندلس وفي أسبانيا المسيحية، ويدل على ذلك بقايا المنسوجات الإسلامية المصنوعة في قرطبة ومرسية والمرية في العصر الموحدي، وتدل القطع التي وصلت إلينا في العصر الموحدي على تقدم صناعة النسيج، التي غلب عليها التأثيرات المشرقية وعرقية وفارسية، ولذلك اتخذت النساء الحلل الموشية وملاحف وأردية مرصعة بصفوف الجوهر، وتفننت النساء في صباغتها بالألوان الزاهية وزخرفتها بمختلف أنواع الزخارف(2).

(1) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 278 – 279؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 240؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 230، 239.
(2) أبو الفضل: المرجع السابق، ص 240.

وأما عن إبطال الموحدين لباس الحرير، فكان الموحدون يتورعون عن لباس الحرير(1)، ولم يكن لهم شئ من دور الطراز التي تنسج فيها الأقمشة الحريرية المطرزة بالذهب والمخصصة لصنع الثياب الرسمية(2)، وكان في مقدمة من تورع عن لباس الحرير من الموحدين 'المهدي بن تومرت' الذي أقدم على التقشف في ارتداء الملابس والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن(3)، فاقتدى به خليفته 'عبد المؤمن بن علي' فتجنب لباس الحرير، ويرجع ذلك إلى طبيعة الدعوة الموحدية وتمسكهم بالشرع والسنة(4)، ولكن هذا التقشف والزهد في ارتداء الملابس الحريرية لم يستمر طويلاً بعد الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' واتسعت الدولة وتدفقت الأموال، لذا اتجهوا إلى ارتداء الملابس الحريرية المطرزة وقد غالوا في ذلك(5)، خاصة في عصر الخليفة 'يوسف بن عبد المؤمن' (558 – 580 هـ / 1163 – 1184 م) أخذ الناس يتنافسون في التزيي بأنواع الألبسة الفاخرة(6)، ولكن رجعت واضمحلت صناعة المنسوجات الحريرية، خاصة في عصر الخليفة 'المنصور الموحدي'، الذي أمر بإبطال صناعة المنسوجات الحريرية الفاخرة، وحرم على النساء التحلي بالوشي (الطراز) الفاخر،

---

(1) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 292.
(2) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 230.
(3) عفيفي: المرجع السابق، ص 292.
(4) نفسه، ص 292.
(5) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 292.
(6) الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص 164.

لذا أمر ببيع ملابس الحرير والديباج المتراكمة في مخازن الدولة، بحيث لم يعد يصنع من المنسوجات في عصر الموحدين سوى بعض المنسوجات التقليدية البسيطة كالديباج والبسط، وهذا دليل على مدى إقبال الناس المتيسرين على شراء الغالي من الحرير، وهذا لا يعني أن جميع طبقات المجتمع قد نعمت بهذا المستوى الرفيع من المنسوجات، وكثيراً ما كان لبس الجنود دون أكمام كمظهر من مظاهر الفقر(1).

ولعل أروع أمثلة المنسوجات الموحدية العلم الموحدي الذي غنمه النصارى في وقعة العقاب عام 609 هـ / 1212 م، والتي انهزم فيها الخليفة الموحدي 'محمد الناصر' (595 – 611 هـ / 1199 – 1214 م) ويحتفظ به دير ''لاس أويلجاس'' بمدينة برغش، وهذا العلم عبارة عن سجادة كبيرة طولها 3.3 متراً وعرضها 2.2 متراً، وبها في الوسط دائرة كبيرة صفراء يحيط بها مربع ومقاطع أربعة، وقد ملئت الدائرة والمربع بنقوش غريبة جميلة، ويحيط بهذا المربع من الجوانب الأربعة أحزمة نقشت عليها آيات قرآنية بخط أزرق،

(1) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 174؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 230؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 5، ص 142؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 259؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 222 – 223؛ الغناي: المرجع السابق، ص 165؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 441؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 62.

وفي ذيلها دوائر نقشت فيها أدعية مختلفة، وهذا العلم منسوج من الديباج المحلى بخيوط الذهب وألوانه حمراء وزرقاء وبيضاء وخضراء وصفراء، ويحيط بالعلم شريطان من الكتابة النسخية، ويقال أن هذا العلم سجادة خيمة الخليفة 'الناصر الموحدي'(1).

كما ازدهرت صناعة الحرير في بلاد المغرب(2)، رغم قلة التوت الأبيض(3)، إلا أنه كان دائم الطلب عليه من مصر نظراً لجودته(4)، لذا اقتصرت صناعة الحرير على بعض المراكز المغربية القليلة كمدينة قابس والمناطق المجاورة لها، وترجع شهرتها إلى اهتمامهم بزراعة شجر التوت وتربية دودة الحرير، فكان حريرها أطيب حرير وأرقه، وليس بأفريقية حرير إلا بها، وبها الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يقوم من خمس شجرات من غيرها، لذا استوطنها اليهود نظراً لأهميتها التجارية والاقتصادية(5)، ويبدو أن مدينة قابس لم تستطع الاحتفاظ بمكانتها هذه في صناعة الحرير حتى النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي،

---

(1) سالم: المغرب الكبير، ص 827؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 179، 279؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 239؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 5، ص 317؛ بالباس: المرجع السابق، ص 97؛ هامش 9.

(2) حسنين: جغرافية الدول، ص 150.

(3) الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 89.

(4) حسن: المرجع السابق، ص 289.

(5) البكري: المغرب، ص 17؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 79؛ مجهول: الاستبصار، ص 113؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 107؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 176؛ العبادي وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 62؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 193؛ بشير: اليهود في المغرب، ص 39، 96؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 64؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 106.

لأن الإدريسي الذي عاش في هذه الفترة أورد لنا نصاً نستخلص منه ذلك، حيث قال "... وكان بها (يقصد مدينة قابس) فيما سلف طرز يعمل بها الحرير الحسن"(1)، ويمكن إرجاع ذلك إلى غزو الأعراب لأفريقية وتدمير مراكز الحضارة في هذه البلاد.

اشتهرت الأقمشة الحريرية التي تنسج في القيروان وتجهز إلى سوسة(2) ومدينة تونس بصناعة الحرير المشهور باسم المختم والسفاسر الحرير للرجال والنساء، لذا تباع بأسعار مرتفعة لنعومة ملمسها، وبها سوقاً لبيع الحرير وغالبية سكانها حاكة(3).

كان يصنع ببلاد أفريقية أقمشة تسمى السفساري، وهي لباس أكابر مشايخهم، وكانت تعمل من حرير وقطن أو حرير وصوف رفيع جداً، ويكون لونها أبيض أو أحمر أو أخضر(4).

كما تميزت مدينة تلمسان بجودة منسوجاتها من الحرير، وقد نسبت هذه المنسوجات لها فعرفت بالتلمساني، لذا نجد الكساء الجيد من الحرير لا يتجاوز وزنه عندهم الثماني أواق، والإحرام لا يتعدى خمس أواق،

(1) الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 1، ص 279؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 176؛ الهادي إدريس: المرجع السابق، جـ 2، ص 64، 250.
(2) عفيفي: نفسه، ص 176.
(3) الوزان: وصف أفريقيا، ص 447؛ الحشايشي: العادات والتقاليد، ص 128.
(4) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 159؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ 5، ص 142؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 176 – 177.

كما أنهم يختبرون الأكسية والملابس الرقيقة الجيدة بإدخالها وإخراجها من حلف خاتم(1).

كما كانت مدينة سبتة غنية بإنتاج الحرير، حتى انها عرفت بـ "صنعاء الحلل الحسان"، وهذا الوصف الذي تمتعت به إنما تعكسه أسواق الأطرزة وأنواع الثياب الحريرية الفاخرة التي كانت منتشرة بها(2)، والدليل على ذلك الهدية التي أهداها صاحب مدينة سبتة 'ناصح' إلى الخليفة 'الناصر الموحدي'، وهي عبارة عن ثوبين من الحرير نسجا بأنواع الجواهر وجعلت فيها أعلام من اليواقيت(3)، ولذا عدت مدينة سبتة محط قوافل الحرير والكتان، فوجد بها سوقان لبيع الألبسة الكتانية والحريرية، وهما سوق القطانين وسوق الكتان(4).

---

(1) القلقشندي: المصدر السابق، جــــ 5، ص 142؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 176؛ الجيلاني: تاريخ الجزائر، جـ 2، ص 245 – 246؛ بدر: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة تلمسان، ص 36.
(2) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص 102؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 146؛ السبتي: اختصار الأخبار، ص 70؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 109؛ الشريف: مدينة سبتة، ص 45.
(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 219؛ الشريف: المرجع السابق، ص 45.
(4) الشريف: نفسه، ص 44.

اعتمد نساء مراكش على لباس الأثواب الحريرية الاتي تسترهن حتى الأقدام(1)، وكان نساء مدينة مراكش يلبسن خماراً من الحرير لتغطية رؤوسهن بهذه العصابة(2)، كما يرجع نجاح صناعة الحرير في مكناسة الزيتونإلى الاهتمام بزراعة التوت الأبيض للانتفاع به في تربية دودة القز لصناعة الحرير(3)، وإلى اهتمام المهاجرين الأندلسيين الذين انتقلوا إليها بالإكثارمن زراعته، بعد سقوط غرناطة في أيدي الأسبان عام 898 هـ / 1492 م، فقد أقام بعضهم بمدينة مكناسة، واهتموا بزراعة التوت الأبيض، لذا اعتبر الغرناطيون من كبار تجار الحرير بمكناسة(4)، كما اشتهرت مدينة مكناسة بصناعة الحياكة والتطريز(5).

كما اشتهرت نساء مدينة فاس بصناعة الملابس والتطريز(6)، فكانت تحوي عدد كبير من دور الأطرزة، حوالي ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين، وكان ذلك في أواخر العصر الموحدي، وبالتحديد عصر الخليفة 'المنصور' وولده الخليفة 'الناصر'(7).

---

(1) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 86.
(2) دوزي: المعجم باسماء الملابس، ص 86.
(3) نوال عبد العزيز: علاقات المغرب الخارجية في عهد بني وطاس، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1991 م، ص 178.
Terrase (H): Histoire du Maroc, p. 206.
(4) نوال عبد العزيز: المرجع السابق، ص 165؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة، ص 165.
(5) حسنين، جغرافية الدول الإسلامية، ص 346.
(6) الجزنائي: زهرة الآس، ص 80؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 51؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 362.
(7) الجزنائي: المصدر السابق، ص 80؛ أنظر أيضاً السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 105؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 109؛ سالم: المغرب الكبير، ص 523؛ علام: الدولة الموحدية، ص 256؛ الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 284.

وقد وصلت مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين مالم تبلغه مدينة من مدن المغرب، فكان عدد حوانيتها لا تحصى لبيع البزر الحرير(1)، لذا كانت تقصدها القوافل، ويجلب إليها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة، "وأهلها مياسير ولها كل حسن أكبر نصيب وافر حظ"(2)، فكانت بعض النساء بمدينة فاس يرتدون نوعاً من قفطان فوق القميص يشبه قفطانالرجال، ونساء مدينة مراكش يرتدون قفطان، وهو ثوب واسع لا كمام له، وهو يسترهن حتى يبلغ الأقدام أو يكاد، يصنع من الحرير، أو يصنع من الديباج(3)، وقد احترف من اسلم من موالي بني شيبون من يهود حواضر مدينة فاس، احترف نسيج الحرير وبيعه غير منسوج، كما احترفوا الحياكة ونسجها(4).

كما تفنن أهل مدينة سلا بالصنائع اليدوية من النسيج والطراز، بالإضافة إلى ما بلغته مدينة سلا من الحياكة(5)، وهذا يرجع إلى غناها بأشجار التوت(6)، كما اشتهرت بضفر الحرير والطرز بألوان الحرير على الثياب الفاخرة(7)

---

(1) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 51.
(2) سالم: المغرب الكبير، ص 518.
(3) دوزي: المعجم بأسماء الملابس، ص 38.
(4) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 23 – 24؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 83.
(5) الدكالي: الإتحاف الوجيز، ص 171؛ انظر أيضاً الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 109.
(6) الدكالي: المصدر السابق، ص 43.
(7) نفسه، ص 47.

لذا كانت تصدره إلى مختلف بلاد المغرب والأندلس حتى بلاد المشرق(1)، كما اشتهرت مدينة بجانة بطرز الحرير(2).

ومما سبق يتضح لنا مدى اهتمام سكان بلاد المغرب عامة والنساء خاصة بارتداء الملابس الحريرية والكتانية والقطنية والملحفة بالقطن التي تلبس في الشتاء للوقاية من البرد(3)، كما نلاحظ كثرة استعمال الحرير في لباس النساء، حتى الرجال في لحف النوم وستائر النوافذ والأبواب، وحتى الموتى يسترون بالحرير(4).

عرف أهل المغرب نظام المشاركة في تربية دود الحرير، وكل واحد منهما كان يساهم في توفير علف دودة الحرير بأن يشتري ورق التوت، وكان صاحب أشجار التوت يخرج أحياناً جزءاً من دود الحرير وورق التوت كالنصف مثلاً، في حين يساهم العامل أو الشريك بالنصف الآخر، ويقوم على علف الدود وما يحتاج إليه حتى ينهي العمل بذلك ويقسمان الحرير، ويكون ذلك شبيه بنظام المزارعة والمشاركة(5).

---

(1) الدكالي: نفسه، ص 44؛ أنظر أيضاً زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ص 320.
(2) الحميري: الروض المعطار، ص 38؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 27؛ دندش: المرجع السابق، ص 167؛ منى شعبان: النسيج واللباس، ص 305.
(3) أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص 48.
(4) حجي: النوازل الفقهية، ص 139.
(5) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 66.

وكان أصحاب أشجار التوت يلجأون إلى تأجير أحد العمال ليقوم على تربية دود الحرير نظير مبلغ متفق عليه دون أن يكون لها نصيب من الحرير المنتج(1)، كما يشير الدكتور كمال أبو مصطفى إلى انتشار ظاهرة في الأندلس وهي "السلم في الحرير" بمعنى أن يقوم أحد الأشخاص بتسليم أخر ممن يقومون بتربية دود الحرير بمبلغ معين على أن يمده في وقت معلوم بكمية معينة من الحرير، ويكتب ذلك في عقد بينهما، ويشهد عليه بعض الشهود(2).

ويحس ولاة الحسبة بمراعاة أهل الصنائع في الأسواق والأمانة في الحاكة(3)، والجلاسون لبيع الحرير ويذون في أثمان الحرير وخيط الكتان يخالف خيط الحرير في المنسج، فكلما رق كثرت بيوته وقل وزنه، وذلك أن خيط الحرير نوع واحد، وخيوط الكتان أنواع عديدة(4)، وكان لكل حرفة زقاقاً أو قيسارية خاصة، مثل المنسوجات سواء القطنية أو الحريرية أو الكتانية أو الصوفية وغيرها من أنواع المنسوجات وبجوارها حوانيت خاصة بالملابس المخيطة، وحوانيت خاصة للخياطين، ومكان لبيع الكتان والصوف(5).

---

(1) أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص 190.
(2) نفسه، ص 190.
(3) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 335.
(4) السقطي: آداب الحسبة، ص 77.
(5) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 186، 198.

2- الصباغة:

أ- صباغة النسيج:

اشتهرت الكثير من المدن المغربية والأندلسية بصباغة النسيج خلال عصري المرابطين والموحدين، وارتبطت الصباغة ارتباطاً وثيقاً بحياكة المنسوجات، وهي عملية معممة لصناعة الألبسة، فحقق نجاحاً منقطع النظير بسبب إقبال الناس على لبس الملون.

وأشار إلى براعة الأندلسيين في الصباغة ويبدو أن لون العصفر(1)، وهو اللون الأصفر الذي يتوفر بمدينة لبلة(2) وإشبيلية، وعصفر إشبيلية يعم الأندلس ويتجهز به إلى كل الأقطار(3).

أما اللون الأحمر فمن القرمز، فاستعملوا القرمز في صباغة الأنسجة المشتقة من الحيوان كالحرير والصوف، كان يتوفر في إشبيلية(4) وشذونة وبلنسية ولبلة(5)،

---

(1) العصفر: يزرع في شهر فبراير أو مارس، ويحتاج إلى حرث ومياة ري كثيرة، كما يجود في التربة الرطبة، وأكثر البلاد ملائمة لزراعة البلاد المعتدلة ذات الهواء الرطب، ويشير ابن بصال إلى أن العصفر نوعان، نوع مشوك ونوع غير مشوك، والنوع الأخير أفضل في الجمع والصباغة؛ الفلاحة، ص 116؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 128.

(2) ابن عذري: ترصيع الأخبار، ص 111؛ الحميري: الروض المعطار، ص 169؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 129.

(3) ابن عذري: المصدر السابق، ص 96؛ الحميري: المصدر السابق، ص 21؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 129.

(4) ابن عذري: ترصيع الأخبار، ص 96؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 191؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 259 – 260.

(5) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 145.

ويحمل من الأندلس إلى الآفاق(1)، وكان الأندلسيون يصبغون النسيجمن الألوان الأولية والمركبة من لون أحمر وأسود وأبيض وأخضر وأصفر وجوزي (وهو مركب الأخضر والأسود)(2)، وقد عرف الغرناطيون شأنهم شأن أهل الأندلس صياغة المنسوجات فاستخدموا في صباغتهم النيلة والقرمز والزعفران، الذي اشتهرت به غرناطة وبانتاجها الوفير منه(3)، كما استخدم الزعفران لصباغة الملابس باللون الأصفر مثل العصفر(4).

وكذلك مدينة باغة من أعمال غرناطة(5)، فكان الحرير عادة ما يصبغ في موضع انتاجه، واشتهرت إحدى قرى مدينة مالقة وتدعى نارجة بصناعة الحرير، وكان أهلها يقيمون الخيام قرب النهر، ويعتبرون ذلك عيداً فيطلقون حناجرهم بالغناء أثناء العمل في صبغ الحرير، وقد عرف المكان الذي يقومون فيه بصبغ الحرير بالطراز(6)، وتصبغ باقي المصبوغات أماكن صناعتها(7).

(1) المقري: نفح الطيب، جــــ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً منى شعبان: النسيج واللباس، ص 307؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 208؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 191.
(2) العمري: مسالك الأبصار، ص 159؛ أنظر ايضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 231.
(3) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 19؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 131.
(4) الونشريسي: المعيار، جـ 3، ص 130؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 129.
(5) سامية مسعد: المرجع السابق، ص 131.
(6) سامية مسعد: نفسه، ص 131؛ موسى: المرجع السابق، ص 231.
(7) موسى: نفسه، ص 231.

بالإضافة إلى مواد الصباغة من القرمز والعصفر كان النيلة والزعفران(1)، واختصت مدينة بسطة بانتاجها الجيد من الزعفران(2)، واشتهرت مدينة درعة بأشجار النيلة(3)، وهو ينبت للصياغة ويشبه بنات الباستل ويقاضونه بالصنائع المجلوب من مدينتي فاس وتلمسان(4)، وعمل يهود سجلماسة بالصباغة(5).

اشتهرت مدينة فاس بزركشة المنسوجات وصبغها باللونين القرمزي الأرجواني(6)، فكان بها أواخر العصر الموحدي(7) مائة وستة عشر داراً للصباغة تقع على الأنهار(8).

لذا استوطنها اليهود للعمل بالصباغة(9)، وقد حمل صناع هذه المهنة في مدينة القيروان لقب الصباغ(10).

---

(1) موسى: نفسه، ص 231؛ كونستبل: المرجع السابق، ص 259 – 260؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 37.
(2) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 31؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 131.
(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 227.
(4) الوزان: وصف أفريقيا، ص 492؛ أنظر أيضاً البشير: اليهود، ص 96؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 244؛ كربخال: أفريقيا، جـ 3، ص 145.
(5) البشير: المرجع السابق، ص 81، 95 – 96.
(6) نصر الله: الأدارسة، ص 142.
(7) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 51.
(8) الجزنائي: زهرة الآس، ص 80؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 523؛ السبتي: المدينة، ص 105؛ الحريري: المغرب في عصر بني مرين، ص 284؛ البشير: اليهود، ص 95؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 231؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 308.
(9) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 25؛ أنظر أيضاً البشير: نفسه، ص 95.
(10) البشير: المرجع السابق، ص 96.

تنوعت أشكال وألوان المنسوجات عن طريق الصباغة من يهود جبل نفوسة الذين اشتهروا باحتراف هذه المهنة(1)، فاشتهر النسيج النفوسي وألوانه المختلفة "...وطيفان الأكسية الفاخرة الزرق والكحل النفوسية والسود والبيض والثمينة"(2).

ويبدوا أنه لقلة الانتاج من الزعفران لجأ الصباغين إلى استحداث بدلاً له وهو "الطرطار" الذي ينبت في الخمر ويصبغ به الصوف أحمر(3)، كما استعمل بعضهم الكبريت ليرد أكسية الصوف البيضاء(4)، كما تتفاوت أسعار الصباغ بتفاوت ألوانها أما لصعوبة تركيبها أو لعدم وجود مادتها واستيرادها(5).

وللصباغين أسواق يبيعون فيها منتجاتهم(6)، ومما يدل على حذق الصناع لفن الصباغةأن الخياطين كانوا يأخذون الملاحف البالية، فيصبغونها ويكمدونها فتظهر كالجديدة(7)، ومن ناحية أخرى يذكر السقطي أنه يجب منع الصباغينمن صناعة المنسوجات الحمراءبالبقم فإنه لا يثبت(8)،

---

(1) الوســياني: ســيرة أبي الربيع الوســياني، مخطوط بدار الكتب المصــرية، رقم 9113 ح، ورقة 10؛ الدرجيني: طبقات المشــايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، البليدة – الجزائر، 1974، جـــ 2، ص 303؛ أنظر أيضاً الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة، ص 162.
(2) الشرقاوي: المرجع السابق، ص 162.
(3) موسى: المرجع السابق، ص 231.
(4) نفسه، ص 231.
(5) نفسه، ص 231.
(6) ابن ابي زرع: الذخيرة السنية، ص 73.
(7) موسى: نفسه، ص 231.
(8) الحسبة، ص 78؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 238.

لذا من استخدموا الشب كمادة كيماوية لتثبيت الألوان(1)، كما يجب على الذين يصبغون الحرير أن لا يصنعوا ذلك إلا خارج المدينة، وكان الصباغون ينهون عن الصبغ بالمثنان في لون أخضر بالبقم على لون سماوي، فإنها وله يستحيل اللون سريعاً(2).

ب- صباغة الجلود:

اعتمدت صباغة الجلود على مواد الصباغة المتوفرة في بلاد الأندلس والمغرب، فاستفادوا من زراعة القرمز لصباغة الجلود في بلنسية وإشبيلية(3)، كما اهتمت مدينة سلا بالصباغة وتلوينها(4).

3- صناعة الورق:

شجعت دولتي المرابطين والموحدين صناعة الورق في مختلف بلاد المغرب والأندلس، ويعتبر الصينيون أول الشعوب التي صنعت الورق من شرانق الحرير، ثم انتقلت تلك الصناعة إلى العرب بعد اتصالهم بالصين خلال الفرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، وبالتحديد في أوائل العصر العباسي(5)، ويرجع الفضل إلى المسلمين في استبدال الحرير في صناعة الورق بمواد أخرى أكثر توافراً وأيسر منالاً، مثل الكتان والقنب والقطن(6)،

---

(1) بدر: المرجع السابق، ص 37.
(2) ابن عبدون: الحسبة، ص 50.
(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 197.
(4) الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 171.
(5) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 244.
(6) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 244؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 308.

فاعتمدوا على المواد النباتية في هذهالصناعة، فكان يحصل على الورق من معجون الكتان والقتب الذي ينقع في ماء الجير (الكلس)، ثم يمرر في طاحونة (رحى) مع استخدام الغراء أو النشاء ومزجها مع المعجون ويسوى بعد ذلك ويلمس باستخدام القالب (القرميد) حتى يصل إلى الورق المناسب، وأخيراً تجري عملية التجفيف(1)، وبالإضافة إلى المواد الأولية لانتاج الورق من القطن والكتان، كان من الأسمال البالية، فكان من واجب المحتسب التأكد من نظافة الورق، وأن يكون الورق ناعماً دون أسنان، نظيف وموحد القياس(2).

كما كانت المادة الرئيسية للكتابة قبل استعمال الكاغد هي ورق الغزال وورق البردي، والأول غالباً كان مقصوراً على المستويات الاجتماعية العليا، أما ورق البردي فكان يؤخذ من قصب كان ينبت ببعض الأقطار منذ القدم(3)، فنشطت صناعة الورق، ورق الغزال للكتابة نتيجة التعامل والاستقرار من فاس إلى الإسكندرية، وآخر من الشمال إلى الجنوب بواسطة القوافل التجارية(4)

(1) أبو مصطفى: نفسه، ص 246.
(2) الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 111؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 292.
(3) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 111.
(4) حجي: النوازل الفقهية، ص 164.

فكانت جلود الغزلان تدبغ وترفق بطريقة فنية تجعلها صالحة للكتابة عليه، خاصة قبل انتشار صناعة الورق، فكانت مدينة فاس مقراً لصناعة ورق الغزال(1)، ولكن لم يلبث الكاغد أن انفرد بفنون الكتابة في الغرب الإسلامي، كما حدث بالمشرق تماماً، وذلك بعد أن اختفى استخدام الرق في الكتابة(2)، وإلى جانب الرق استخدموا أيضاً جلد الظباء للكتابة عليه(3).

يبدو أن الأندلسيون عرفوا صناعة الورق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ويذكر أن أهل الأندلس من أحذق الناس في صناعة الوراقة(4)، ومن أهم المدن الأندلسية التي نالت الشهرة في هذه الصناعة مدينة شاطبة، ومنها الورق الأبيض والملون والحريري والوردي الناعم الجيد الصناعة، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الأندلس، فكانت مصانعها تنتج أفضل أنواع الورق الذي لا يماثله نوع(5)، ولا تزال مخطوطات كثيرة يعرف ورقها بالورق الشاطبي بالخزانة العامة بالمغرب(6).

---

(1) نفسه، ص 147.
(2) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 246.
(3) نفسه، ص 244.
(4) نفسه، ص 244.
(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 556؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 143؛ أنظر أيضاً أرسلان: الحلل السندسية، جـــ 3، ص 294؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـــ 2، ص 63؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 245؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 279، 292؛ حجي: نفسه، ص 145؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 187؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 265، 278، 279.
(6) حجي: نفسه، ص 145؛ أرسلان: المرجع السابق، جـ 3، ص 253 – 254.

كانت صناعة الورق من أهم الصناعات في العصر المرابطي، خاصة في عهد الأمير 'علي بن يوسف' (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م)(1)، ومن المرجح أن شهرة شاطبة بالكاغد ترجع إلى وفرة الكتان الجيد بأراضيها(2)، برز بالأندلس العديد من الوراقين الذين برعوا في التذهيب والوراقة(3).

كانت دواليب الورق تعتمد على الطاقة المائية لتحريكها، وهذا يدل على تفوقها في هذه الصناعة، كما ان المغرب كان قد سبق أوربا في تلك الصناعة، لأن أوربا عرفت هذه الصناعة بعد عهد الموحدين(4)، وذلك لازدهار هذه الصناعة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي(5).

اهتمت دولة الموحدين بصناعة الورق، فاشتغل الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' وخلفاؤه النباتات الصالحة لصناعة الورق(6)، والدليل أنه كان بمدينة فاس في أواخر العصر، خاصة عصر 'المنصور' وولده الخليفة 'الناصر' من أربعمائة مصنع للكاغد(7)،

---

(1) الهرفي: المرجع السابق، ص 291.
(2) أبو مصطفى: نفسه، ص 246.
(3) ابن سعيد: المغرب، جـ 2، ص 321، ترجمة 564؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 246.
(4) الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 111؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 172.
(5) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 245.
(6) علام: الدولة الموحدية، ص 255.
(7) الجزنائي: زهرة الآس، ص 80؛ أنظر أيضاً علام: المرجع السابق، ص 256؛ حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 355؛ حركات: المرجع السابق، ص 111؛ سالم: المغرب الكبير، ص 523؛ السبتي: المدينة، ص 105؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 111؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 309.

لذا تميزت مدينة فاس بكثرة مصانعها، وتميز ما تنتجه من ورق بالبياض الناصع والجودة العالية والانتاج الوفير(1)، لهذا كان يفضله سكان أسبانيا المسيحية(2).

اشتهرت مدينة سبتة بصناعة الورق باعتبارها مركزاً للعلم والثقافة وتطورت الوراقة التي تعني صناعة الورق أو بيع وشراء الكتب واستنساخها، لذا كانت تقوم على تصديره(3).

من أهم أسباب ازدهار هذه الصناعة واتقانها هو نشاط الحركة العلمية والفكرية خاصة في عهدي المرابطين والموحدين، ولكثرة نسخ الكتب والقراءة، مما ترتب عليه ابتكار أنواع مختلفة من المداد الأسود والأحمر والأبيضوالمذهب، فاشتهرت مدين بلنسية بالكتابة بالذهب(4)، لذا توارثت أسرة 'محمد بن سيرزاي' (ت 548 هـ / 1153 م) حرفة الوراقة(5).

---

(1) العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 63؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 292؛ أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي، ص 69.

(2) حركات: نفسه، ص 177.

(3) الشريف: مدينة سبتة، ص 45.

(4) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 187.

(5) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 173.

4- المطاحن:

من أهم الصناعات التي تقوم على الانتاج الزراعي طحن الغلال، وهذا يرجع إلى غنى البلاد الأندلسية والمغربية بإنتاج الحنطة والشعير والقمح ووفرة المياة، لاستخراج الدقيق اللازم لإعداد الخبز وصناعة الحلوى.

انشئت المطاحن التي تعد من أهم الآلات التي اعتمد عليها الأندلسيون والمغاربة في طحن الأقوات، فتطحن بالأرحاء التي تديرها المياة أو الحيوانات أو الرياح، وغالباً ما يتخذ الأندلسيون الأرحاء المائية لكثرة مياهها وحسن تقسيمها وتفريعها لجداول(1).

وجدت الأرحاء في المنازل أو عند مداخلها، كما في مدينتي جيان(2) وغرناطة(3)، فكان بها ما يزيد عن مائة وثلاثون رحى(4)، وبها جداول تدور بها أعداد من الرحى، ويرتفع من نهر شنيل شلير ويشق المدينة وتطحن به الرحى(5).

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 237؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 179؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 264.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 568؛ الحميري: الروض المعطار، ص 70 – 71؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 237؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 247.

(3) ابن سعيد: المغرب، جـ 2، ص 102؛ ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 119؛ الحميري: المصدر السابق، ص 23؛ المقري: نفح الطيب، جـ 4، ص 207؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 247؛ موسى: نفسه، ص 237.

(4) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 20 – 21؛ ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 133؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 111، 132.

(5) العمري: مسالك الأبصار، ص 228 – 229؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 215.

ابتكر أهل مدينة مرسية تجليس الأرحاء على ظهر المراكب والانتقال بها من موضع إلى آخر (أي أرحاء متنقلة على مراكب)(1) كما انتشرت هذه الأرحاء المتنقلة أيضاً على مراكب في طرطوشة(2) وفي سرقسطة وذلك لراحة العملاء(3).

ومن أهم المدن الأندلسية التي تعددت بها طواحين مدينة قرطبة خاصة على نهرها، فكان يوجد بها ثلاث بيوت أرحاء في كل بيت منها أربعة مطاحن(4)، لذا استقدم الأمير 'يوسف بن تاشفين' جملة من صناع الأرحاء من قرطبة، فبنوا جملة من الأرحاء بها، وهذا يدل على مدى اهتمام ولاة الأمر من المرابطين ببناء الأرحاء(5).

كان لغنى مدينة بيانة من أعمال قرطبة والتي تقع بالقرب من مزارع القمح والشعير، أن أدى ذلك إلى تعدد الأرحاء الطاحنة بها(6)، وكذلك مدينة طلبيرة التي لها على نهر تاجة أرحاء كثيرة(7)، ومدينتي قبرة(8)

---

(1) الحميري: نفسه، ص 182؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 92؛ موسى: نفسه، ص 237؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 248.
(2) أبو مصطفى: نفسه، ص 248.
(3) أبو مصطفى: نفسه، ص 248؛ حركات: المرجع السابق، ص 92.
(4) الحميري: نفسه، ص 158؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 247.
(5) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 50؛ أنظر أيضاً بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 38؛ الهرفي: المرابطين، ص 371.
(6) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 571؛ الحميري: الروض المعطار، ص 59؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 247.
(7) الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 551؛ الحميري: المصدر السابق، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 247.
(8) الحميري: نفسه، ص 149؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 247.

وفريش كثيرتا الأرحاء(1)، ووادي آش الذي ينحدر نهرها من جبل شلير، وهو في شرقيها وهي على ضفته ولها عليه كثير من الأرحاء(2)، ومدينة وشقة بها أرحاء طاحنة صيفاً وشتاءاً بين الدور وداخل السور(3)، كما كان بمدينة شلب أرحاء(4)، كذلك الجزيرة الخضراء كانت كثيرة الأرحاء(5).

وغالب الظن ان أهل بلاد المغرب كانوا أكثر استعمالاً للأرحاء التي تديرها الحيوانات، ويبدو أنه لكثرة انتاج الحنطة والشعير والقمح في بلاد المغرب(6)، ولازدياد سكانها ووفرة مياهها، نتيجة لكثرة المشاريع المائية التي حرص عليها الموحدون، فدفعت الموحدين وأهل المغرب إلى إدخال الأرحاء المائية بأعداد كثيرة، كما كانت أرحاء مدينة مراكش من صنع الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م)(7)،

---

(1) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 290.
(2) الحميري: نفسه، ص 192؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 247.
(3) ابن عذري: ترصيع الأخبار، ص 56.
(4) الإدريسي: نفسه، مجـــ 2، ص 543؛ الحميري: نفسه، ص 106؛ انظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 247.
(5) البكري: المغرب، ص 75؛ العمري: مسالك الأبصار، ص 236.
(6) منصور: قبائل المغرب، جـ 1، ص 15؛ العربي: المغرب، ص 12.
(7) الزهري: الجغرافية، ص 116؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 237.

وعندما نزل بجبل الفتح(1) أمر ببناء الحصن وصنع بأعلى الجبل في رحى تطحن الأقوات من صنع المهندس 'الحاج يعيش المالقي'(2).

كما اعتمدت مدينة فاس على الأرحاء التي تحتاج إلى الماء(3)، كما بلغت مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين من العمارة والرفاهية مالم تبلغه مدينة من مدن المغرب، فأحصيت الأرحاء التي دار عليها سور المدينة نحو أربعمائة

---

(1) جبل الفتح: وهو جبل خرج منه طارق بن زياد ومنه افتتح الأندلس، وهو عند الجزيرة الخضـراء، وجبل طارق مرسـى مكن لا ريح فيه؛ أو مدينة الفتح التي أمر الخليفة عبد المؤمن بن علي ببنائها على جبل طارق، وجمع البنائين والنجارين وقطاع الحجر للبناء والجيارين من كل بلدة، وخطت فيه المدينة، واتخذ فيها الجامع وقصـراً له وقصـوراً تجاوره للسـادة بنيه، وأجرى إلى الجنات المغترسـة بها عن أمره؛ الحميري: نفسه، ص 121؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 125؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 219؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 4، ص 380.

(2) نصر الله: الأدراسة، ص 140؛ لوترنو: مدينة فاس، ص 40.

(3) ابن صـاحب الصـلاة: المن بالإمامة، ص 51؛ مجهول: الحلل الموشـية، ص 155؛ أنظر أيضـاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 517؛ موسـى: النشـاط الاقتصـادي، ص 238؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 248؛ سالم: المغرب الكبير، ص 791 – 792.

واثنتين وسبعين حجراً دون ما بخارجها من الأرحاء(1).

وذلك لكثرة حنطتها(2)، وهذا يعني أنها أبنية يحتوي كل منها على عدد من الرحايا، بمعنى أن الطاحونة تتألف من قاعة كبيرة تحتوي أحياناً على خمسة أو ستة رحيات، ويأتي سكان الضواحي لطحن قمحهم في المدينة(3).

كما ازدهر بناء الأرحاء في مدينة مكناسة(4)، ومنها أرحاء حارة تاورا إحدى حوائر مدينة مكناسة، فكان بها أرحاء كثيرة، وكان أكثرها يحتوي على أربعة أحجار من جملتها بيت واحد للزغابشة يحتوي على خمسة أحجار(5)

---

(1) السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 105؛ العربي: المغرب، ص 208؛ سالم: المغرب الكبير، ص 523؛ موسى: المرجع السابق، ص 230؛

في رواية العمري عن ابن سعيد أن بفاس ثلاثة آلاف رحى موزعة على القرى؛ مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 184؛ أنظر ايضاً الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 82.

بينما يذكر العمري عن رواية السلالحي أنها تقارب أربعمائة رحى؛ المصدر السابق، السفر الرابع، ص 180؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص 238.

ذكر المعجب أنه دخل مدينة فاس وتحت سورها نحو ثلاثمائة طاحونة تطحن بالماء، ولعل هذا العهد كان أيام تأليف المعجب أما قبله أيام المنصور والناصر، كان بفاس أربعمائة حجر يدور خارجها؛ المراكشي: المعجب، ص 290؛ أنظر ايضاً سالم: المرجع السابق، ص 522.

كما يذكر القلقشندي أن بفاس ستمائة رحى؛ صبح الأعشى، جـ 5، ص 155؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 3، ص 1014.

وفي وصف العمري عن رواية ابن سعيد، أنه قد يكون ابن سعيد يعني منطقة فاس كلها، أما رواية السلالجي فهي تعبر عن الفترة المرينية، وفي رأي الباحث الذي يتفق مع رأي السلالجي أن مدينة فاس كان بها أربعمائة رحى وربما وصلت إلى أربعمائة واثنين وسبعين حجر لزيادة أعداد سكانها، ومع صاحب الاستبصار أنها وصلت إلى أربعمائة رحى؛ مجهول: الاستبصار، ص 182.

(2) المقدسي: أحن التقاسيم، ص 239؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 69؛ أنظر أيضاً سالم: نفسه، ص 488؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 88؛ بن تاويت: الوافي بالأدب العربي، جـ 1، ص 278؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 92.

(3) الوزان: المصدر السابق، ص 238؛ أنظر ايضاً المنوني: حضارة الموحدين: ص 71.

(4) مجهول: المصدر السابق، ص 188؛ أنظر ايضاً عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 88، 104.

(5) ابن غازي: الروض الهتون، ص 11؛ انظر أيضاً السبتي: المدينة، ص 42؛ شبانة: مدينة مكناس المغربية، عدد 3، ص 163.

وكان ذلك بسبب وفرة القمح بالمدينة والذي كان يصدر إلى شرق الأندلس(1).

وقد كان لاستقرار الأندلسيين في عدد من مدن المغرب ومنها مدينة مكناسة، التي ظلت تحفظ اسم الأندلس في قرية من قراها، وقد اشتغل هؤلاء براعة في استخدام المياة واستحداث الأرحية الطاحنة بالماء، وغير ذلك من الخبرات التي لوحظ تأثيرها في سائر مدنهم(2)، ونصبوا الأرحية على ضفتي وادي فلفل(3) الذي يجري في شرقيها، وأحياناً كانت تديرها الحيوانات(4)، كما اعتمدت مدينتا فاس ومكناسة على الأرحية لرفع المياة(5) وبكثرة طواحينها(6).

---

(1) البغدادي: المصدر السابق، مجـ 3، ص 1303.

(2) الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 56.

(3) وادي فلفل: يقع هذا الوادي في الشعب الفاصلة بين المدينة القديمة والمدينة الجديدة، وقد نشأت مدينة مكناسة الزيتون على سطح هضبة قرب حافة مشرفة على هذا الوادي، ويشق هذا الوادي المدينة إلى جزأين المدينة القديمة الواقعة إلى الغرب والمدينة الجديدة الواقعة شرقاً ، ويمد هذا الوادي المدينة بالكثير من المياة، وقد سمي بأسماء عديدة على حسب الأمكنة التي يمر بها، فمنها وادي بو عماير، أو بو فكران، أو معروف، أو دردورة، ويمر من الجنوب إلى الشمال، ولا يبعد عن منيعة سوى نصف فرسخ، حوالي 1 كم تقريباً، وفيه يقول ابو عبد الله محمد بن جابر شاعر مكناسة في ارجوزته نزهة الناظر:

فلن ترى في سائر العمائر مثل محاسن أبو عمائر

ابن سعيد: الجغرافيا، ص 141؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص 2 – 3؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 86؛ شبانة: مدينة مكناة المغربي، العدد 3، ص 161 – 162؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 43.

(4) الشاهري: المرجع السابق، ص 81؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 86.

(5) الشاهري: نفسه، ص 82؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 65.

(6) عبد الحميد: نفسه، جـ 5، ص 104.

وقد زاد أعداد الطواحين التي تدوربالدواب في مدينة سلا، فقد بلغت نحو العشرين طاحونة(1)، وكانت غالية الثمن(2)، وبليونش كثيرة الأرحاء(3)، والأربس لزيادة انتاجها من القمح والشعير(4)، كان بها مياة تنساب وتحرك عدداً من المطاحن(5)، ومدينة مجانة التي اشتهرت بحجر الطواحن الصلد الذي كان يقتطع من الجبال المجاورة، لذا كان يصدر إلى القيروان وسائر بلاد المغرب، لذا سميت هذه المدينة بـ"مجانة المطاحن"(6).

ومدينة تلمسان مدينة كثيرة الأرحاء الدائرة(7)، وكذلك مدينة أغمات عليها أرحاء يطحنون بها حنطتهم(8). ومما يدل على أهمية الأرحاء أن السقطي شاهد بنفسه الأطفال الصغار وهم يشتغلون في الأرحى(9).

(1) الدكالي: الإتحاف الوجيز، ص 83.
(2) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 156.
(3) البكري: المغرب، ص 106؛ السبتي: اختصار الأخبار، ص 52.
(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 1، ص 292؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 125؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الأسلامية، ص 159.
(5) كربخال: أفريقيا، جـ 3، ص 95.
(6) البكري: المصدر السابق، ص 49؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 1، ص 293؛ مجهول: الاستبصار، ص 161؛ مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 125 – 126.
(7) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 203؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ 5، ص 150؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 75؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 92.
(8) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 1، ص 231؛ مجهول: الاستبصار، ص 207؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص 131؛ مقديش: المصدر السابق، جـــ 1، ص 59؛ انظر أيضاً السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 101؛ حركات: المرجع السابق، ص 92؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 81.
(9) السقطي: الحسبة، ص 38؛ أنظر أيضاً بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 173.

كما كثرت النوزال الفقهية المتعلقة بأرحية طحن الحبوب واختلاف أربابها في استغلال مياة الأنهار والسواقي ورفع السدود عن الأرحية القديمة المتلاشية(1)، ففي حال قيام شخص بإنشاء طاحونة في أرض مملوكة للغير وفق عقد بينهما، فإنه يصبح لكل منهما الحق في استخدام الطاحونة، ويضيف بأنه إذا سمح بإقامة طاحونة على ارض شخص آخر فقد يشترط في العقد أنه بعد استخدام الطاحونة لسنوات معينة تؤول ملكيتها بعد ذلك لمالك الأرض(2).

وبجانب الأرحاء الخاصة وجدت أرحاء عامة يمتلكها طحانون محترفون يطحنون الغلال للناس نظير أجر معين(3)، وكما أشارت كتب الحسبة الأندلسية فإنهم كانوا يلجأون إلى بعض أنواع الغش مثل سقي القمح بالماء والاستئثار بما يعادله وزنه قمحاً، كما كان يحدث في مدينة مالقة، ويتعجب السقطي من أرحاء مدينة مالقة(4)، التي يوجد بها غار فيه تراب أبيض يحتفر ويخلط مع الدقيق(5)، وهذا لكثرة أرحائها(6).

---

(1) حجي: النوازل الفقهية، ص 134.
(2) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 284.
(3) نفسه، ص 248
(4) السقطي: المصدر السابق، ص 37؛ أنظر أبو مصطفى: نفسه، ص 248 – 249.
(5) المصدر السابق، ص 37.
(6) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 91؛ ابن غازي: المصدر السابق، ص 78.

كما يتضح لنا من كتب الحسبة أنه كان يوجد صبيان لدى الطحانين يساعدونهم في العمل نظير أجر معين، وكانوا يعلمونهم أيضاً أساليب الغش والخداع في تلك الحرفة(1)، ويوجد ما يسمى بالميار(2)، وهو الشخص الذي يشتري القمح ثم يقوم بطحنه لدى الطحانين وبيعه بعد ذلك دقيقاً في أماكن مخصصة لذلك(3).

وأحياناً كان بائعي الدقيق يلجأون إلى الخداع والغش ويخلطون الطيب مع اللطيف وهو غير الجيد، يسوده من الأول ويبيعون الجميع بثمن الطيب الذي يقدره المحتسب(4)، ويعتنون عناية فائقة ببناء الرحى، فيستخدمون البلوط والحديد والقرميد ويكسون الحيطان بالجص(5).

5- صناعة الزيوت والصابون:

تعتبر صناعة الزيوت النباتية صناعة قديمة، وقد ساعد على ازدهارها توافر المواد الخام اللازمة لها من ناحية ومن ناحية أخرى لمواجهة النقص في الدهون الحيوانية، ومنها زيت الزيتون(6).

---

(1) السقطي: نفسه، ص 39 – 40؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 249.

(2) أحياناً يقصد بالميار الشخص الذي يقوم بنقل السلع والبضائع من مكان لآخر؛ السقطي: نفسه، ص 39؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 249.

(3) السقطي: نفسه، ص 39؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 249.

(4) السقطي: آداب الحسبة، ص 35 – 36؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 249.

(5) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 238.

(6) حسنين: جغرافية العالم، ص 148 – 149.

تعد صناعة الزيوت من أهم الصناعات الغذائية التي اعتنى بها المرابطون والموحدون، فاستخرجوا الزيت من ثمر الفرتي، وذلك بعصر قشره واستعملوهفي طهي الطعام وإنارة السرج ليلاً، وكانوا يمزجونه بالرمل ويطلون به أسطح المنزل، فيجفف من شدة الحر ويمنع من تسرب الماء(1)، كما كانت النساء تستخدمه في العصر المرابطي لدهن شعورهن بزيت أرغان ليطول ويتكسر ويعطيه لوناً أسوداً(2).

كما استخدموا زيت القناديل للإضاءة(3). وعن طريقة استخراج الزيت، فقد كان يستخرج على وجه العموم بواسطة معصرة ذات لوالب من النوع القديم، وذلك بعد سحق حبات الزيتون في طاحونة تحركها الحيوانات مثل الطواحين، التي كان الرومان يستعملونها قديماً، ويطلق على كلتا الآلتين اسم معصرة، فالزيت الذي يستخرج بهذه الطريقة يسمى "المعصري" وما يبقى بعد العصر يسمى "فيتور" وهو ما يزال يحتوي على شئ من الزيت ولكنها أحسن في الجودة، وتسمى ضرب الماء وتتمثل في غسل حبات الزيتون بالماء الحار وتحويلها إلى عجينة، ثم وضعهاعلى التوالي في اوقات مختلفة فيطفو الزيت على السطح، ويمكن جمعه بسهولة.

---

(1) الصلابي: المرابطين، ص 13؛ نصر الله: المرابطين، ص 16؛ الأدارسة، ص 140.
(2) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 53.
(3) نفسه، ص 61.

كان أهل مدينة تونس يستخدمون طريقة "المعصري" (1)، ومن هنا يتضح أنه كانت توجد ثلاثة أنواع متميزة من زيت الزيتون تبعاً لطرق استخراجها، وهي زيت الماء وهو أفضل الأنواع، ثم زيت المعصرة وأخيراً زيت المطبوخ(2).

ويذكر أنه لا يوجد فرق بين زيت الماء وزيت المعاصر، لأنهما من صنف واحد، أي من الزيتون، غير أنهما يختلعان من أصناف أخرى من زيت الزيتون المخلوط بزيت الكتان أو الجلجلان (السمسم) أو الجوز سواء في النوع أو الاستخدام(3).

كان الزيتون غير كامل النضج يطحن ويسلق بإضافة ماء إليه، وذلك للحصول على الزيت المعروف بزيت الماء، وأحياناً يطحن الزيتون في طاحونة الزيت، ثم يؤخذ المعجون الصافي في قفف من الحلفاء مثقوفة، في الوسط، وهذه القفف توضع في المعصرة ثم تعصر وينسكب الزيت بغزارة في مجرى قناة معدة لذلك، ثم يوضع بعد ذلك في جرات، ويسمى هذا الزيت بزيت المعصرة، ثم سضاف إليه الماء ثم تمرر فضلات هذا الزيت في المعصرة مرة ثانية ليحصل على الزيت المعروف بالزيت المطبوخ(4).

---

(1) برنشفيك: أفريقية، جـ 2، ص 221؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 241.
(2) ابن عبد الرؤوف: الحسبة، ص 105؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 241.
(3) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص 105؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 241.
(4) أبو مصطفى: نفسه، ص 241، هامش (3).

كان المسلمون في الأندلس يمتلكون العديد من المعاصر المعدة للزيوت والتي تدار بقوة بناء الماء أو بالدواب، كما تمكنوا من تطوير الأسلوب الفني الخاص باستخلاص الزيت من الزيتون بالأندلس، والذي امتاز بجودته، كما أنه من السلع الأندلسية الهامة التي يكثر عليها الطلب في بلاد المشرق والمغرب(1).

وعن طريقة تحضيره كما جاء عن معاصر الزيتون في مدينة مكناسة أنها تتم عن طريق تكسير الزيتون في رحى تدار بالحيوانات، ثم يتم عجن ذلك المسحوق ويعصر ثم ينقى في أواني تحتوي على مياة ساخنة، وهي نفس الطريقة التي يتم إلى حد ما استخراج الزيوت من الثمار الأخرى(2) كزيت الأرجان الهرجان(3).

---

(1) نفسه، ص 240.

(2) الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 115 – 116.

(3) زيت الهرجان أو الأرجان: يسميه البرابرة بالمغرب الأقصى (أرجان أو أرقان) وهي شجرة عظيمة مشوكة لها ثمر مثل ثمر صغار اللوز فيه نوى وتأكله الماعز والإبل، فتلقى نواه فيجمع حينئذ ويعصر منه زيت شريف طيب اللون والرائحة والطعم، وهذه شجرة تشبه الكمثرى، إلا أنه لا يعلو شجرة الكمثرى، وأغصانه ثابتة من أصله لا ساق بشجرته لها شوك، ثمرته تشبه الأجاص المعروف بـ"العبقر" فيجمع ويترك حتى يزيل ثم يوضع في مقلاة فخار على النار، فيستخرج دهنه وطعمه يشبه طعم القمح المقلو، ويتميز بأنه يسخن الكلى ويدر البول؛ البكري: المغرب، ص 162؛ مجهول: الاستبصار، ص 212؛ ابن خلدون: العبر، جـ 6، ص 264؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 100؛ نصر الله: الأدارسة، ص 140؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 167، 181.

يصفه الزهري بأنه شجر لا صغير ولا كبير يلد حباً على قدر المشمش في صفته ولونه، وهو في ثماره كأنه النجوم في ظلام الليل غير أنه لا لحم له ولا طيب، إنما هي جلود رقاق على أنوية غلاظ، فإذا طابت سقطت في الأرض، فيجمع وتأكلها البهائم على قدر أنوية المشمش، ويكسر ذلك اللوز في المقلى على النار ويطحن ويقطر منه زيت صافي رقيق الأجزاء ويأكلونه ويسرجون منه ، ويجلب إلى أغمات ومراكش؛ الجغرافية، ص 118.

وأما عن تصفية الزيت فالزيتون يسترخى حتى يصير في منزلة الصابون عند عمله، فيؤخذ من ورق الزيتون أو التين الغليظ ويخلط معه عند الطحن بعد ان توقد النار عند المدرس ليعود وينخل الزيت، وحينئذ يعتصر، فإذا أخذ الزيت جعل في إناء ويظل أياماً، ثم ينقل من ذلك الإناء إلى آخر، ويجعل فيه ورق الزيتون الغض المدقوق على قدر ما يرى من ورق الأترنج والرند، ويترك فإنه يطيب رائحته ويحسن لونه، فإن جمع الزيتون بحاله قبل نضجه واعتدال مراده، فيجب أن يجعل بعضه على بعض لا يبسط ويترك كذلك ثمانية أيام أو عشرة فإنه يأخذ في النضج ويترك زيته(1).

اشتهرت الأندلس بكثرة زيتونها وما يقوم عليه من صناعات واستخراج صناعة زيت الزيتون الطبيعية(2)، كما كان الزيتون والكتان أهم مصادر استخراج الزيوت في الأندلس،

---

(1) الإشبيلي: الفلاحة، تحقيق: خوليا كاراباز، مدريد، 1991 م، ص 174.
(2) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 217؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 265.

واشتهرت العديد من المناطق باستخراج الزيوت خاصة زيت منطقة الشرف(1) في مدينة إشبيلية، وهذا ما ذكره الحميري بقوله "..أطيب الزيوت، كثيرة الرفع عند العصر لا يتغير طوال الدهر، من هناك يتجهز به إلى الآفاق براً وبحراً"(2).

تعتبر جل تجارة أهل إشبيلية من الزيت، وينجهز بها إلى اقصى المشارق والمغارب براً وبحراً، كما يخزن زيتونها تحت الأرض أكثر من ثلاثين عاماً ثم يعصر فيخرج منه أكثر وهو طري(3)، ويضيف العذري أن زيتون شرف إشبيلية يمتاز بغزارة انتاجه من الزيت عند اعتصاره، وذلك بقوله "... ويبقى زيتها برقته وعذوبته أعواماً لا يتغير طعمه ولا يؤثر فيه مكث"(4).

---

(1) الشرف: وهو تل عالي من تراب أحمر، اشتهر بصناعة عصر الزيوت، وهذا التل يمتد لمسافة نحو 60 كم تقريباً، يمشي فيه السائر في ظل الزيتون والتين أوله بإشبيلية وآخرة بمدينة لبلة، وكله شجر الزيتون، وسعته حوالي 18 كم تقريباً أو أكثر، وفيه فيما يذكر نحو ثمانية آلاف قرية عامرة، وأهل الشرف سمي بذلك لأنه مشرف من ناحية إشبيلية ممتد من الجنوب إلى الشمال وشجر الزيتون مفروشة به من هذا المكان إلى قنطرة أوله لبلة وإشبيلية على النهر الكبير وهو نهر قرطبة؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 541؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 139، هامش (2)؛ الحميري: الروض المعطار، ص 101؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 138، 172؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 61؛ أنظر ايضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 166؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 84؛ سالم: المرجع السابق، ص 109.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 541؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجـ 7، ص 119؛ الزهري: الجغرافية، ص 89؛ الحميري: المصدر السابق، ص 21، 101؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 138، 172؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 134، 240؛ حركات: المرجع السابق، ص 84؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيون، ص 385.

(3) ابن عذري: ترصيع الأخبار، ص 95؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 541؛ الزهري: الجغرافية، ص 89؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص 47؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 292؛ الحميري: الروض المعطار، ص 19؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 138، 172؛ أنظر ايضاً سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 109؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 239؛ بروفنسال: حضارة العرب، ص 38؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 274 - - 275، 316؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 197؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 84.

(4) ترصيع الأخبار، ص 95؛ ابن غالب: المصدر السابق، ص 292؛ الزهري: المصدر السابق، ص 89؛ أنظر أيضاً نفسه، ص 240.

ومن الشرف يصدر الزيت بواسطة السفن إلى بلاد الأندلس والمغرب وأفريقية ومصر، ويصل حتى مدينة الإسكندرية ويعد من أطيب أنواع الزيوت وأذكاها(1)، وكان أهل إشبيلية يقصدون مدينة سلا بالزيت الكثير، وهو بضاعتهم ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس(2)، ومن المدن الأندلسية التي اشتهرت بصناعة الزيت مدينة غرناطة التي قامتعلى تصديره(3)، ومدينة سالم التي قامت على عصره من الزيتون(4)، وكذلك بلنسية(5) ولبلة(6) وشريش ودانية(7) وقرمونة(8) وقبرة(9) ولوشة(10) وبسطة(11)

---

(1) الزهري: المصدر السابق، ص 89؛ أنظر أيضا سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 127؛ كونستبل: المرجع السابق، ص 82، 275؛ بالباس: المدن الأسبانية، ص 121.

(2) مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 65؛ أنظر أيضـاً بن تاويت: الوافي بالأدب العربي، جـــ 1، ص 281؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 63؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 84؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 279، 285.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 109؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 239؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 166؛ حركات: المرجع الســابق، ص 84؛ بوتشـيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 80؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 72؛ كونستبل: نفسه، ص 314.

(4) عبد الجيد: مدينة سالم، ص 160.

(5) ابن غالب: نفسه، ص 285؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 239.

(6) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 145؛ ابن غالب: نفسه، ص 292؛ الحميري: المصدر السابق، ص 169؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 134، 240.

(7) الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 1، ص 573؛ الحميري: نفسه، ص 102؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 240.

(8) أبو مصطفى: نفسه، ص 240.

(9) ابن غالب: نفسه، ص 282؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 240.

(10) ابن غالب: نفسه، ص 282؛ الحميري: نفسه، ص 149؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 131، 240.

(11) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 126؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 94.

وفتياتة(1)، ومدينة قرطبة لكثرة محاصيلها من انتاج الزيتون التي تقوم عليها صناعة استخراج الزيت(2).

عرفت قرية شوذر من أعمال مدينة جيان بغزارة زيوتها(3)، ومن فحص البلوط جبل يسمى البرانس، وبه يعصر الزيوت(4)، وكذلك وادي آش(5)،ومن مناطق الزيوت ضواحي مالقة(6) وبلشانة(7) والمرية تصدر زيوتها إلى المشرق الإسلامي(8)، خاصة طبرتش التي تقع في شرقها، وبها يعصر الزيت(9)، وتنتج المرية والأندلس مقادير كبيرة من الزيت وتفيض عن حاجتها مما شجع على تصدير هذا الفائض(10)، وبوادي بجانة بالمرية كثير من الزيوت(11)، وقمارش إحدى حصون مملكة غرناطة، كانت تعصر بها الزيوت(12).

---

(1) سامية مسعد: المرجع السابق، ص 72.

(2) ابن الطباع: القطوف اليانعة، ص 249؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 29؛ سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 292؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 296.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص 117؛ ابن الطباع: القطوف اليانعة، ص 249؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 134، 240.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص 142.

(5) الحميري: نفسه، ص 192؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 72.

(6) ومنها مدينة قمارش كثيرة الزياتين؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 79 ؛أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 135.

(7) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 84.

(8) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 102؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 72؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 353 – 354؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 166، 171.

(9) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 103؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 84؛ سالم: المرجع السابق، ص 127، 132.

(10) حركات: المرجع السابق، ص 84.

(11) الحميري: نفسه، ص 39؛ أنظر أيضاً سالم: نفسه، ص 126؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 135.

(12) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين، ص 79؛ لسان الدين: معيار الاختيار، ص 94؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 72؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 135.

وبما أن الزيتون يعد من أهم حاصلات بلاد المغرب ومن عوامل ثرائها وتقدمها، فقد حرص أهل البلاد وحكامها على غرس هذه الشجرة والعناية بها في جميع أنحاء البلاد(1).

كما اشتهرت المدن المغربية بعصر الزيوت لغناها بالزيتون(2)، ولما له من أهمية كبيرة كانت أهم أنواع الزيوت واكثرها انتشاراً زيت الزيتون، ومن أهم المدن المغربية التي اشتهرت بعصر الزيوت مدينة برقة(3)، وقابس التي يتجهز منها به إلى سائر النواحي، ومن أشهر المدن التي يعتصر فيها الزيت(4)، مدينة زويلة التي تعد من أهم المناطق لانتاج الزيت، وبها زيت كثير يعتصر ويعم بلاد أفريقية، ويجهز به إلى سائر بلاد المشرق(5)، كما كانت مدينة المهدية تصدر الزيت إلى بلاد المشرق، ويفيض انتاجه عن حاجة السكان فيصدر إلى بقية البلدان(6)،

---

(1) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 80؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 160.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 175؛ أنظر أيضاً منصور: قبائل المغرب، جـ 1، ص 14؛ ابن العربي: المغرب، ص 12؛ أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والقتصادية، ص 68.

(3) مقديش: نزهة النظار، جـــ 1، ص 131؛ ومن برقة تتجهز المراكب والمسافرون الواصلون إلى الإسكندرية وأرض مصر بالزيت، وتخرج منها التربة المنسوبة إليها، فينتفع بها الناس ويتعالجون بها مع الزيت للجرب والحكة وداء الحية، وهي تربة غيراء؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 311؛ أنظر أيضاً العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 62؛ عفيفي: نفسه، 160.

(4) الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 1، ص 279 – 280؛ مقديش: المصدر السابق، جـــ 1، ص 107؛ أنظر أيضاً العبادي وسالم: المرجع السابق، جـ 2، ص 62؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 233.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 1، ص 283؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 114؛ أنظر أيضاً الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 57.

(6) مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 114؛ أنظر أيضاً العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 62؛ عفيفي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 180.

لذا كانت السفن المغربية تتجه إلى مصر بزيت الزيتون(1)، ومدينة صفاقس بأفريقية تميزت عن غيرها من المدن بأن لها شهرة بانتاج هذا النوع من الزيت، الذي امتاز بطيبه وأنه من أرخص الزيوت ثمناً، حتى أنه كان يباع مائة قفيز بدينار حسب كمية الانتاج التي تختلف من سنة إلى أخرى ومن فائض انتاجها كان يصدر الزيت إلى مصر وغيرها من البلدان(2).

بالقرب من مدينة القيروان قرية تسمى رصفة بها ثلاثمائة وستون معصرة للزيت(3)، وذلك لغنى القيروان بزيوتها(4)، وكذلك تماجر القريبة من القيروان التي اشتهرت بصناعة الزيوت(5)، ومدينة تونس التي تميزت بكثرة زيوتها(6)، ومدينة المسيلة(7) التي تميزت بأطيب الزيوت(8).

---

(1) عفيفي: المرجع السابق، ص 208.

(2) البكري: المغرب، ص 20؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 1، ص 281؛ مجهول: الاستبصار، ص 116 – 117؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـــ 2، ص 717؛ العمري: مسالك الأبصار، ص 143، هامش (1)؛ مقديش: نفسه، جـــ 1، ص 108 – 110؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 83، 172؛ بشير: اليهود في المغرب العربي، ص 40، 101؛ الهادي إدريس: الدولة المصدر السابق، جـ 2، ص 61؛ العبادي وسالم: المرجع السابق، جـ 2، ص 62؛ عفيفي: نفسه، ص 181.

(3) عفيفي: نفسه، ص 181.

(4) البكري: المصدر السابق، ص 26؛ مقديش: نفسه، جـ 1، ص 116.

(5) البكري: نفسه، ص 29؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 83.

(6) الوزان: وصـــف أفريقيا، ص 450؛ الحشـــايش: العادات والتقاليد، ص 145 – 146؛ أنظر أيضـــاً كاربخال: أفريقيا، جـ 3، ص 23؛ منصور: المغرب، جـ 1، ص 39، 41.

(7) المســـيلة: هي مدينة بناها العبيديون على نهر ســـير مراحل الأنهار ويمر بغربها ويغوص في رمال الصحراء؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 60.

(8) البكري: نفسه، ص 144؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 181.

ومدينة مراكش التي كثر بها شجر الزيتون، وبها الكثير من الزيت يعتصر ما يستغني به عن غيرها من البلاد، وبها نوع كان يستخدم قبل ذلك، وهو زيت الهرجان الذي يكثر بها، والذي لم يستخدم في الطعام والتطييب والتجميل فقط، بل من كثرته استخدم في تسريح القناديل، وزيتون مراكش أكثر من زيتون مدينة مكناسة، وزيتها أرخص وربما أطيب وذلك بفضل انجازات الموحدين(1).

كما احتلت مدينة مكناسة مكانة الصدارة في صناعة زيت الزيتون، فاشتهرت به وعرفت باسم "مكناسة الزيتون"، لجودة زيتها فضلاً عن كثرة انتاجه(2)، فكانت تفي حاجات سكانها وتصدر ما تبقى من زيت وسمن إلى مدينة فاس وغيرها من المدن(3)

---

(1) مجهول: المصدر السابق، ص 208، 210؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 108؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 163؛ الوزان: المصدر السابق، ص 107؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 710؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 181؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 90، 99 – 101؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 84؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 86.

(2) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 75؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 141؛ مجهول: الاستبصار، ص 188؛ الزهري: الجغرافية، ص 115؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص 6 – 7، 70؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص 220؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 84؛ ابن العربي: المغرب، ص 183؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 3، ص 86، 100؛ بدر: تاريخ الزراعة في المغرب، ص 235؛ بركات (محمد): الغلاء والمجاعات في بلاد المغرب الإسلامي، مجلة المؤرخ المصري، عدد 11، ص 320؛ كاربخال: أفريقيا، جـ 2، ص 140.

(3) الجزنائي: زهرة الآس، ص 127؛ أنظر أيضاً الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 117.

، ويعد زيت مكناسة أكثر زيت في جميع المغرب وبعده زيت النظر الكبير المسمى بين بسيل ومغيلة وجهاتها، حيث مغيلة التي أصبحت ثالث مراكز انتاج الزيت بالمنطقة(1)، وبني عطوش بمكناسة غلات الزيتون، وأيضاً بني برنوس التي امتازت بزيوتها الغزيرة(2).

كما اشتهرت بلاد السوس، وخاصة مدينة ايجلي بصناعة زيت الهرجان كمادة غذائية والذي من فوائده تسخين الكلى وإدرار البول(3)، ومدينة إغمات التي كثر بها انتاج الزيوت(4)، كما اشتهرت مدينة سبتة بانتاج ثلاثة أنواعمن الزيوت(5)، وكذلك وليلي(6)

---

(1) مجهول: المصدر السابق، ص 188؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 87 – 88.

(2) مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 72.

(3) مجهول: المصدر السابق، ص 212؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 83؛ عبد الحميد: نفسه، جـ 5، ص 515؛ الشاهري: المرجع السابق، ص 86؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 167، 181؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 105.

(4) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 108؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 164؛ أنظر أيضاً الشاهري: نفسه، ص 86.

(5) السبتي: اختصار الأخبار، ص 54؛ أنظر أيضاً الشاهري: نفسه، ص 86؛ الشريف: مدينة سبتة، ص 48.

(6) وليلي: مدينة أثرية يرجع تاريخها إلى العصر الروماني، تقع في غرب جبل زرهون على بعد 30 كم تقريباً من زاوية المولى إدريس الأكبر، وهي مدينة مستطيلة الشكل تتدرج عمائرها في سفح هضبة يبلغ ارتفاعها 400 متر تقريباً فوق سطح البحر، أصبحت بعد الفتح الروماني للمغرب مقراً للولاة الرومانيين، وصلت إلى قمة مجدها في القرن الثاني والثالث الهرجريين، ثم تدهورت حينما انتشر الإسلام بالمغرب عندما نزلها المولى إدريس بن عبد الله على قبيلة أوربة حين دخل المغرب؛ البكري: المغرب، ص 115، 118؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 1، ص 73، 81، 140؛ انظر أيضاً مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص 24؛ بروفنسال: نخب تاريخية لأخبار المغرب الأقصى، ص 17؛ ابن العربي: المرجع السابق، ص 248.

قاعدة جبل زرهون التي جادت زيوتها(1)، وجبل زلاع(2)، ومدينة فاس التي قامت بعصر الزيوت لقربها من غابات الزيتون شمالي المدينة، فراجت في بلاد المغرب هذه الصناعة، فزادت العمالة الموسمية بعد جمع الزيتون لعصره(3).

كثرت الزيوت في بلاد الجريد مثل مدينة حامة مطماطة(4)، التي اشتهرت بغناها بانتاج الزيوت(5)، كذلك غابة قفصة(6)، وبلاد قسطيلية الحامة وحامة بني بهلول، وتعراوة وطرة(7).

---

(1) الوزان: المصدر السابق، ص 294؛ أنظر أيضاً نشاط: إطلالات على تاريخ المغرب في العصر المريني، ص 74.

(2) الوزان: نفسه، ص 294.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 239؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 297؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 146؛ أنظر أيضاً الحريري: المغرب الإسلامي، ص 285؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 160؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 84؛ لوترنو: فاس في عصر بني مرين، ص 40، 53، 128.

(4) مدينة حامة مطاطة: من مدن بلاد الجريد، وهي مدينة قديمة مسورة، وعليها هزم الخليفة أبو يوسف شقي ميورقة واستأصل شوكته، وسكانها قوم من البربر يعرفون بمطماطة، وهي كثيرة التمر والزيتون والفواكه، وفي المدينة عين كبيرة شديدة الحرارة، إذا استقى منها الماء برد لحينه ومنها يشربون ويسقون غاباتهم وغلاتهم؛ مجهول: الاستبصار، ص 150.

(5) مجهول: المصدر السابق، ص 150.

(6) مجهول: نفسه، ص 153؛ الحشايش: العادات والتقاليد، ص 319؛ كربخال: أفريقيا، جـ 3، ص 172.

(7) مجهول: نفسه، ص 157.

كما كانت أكثر المناطق انتاجاً للزيوت جزيرة جربة(1)، وبلاد ركراكة (بسحرار)، كان المفضل زيته على ما يعصر من الزيتون ورائحته عطرة(2)، وباجة بأفريقية التي عرفت بباجة الزيت(3)، وبما أن الزيتون يعد من اهم حاصلات بلاد المغرب، فانتشرت زراعته على نحو 18 كم تقريباً من قصور مسراته(4) الغنية بزيت الزيتون(5)،

كما اشتهرت طرابلس بعصر الزيوت(6)، كما اشتهر جبل نفوسة باستخلاص زيت الزيتون(7)، التي قامت دول المغرب على تصديره إلى بلاد المشرق(8).

بالإضافة إلى زيت الزيتون وزيت الهرجان وزيت السمسم الذي كثرت زراعته ببلاد المغرب وعرف باسم (السيرج) أو (الجلجان)، فلم يكن عليه إقبال شديد لاستغنائهم عنه بزيت الزيتون، إنما أكلهم عوضه الزيت وحتى مزورات الضعفاء وهم يعملون الحلوى والعسل، ولكنه يستعمل في الأمور الطبية(9)،

---

(1) البكري: المغرب، ص 19؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 79؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 145؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 142؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 71؛ كربخال: المرجع السابق، جـ 3، ص 103.

(2) ابن سعيد: الجغرافيا، ص 125؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 59؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص 153؛ أنظر أيضاً حركات: نفسه، ص 82.

(3) البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 148.

(4) مســراته: تقع على شــاطئ البحر، وتبعد عن طرابلس شــرقاً بحوالي 18 كم تقريباً، وهو غني بالزيوت والنخيل؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 80؛ أنظر أيضاً كربخال: نفسه، جـ 3، ص 129.

(5) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 80؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 160.

(6) ابن سعيد: نفسه، ص 79؛ مقديش: نزهة الأنظار، جــــ 1، ص 129؛ أنظر أيضاً السيد: دول المغرب، ص 81.

(7) عفيفي: نفسه، ص 160؛ الويش: جبل نفوسة، 191 – 192.

(8) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 289.

(9) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 194؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جــ 5، ص 175؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 181؛ المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 557؛ الشاهري: الاوضاع الاقتصادية، ص 89، 116؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 241.

كما يوجد نوعمن الزيت يتكون من خليط معمول من ثمرات حب البطم (هو الحبة الخضراء والجوز المقشر واللوز المقشر والسمسم)، يستعمل أحياناً عوضاً عن زيت الزيتون بعد تصفيته(1)، وزيت الكتان، فالغالب أن كورة غرناطة وبلنسية وميورقة كانت أهم مناطق انتاجه في الأندلس خاصة وأنه كان يزرع هناك بكثرة(2).

كما تميزت الأندلس بوجود شجر "المحلب" الذي يشبه ثمرة حبة التوت، ويعد نواة عطراً ذكياً وأصله من الهند وأذربيجان، وكانت معاصر زيت الزيتون بالأندلس تستخلص بعض الزيوت العطرية أيضاً لفائدة الصيادلة والعطارين كزيت القار وزيت الورد(3).

بالإضافة إلى استخدام الزيت كمادة غذائية هامة فضلاً عن فوائده التي تُغني في اعتقادهم عن مراجعة الأطباء، فقد قال "كل زيت ولا تعشى لطبيب"، كما استخدم في الإنارة مثل استخدامه في ثريا جامع القرويين بفاس، الذي كان يحتاج في كل يوم خمس قلل (القلة تقدر في بغداد بمائتين وخمسين رطلاً من الزيت)(4)، ولقرب جامع القرويين كان يستقبل زيوت غيرها من المدن المغربية الأخرى، مثل مدينتي مراكش ومكناسة(5).

---

(1) التجيبي: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق: محمد بن شقرون، إعداد: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984 م، ص 271؛ أنظر أيضاً الشاهري: المرجع السابق، ص 116.

(2) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 285؛ الحميري: الروض المعطار، ص 24، 112؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 240 – 241.

(3) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 85.

(4) الشاهري: نفسه، ص 115 – 116.

(5) الزهري: الجغرافية، ص 115؛ أنظر أيضاً الشاهري: نفسه، ص 117.

كما كان نساء الموحدين يدهن رؤوسهن بزيت الهرجان فتحسن شعورهن مع استخدام المشط بذلك تطول وتنكسر ويمسك الشعر على لونه الأسود(1)، وذلك لغنى المصامدة بهذا الزيت(2)، وهذا يدل على مدى النهضة الصناعية التي تجلت في العصر الموحدي، خاصة في صناعة الزيوت(3).

كما عرف الأندلسيون طرق تخزين الزيت في أوان نظيفة توضع في مواضع ذات برودة ويبوسة، ويجعل معه قليل من الملح أو البورق، بالإضافة إلى ورق زيتون غصن مدقوق وورق أترج ورند ويحرك حتى يختلط ذلك به، ويوضع في الظل، فهذا يحفظه من التغير ويطيب رائحته(4)، كما اهتم ولاة الحسبة في الأندلس وحذروا الزياتين من أعمال الغش والتدليس، فيقول السقطي "... ويمنع معاصر الزيتون أن يعصر فيها زريعة الكتان لئلا تعلق رائحته بالزيت"(5).

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 231؛ أنظر ايضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 5، ص 106.
(2) الزهري: المصدر السابق، ص 116.
(3) موسى: الموحدون في الغرب، ص 52.
(4) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 242.
(5) الحسبة، ص 84؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 242.

كما يضيف ابن عبد الرؤوف قائلاً "ويمنعون (أي الزياتين) ألا يخلطوا الزيت الردئ بالطيب"(1)، وفي معظم بلدان المغرب كثر بيع أو اكتراء معاصر الزيتون، وقد أشار إلى رجل باع معصرة زيتون واشترط في العقد أن يعصر فيها زيتونة سنوات معينة(2).

وعن صناعة الصابون التي ازدهرت خلال عصري المرابطين والموحدين، رغم أن القبالات قد فرضت على كثير من الصناع في العصر المرابطي، ولكن لما صار الأمر للموحدين قطعوا القبالات(3).

يعتبر الزيت المادة الأولية في صناعة الصابون(4)، ومن أهم المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة مدينة سلا، فكان بها العديد من دور صناعة الصابون(5)، وكذلك مدينة مراكش(6) ومدينة فاس(7)، فكان بها أواخر العصر الموحدي خاصة عصر الخليفة 'المنصور' (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) وولده الخليفة 'الناصر' (595 – 611 هـ / 1199 – 1214 م) سبع وأربعون داراً معدة لعمل الصابون(8)

---

(1) الحسبة، ص 105؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 242.

(2) أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب، ص 68.

(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 207؛ الهرفي: المرابطين، ص 291؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 4، ص 421.

(4) كونستبل: التجارة والتجار، ص 318.

(5) الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 83؛ عبد المنعم: مدينة سلا، ص 63.

(6) حسن محمود: المرابطين، ص 355.

(7) الهرفي: المرجع السابق، ص 293؛ حسن محمود: المرجع السابق، ص 355؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 334.

(8) الجزنائي: زهرة الآس، ص 80؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 523؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 105؛ الحريري: المغرب الإسلامي في العصر المريني، ص 284؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 117؛ علام: الدولة الموحدية، ص 256.

ويعد هذا دليلاً على اهتمام خلفاء الموحدين وتشجيعهم لصناعة الصابون(1)، كما اشتهرت مدينة مكناسة بكثرة معامل الصابون(2)، وتجلت هذه الصناعة في مدينة تونس، وأحسنها صابون مدينة سوسة(3).

6- صناعة السكر:

تعد صناعة قصب السكر(4) من النباتات المشرقية التي أدخلها المسلمون إلى الأندلس، ويرى بعض الباحثين الجدد أنه سابق على مجئ المسلمون الذين توسعوا في زراعته، وأنه موجود منذ عصر الرومان مزارع في جنوب إسبانيا(5)، وقد ازدهرت زراعته في سواحل الأندلس في العصر الاسلامي(6)، ويحتاج إلى تربة رطبة على ضفاف الأنهار(7).

---

(1) علام: المرجع السابق، ص 255.
(2) نصر الله: الأدارسة، ص 140.
(3) برنشفيك: أفريقية، جـ 2، ص 243؛ الحشايش: العادات والتقاليد، ص 145.
(4) وعن استخلاص العصارة من القصب فقد كان يقطع إلى أجزاء صغيرة ثم يعصر، وهذه العصارة تغلي حتى تتبخر ثلاثة أرباعها ويبقى الربع، ومن هذا السائل السميك المتبقي المسمى الخثاوة يستخلص السكر؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 124، هامش (4).
(5) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 124.
(6) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 167؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 82؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 488.
(7) أبو مصطفى: نفسه، ص 124.

من أشهر مدن الأندلس التي قامت بصناعة السكر غرناطة(1) التي تميزت بزراعة القصب في غير وقته خاصة في فحص البيرة(2) والمنكب(3)، التي تعد من أكثر مدن إقليم غرناطة انتاجاً للسكر لكثرة قصب السكر بها، واستويت فيها طولها وعرضها(4)، وفي مدينة المرية(5) وفي شلوبينية التي تلي مدينة المرية(6).

اعتمدت صناعة السكر في بلاد المغرب على ما كانت تنتجه بلاد المغرب من قصب السكر، كما نلاحظ أن صناعته انتشرت في مناطق زراعته، نجد في نفس الوقت أن بلاد المغرب الأقصى وخاصة بلاد السوس قد احتكرت صناعته(7)

---

(1) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 19؛ الحميري: الروض المعطار، ص 24؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 197؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 113 – 114؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 124.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص 24؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 98؛ موسى: المرجع السابق، ص 191؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 105؛ بالباس: المدن الإسبانية، ص 122.

(3) مدينة المنكب: مدينة بالأندلس ومرسى المنكب صيفي يكن بشرقيه، وله نهر يريق في البحر، وعليه حصن كبير لا يرام، وبه ربض وسوق وجامع وبه آثار للأول، فيه مياة مجلوبة وآبار، وبهذا المرسى خرج عبد الرحمن بن معاوية عند دخوله الأندلس في سنة 138 هـ / 755 م، والمسافة بين المنكب وغرناطة حوالي 60 كم تقريباً؛ الحميري: نفسه، ص 186.

(4) العمري: مسالك الأبصار، ص 233 – 234؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 80؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 96؛ القلقشندي: صبح الأعشى: جـ 5، ص 218؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 124؛ مؤنس: المرجع السابق، ص 488.

(5) ابن العذري: ترصيع الأخبار، ص 85.

(6) العمري: المصدر السابق، ص 233؛ القلقشندي: المصدر السابق، جـ 5، ص 218؛ الحميري: نفسه، ص 111؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 107، 113، 135؛ حركات: المرجع السابق، ص 77؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 124.

(7) مجهول: الاستبصار، ص 211؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 123؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص 127، 131 – 132؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 182؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 86، 114؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 3، ص 515؛ جـ 5، ص 93؛ الهرفي: المرابطين، ص 282؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 230؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 195.

لذا كان السكر بالسوس يجلب إلى أفريقية والمغرب والأندلس وبلاد الروم والإفرنج(1).

ومن بلاد السوس مدينة تاردودنت، وبها قصب السكر الذي ليس على قرار الأرض مثله طولاً وعرضاً وحلاوة، وكثرة ماءه، ويعمل ببلاد السوس السكر المنسوب إليها، وهذا ما ذكره صاحب الاستبصار عن تارودنت "... أكثر بلاد الله قصب السكر وفيها معاصر كثيرة، وهذا البلد أخصب بلاد المغرب وأكثرها فواكه وخيرات، ومنها يجلب السكر إلى بلاد المغرب والأندلس وإفريقية، وهو المشهور بالطبرزد"(2).

أما مدينة إيجلي قاعدة بلاد السوس الأقصى، قد امتازت بوفرة الانتاج وأسعاره المنخفضة، فسكرها يباع القنطار فيه بمثقالين وأقل، ويحمل منها إلى جميع بلاد المغرب، لذا فهي تعد إحدى مراكز انتاج السكر، وقيل أن أكثر شرب أهلها ماء السكر(3)، وفي نواحي السوس كان يجلب قصب السكر ويباع في المغرب(4)

---

(1) السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 97؛ نشاط: إطلالات على تاريخ المغرب، ص 74.

(2) مجهول: المصدر السابق، ص 211 – 212؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 227؛ الزهري: الجغرافية، ص 117؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 57؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 161، 182؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 242، 289؛ نصر الله: المرابطين، ص 14، 16؛ الصلابي: المرابطين، ص 13؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 102؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 93 – 94؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 76؛ بدر: المرجع السابق، ص 230، 234؛ الشاهري: المرجع السابق، ص 114؛ نصر الله: الأدارسة، ص 139، 141؛ الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي، ص 114.

(3) البكري: المغرب، ص 161 – 162؛ مجهول: نفسه، ص 212؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 161، 182؛ حسن: المرجع السابق، ص 242؛ عبد الحميد: نفسه، جـ 4، ص 217؛ جـ 5، ص 94؛ الشاهري: نفسه، ص 114.

(4) الهرفي: المرجع السابق، ص 285.

ومدينة تغيرا(1) قاعدة دكالة التي تعد أكثر المناطق المغربية انتاجاً لقصب السكر(2)، وكذلك مدينة قابس(3)، وجلولا الغنية بقصب السكر، ومنها كان يرد كل يوم إلى القيروان ما لا يحصى لقربها منها(4).

ازدهرت صناعته في البصرة على الساحل(5)، وكما في مدينة سبتة، التي يكثر بها قصب السكر وبنواحيها(6) ومنها نبيوش أو بليوش فيها ثلاثة أنواع منه(7).

كما امتدت صناعته إلى مراكش(8) ومدينة سلا(9) وفي جزائر بني مرغناي،

---

(1) تغيرا: يشرب اهلها لبن النوق ويأكلون قديد الجمال، وأرضها رملية صحراء، لذا حسن بها زراعة قصب السكر بسبب الأنهار الخمسة التي تنزل من الجبل اللماع، ونهرها الأوسط يعرف بنهر الجبات؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 46.

(2) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 46؛ انظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 161؛ حسن: نفسه، ص 242؛ بدر: نفسه، ص 334.

(3) البكري: المصدر السابق، ص 17؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 76؛ عفيفي: نفسه، ص 160؛ بدر: نفسه، ص 230، 234.

(4) البكري: نفسه، ص 32؛ أنظر أيضاً؛ عفيفي: نفسه، ص 160؛ بدر: نفسه، ص 229، 334.

(5) نصر الله: الأدارسة، ص 139، 141.

(6) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 528؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 206؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 158؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 97؛ السبتي: اختصار الأخبار، ص 63؛ أنظر أيضاً ابن تاويت: الوافي بالأدب العربي، جـ 1، ص 278؛ الشكعة: المغرب والأندلس، ص 123، 216؛ الشريف: سبتة الإسلامية، ص 30؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 230.

(7) السبتي: المصدر السابق، ص 55؛ انظر أيضاً الشاهري: الأوضاع الاقتصادي، ص 86؛ الشريف: المرجع السابق، ص 48؛ المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 148 – 149؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 195.

(8) الزهري: الجغرافية، ص 117؛ أنظر أيضاً الشاهري: المرجع السابق، ص 85 – 86؛ الحريري: المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 285؛ المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 149؛ الماجي: المغرب في عصر السلطان أبي عنان، ص 177؛ بدر: المرجع السابق، ص 335.

(9) موسى: المرجع السابق، ص 195؛ المنوني: المرجع السابق، ص 149؛ بدر: نفسه، ص 335؛ عبد المنعم: مدينة سلا، ص 62.

وذلك بسبب ازدهار زراعة قصب السكر في هذه المناطق الثلاثة يعصر قصب السكر ويصنع منه القتد (عسل قصب السكر إذا حمد)، ومن هذا القتد يكون السكر على أنواع، وفي مدينة مراكش وحدها أربعون معصرة لصناعة قصب السكر لوفرته بها، حتى أن حمل الحمار من هذا القصب كان يباع بدرهم، وتميز انتاجهامن السكر بأنه في غاية البياض والصلابة(1).

كما شجعت الدولة الموحدية زراعة قصب السكر وعملوا على مضاعفة انتاجه(2) خاصة بوادي نفيس من أرض مراكش، التي تقع في جنوب خط يمتد من مراكش(3) إلى مدينة الصويرة(4)، كما ازدهرت زراعته في أغمات(5)، كما قامت الدولة المرابطية على تشجيع صناعته خاصة في سجلماسة(6).

---

(1) العمري: المصدر السابق، ص 195؛ القلقشندي: المصدر السابق، جـــ 5، ص 176؛ انظر الحريري: المرجع السابق، ص 285؛ المنوني: نفسه، ص 149، 557 – 558؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 76 – 77؛ الشاهري: نفسه، ص 85 – 86؛ نشاط: إطلالات على تاريخ المغرب، ص 74؛ بدر: نفسه، ص 335.

(2) موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 52.

(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 195؛ المنوني: المرجع السابق، ص 149، 558؛ الشاهري: نفسه، ص 85 – 86؛ نشاط: إطلالات على تاريخ المغرب، ص 74؛ بدر: نفسه، ص 230.

(4) مدينة الصويرة: القديمة أطلق هذا الاسم على مدينة أثرية تقع على مصب نهر تانسيفت على بعد 38 كم جنوب أسفى وبها الكثير من معاصر قصب السكر التي اشتغل أهلها بصناعته؛ العربي: المغرب، ص 199؛ المنوني: نفسه، ص 558، هامش (67).

(5) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 242.

(6) الصلابي: المرابطين، ص 13؛ نصر الله: الأدارسة، ص 139.

7- صناعة الخمور:

رغم أن دولتي المرابطين والموحدين قامتا على أساس دعوتين دينيتين، ورغم أن الإسلام يحرم الخمور في قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [سورة المائدة: الآية 90] ، إلا أن هذا لم يمنع شربها، فكانت الخمور تباع في بلاد المغرب والأندلس في الأسواق خاصة المعاهدين والنصارى واليهود، فقد حاول المرابطون قطع هذه الصناعة في بداية أمرهم، فقد انتشر شربها بين بعض أمراء المرابطين وخاصة دولتهم وكثير من عامتهم(1)، وقد أمر 'عبد الله بن ياسين' بإحراق الدور التي تباع بها الخمور عندما نزل إلى مدينة سجلماسة عام 447 هـ / 1055 م(2).

كان شرب الخمر منتشر في المجتمع الأرستقراطي بشكل يستدعي الانتباه، ومنهم 'المعتمد بن عباد' الذي لم يتورع عن معاقرة الخمر حتى في أحرج اللحظات، حينما كان بمدينة سبتة يستنجد بالأمير 'يوسف بن تاشفين'، وهذا يدل على مدى حياة الترف التي عاشت فيها الأسر الأرستقراطية في العصر المرابطي(3).

---

(1) ابن سعيد: المغرب، جـ 2، ص 127؛ ابن عبدون: الحسبة، ص 54، 57؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 241؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 242؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 132؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 178.

(2) ابن ابي زرع: الأنيس المطرب، ص 128؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 12؛ أنظر أيضاً الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي، ص 94؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 177؛ حسن محمود: المرابطين، ص 180.

(3) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 98.

كما انتشرت صناعة الخمور في عهد الأمير 'علي بن يوسف بن تاشفين' (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م)، فكانت الخمور في عهده تباع علناً(1)، بالرغم من أن الأمير 'تاشفين بن علي' (537 – 540 هـ / 1142 – 1146 م) كان قد وضع حداً لظاهرة تعاطي الخمور في الأندلس، فقد بعث إلى جميع عماله في مدن الأندلس برسائل يأمرهم بتعقب صناعها من المسلمين وإراقتها أينما وجدت(2)، ومن ضمن هذه الرسائل رسالة إلى أهل مدينة بلنسية حول ظاهرة الخمر، وهذا دليل واضح على أن المسكرات كانت صناعتها رائجة بالبلاد المرابطية في المغرب والأندلس على السواء، بما يعني أنها كانت شديدة الوطأة بالمغرب في عهد الأمير 'علي بن يوسف'(3) هذا بالإضافة إلى ضعف المرابطين واستيلاء النساء على الأحوال، واسناد الأمور إليهن، وصارت كل إمرأة أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل شرير قاطع سبيل وصاحب خمر مأخور(4)

---

(1) ابن العماد: شذرات الذهب، جـ 4، ص 115؛ أنظر أيضاً الغناي: قيام دولة الموحدين، ص 46، 186.
(2) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 242 – 243.
(3) القبلي: مراجعات حول المجتمع في العصر الوسيط، ص 40 – 41.
(4) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 133.

وأن موقف الدولة المرابطيةيدعو إلى التساؤل عن درجة اعتراف الدولة بصناعة الخمر، وليس هناك ما يشير إلى إجابة قطعية عن مثل هذا السؤال، غير أن كثرة النوازل عن بيع الكروم لمن يعصرونه خمراً، وأن الفقهاء يبلغون في ذلك إلى أبعد من حد الكراهة(1)، هذا ولم تبذل الدولة المرابطية جهوداً جدية لمنع الخمر إلا بعد أن تفاقمت الثورة الموحدية(2).

وفي دور الثورة الموحدية منع الموحدون الخمر ولكن في طور الدولة أحلو الرب(3)، وكانت له أسواقاً في العصر الموحدي(4)، وربما كان ذلك تأليفاً لقبائل المصامدة التي كانت تعيش بجبل درن وكانوا يكثرون من شربه ولا يستغنون عن شرب النبيذ للتغلب على شدة برد الجبل وثلجه(5).

---

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 241.

(2) موسى: المرجع السابق، ص 241؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 133.

(3) الرب: هو الطبيخ الخاثر من عصير العنب، وكان معروفاً ببلاد السوس باسم "أنزير"، وهو حلو يسكر سكراً عظيماً، ويفعل بشاربه ما تفعله الخمر نظراً لمتانة وغلظ مزاجه عن طريق صناعته من عصير العنب الحلو، فيطبخونه على النار إلى أن يغلظ ويذهب منه الثلث ثم يرفع ويشرب، ولا سبيل لشربه إلا أن يخلط بمثله ماء، وأهل السوس الأقصى يرون شربه حالاً مالم يتعد إلى حد السكر؛ الأدريسي: نزهة المشتاق، مجـ1، ص 228؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 136؛ المغراوي: الموحدون، ص 78 – 79؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 99؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 295 – 296؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 437؛ سامية مسعد: نفسه، ص 133، 267

(4) موسى: نفسه، ص 242؛ سامية مسعد: نفسه، ص 133، 267.

(5) الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 228؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 241؛ المغراوي: المرجع السابق، ص 78 – 79؛ بوتشيش: المرجع السابق، ص 99؛ سامية مسعد: نفسه، ص 133، 267؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 295؛ حسن: المرجع السابق، ص 436.

ومع ذلك فقد حارب 'المهدي بن تومرت' المنكرات المنتشرة في المجتمع وعاب على المرابطين هذه الظاهرة المتمثلة في صناعة الخمور وبيعها جهاراً(1)، ومشى في الأسواق يريق الخمر حينما يجده، وكسر أواني الخمر، وحرم الانتفاع به لنجاسته(2)، مثلما فعل بمدينة مراكش(3)، ومدينة ملالة(4) التي كثرت بها الخمور(5)، ومدينة المهدية التي كسر بها أواني الخمور(6)، ومدينة فاس التي أراق خمرها، وكذلك في مدينة بجاية التي أراق ما بها من خمر(7)، وقال "المؤمن تمار والكافر خمار"(8).

فقد تشدد ' المهدي بن تومرت' في إقامة الحدود، فكان يضرب الناس على الخمر بالأكمام والنعال وعسب النخل متشبهاً في ذلك بالصحابة(9)، كما تشدد الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م)، على صناعة الخمور، وأمر بإنشاء رسالة إلى الطلبة والأعيان والكافة بالمغرب والأندلس عام 543 هـ / 1148 م، استعرضت انتشار تناول الخمور(10)،

(1) حسن: نفسه، ص 36؛ بوتشيش: نفسه، ص 97.
(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 173؛ أنظر أيضاً القبلي: مراجعات حول المجتمع، ص 40؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 4، ص 164.
(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 174؛ أنظر أيضاً المغراوي: نفسه، ص 78.
(4) ملالة: قرية تقع بظاهر مدينة بجاية، وكانت تسمى بالبربرية تاملالت؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 13، هامش (6).
(5) حسن: نفسه، ص 178؛ عفيفي: نفسه، ص 128.
(6) السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 71؛ انظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 164؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 1، ص 385.
(7) عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 427؛ وفي سهول فاس كان ينمو الكروم الخاص بصناعة النبيذ؛ حسنين: جغرافية الدول الإسلامية، ص 352.
(8) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 13.
(9) المراكشي: المعجب، ص 166.
(10) المغراوي: الموحدون، ص 72.

ورغم ذلك زاد إقبال الناس على شرب الرب، وأسرفوا في تخميره حتى صار معقولة مثل الخمر مما دفع الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' لإصدار رسالة أخرى سنة 556 هـ / 1160 أمر بالكف عن شراب الرب وصانعيه، ومدى مطابقته للشرع(1)، ولم تـُحكم الدولة الموحدية قبضتها في هذه الصناعة إلا في أواخر عهد الخليفة 'يوسف بن عبد المؤمن'(558 – 580 هـ / 1163 – 1184 م)، فقد بدأت تنتشر صناعة الخمر منذ أن تأسست الدولة في عهد 'عبد المؤمن بن علي' وخليفته 'يوسف بن عبد المؤمن'، فأهرقت الخمور، ولكن عندما تولى الخليفة الجد 'أبي يوسف يعقوب' تغيرت وسار على نهج الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' وابنه 'يوسف' فقد صدرت الأوامر بإهراق الخمور وتتبع الخمارين وجلد من يتناول الخمور من الرعية(2).

ورغم الشعور الديني وتمسك الموحدين بالسنة لم يتشددوا في منع المسكرات، فكان يسمح بشربها ويقدمونها في الاحتفالات الرسمية ويجرون منه أنهاراً، وهذا فتح باباً للشرب بين السادة بني عبد المؤمن وعامة الناس، مما اضطر الخليفة 'المنصور' الموحدي لقطعه وأراق الرب ومنع صناعة الخمر(3).

---

(1) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 133؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 436.

(2) الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص 164.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، القسم الموحدي، ص 173؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس: ص 243؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 241؛ الصلابي: الموحدين، ص 125؛ المغراوي: المرجع السابق، ص 80؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 99؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 133 – 134؛ بروفنسال: رسائل موحدية، ص 165 – 166؛ حسن: المرجع السابق، ص 436.

وبذلك فقد تشدد خلفاء الموحدين في منع صناعة الخمور ومنع تناولها(1)، لكن في أواخر العصر الموحدي ضعفت دولة الموحدين وكثرت الفتن بين قبائل المغرب، واعتكف الموحدون في قصورهم واشتغلوا بالخمور والغواني والتلذذ باللهو(2).

كان الغالب على كثير من الناس ممن يصنعون الخمر ممارسة هذه الصناعة داخل منازلهم(3)، وخاصة الفلاحين منهم(4)، ومن أهم مراكز صناعة الخمور في الأندلس مدينة مالقة(5)، وإقليم غرناطة الذي يعد مركزاً هاماً من مراكز انتاج الخمور، فكان تناوله أمراً عادياً في حياة الخاصة والعامة(6)، كذلك كانت مدن باغة وبلنسية ولقنت وإشبيلية وميورقة(7) ولورقة(8) ومرسية(9) من مراكز صناعة الخمور، فقد استخدم الأندلسيون العنب في صناعة الخمر، فكان يتعاطى على نطاق واسع في الأندلس(10)، رغم تحريم شربه(11).

---

(1) موسى: الموحدون في الغرب، ص 207.
(2) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص 36؛ أنظر أيضاً بروفنسال: نخب تاريخية، ص 36.
(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 242؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 99.
(4) موسى: المرجع السابق، ص 242.
(5) ابن سعيد: المغرب، جـ 1، ص 424؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص 47؛ المقري: نفح الطيب، جـ 4، ص 208 – 209؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 243 – 244؛ بروفنسال: حضارة العرب، ص 38؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 134.
(6) سامية مسعد: المرجع السابق، ص 134، 266.
(7) ابن سعيد: المصدر السابق، جـ 2، ص 154، 274؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 242؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 244.
(8) الحميري: الروض المعطار، ص 171؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 242.
(9) ابن سعيد: نفسه، جـ 2، ص 274.
(10) ابن سعيد: نفسه، جـ 1، ص 186، ترجمة رقم 119؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 243؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 178.
(11) كونستبل: التجارة والتجار، ص 278.

وبما أن صناعة الخمور حرمت على المسلمين فقد احتكرها أهل الذمة خاصة اليهود، وفي بلاد المغرب ازدهرت هذه الصناعة في المدن القريبة من أماكن انتاج الكروم، مثل مدن المغرب الأقصى التي يجود فيها العنب الأبيض والأحمر والأسود(1)، فقد انتشرت صناعة الخمور في فاس ومراكش، وانتشرت عادة شرب الخمر، كما يوجد في باديس وغمارة أكثر من مائة منزل لليهود وتباع منها أجود أنواع الخمور، "وهذا الجبل خصيب حقاً ينتج العنب وتصنع فيه كميات عظيمة من الخمر"(2).

ورغم أن اليهود منعوا من بيع الخمر للمسلمين(3)، إلا أن يهود تلمسان برعوا في صناعته(4)، والنصارى لم يمنعوا من تناوله(5)، كما صنعوا الخمر بالزبيب(6).

كما اشتهرت مدينة تازا بزراعة الكروم، وتنتج محصولاً طيباً من العنب الأبيض والأحمر والأسود ويعصر فيه اليهود الذين لهم نحو خمسمائة دار في المدينة لصناعة الخمر في غاية الجودة، ويقال أنها أجود خمور هذه النواحي كلها(7)،

---

(1) البشير: اليهود، ص 98.

(2) سامية مسعد: الحرب والطبيعة في المغرب الأقصى عصر بني مرين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2003 م، ص 47.

(3) التلمساني: مصباح الأرواح في اصول الفلاح، تقديم: رايج بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968 م، ص 57.

(4) البشير: اليهود، ص 89.

(5) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 75.

(6) نفسه، ص 76.

(7) السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 70.

فانتشرت صناعة الخمور في بلاد المغرب والأندلس، خلال عصري المرابطين والموحدين رغم محاولة حكامها القضاء عليها(1).

8- صناعة ماء الورد:

تعد صناعة ماء الورد من أهم الصناعات التي اعتمدت على الانتاج الزراعي، كما أن المؤثرات التي غيرت مناطق الزراعة، ونوع المحاصيل، وقد تركت أثراً كبيراً على هذه الصناعة فضلاً عن المناطق التي اشتهرت بها، مثل مدن شرق الأندلس وإشبيلية(2). وفاس التي ازدهرت بها هذه الصناعة(3). كما ظهرت مراكز جديدة لم تعرف بصناعة ماء الورد من قبل، مثل مدينة قفصة التي كثرت كمية التقطير فيها، وبرع أهلها في زيادة انتاجه، حتى أن ما يصنع كان يشبه الجوري، لذا كان يصدرإلى مصر(4)، كما احتلت مدينة مراكش مكانة الصدارة في هذه الصناعة لانتاجه الزائد، وتصدر إلى جميع البلاد المغربية(5).

وأما عن طريقة صناعة ماء الورد، فكان يعد في فرن له مقاييسه وطريقة تقطيره، وحفظ الانتاج وتطييبه بالمسك أو الشب أو الكافور(6).

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 173؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 132.
(2) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 242؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 244.
(3) بدر: تاريخ الزراعة، ص 339.
(4) مجهول: الاستبصار، ص 154؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 194، 242؛ بدر: المرجع السابق، ص 339.
(5) الزهري: الجغرافية، ص 116؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 242.
(6) موسى: نفسه، ص 242.

9- صناعة الطبيخ:

تعتبر صناعة الطعام من الصناعات الهامة التي اعتمدت بالدرجة الأولى على الانتاج الزراعي، وفي بداية الدولة المرابطية كان الغالب عليهم حياة البداوة الصحراوية، واقتصر الأمراء على الضروري من العيش، واقتصر الأمير 'يوسف بن تاشفين' (453 – 500 هـ / 1061 – 1106 م) على الشعير(1)، فقد فرضت عليهم البنية الصحراوية ألواناً خاصة من الطعام، فقبائل صنهاجة الضاربة في الصحراء كانوا لا يعرفون حرثاً ولا زرعاً ولا ثماراً، وإنما كانت أموالهم الأغنام وعيشهم اللحم واللبن، وكانوا يجففون اللحم ويطحنونه ويصبون عليه الشحم المذاب والسمن ويأكلونه ويشربون اللبن، فكانوا يغنون به عن الماء، ولا يأكلون الخبز إلا أن يمر ببلادهم تجار، فيتحفونهم بالخبز والدقيق(2)، ولكن بعد أن غزت الدولة المرابطية للمغرب وجوازهم للأندلس، وصلت الدولة إلى مرحلة من الترف(3)

---

(1) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 69؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 433.

(2) البكري: المغرب ص 170؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 224؛ مجهول: الاستبصار، ص 213؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 120؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 3؛ أنظر أيضاً العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 95؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 28؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 3، ص 518؛ جـ 4، ص 74؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 264 – 265؛ بوتشيش: المرجع السابق، ص 70؛ حسن: المرجع السابق، ص 432 – 433؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 295؛ الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص 114.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 136؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع تلسابق، ص 295.

والتنافس على شتى أنواع الأطعمة، فألف 'أبو العلاء بن زهر' الذي عاش في أواخر العصر المرابطي "كتاب مختصر الأغذية، وهو أهم المصادر التي تمدنا بأنواع الأطعمة التي كانت سائدة، وكتاب "الطبيخ في المغرب والأندلس" الذي ألف في العصر الموحدي مكملاً لهذا الكتاب(1).

تتحدث لنا كتب الطبيخ عن أكلة عرفت باللمتونية(2)، والمقراس وهو غذاء سريع الهضم وشهي ويصنع من لحم الفخذ(3)، كما كانت اهم أصناف الطعامفي العصر المرابطي "العصيدة"(4)، والأحرش الذي يصنع من لحم مدقوق مع الأبزار والثوم(5)، بالإضافة إلى "البلاجة" التي تصنع من الأكباد، ويوضع عليها الزيت والكزبرة والخل والثوم وتوضع في الطاجن وتطبخ(6).

كما أصبح التفنن والتأنق في الأطعمة عادة مألوفة لدى الأمراء خاصة في عهد الأمير'علي بن يوسف' (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م)، وكما يذكر صاحب كتاب الطبيخ أنواعاً من الأطعمة الفاخرة التي جبل على أكلها الأمراء وذوي النعمة(7)

(1) بوتشيش: نفسه، ص 70.
(2) بوتشيش: نفسه، ص 72.
(3) السقطي: الحسبة، ص 47؛ أنظر أيضاً بوتشيش: نفسه، ص 71؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 242.
(4) بوتشيش: نفسه، ص 71؛ أبو الفضل: المرجع السابق، ص 242.
(5) السقطي: المصدر السابق، ص 47؛ بوتشيش: نفسه، ص 71 – 72.
(6) بوتشيش: نفسه، ص 72.
(7) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 132.

وهذا دليل على الرخاء الاقتصادي الذي نعم به المجتمع المرابطي في عهد الأمير 'علي بن يوسف' فاستعملت بعض الفئات الثرية منه السباني وهي عبارة عن مناديل كبيرة تستعمل أثناء الطعام، لذا كانت أثمن أنواع السباني التي تصنع من رفيع الكتان والقطن(1).

كما كان للمرابطين طعام يشترك فيه كل قبائل البربر، ويأكلونه في المناسبات هو طعام أساسي من كبش مضاف إليه الملح(2)، بالإضافة إلى حشو مصران الخراف باللحم(3)، كما كانت الكبد والقلوب تشوى داخل فرن الطوب(4)، كما يقوم السفاج الذي يحترف صناعة الإسفنج ببيعها للناس وهو يطلقعلى من يبيع اللحم المشوي(5). وهناك نوعاً من أنواع الطعام التي يتناولها الخاصة، وهو المسمى "الصنهاجي الملوكي" وهو مكون من لحم البقر والغنم والدواجن، ومنها أيضاً الأمخاخ، ويتكون من أمخاخ ما يذبح من الحيوانات والطيور(6).

(1) الهرفي: المرابطين، ص 302.
(2) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 19؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 265.
(3) السقطي: الحسبة، ص 49؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 264.
(4) سامية مسعد: نفسه، ص 264.
(5) المجليدي: التسيير في أحكام التعسير، ص 94.
(6) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 294؛ سامية مسعد: نفسه، ص 265؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 434.

كما كان طعام المركاس خليطاً من لحم وتوابل تملأ بها أمعاء الشاة ثم تقطع قطعاً صغيرة مثل الأصابع وتشوى أوتقلى(1).

كذلك أكلة (الحريرة) التي تصنع من اللحم المدقوق المضاف إليه التوابل والمرق والبقول(2).

كما طرأ على فن الطبيخ في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي تطوراً كبيراً خاصة في البلاد المغربية، ويشهد هذا التطور كتابان من العصر الموحدي، الأول "مختصر في الأغذية"، وقد صنف برسم الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م)(3)، وتناول عناية بأنواع الخبز واللحوم وصناعتها(4)، والثاني "كتاب الطبيخ"، والذي يصف كل لون من الطعام وطريقة تحضيره وتقويمه وفوائده، ويبدو أن اهتمام الموحدين هو سبب هذا التطور الذي طرأ على صناعة الطعام، فضلاً عن حياة الترف في القصور الخاصة، لذا كان الخلفاء الموحدين يقيمون مآدب كبرى للواصلين إلى حضرتهم استعداداً للغزو واحتفالاً بمناسبة دينية أو سياسية،

(1) السقطي: المصدر السابق، ص 47؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 293.
(2) عفيفي: نفسه، ص 294؛ بوتشيش: المرجع السابق، ص 72.
(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 243.
(4) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 243.

ويستمر الإطعام خمسة عشر يوماً يدخل في كل يوم ما يزيد عن الثلاثة آلاف شخص(1)، وانعكس هذا الاهتمام عن حياة العامة حتى أن الأسواق التي عدت للطعام التي لا يدخلها دور المكانة الاجتماعية، ويذم صناعة الطعام فيها في الأمثال المغربية بعدم النظافة(2).

وتميز هذا العصر بتنوع الأطعمة وبهاء المنظر(3)، فشاع الترف بين طبقة الخاصة(4) في المأكل، فتفنن الأغنياء في ظهور نوع واحد من الطيور بطرق مختلفة، فمثلاً الدجاجة تطهى بطرق عديدة بحسب ما يضاف إليها فتحمر بالجوز والزعفران أو تحمر باللوز المدقوق، أو تحمر بماء الكزبر الأخضر أو الصنوبرأو الفستق، ويشوون بعض الحيوانات الكبيرة مثل الخراف والعجول، ويضعون بداخلها الطيور المشوية(5)، فأشار إلى طريقة تحضير عجل مشوي للسيد 'أبو العلاء الموحدي' بمدينة سبتة يتعلق الأمر بكبش سمين مسلوخ أفرغوا جوفه من أحشاءه ثم يدخلون في جوفه أوزة مشوية، وفي جوف الأوزة دجاجة مشوية(6)، وهذا يدلعلى حياة الترف والثراء الذي تميز به المجتمع الموحدي وتنوع الأطعمة به.

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 92؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق ، ص 243.
(2) موسى: نفسه، ص 243.
(3) نفسه، ص 243.
(4) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 262.
(5) سامية مسعد: المرجع السابق، ص 262 – 263؛ الشريف: مدينة سبتة، ص 148.
(6) الشريف: المرجع السابق، ص 148؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 243.

يشار إلى أكلة الحساء التي بعد أن قطع الأمير'علي بن عبد المؤمن' الميرة عن الجيش الموحدي، أخذ 'المهدي بن تومرت' بطبخها لجنوده كل يوم(1)، وطعام "الاسماس" الذي كان يقدم في المناسبات الخاصة، ويصنع من لحم الكبش المضاف إليه الملح والسمن أو الزبد، والتي قدمها 'المهدي بن تومرت' لجماعة من أنصاره(2)، كما صنعها الخليفة 'يوسف بن عبد المؤمن' (558 – 580 هـ / 1163 – 1184 م) للناس(3).

ولم يكن الإسراف في الطعام موجوداً في المطابخ العامة من الناس وخاصة الطبقات الفقيرة التي لم تستطع عمل ذلك، ووصل الحد ببعضهم أنه كان يلتقط بقايا مطابخ الخلفاء والحكام، ويتخذ منه طعاماً لهم(4).

وقد برع الأندلسيون في صناعة الأطعمة، فتفنن سكان إقليم غرناطة بصنع الكثير من ألوان الطعام المختلفة، وصارت موائدهم حافلة بالأنواع المختلفة من أصناف الأطعمة والحلوى والفواكه والأشربة المختلفة، ويرجع ذلك إلى لثراء البيئة الغرناطية الحافلة بشتى أنواع الأطعمة(5)، بالإضافة إلى أنواع اللحوم المختلفة سواء الغنم أو الأبقار أو الطيور(6)، بالإضافة إلى أنواع الأسماك المختلفة(7).

---

(1) النويري: نهاية الأرب، جـ 24، ص 283؛ أنظر أيضاً بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 72.
(2) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 33؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 433.
(3) حسن: المرجع السابق، ص 432.
(4) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 263.
(5) نفسه، ص 262.
6() نفسه، ص 262.
(7) ننفسه، ص 262.

كان أهل غرناطة يتناولون طعامهم من الأسماك البحرية وخاصة المدن البحرية مثل المرية والمنكب ومالقة(1)، وكانوا يعرفون أنواع من الأسماك والسردين الكثير بالإضافة إلى أنواع القنطون والحوت، الذي كان متوفراً في سواحل مدينة مالقة(2)، وبالقرب من مدينة طبرقة، وبينها وبين مدينة باجة بحيرة في دورها ما يقرب من 60 كم تقريباً تصب في البحر وماؤها لا ملح ولا حلو، وبها أنواع كثيرة من الحوت وبها بوري ليس له نظير في الدنيا(3).

ومن الأكلات المغربية الحوت والأسماك التي كانت منتشرة في أسواق المدن الساحلية أو الواقعة على مقربة من الأنهار(4).

وعن الأسماك التي اشتهرت بها بعض المدن المغربية، فمنها سمك الشولي الذي تميز بطبخه بمدينة مكناسة المغربية، ويعد من ألذ أنواع الأسماك، كما يدخل أسواق مدينة فاس بكثرة، ويتميز هذا السمك بأنه لا توجد له رائحة سمك، كما يصنع منه الألوان(5).

---

(1) نفسه، ص 263.

(2) نفسه، ص 263.

(3) مجهول: الاستبصار، ص 126.

(4) أبو مصطفى: جوانب من النشاط الحضاري في المغرب الأقصى، ص 283.

(5) مجهول: المصدر السابق، ص 185؛ التجيبي: فضالة الخوان، ص 197؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 254؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 103 – 105؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 170؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 43؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة، ص 136، 162.

كذلك كان بمدينة سبتة مصايد للحوت، ويصاد منها نحو مائة نوع، ويصاد بها السمك المسمى التين الكبير(1)، كما وجدت دكاكين لبيع الأطعمة، ومنها الأسماك، فوجد بائعي الحوت المقلي أو المطبوخ، وسائر المأكولات الأخرى(2).

كما وجد بمدينة ماردة دار يقال لها دار الطبيخ أعدت لصناعة الطعام(3)، وكثر استخدام التوابل في أنواع الأطعمة وخاصة اللحوم سواء المطهي أو المشوية أو المقلية، ومن أشهى التوابل التي استخدمها أهل غرناطة الفلفل والزعفران(4) والقرفة والكزبرة والزنجبيل واللوز والكمون والكراوية(5)، كما استخدم أهل بسطة التوابل بشكل عام وخاصة الزعفران(6).

كما اهتم سكان بلاد المغرب بالأطعمة والأشربة وتفننوا في طهيه وتصنيفه، وقد تميز بألوان خاصة منها الكفتة التي تصنع من لحم البقر الخالي من الشحم، والتي تطهى بالزيت ويضاف إليها كمية من التوابل، وتصنع على شكل كور كبيرة الحجم(7)،

---

(1) تصاد هذه الأسماك بالرماح التي في أطرافها شرائط القتب الطوال؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 529؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 254؛ ابن تاويت: الوافي بالأدب، جــــ 1، ص 279؛ الشريف: مدينة سبتة، ص 33 – 34.

(2) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 175.

(3) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص 176.

(4) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 264.

(5) نفسه، ص 264.

(6) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 73.

(7) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 293.

ومن أنواع الأطعمة (الجراد) المعروف في كل بلاد السوس ومراكش، وكان يطهى مقلو، كما كان يحفظ ويؤكل مملوحاً، وفي موسم صيده يدخل مدينة مراكش منه حوالي 30 حملاً في اليوم في العصر المرابطي، ويدفع عنها ضريبة السوق المعروفة بالقبالة ولكنها ألغيت في العصر الموحدي(1).

كما زخرت المائدة المغربية بألوان أخرى من الطعام كـ "السكياج" المصنوع من اللحم السمين والسمك المقلي والدجاج والأكارع وزيت الزيتون والزبد والعسل والجبن والليمون والجزر واللفت والفول الطري والفاكهة، وغيرها من ألوان الطعام الأخرى(2).

كما استخدم السمن أو الزبد في صناعة الطعام، كما استخدموا الزيت لأنهم يفضلونه، ويدخل في الأطعمة سواء كانت مقلية أو مطهوة، وعندما يستعملون السمن يضيفون إليه الزيت تخفيفاً لحدته(3).

ومما يجب الإشارة إليه أن الكثير من أفراد الطبقة الخاصة كانوا يقدمون تلك الأصناف منفردة، أي صنفاً بعد صنف بدلاً من وضعها كلها على المائدة، وهذه كانت عادة الحكام والأغنياء منذ الفتح حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي(4).

---

(1) عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 5، ص 98.
(2) عفيفي: المرجع السابق، ص 294؛ حسن: المرجع السابق، ص 435.
(3) سامية مسعد: نفسه، ص 264.
(4) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 265.

كما وجدت بعض الأطعمة الخاصة باليهود مثل الفروج اليهودي والحجلة اليهودية(1)، كما وجدت تقاليد في تقديم الأطعمة، فكانت لا تقدم أصناف سهلة الهضم مع أخرى عسرة الهضم لأن ذلك يحدث تضخم في المعدة، ويؤدي إلى أمراض المعدة، وكانوا يقدمون الأطعمة المخلوطة بالخل ثم الحلوة المذاق(2).

أما عن طريقة تناول الطعام، فكان أفراد العائلة يجلسون على الأرض ويلتفون حول موائد منخفضة، ويأكل الجميع باليد، ولكن إذا تعلق الأمر بطعام الكسكسو تناوله الجميع في طبق واحد بدون ملاعق، ويكون المرق واللحم معاً في قدر من الفخار يتناول كل واحد منهم قطعة اللحم التي يختارها ويضعها أمامه دون تقطيع، ولا يستعمل السكين، وإنما يمسك قطع اللحم باليد وتأكل(3).

وعن صناعة الحلويات التي برع الأندلسيين والمغاربة بصناعتها بأشكال مختلفة، مثل الكعك والمسمنات والشهدة(4) والخشكلان والمشماش والسنسبوك والقطائف والعباسية والمعسل والزلابية والجوزنيفات والقاهريات(5)،

---

(1) سامية مسعد: المرجع السابق، ص 265؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 434.
(2) سامية مسعد: نفسه، ص 265.
(3) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 74 – 75.
(4) السقطي: الحسبة، ص 54؛ أنظر أيضاً بوتشيش: المرجع السابق، ص 74.
(5) بوتشيش: نفسه، ص 74.

وقد أتقنت الطباخات السودانيات هذا الصنف الأخير، وتميزت حلويات المغرب الأقصى بكسرة العسل والزيت المستعمل فيها(1)، وهذا ما أكده صاحب الاستبصار في وصفه طباخات أودغست "... وبها (أي أودغست) سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهن بماية مثقال أو أكثر تحسن عمل الأطعمة من الجوزنيفات والقطائف وأصناف الحلويات وغير ذلك"(2).

كما يجب على صانعي الكعك إلى إجادته وطنحة وأن لا يكون رقيقاً(3)، كما اشتهرت الحلوى المعروفة بالمدائن، وكانت تصنع في عيد النيروز(4)، ومن هذه الحلويات أيضاً السفنجة والغسانية، والأخيرة تصنع من العسل والسميذ والزعفران(5)، وكذلك الفطائر التي كانت تباع في سوق خاصة بمدينة فاس، والتي كانت تصنع من الخبز المقلي بالزيت، ويشبه الخبز الصغير ويحلى بالعسل ويتناوله الناس مع طعام الإفطار ولا سيما في أيام الأعياد وتؤكل هذه الفطائر مع اللحم المشوي أو مع العسل أو مع الحريدة(6)، ومن الملاحظ أن العسل كان يدخل في الكثير من انواع الأطعمة(7).

---

(1) نفسه، ص 74.
(2) البكري: المغرب، ص158؛ مجهول: الاستبصار، ص 216؛ أنظر أيضاً حسن: المرجع السابق، ص 323؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 49 – 50؛ إدريس: تاريخ مدينة سجلماسة، ص 302.
(3) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 74.
(4) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 74.
(5) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 294.
(6) عفيفي: المرجع السابق، ص 294.
(7) الدباغ: معالم الإيمان، جـ 3، ص 224.

ومن أهم الأطعمة الهريسة التي تصنع من دقيق ولحم ودهن وتوابل والمجبنات(1)، التي اختصت بها مدينة شريش بأحسن الصنعة(2)، ويذكر أهل الأندلس أنه من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم وازدهرت صناعتها في عهد الأمير 'علي بن يوسف' (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م)(3)، ولصناعة هريسة الشحم نصف كيل قمح ورطلان لحم، ونصف رطل شحم لإقامة هريسة القمح قدح قمح درس حطب مؤنه كراء(4).

كما خصصت أماكن ينتشر فيها باعة المجبنات والاسفنج الساخنة والهريسة التي ولع بأكلها الأندلسيون(5)، ويطلق على دكاكين بيع الأطعمةمن الأسفنج والهريسة اسم "الدخاخين"(6)، بالإضافة إلى صناعة الفطائر بالزيت، التي اشتهرت بها بلاد المغرب، والتي كانت تصنع بالأسواق(7).

---

(1) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 180.

(2) المجبنات: نوع من أنواع القطائف يضاف إليها الجبن في عجينها، وتقلى بالزيت الطيب؛ السقطي: الحسبة، ص 46؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 155؛ أنظر أيضاً دندش: المرجع السابق، ص 177؛ وقد مدح الشعراء هذا الصنف من الأطعمة (المجبنات)، فقال عبد الرحمن السهيلي (ت 581 هـ / 1185 م):

فيها أذكى من المسك العتيق لنا ... نشقاً وألذ من صباحين تدار

وكان من صافي اللجين بطونها ... وكأنما ألوانهن نفنار

الهرفي: المرابطين، ص 302.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ 2، ص 291، هامش (4)؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 155؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 243؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 302؛ بوتشيش: المرجع السابق، ص 71؛ دندش: نفسه، ص 177.

(4) السقطي: المصدر السابق، ص 46؛ بوتشيش: نفسه، ص 71.

(5) دندش: نفسه، ص 199.

(6) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص175.

(7) أبو مصطفى: جوانب من النشاط الحضاري، ص 283.

وعن صناعة الأشربة، فقد صنع المرابطون شراباً من جريش الذرة مع سائل من العسل واللبن يسمى عصيدة، فقد كان الشراب المفضل لديهم وكانوا يقدمونه للضيوف، وصنعوا شراباً آخر من الينسون والعسل ويستخدمونه كدواء(1)، وينقعون الزبيب بعد الدق في الماء ويشربونه(2)، ومن المشروبات التي كان يتناولها سكان بلاد المغرب نبيذ العسل الذي كانت تتناوله بعض العمال الذين يستخرجون المرجان من مرسى الخرز، فقد دفعهم لذلك كثرة الأموال وحياة اللهو(3)، كما كانت قبائل المصامدة يشربونه(4)، واشتهر أهل السوس بصناعته(5).

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 224؛ أنظر أيضاً بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 70؛ نصر الله: المرابطين، ص 16؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 265؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 244.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 224؛ بوتشيش: المرجع السابق، ص 70؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 267.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 77؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 295؛ سامية مسعد: نفسه، ص 267.

(4) البكري: المغرب، ص 162؛ مجهول: الاستبصار، ص 212؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 296.

(5) مجهول: المصدر السابق، ص 212؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 242؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 136؛ سامية مسعد: نفسه، ص 267.

10- صناعة العطور والعقاقير:

شجعت دولتي المرابطين والموحدين بصناعة العقاقير والعطور وعن دولة المرابطين التي شجعت هذه الصناعة، وتدل الهدية التي أهداها الأمير 'يوسف بن تاشفين ' (453 – 500 هـ / 1061 – 1106 م) للأمير ' أبو بكر بن عمر'، وقد ذكر صاحب الحلل الموشية ذلك بقوله "... ومنها عشرة أرطال من العود الرطب، ومنها رطلان من الغالي النفيس، وخمسة نوافج من المسك الطيب ومن العنبرالطيب، وخمسة عشر رطلاً من الند"(1).

اهتمت النساء بتعطير أجسادهن، خاصة نساء مدينة بسطة، وهو ما أكده ابن الخطيب بقوله "... ثياب أهلها (أي مدينة بسطة) بالعبير تتأرج"(2)، ولرواج هذه الصناعة لجأ الأمير 'علي بن يوسف' إلى فرض قبالات وإتاوات على مختلف السلع ومنها القبالة على العطور(3).

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 4، ص 26؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 28.

(2) معيار الاختيار، ص 109؛ أنظر أيضاً بوتشيش: نفسه، ص 54؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 324.

(3) عنان: دولة الإسلام، جـ 4، ص 421.

اشتهرت العديد من المدن الأندلسية والمغربية بصناعة العطور، وقد تميز الأندلس بعطرها، وهذا ما أكده ابن غالب بقوله "... الأندلس ... هندية في عطرها وطيبها"(1)، فقد حفلت البساتين الأندلسية بمختلف أنواع الرياحين والنباتات العطرية مثل الورد والبنفسج(2) والخيري والسوسن والبهار والياسمين والريحان والحبق القرنفلي والآس(3)، بالإضافة إلى المسك والكافور والعنبر والزعفران(4).

ومن أهم مناطق زراعة الأزهار والرياحين في مدينة بلنسية، والتي اشتهرت بانتاج النسرين والنرجس(5)، وبرجة(6) وجبل شقورة التي تميزت بالورد الذكي العطر(7)، وجبل شيبة قرب مدينة قبرة، وبها الكثير من النرجس(8)

---

(1) فرحة الأنفس، ص 281؛ الحميري: الروض المعطار، ص 3؛ المقري: أزهار الرياض، جـ 1، ص 60؛ أنظر أيضاً مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 351؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 219، 239.

(2) البنفسج: ينبت في إحدى مدائن الاشبونة بالأندلس، وتدعى شنترة؛ الحميري: الروض المعطار، ص 113؛ كما روي عن رسول الله (ص) أنه قال: "عليكم بدهن البنفسج فإن فضله على سائر الأدهان كفضلي على أدناكم"؛ الخطابي: الطب والأطباء بالأندلس، ص 103.

(3) استفاد الأندلسيون من هذه الرياحين في عمل الأشربة، مثل شراب الورد والحبق القرنفلي الذي يقضي على القئ، كما يعمل على تقوية الكبد والمعدة، وشراب البنفسج والريحان لعلاج الإسهال؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 146، هامش (1).

(4) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 309؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 129، 166.

(5) المراكشي: المعجب، ص 297 – 298؛ ابن الطباع: القطوف اليانعة، ص 249؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 146.

(6) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 81؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 146.

(7) الحميري: المصدر السابق، ص 105؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 146.

(8) الحميري: نفسه، ص 149؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 146.

وكذلك جبل شلير بغرناطة(1)، فغرناطة أرض الريحان(2)، وجبل العروس بقرطبة(3)، ومرسية مدينة الزهور(4).

كما ازدهرت ازهار النرجس والنسرين في شاطبة ودانية والجزيرة الخضراء(5)، ومدينة شلب التي يكثر بجبالها العود، ويحمل منها إلى جميع الجهات(6)، وتركزت النباتات العطرية والطبية، أيضاً في دلاية العود قرب مدينة المرية، حيث ينبت هناك عود الألنجوح(7) (عود يتبخر به)، وينبت بين الأحجار والذي لا يفوقه العود الهندي ذكاء عطره ورائحته(8)، وفي جبل الجنة قرب أشكونية بغرب الأندلس حيث يوجد العود الزكي الرائحة(9).

---

(1) أبو مصطفى: نفسه، ص 146.

(2) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 117.

(3) ابن غالب: المصدر السابق، ص 296؛ انظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 146؛ كما عرف الأندلسيون صنع شمامات أي باقات الزهور، وحفظها من الذبول والإبقاء على نضارتها، وذلك بوضع شمع مذاب على طين الفخارين، فيرطبه، وهذا يساعد على تغذية الأزهار فيطول الاستمتاع بها؛ ابن بصال: كتاب الفلاحة، نشر وتعليق خوسي مارية مياس بيكروسا و محمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان – المغرب، 1951 م، ص 181.

(4) بروفنسال: حضارة الإسلام، ص 38.

(5) ابن الطباع: القطوف اليانعة، ص 149.

(6) الحميري: نفسه، ص 106؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 197.

(7) عود الألنجوح: عود البخور ويسمى أيضاً عود الطيب؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 127؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 148، هامش (2).

(8) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 308؛ ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 98؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 127؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 148.

(9) المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 127؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 148.

كما حفلت البساتين المغربية بمختلف النباتات العطرية، ومنها الرياحين والآس والورد والبنفسج والياسمين والنرجس والسوسن والمرزنجوش(1) والحبق والنمام(2) غزيرة الانتاج(3)، فاشتهرت مدينة صفاقس بأنواع من الرياحين من الورد والفل والياسمين(4)، وبتونس عطر الورد الذي لا نظير له في معمور الأرض(5)، وبها أصناف من الرياحين(6).

كما تقدمت صناعة العطور بمدينتي فاس ومكناس، ففيهما أنواع كثيرة من الورد كثير الغلة غزير الانتاج(7).

لذا فإن مدينة فاس لا تحتاج إلى شئ إلا ما كان من العطر الهندي(8)، وبها الرياحين(9).

---

(1) المرزنجوش: أو المردقوش وهو عشب عطري زراعي طبي؛ العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 142.

(2) النمام: وهو من النعناع، ويسمى نعنع الماء؛ العمري: المصدر السابق، ص 142.

(3) العمري: نفسه، ص 142؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ 5، ص 113، 176؛ أنظر أيضاً المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 558؛ برنشفيك: أفريقيا، جـــ 2، ص 232؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 255.

(4) مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 110.

(5) مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 118؛ الحشايش: العادات والتقاليد، ص 318.

(6) البكري: المغرب، ص 40.

(7) ابن بصال: الفلاحة، ص 163؛ أنظر أيضاً المنوني: أبحاث مختارة، ص 46.

(8) المراكش: المعجب، ص 290؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 522؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 271.

(9) القلقشندي: المصدر السابق، جـ 5، ص 156؛ أنظر أيضاً بدر: المرجع السابق، ص 256.

اشتهرت مدينة أغمات بماء وردها الممتد للبلاد(1)، كما قامت بلاد المغرب الأقصى بتصدير إلى مناطق الجنوب ضروب الأفاوية والعطر(2)، وهذا ما يذكره مقديش عن أنواع السلع التي يحملها تجار مدينة أغمات إلى السودان بقوله "... وأهل هذه المدينة (أي أغمات وريكة) تجار مياسر يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير من الأموال ... وضروب الأفاوية والعطر"(3).

ومدينة مراكش التي امتازت بصناعة العطور لكثرة الرياحين(4) والورد والبنفسج والياسمين والآس والنرجس والسوسن(5)، والورد بها يقطر ويجلب إلى جميع بلاد المغرب(6).

وسلا والرباط بهما أنواع من الرياحين، وأيضاً الورد بنوعيه الأحمر والأبيض والياسمين بأنواعها، وأفضلها الأبيض، ويوجد بها كثير من الفل بنوعيه لطيب رائحته، والقرانفل بأنواعه، والحبق أو النرجس والبهار والآس، ولمحافظة أهل سلا والرباط على الانتاج وزيادته قاموا بزراعة الرياحين داخل الديار كالياسمين والفل، ليتخذون عروشاً ويغرسون شجر النارنج وسط الديار لطيب رائحته وحسنه، فكان الداخل إلى الدار تستقبله روائح عطرة(7).

---

(1) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 164.
(2) حسن: المرجع السابق، ص 282.
(3) مقديش: نفسه، جـ 1، ص 60؛ أنظر أيضاً حسن: المرجع السابق، ص 273؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 287؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 101؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 55.
(4) العمري: مسالك الأبصار، ص 199.
(5) نفسه، ص 196.
(6) الزهري: الجغرافية، ص 116.
(7) الدكالي: الإتحاف الوجيز، ص 43؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 255.

اشتهرت نول لمطة بكثرة الرياحين وهو عندهم من أطيب الطيب(1)، ومدينة قفصة التي كثر بها الرياحين مثل الآس والياسمين والنارنج والنرجس والسوسن والبنفسج، ووردها أكثره أبيض، وماؤه أذكى ماء، يكون لورد يشبه الجوري الذي يجلب من مصر(2)، وقرية بنبوش انتاجها غزير من العطور لكثرة الريحان بها(3).

وعن صناعة العقاقير الطبية فقد ازدهرت هذه الصناعة نتيجة لتقدم علم الكيمياء، وازدهار الدرسات الطبية(4)، ولوفرة الأعشاب والمواد الطبية، التي بلغت درجة عظيمة من الجودة(5)، وقد لاحظ اهتمام حكام المرابطين بالنواحي الطبية والكيميائية عند أحد أبناء المرابطين، وهو 'ابن تاتلي'، و'أبي اسحاق بن يوسف المرابطي'، وهذا الأخير وضع ابن زهر كتابه "الاقتصاد في صلاح الأجساد"(6).

(1) مجهول: الاستبصار، ص 214.
(2) مجهول: المصدر السابق، ص 154؛ أنظر أيضاً بدر: تاريخ الزراعة، ص 255.
(3) وبها الريحان ثلاثة أنواع، مشرقي وصعتري وجبلي، والياسمين مفرد، كذلك النسرين والخيري خمسة أنواع، والبهار نوعان، والسوسن نوع واحد، الورد ثلاثة أنواع، النوار القرنفلي نوعان، البنفسج نوعان، النعنع نوعان، الترنجان نوع واحد، والمردو وشئ نوع واحد وزهر النارنج؛ السبتي: اختصار الأخبار، ص 55؛ أنظر أيضاً الشريف: مدينة سبتة، ص 29.
(4) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 135؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 243 – 244؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 87 – 94.
(5) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 188.
(6) المنوني: المرجع السابق، ص 87؛ موسى: المرجع السابق، ص 244؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 362؛ (يعد أبو العلاء بن زهر ت 525 هـ / 1130 م من المهرة في صناعة الأدوية، وكان ينتج الأدوية لمن يستفتيه من المرض، وقد اعتقد الرعية في الطب الشعبي، ففضلوا الاستشفاء بالأعشاب والعقاقير التي اشتروها من العطارين، وله مقال شرح فيها رسالة يعقوب بن اسحاق الكندي حول تركيب الأدوية، إضافة إلى ما كان يقوم به من تجارب على تركيب الأدوية؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 362؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 101 – 102).

ومما يؤكد اهتمام دولة المرابطين بالطب والتطبيب وجود منصب يعرف برئيس الصناعة الطبية، وهو منصب هام يقابل ما يطلق عليه اليوم اسم وزير الصحة، إذ كان المسئول الأول أمام الأمير في صناعة الطب وما يتعلق بها من أدوية وعقاقير(1)، كما أن العطارون والصيادلة كانوا يقومون بتجهيز الأدوية بناءاً على تعليمات الأطباء(2).

كما أسند الأمير 'علي بن يوسف' (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م) إلى اليهود وظائف هامة مثل صناعة الدواء والمواد الصيدلية(3)، خاصة يهود المغرب، الذين نبغوا في الطب، واختصوا به حتى كاد أن يكون وقفاً عليهم، ومن ثم قاموا بتحضير العقاقير والأعشاب الطبية وابتكارها(4).

احتل الطب الشعبي مكانة كبيرة في عادات الرعايا خلال العصر المرابطي، اعتقاداً منهم أنه أفضل وسيلة للعلاج والحفاظ على صحة أبدانهم(5)، ومن أهم علماء الصيدلة الذين احترفوا صناعة الأدوية في العصر المرابطي الطبيب العشاب 'عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم' المعروف بـ'ابن وافد' الذي أقام بطليطلة منذ عام 460 هـ / 1067 م، ودرس الأدوية المفردة، وألف كتاب بعنوان "الأدوية المفردة".

---

(1) الصلابي: المرابطين، ص 226.
(2) السقطي: الحسبة، ص 58؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 136.
(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 97.
(4) البشير: اليهود، ص 98.
(5) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 105.

كما تضمنت إحدى فتاوى ابن رشد حالة عطار من مدينة سبتة يعقد الأشربة ويعمل المعاجين بيده، وهذا يدل على الإقبال الشديد من قبل المغاربة والأندلسيين على الطب الشعبي(1)، وبالرغم من أن ابن عبدون قدر حارب هذه العادة ويتجلى ذلك في قوله "... لا يبيع الشراب ولا المعجون لا يركب الدواء إلا الحكيم الماهر، ولا يشتري ذلك من عطار ولا شراء فإنهم حرصاء على أخذ الثمن بلا علم فيفسدون الفتوى ويقتلون الأعلام لأنهم يركبون أدوية مجهولة مخالفة للعمل"(2)، كما يعد ‘عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أبي عبيد البكري الأندلسي(ت 487 هـ / 1094 م) المؤرخ الجغرافي، له معرفة بالنبات، ولد بسلطيش غرب إشبيلية ورجع قرطبة بعد غزو المرابطين، وتوفي بها عن سن عالية، وله كتاب يسمى "أعيان البنان"، وكانت له عناية بالأدوية المفردة(3)، فتقدم علم الصيدلة خاصة في عهد الأمير ‘علي بن يوسف’ تقدماً كبيراً وبرز عدداً لا بأس به عن العلماء الذين اهتموا بدراسة النباتات والتعرف على أنواعها واستخلاص بعض العقاقير منها، ومن أشهر من نبغ في الصيدلة ‘أبو عبد الله محمد بن معمر’ (ت 524 / 1129 م) من أهل مدينة مالقة ويمتاز بثقافة موسوعية، ومن تأليفه "شرح كتاب النبات’ لأبي حنيفة في ستين مجلداً(4)،

---

(1) بوتشيش: المرجع السابق، ص 103.
(2) ابن عبدون: الحسبة، ص 47؛ أنظر أيضاً بوتشيش: نفسه، ص 103.
(3) الزركلي: الأعلام، مجـ 4، ص 98؛ أنظر أيضاً الخطابي: الطب والأطباء، ص 22، 53.
(4) الهرفي: دولة المرابطين، ص 361.

علاوة على الكتب التي ألفت في كيفية العناية بالنباتات زراعتها، مثل كتاب "زهرة البستان ونزهة الأذهان"، الذي رفعه مؤلفه الطنغري إلى أمير غرناطة المرابطي 'أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين'(1).

كما اهتمت الدولة الموحدية بصناعة الأدوية والعقاقير والعطور، كما أخبر الإمام 'الغزالي' مهدي الموحدين خواص الأعشاب(2)، كما توجد ثلاث ظواهر تؤكد تطور الصنعتين، وهي تقدم الكيمياء وازدهار الدراسات الطبية(3)، وقيام الخليفة 'المنصور' الموحدي (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) ببناء مستشفى للمرضى بمراكش، وأقام بها الصيادلة لعمل الأشربة والدهان والأكحال(4).

ومن الراجح أن المغاربة استفادوا من تجارب غيرهم من هذه الصنعة وأضافوا جديداً، ويقول السقطي عن عدد العقاقير أنها قد بلغت "... نحو الثلاثة آلاف في العدد، والاختراعات لا تنقطع"(5)، ويؤكد رواية السقطي هذه المعلومات الواردة في كتاب الأعشاب الذي وصلنا عن الفترة الموحدية، حيث يبين تصنيف الأعشاب بأسمائها اليونانية والعربية والبربرية وغيرها، ومكانة كل نوع وخصائصه(6).

---

(1) نفسه، ص 362.
(2) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 34.
(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 243 – 244؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 87 – 88.
(4) السلاوي: الاستقصا، جـــ 2، ص 177؛ أنظر أيضاً السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 115 – 116؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 244؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 402، 412؛ جلاب: دراسات في التراث، ص 188 – 189.
(5) الحسبة، ص 58؛ المجليدي: التيسير في أحكام التعسير، ص 117؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 135؛ موسى: المرجع السابق، ص 244.
(6) والكتاب هو عمدة الطبيب في معرفة النباتات لكل بيت، نسب إلى ابن يظلان، وأيضاً مختصر الأغذية، فضلاً عن العقاقير والأدوية؛ موسى: نفسه، ص 244، هامش (6).

وممن نبغ من الصيادلة بصناعة الأدوية في عصر الموحدين نذكر منهم 'أبو مروان بن عبد الملك بن زهر الأيادي الإشبيلي' (ت 557 هـ - 1161 م) ومن أطباء الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' وألف المحتومة الترياق السبعيني واختصره عشارياً ثم اختصره سباعياً، كما ألف كتاب في الأغذية وحسن المعالجة، ويعد من أعظم أطباء وصيادلة عصره، لذا ذاع صيته بالأندلس في استقصاء الأدوية المفردة والمركبة(1).

نبغ أيضاً 'أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله القرشي' (ت 561 هـ / 1165 م) من اهل المرية ويعرف بالعشاب، رحل حاجاً قبل أن يتغلب الروم على مدينة المرية، ثم انصرف إلى المغرب ونزل بمدينة فاس، وكان له علم بالتفسير والفقه ومعرفة النبات وأعيان الأعشاب، وكان يجلبه ويبيعه، لذا تبحر في علم النبات فقصده الكثير(2)، كذلك 'أبو جعفر بن محمد القرطبي' (ت 561 هـ / 1165 م) الذي قام بجمع نباتات أسبانية وأفريقية، وسمى كل منهما بأسماء عربية ولاتينية وبربرية، ووصف هذه النباتات وصفاً دقيقاً، وساعدته معرفته الدقيقة على تأليف "كتاب الأدوية المفردة"، ويعد هذا الكتاب من أهم المراجع الطبية في عصره(3).

---

(1) المنوني: حضارة الموحدين، ص 90؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 411 – 412.
(2) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 2، ص 553 – 554؛ أنظر أيضاً دندش: المرجع السابق، ص 417؛ المنوني: المرجع السابق، ص 89؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 362.
(3) عنان: دولة الإسلام، جـ 6، ص 712؛ دندش: نفسه، ص 415؛ علام: الدولة الموحدية، ص ص 363؛ جلاب: دراسات في التراث، ص 185؛ الخطابي: الطب والأطباء، ص 25؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 362.

كما اعتمد الخليفة 'المنصور' على 'أبو جعفر الغزال المري' في صناعة الأدوية المركبة والمعاجين، وكان 'أبو جعفر' أصله من ناحية المرية، وتتتلمذ على يد 'أبي بكر بن زهر' الحفيد، وتوفي في عصر 'الناصر الموحدي'(1)، وهو من اعظم النباتيين في العصور الوسطى 'أبو علي حسن بن أحمد بن عمر بن مفرج البكري الإشبوني' (ت 613 هـ / 1216 م، وهو من الإشبونة وسكن الجزيرة الخضراء ودرس الحديث والأدب والشعر، كما مهر في الطب والعلاج وميز الأعشاب والنباتات وفاق في ذلك أهل عصره(2).

كما نبغ في ذلك المجال 'جودي بن عبد الرحمن بن جودي بن عدنان القيسي' (ت 631 هـ / 1233 م، وهو من اهل وادي آش، ودرس القرآن والعربية، وكانت له معرفة بالنبات وتميزه مع اشتهاره بالأدب(3).

ومما نبغ أيضاً في العصر الموحدي من علماء النبات في العصور الوسطى 'أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الأموي' المعروف بابن الرومية(4)

---

(1) الخطابي: المرجع السابق، ص 62.

(2) عنان: المرجع السابق، جـ 6، ص 715؛ الخطابي: نفسه، ص 66.

(3) عنان: نفسه، جـ 6، ص 715.

(4) ابن الرومية: من إشبيلية، درس الحديث الشريف وصار إماماً وحافظاً ملماً بتاريخ المحدثين وأنسابهم وتعديلهم، ثم مال بعد ذلك إلى دراسة علم النبات، لذلك تجول في بلاد الأندلس والمغرب وبقية الشمال الأفريقي، ثم رحل إلى المشرق بعد عام 580 هـ / 1184 م، وتجول في مصر والشام والعراق والحجاز، فاكتشف كثيراً من النباتات المجهولة ووقف على خصائصها حتى نال قدراً كبيراً من المعرفة بأسرار النباتات، لم تتح لغيره؛ ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 215 – 221؛ أنظر الخطابي: الطب والأطباء، ص 69؛ علام: الدولة الموحدية، ص 364؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 6، ص 715 – 716؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 286.

(561 – 637 هـ / 1165 – 1239 م)، وله معرفة بعلم النبات وتمييز العشب وتحليلها، واثبات أعيانها على اختلاف أقطار منابتها بمشرق أو مغرب حساً ومشاهدة وتحقيقاً، كما افتتح متجراً لبيع الأعشاب الطبية، ومن مؤلفاته " في النبات والأدوية المفردة"، لذلك يعتبر من أعظم العشابين والنباتين في العصور الوسطى(1).

جاء بعد ابن الرومية تلميذه 'ابن البيطار المالقي' (ضياء الدين أبو عبد الله بن أحمد المالقي، ت 646 هـ / 1248 م)، وهو من أبرع وأبرز العشابين، وألف كتاباً في النبات بعنوان ''جامع المفردات في الأدوية''، وانتهت إليه معرفة النبات وصنف فيه أكثر من ألف وأربعمائة دواية من أصل نباتي وحيواني ومعدني وصفاته ومنافعه وأماكنه(2)، واعتمد 'ابن البيطار' على 'الشريف الإدريسي' في كتابه ''النبات'' وذلك لأن الإدريسي (ت 560 هـ / 1164 م) ألف كتابه ''جامع لصفات أشتات النبات''الذي سمي ''الجامع لصفات النبات'' في تحضير الأدوية، وصنف منها ثلاثمائة وستين نباتاً،

---

(1) ابن الخطيب: المصدر السابق، مجـ 1، ص 207 – 212؛ أنظر أيضاً عنان: المرجع السابق، جـ 6، ص 716؛ جلاب: دراسات في التراث، ص 186؛ الخطابي: المرجع السابق، ص 69.

(2) ابن البيطار: كان ابن البيطار في خدمة الكامل ثم ابنه الصالح، وكان رئيساً في الديار المصرية، لذا فهو من أبرز علماء عصره وأكثرهم شهرة، وتجول في مدن الأندلس والمغرب ومصر والشام وأسيا الصغرى، فكان ميلاده بمدينة مالقة ووفاته بمدينة دمشق 646 هـ / 1248 م؛ اليافعي: مرآة الجنان، جـ 4، ص 115؛ المقري: نفح الطيب، مجـ 3، ص 443 – 444؛ مجـ 4، ص 351؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـ 5، ص 234؛ الزركلي: الأعلام، مجـ 4، ص 67؛ أنظر أيضاً الخطابي: نفسه، ص 28، 70؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 89؛ عنان: نفسه، جـ 6، ص 715 – 717؛ بروفنسال: حضارة العرب، ص 131.

وكان حريصاً على إبراد اسماء النباتات في مختلف اللغات، بل كان يميز بين التسميات البيزنطية واليونانية القديمة(1).

كما اشتهر 'أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي' (ت 647 هـ / 1275 م) المعروف بـ 'ابن أندارش' الذي كان متولياً لطب الولاة ببجاية، وله رجز نظم في بعض الأدوية، واستكمله وهو ببجاية وتوفي في تونس، وشرع في نظم الأدوية المفردة من القانون(2).

بلغ الاهتمام بزراعة الأعشاب الطبية التي قامت عليها صناعة الأدوية في بعض المدن الأندلسية، ومنها إقليم غرناطة في جبل شلير، الذي كثر به الأفاوية(3) الهندية وسائر النبات الهندي(4)، ويعد جبل شلير مستودعاً للنباتات الترياقية ذات الخواص الطبية، فهو أحد خزائن الأدوية في إقليم غرناطة(5)، وتميز جبل شلير بهذا العقار الهندي الذي يستعمل في صناعة الأدوية، ويعرفها الشجارون لا توجد في الهند ولا في غيره(6).

---

(1) الهرفي: دولة المرابطين، ص 361؛ الخطابي: نفسه، ص 24.
(2) من أهل مدينة مرسية، ورد على مدينة بجاية عام 610 هـــ / 1213 م، واستوطنها وتفرغ للطب باحثاً جيداً بعلم اللغة العربية وأصــول الدين، أحذق الأطباء، توفي بتونس 674 هــــ / 1275 م؛ الغبريني: عنوان الدراية، ص 75 – 76.
(3) الأفاوية: جمع أفواه التي هي جمع كلمة فوه بالضــم، ويقصــد بها توابل ونوافح الطيب، ويذكر أن الأفواه هو ما يعالج به الطبيب؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 149، هامش (1).
(4) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 19؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 167، 130؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 135؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 197؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 149.
(5) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 96؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 116، 135.
(6) العمري: مسالك الأبصار، ص 228؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ 5، ص 216؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 135.

كما ازدهرت صناعة الأعشاب الطبية خاصة في مدينة إشبيلية في العصر الموحدي، ومن الواضح أن عقاقير الأندلس ظلت تعم المغرب كله(1).

ومدينة بجاية التي كان لها من جهة الشمال جبل يسمى "مسيون"، وهو جبل سامي العلو وفي أكنافه مجموعة من النباتات المنتفع بها في صناعة الطب، مثل شجر الحضض والسقولوقتدوريون والبرباريس والقنطوريون الكبير والزراوند والقسطون والأمستتين وغير ذلك من الحشائش(2)، ومن الواضح أن مدينة بجاية قد ازدهر بها العديد من النباتات الطبية(3)، كما يصاد بالأندلس بعض الحيوانات الوحشية والزواحف، مثل الأفاعي التي تستخدم في صناعة العقاقير(4).

كما استخدم الأندلسيون حبة لبان لمقاومة آلام الأضراس ومعالجة أمراض العيون، فقد أخذ عن 'ابن زهر' أنه كان يكتحل بشراب الورد لمعالجة بصره وتقويته(5)، كما صنع الأندلسيون من بعض الحيوانات البحرية بعض الأدوية، مثل حيوان "القندس" الذي كثر بساحل مدينة لبلة، وكان الصيادون يبيعونه لاستخدام خصاه في صناعة العقاقير الطبية(6).

---

(1) موسى: المرجع السابق، ص 197.
(2) مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 92.
(3) برنشفيك: أفريقية، جـ 1، ص 412.
(4) أبو مصطفى: نفسه، ص 193.
(5) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 105.
(6) أبو مصطفى: نفسه، ص 198.

كما اشتهرت العديد من المدن المغربية بجمع الأعشاب الطبية، ومنها مدينة فاس(1)، كما كان الموالي من 'شيبون' يبيعون أدوية وعشب(2)، وكان بها النهر المعروف بوادي الجواهر الذي توجد فيه (السراطين) المستعملة في الأدوية النافعة، التي ذكرت في كتاب "الأعشاب الطبية"(3).

وبجبل فازاز أنواع من النباتات التي تستخدم في صناعة الأدوية والعقاقير التي تتصرف في العلاجات الرفيعة(4)، وكذلك مدينة أغمات الكثيرة الأعشاب النباتية(5)، ومدينة إيجلي بها شجرة تشبه شجرة الكمثرى وثمرته تشبه الأجاص، ويجمعونه ويتركونه حتى يذبل، ثم يضعونه في مقلاة فخار على النار، ويستخرج دهنه، وهو جيد في علاج الكلى وإدرار البول، كما استغل السكان البيئة المحيطة بهم في علاج أمراضهم(6).

---

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 196؛ أبو مصطفى: جوانب من النشاط الحضاري، ص 284.
(2) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 25؛ انظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 284.
(3) ابن االقاضي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 43 – 44.
(4) مجهول: الاستبصار، ص 187؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 411.
(5) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 130؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 59.
(6) مجهول: المصدر السابق، ص 212؛ حسن: المرجع السابق، ص 411.

كما استغل دهن الصنوبر للاستشفاء من مرض الفالج(1)، كما أن صيد النعام في البسائط بين مدينتي مراكش وسلا لبيع بيضها والاستفادة من شحمهافي صناعة العقاقير(2).

كما كان يزرع بالبساتين وينبت بالجبال العديد من النباتات الطبية والعطرية، مثل الحناء(3)، ومن الواضح أن المرابطين أدخلوا نبات الحناء في بلاد حاحة وسجلماسة(4)، ودرعة(5) التي كثر انتاجها بها، ومنها يتجهز بها إلى كل الجهات، كما أنها تتميز بمميزات في البيع عن سواها، لأن شجر الحناء كبير ويحتمل أن يرقى منها الراقي(6)، وكذلك مدينة أودغست كثيرة الانتاج(7)، وجبل درن به الحناء المفضلة(8)، ومن الواضح أن مدينة قابس بأفريقية اختصت بكثرة انتاجها(9).

---

(1) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 105.
(2) موسى: المرجع السابق، ص 203.
(3) قيل أن الحناء دواء الرسول (ص) إذا أصابه حد شئ أو جرح أو قرحة وضع عليه الحناء، لم يوجد لها أثراً على جلده، وكان صلى الله عليه وسلم إذا صدع وضعها على رأسه، وكان لا يشتكي إليه أحد وجعاً برجليه إلا أمره بالحناء أن يخصبهاما به؛ الخطابي: الطب والأطباء، ص 105؛ وكان عادة الناس أن يضعوا الحناء على رؤوسهم كلما شعروا بالصداع والآلام اقتداءاً برسول الله (ص)؛ بوتشيش: المرجع السابق، ص 105.
(4) شجر الجنايكير في مدينة سجلماسة حتى يكون قوام الشجر يصعدون إليه وفيه يأخذون بذره، ويتجهز به إلى كل الجهات، لعدم وجوده بغيرها؛ مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 56؛ أنظر أيضاً حسن: نفسه، ص 244.
(5) موسى: نفسه، ص 195.
(6) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 227؛ مجهول: نفسه، ص 206 – 207؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 90؛ حسن: نفسه، ص 244.
(7) البكري: المغرب، ص 158، 168.
(8) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 58؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 171.
(9) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 78؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 194.

وهكذا امتلأت بلاد النخل من تارودانت بالسوس غرباً إلى واحات مصر شرقاً، وإلى جانب النخلة وفي ظلالها توافرت الرطوبة ووجدت النباتات والأعشاب الطبية العطرية مثل الحناء والحبق وشجر الصمغ الذي كان يستخدم في الغذاء والدواء وفي الصناعات من صباغة ودباغة(1).من أهم النباتات الطبية والعطرية الشونيز(2) والشيح والينسون والكراويا والكمون والكزبر وإكليل الجبل(3)، وإكليل الملك(4)

---

(1) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 89.

(2) الشـــونيز (حبة البركة): يزرع في مارس أو إبريل، ويجود في التربة الســـوداء واللينة والحرشـــا؛ ابن بصـال: الفلاحة، ص 123 – 124؛ أنظر أيضـاً أبو مصـطفى: تاريخ الأندلس الاقتصـادي، ص 147، هامش (2).

(3) إكليل الجبل: نبات مشـــهور ببلاد الأندلس، كان يســـتخدم كوقود في الأفران، ويكثر في الجبال والمناطق المجصصة القليلة التراب؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 147، هامش (8).

(4) إكليل الملك: يسمى شجرة الحب، وبعجمية (لاتينية) الأندلس قربيلية، وكان يستخدم كعقار للسع الهوام؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 147، هامش (9).

والأقحوان(1)، وعود الألنجوح والمحلب(2) والقسط(3) والسنبل(4) والجنطايا(5) التي كثرت خاصة بالأندلس في غرناطة وأعمالها وجبالها(6)، والناردين الجبلي(7)، والحبق القرنفلي، وهو أفضل وأطيب نشراً، ويستعمل في صناعة الأدوية كدواء المسك وغيره على أنه ليس له منظر حسن، وساشر أنواع الحبق ورقة ذات رغبة وله سنابل(8)، كما أن الأعشاب الطبية تنبت في الأرض الكريمة في بطون الأودية والأماكن الرطبة(9)،

(1) الأقحوان أو البابونج: يعرف في مصر بالكركاس، ويسميه الأندلسيون المقارحة، وهو اسم روماني يطلق عليه أهل أفريقية اسم رجل الدجاجة، وينبت في شرق الأندلس وطليطلة؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 148، هامش (1).

(2) المحلب: يسمى أيضاً (حب الأراك)، واسم شجرته اليسر، ومنها يؤخذ عود اليسر المستخدم في الطيب؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 148، هامش (3).

(3) القسط: يسمى أيضاً البستج، وهو عود يتداول به ؛ المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 127؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 148، هامش (4)؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 188.

(4) السنبل: يوجد بكثرة في جبل شلير وهو فائق الطيب (ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 98)؛ وله عدة أسماء، منها السنبل الرومي، كما ينبت في جبل شقورة (الحميري: الروض المعطار، ص 105)؛ ويطلق عليه أيضاً الناردين والمسمى أيضاً سنبل العصافير (المقري: المصدر السابق، جـــ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 116؛ دندش: المرجع السابق، ص 188.

(5) الجنطايا: نبات مر الطعم، ويسمى ثوم الحية أو دواء الحية، وفي لاتينية الأندلس يسمى شلشكلة، وهو عقار رفيع الطيب ومكانه من الأدوية، ويكثر بقلعة ايوب، وبجبل شلير، ويحمل منها إلى جميع البلاد؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، مجـــ 1، ص 98؛ المقري: نفسه، جـــ 1، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 148؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 116؛ دندش: نفسه، ص 188.

(6) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 18.

(7) الناردين الجبلي: يسميه أهل الأندلس أيضاً الششترة، وهو من أنواع السنبل، كان يكثر بجبال الجزيرة الخضراء ومالقة (أبو مصطفى: نفسه، ص 148، هامش 7)؛ كما استخدمه أهل المغرب ضمن العقاقير التي تصرف في العلاجات الرفيعة (عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 50).

(8) ابن بصال: الفلاحة، ص 168.

(9) نفسه، ص 55.

كما في ناحية دلاية جبل شلير وبفحصها وما يتصل به القرمز، وبها من العقار والأدوية النباتية والمعدنية (المغرانية)(1)، كما أن قرمز الأندلس امتاز بجودته الذي هو من الك الهندي ويكثر بإشبيلية(2) وبلنسية ولبلة وشذونة، ويستخدم في تركيب الأدوية(3).

كما ان القرفة ولونها تستخدم في العلاج المعوي الغذائي(4)، والمر والصبغ الراتنجي الذي يستخدم للتطبيب والطب(5)، كما استخدم الزنيخ في علاج القرحات والأكلات(6)، فكان يجلب إلى بلاد المغرب والأندلس من بنزرت وبحيرتها(7).

عدت الأندلس أبرز مناطق انتاج الزعفران في العصور الوسطى(8)، لما له من اهمية كبيرة في التجارة العالمية، نظراً لاستخداماته العديدة في الصباغة،وفي صناعة العقاقير الطبية، كما أنه يستخدم كتوابل للطبخ ومعطراً للأغذية، لذا كانت الأندلس تصدره للحبشة(9)، كما أنه يستخدم أحياناً في خلط أصفر الزعفران لصبغ الشعر الأبيض(10).

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 98.
(2) ابن عذري: ترصيع الأخبار، ص 96؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 172؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 188.
(3) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 149.
(4) كونستبل: التجارة والتجار، ص 233.
(5) نفسه، ص 233.
(6) نفسه، ص 136، 236.
(7) الزهري: الجغرافية، ص 108.
(8) كونستبل: نفسه، ص 238.
(9) الزهري: المصدر السابق، ص 124؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 128؛ كونستبل: نفسه، ص 233.
(10) الونشريس: المعيار المعرب، جـ 5، ص 26.

ومن أهم المدن الأندلسية في انتاجه مدينة بياسة(1) غزيرة الانتاج(2)، ووادي الحجارة الذي تميز بكثرة انتاجه من الزعفران الذي يتجهز به منها إلى سائر الجهات(3)، وبسطة(4) وباغة من أعمال غرناطة(5) وبلنسية(6) وبمجانة(7)، وفي جيان(8) وغرناطة(9) وطليطلة(10) وأبذه(11)، وكانت المدن الأندلسية تصدره إلى البلاد الأخرى لوفرته بها(12).

---

(1) مدينة بياســـة: تقع على كدية تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى مدينة قرطبة، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق، وحولها زراعات ومستغلات الزعفران الكثيرة بها؛ الأدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 570.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 2، ص 570؛ ابن سعيد: المغرب، جـــ 2، ص 71؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 284؛ القلقشندي: صبح العشى، جـــ 5، ص 229؛ الحميري: الروض المعطار، ص 57؛ المقري: المصدر السابق، جـــ 4، ص 207؛ انظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 128؛ دندش: المرجع السابق، ص 168؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 63.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 553؛ الحميري: الروض المعطار، ص 193.

(4) ابن الخطيب: مشـــاهدات لســـان الدين، ص 31، 87؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 84، 109؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 221؛ أنظر أيضاً مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 574.

(5) ابن سعيد: المغرب، جـ 2، ص 154؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 132؛ أنظر أيضـاً سـامية مسـعد: الحياة الاقتصـادية والاجتماعية، ص 105؛ أبو مصـطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 128.

(6) ابن عذري: ترصـــيع الأخبار، ص 7؛ المقري: المصـــدر الســـابق،جـــــ 1، ص 152؛ أنظر أيضـــاً أبو مصـــطفى: المرجع الســـابق، ص 128؛ مؤنس: المرجع الســـابق، ص 486؛ موســـى: النشـــاط الاقتصادي، ص 197؛ أرسلان: الحلل السندسية، جـــ 3، ص 47؛ بالباس: المدن الإسبانية، ص 121 – 122؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 261.

(7) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 1، ص 293؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 125؛ أنظر أيضاً الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 84.

(8) العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 63؛ موسى: المرجع السابق، ص 197.

(9) موسى: نفسه، ص 197.

(10) ابن غالب: المصـــدر الســـابق، ص 281؛ الحميري: الروض المعطار، ص 133؛ المقري: نفســـه، جـ 1، ص 129؛ أنظر أيضاً بالباس: المرجع السابق، ص 122؛ كونستبل: المرجع السابق، ص 261.

(11) ابن سعيد: المغرب: جـ 2، ص 75؛ القلقشندي: المصدر السابق، جـ 5، ص 229.

(12) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 208.

وعلى الرغم من أن الزعفران الأندلسي كان يعم المغرب كله(1)، إلا أنه انتشرت زراعته في عدم مدن مغربية وأفريقية، ومنها مدينة أبه(2) التي كان بها الزعفران يضاهي زعفران الأندلس في الجودة والوفرة(3)، كذلك مدينة الأربس(4).

أما بالنسبة للعطارين والعشابين فقد اتخذوا دكاكين لهم في الشوارع والأسواق، وقد خضعت تلك الصناعة لرقابة المحتسب(5)، شأنها في ذلك شأن كل الصناعات الأخرى، وهذا ما ذكره السقطي في شأن المحتسب، بقوله "... في هذا أن يقدم عليهم في سوقهم من تعلم ثقته ودينه ومعرفته وبصره بالعقار وتمييزه واعتناؤه بلقاء الشيوخ العارفين بذلك والأخذ عنهم فيه، كذلك ثقات التجار المتجولين في البلاد والأطباء العارفين، ويكون قد بلغت به همته إلى أن يطالع أقوال المتقدمين في اختبار ما يوجد من ذلك والكشف عنه إذ توجد لتلك الأشياء أشباه تماثلها في الصفة والنوع وتنافيها في الفعل والمنفعة سوى ما منها"(6).

---

(1) موسى: نفسه، ص 197.
(2) مدينة أبه: مدينة أفريقية تقع غرب مدينة الأربس؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 292.
(3) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 292؛ انظر أيضاً برنشفيك: أفريقية، جـ 2، ص 231.
(4) التازي: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 78.
(5) ابن عبدون: الحسبة، ص 47؛ ابن عبد الرؤوف: الحسبة، ص 86 – 87؛ التلمساني: مصباح الأرواح، ص 34؛ أنظر أيضاً بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 174؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 136.
(6) الحسبة، ص 58؛ المجليدي: التيسير في أحكام التعسير، ص 117 – 118؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 136.

كما أن ابن عبد الرؤوف يمنع من خلط العقاقير الطبية الطيبة بالرديئة بقوله "... وينهون عن خلط العقار الطيب بالدون، والأشياء الهندية بالبلدية وبيعها ممن لا يميزها ولا يفرق بينها مثل الخولان والصبر والبان والعود الرطب وما أشبه ذلك مما يصنع ويدخله الغش، وكذلك ينهون عن خلط البذور الردة بالطيبة أو بيعها على أنها طيبة، وأن لا يبيعوا شيئاً من العطر مغربلاً، إذا كان يغربل مثل الحناء وغيرها، ولا يخلط طري بالحناء بقديمها، لأنها إذا قدمت تغير لونها وضعف صبغها"(1).

ومن هنا يتضح لنا مدى اهتمام الأندلسيون والمغاربة بمجال البحث في صناعة الأدوية ولا سيما النباتية، واهتمام علمائهم بالنبات من الناحيتين الطبية واللغوية، وذلك أن عدداً من العلماء الأندلسيين الذين ألفوا في الأدوية المفردة لم يكونوا أطباء أو صيادلة، وكان لهم إلمام واسع باللغة ودقائقها، لذا تجلى الاهتمام بهذه الصناعة(2)، وقد ازدهرت هذه الصناعة في عصري المرابطين والموحدين، ويرجع ذلك إلى جهود الدولتين للنهوض بها بالرغم من التغيرات التي أحدثت أثرها في الاتجاه الفكري العام في بلاد المغرب والأندلس،

---

(1) الحسبة، ص 86؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 136.
(2) الخطابي: الطب والأطباء، ص 33.

فإن علوم الصيدلة والطب والنبات لم تتأثر بما عرفته البلاد من هزات على الصعيد السياسي والاجتماعي والفكري، لأن الملوك والأمراء أعطوا أهل هذه الصناعات والعلوم رعايتهم، كم أتاحوا لهم الظروف المناسبة لممارسة نشاطهم العلمي(1).

11- صناعة تجفيف الفاكهة:

اشتهرت العديد من المدن الأندلسية(2) والمغربية بجفيف الفاكهة وادخارها سليمة من الفساد لحين الاحتياج إليها في غير أوقاتها، ونذكر منها طريقة تجفيف التين وحفظه حتى لا يسوس، بأن يجمع من الشمس يابساً جداً وتبيته في موضعه ليدخله برد الليل ورفعه، والبعض الآخر من الناس لا يجعله في آنيه حتى يتدود ويخرج عنه دوده وحينئذ يحصله، ومنهم من يجعله كذلك ويرشه بماء قد نقع فيه ملح أو نثر عليه وبينهما ورق الضروتان هذا لحفظه، وأن نثرت فيه حب الدازيانج طاب لأكله، ودفع الريح منه(3).

(1) نفسه، ص 23.
(2) المقري: نفح الطيب، جـ 4، ص 203؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 265.
(3) الإشبيلي: الفلاحة، ص 74.

ومن أهم المدن الأندلسية التي اشتهرت بصناعة تجفيف الفاكهة وخاصة التين، مدينة شريش التي اختصت بتجفيف التين(1)، وكذلك مدينة أنده من أعمال بلنسية(2)، كما بلغت صناعة تجفيف الفاكهة خاصة التين في غرناطة أوج تقدمها لأنها قامت على تصديره، مما أدى انتعاشها الاقتصادي(3).

وكذلك أحد حصون غرناطة (قمارش)(4)، لذا امتاز أهل غرناطة بادخارهم للفواكه المجففة وكلها من حين لآخر(5)، وكذلك مدينة إشبيلية، فالتين بها يصدر إلى المغرب وذلك يرجع لكثرته بالشرف(6) وسرقسطة(7)، كما برع أهل مالقة(8) وشلب بتجفيف التين وتصدر إلى جميع بلدان الأندلس(9)، كما يعد من أفضل أنواع التين، كذلك مدينة دانية(10).

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 573.
(2) أرسلان: الحلل السندسية، جـ 3، ص 221.
(3) كونستبل: التجارة والتجار، ص 325.
(4) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 94؛ ابن الخطيب: مشاهدات، ص 79.
(5) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 71.
(6) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 541؛ المقري: نفح الطيب، جـ 4، ص 203؛ مقديش: نزهة الأنظار، مجـ 1، ص 161؛ أنظر أيضاً الهرفي: المرابطين، ص 285؛ دندش: الأندلس، ص 166.
(7) الزهري: الجغرافية، ص 82؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 285.
(8) فاستدار بمدينة مالقة شجر التين المنسوب إلى رية ومدينة مالقة عقدتها، وهو من أحسن التين لوناً والبرق حجماً وأحلاه طعماً، يقال أنه ليس في الدنيا مدينة عظيمة يحيط بها سور من حلاوة عرض السور للمسافر يوم للمسافر إلا مالقة، وهذا يعني أن شجرتيها الشبيهة بالحلاوة يحيط بها إحاطة السور، لذا يحمل إلى جميع البلاد حتى يصل إلى الهند والصين، وذلك لمسافة سنة لحسنه وحلاوته وعدم دخول السوس تينه؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 565، 570؛ ابن سعيد: المغرب، جـ 1، ص 423؛ مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 161 – 162؛ أنظر أيضاً مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 488؛ كونستبل: المرجع السابق، ص 325 – 326.
(9) الإدريسي: نفسه، مجـ 2، ص 543؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 258.
(10) الإدريسي: نفسه، مجـ 2، ص 557.

بالإضافة إلى تجفيف التين، كان تجفيف العنب وعمل الزبيب الذي اشتهرت بصناعته كل من قرية شاط(1) بالمنكب(2) وإشبيلية(3) ويابسه(4) وسرقسطة(5)، ومدينة غرناطة فواكههم اليابسة عامة العام متعددة يدخرون العنب سليماً من الفساد إلى شطر العام إلى غير ذلك، ومنها الزبيب مما لا ينفذ ولا ينقطع مودة إلا في الفصل الذي يزهد في استعماله(6).

وألش التي يعد زبيبها من أفضل أنواع الزبيب(7)، بالإضافة إلى صناعة تجفيف اللوز كما في قمارش إحدى حصون غرناطة(8)، فقد امتازت غرناطة بتجفيف اللوز والجوز(9)، كما في كورة قبرة من أحواز كورة ألبيرة(10)

(1) قرية شاط: بينها وبين مدينة المنكب حوالي 18 كم تقريباً، وبها زبيب حسن الصنعة كبير المقدار أحمر اللون، لذا يصدر إلى جميع البلاد؛ الإدريسي: نفسه، مجـ 2، ص 564 – 565؛ انظر أيضاً أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 278.
(2) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 96؛ أنظر أيضاً دندش: المرجع السابق، ص 178؛ كونستبل: نفسه، ص 326.
(3) المقري: المصدر السابق، جـ 4، ص 209؛ انظر أيضاً كونستبل: نفسه، ص 326.
(4) الزهري: المصدر السابق، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 257.
(5) الزهري: نفسه، ص 82؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 258.
(6) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 137؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 135؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 326 – 327.
(7) البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 111.
(8) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 94؛ مشاهدات، ص 79.
(9) ابن الخطيب: الإحاطة، مجـ 1، ص 137؛ انظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 135.
(10) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283.

كما اختصت مدينة سرقسطة بصناعة تجفيف الأجاص والخوخ وحب الملوك(1)، وامتازت غرناطة بتجفيف التفاح والرمان(2).

كما اشتهرت العديد من المدن المغربية بصناعة تجفيف الفاكهة، ونذكر منها جبل نفوسة الذي اشتهر بتجفيف التين(3)، وصفاقس التي يصدر منها إلى جميع البلاد(4)، وبجاية الغنية بتينها(5)، وجبل درن(6)، وكذلك تاغللت(7) وبها التين الطيب المتناهي في الطيب والبالغ الحلاوة(8)، وتين طرابلس(9)، بالإضافةإلى تجفيف وصناعة الزبيب التي اشتهرت به طرابلس(10)، وصفاقس بزبيبها(11)، وجزيرة جربة كذلك(12).

---

(1) الزهري: الجغرافية، ص 82؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 258.
(2) ابن الخطيب: المصدر السابق، مجـ 1، ص 137؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: نفسه، ص 135.
(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـــ 1، ص 279؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 106؛ أنظر أيضاً معمر: الإباضية، جـ 2، ق 2، ص 213؛ الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة، ص 155.
(4) مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 109 – 110.
(5) مقديش: نفسه، جـ 1، ص 93.
(6)جبل درن: يقع على البحر المحيط، وفيه جبال المصـــامدة المعروفين بالموحدين؛ ابن ســـعيد: المصـــدر السابق، ص 25.
(7) بلاد تينملل: هو حصن ما لمخلوق عليه من سبيل، وذلك لانقطاعه بالأجراف والمهاوي من جميع الجهات ولا يعبر إليه أحد إلا على جســـر، ويرفع في حالة الحرب؛ (ابن ســـعيد: الجغرافيا، ص 125)؛ ويعد المصــمودي محمد بن تومرت حين ظهر بالمغرب، هو الذي زاد في تشــييده ونظر في تحصــينه وجعله مدخراً لأمواله ودفن به؛ (الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 230؛ مقديش: نفسه، جـ 1، ص 59).
(8) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 230.
(9) الإدريســي: نفســه، مجـــ 1، ص 297؛ ابن ســعيد: بســط الأرض، ص 79؛ مقديش: نفســه، جــــ 1، ص 129.
(10) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 79؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 146.
(11) مقديش: نفسه، جـ 1، ص 110.
(12) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 145.

ومدينة نفيس بها أنواع من الزبيب العجيب في جمال المنظر وحلاوة المذاق وكبر المقدار، وهو مع ذلك كثيراً جداً مشهوراً في الصين وبلاد المغرب الأقصى(1).

وكذلك عنب جبل تاغللت، العنب المستطيل العلس الذي لا يوجد في أكثره نوى، وفيه يتخذ الزبيب الذي عليه يقبل ملوك المغرب لدقة قشرته وعذوبة طعمه واعتدال غذائه(2)، وعن صناعة تجفيف اللوز والجوز فاشتهرت به مدن مغربية من ضمنها سلا التي اشتهرت بكثرة اللوز(3)، وبجاية التي اشتهرت بكثرة الجوز الذي يحمل إلى سائر الأقطار لم يتمتع به من الجودة في الانتاج(4)، ومدينة مكناسة باللوز والجوز(5)، وجبل درن به جوز ولوز(6)، وجبل تاغللت به أيضاً جوز ولوز(7).

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 229؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 58.
(2) الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 230
(3) الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 43.
(4) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 269.
(5) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 25؛ أنظر أيضاً الماجي: المغرب في عصر السلطان أبي عنان، ص 178؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة، ص 159؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 87؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 249؛ Terrase (H): Histoire du Maroc; p.206
(6) مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 59.
(7) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 230.

12- صناعة الخل:

عرف أهل الأندلس واستخدموه في الطبخ وغيره من أمور الصيدلة، والخل الأبيض يصنع من العنب الأبيض المتناهي في الحلاوة الخالص، الذي لم يدخله ماء مما يساعد على إكساب الأطعمة مذاقاً طيباً يستلذ به(1)، لذا كان الأندلسيون يضيفونه على معظم الأطعمة لكي يكسبها رائحة مقبولة(2)، ومن اهم المدن المغربية التي اشتهرت بصناعته مدينة قفصة التي قامت على تصدير خل العنصل إلى غيرها من البلدان(3).

13- صناعة الحصر:

ازدهرت صناعة الحصر لتوفر المادة التي تستخدم في تصنيعها، وهي نبات السمار المتوفر بكثرة في بلاد المغرب والأندلس(4)، كما تعد صناعة الحصر من أهم صناعات الأدوات المنزلية(5)، فاشتهرت بانتاجها عدة مدن من البلاد الأندلسية والمغربية، أما بالنسبة للأندلسيون الذين اهتموا بمنازلهم،

---

(1) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 258.
(2) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 264.
(3) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 60؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 126؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ 5، ص 107؛ أنظر الويشي: جببل نفوسة، ص 215.
(4) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 170.
(5) نصر الله: الأدارسة، ص 142.

لذا عملوا على تغليف الحيطان بالحصر الفاخرة أو تفرش على الأرض بالمنازل والمساجد، فاختصت بصناعتها مدينة مرسية، فكانت جميلة مبهجة المنظر متناسقة الألوان جيدة الصنع(1)، كما اشتهرت مدينة بسطة بصناعة الحصر(2)، وبرع أهل مجريط بصناعة الحصر لاعتمادها على نبات الحلفاء الطويلة(3).

كما اشتهرت بعض المدن المغربية بصناعة الحصر(4)، ومنها عدوتي سلا والرباط، فانتشرت الحصر السلاوية في سائر بلدان المغرب حتى في عدد من الأقطار الأجنبية، لذا عدت حسنة الصنع والمنظر واتقان الجودة(5)، فصناعة الحصر عند أهل سلا من اهم الصناعات، ولأهلها سفن ومراكب يحملون فيها هذه الحصر ويسافرون بها إلى الأندلس ومدنها مثل مدينة مالقة وإشبيلية والجزيرة الخضراء، وإلى المغرب، ومنها مدينة سبتة، ومنها إلى مدن المغرب الأوسط، مثل الجزائر ووهران وتلمسان، والمغرب الأدنى

(1) المقري: نفح الطيب، جـــ 1، ص 168؛ جـــ 4، ص 210؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 77؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 221 – 222؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 489؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 237، 258، 356؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 278.
(2) دندش: الأندلس، ص 324.
(3) عبد الرؤوف: الحسبة، ص 102؛ السقطي: الحسبة، ص 80؛ أنظر أيضاً بدر: تاريخ الزراعة في المغرب، ص 340.
(4) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 258، هامش (3).
(5) الدكالي: الإتحاف الوجيز، ص 44، 46؛ أنظر أيضاً زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ص 321 – 322.

مثل تونس والقيروان وبجاية وطرابلس الغرب، حتى يصلوا إلى الإسكندرية وسواحل مصر ويرجعون غالباً بالبضائع فقط، وتارة يأتون بما يروج في بلدهم من تجارة هذه البلاد(1)،

ويرجع إزدهار هذه الصناعة إلى توفر المادة الخام اللازمة لصناعتها، هذا بالإضافة إلى تشجيع دولة المرابطين الصناع على القيام بهذه الصناعة، فكان المرابطون ينامون على حصر الخيزان الناعمة(2)، وفرش الحجرات بها(3)، لذا فكانت تفرش في المنازل القصيرة(4).

كما كان المحتسب يأمر صناع الحصر بتحسين ما يخيطونه من حصرأو غيره، ووجه تحسين خياطتهم بأن يأخذ لويتين من يمين ولويتين من شمال(5).

---

(1) زنيبر: المرجع السابق، ص 320.
(2) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 4، ص 124.
(3) دوزي: المسلمون في الأندلس، جـ 3، ص 148.
(4) روجيه: فاس، ص 136.
(5) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص 102.

ثانياً- الصناعات القائمة على الانتاج الغابي:

1- الصناعات الخشبية:

أ- الجسور:

تعد صناعة الجسور من أهم الصناعات الخشبية، وقد اهتم المرابطون ببناء القناطر والجسور، فأقام الأمير 'علي بن يوسف' قنطرة بمدينة مراكش تقع على نهر تانسيفت، جلبوا لها الماء من جبال أطلس، وجلب لها الصناع من الأندلس من أهل المعرفة في البناء(1).

كما تمكن المرابطون من تأمين سواحل المغرب الأقصى والأندلس ضد هجمات الفرنجة والقراصنة، وفي نفس الوقت استطاعوا إقامة جسر بين المغرب والأندلس لنقل الجنود والمعدات إلى الأندلس، فصار للأسطول المرابطي شأن كبير(2).

كما استخدم أهل مدينة سلا الدواليب والسواقي من الآبار لاستخراج المياة(3)، وكذلك مدينة أسفى(4)، وكان لأهل الأندلس مهارة في استخدام الدواليب أو الناعورة(5).

---

(1) مقديش: نزهة الأنظار، جـــ 1، ص 62؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 236، 375، 405؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 38؛ حسن محمود: المرابطين، ص 394.
(2) حسن: المرجع السابق، ص 210.
(3) الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 42.
(4) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 169.
(5) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 108 – 109.

كما شهد العصر الموحدي انتشاراً واسعاً في الصناعات الخشبية، وظهرت مناطق جديدة لانتاجها، وتميزت بكثرة الانتاج وجودته، وذلك لأن الأغراض قد تنوعت، فقد اضطرت الضرورات العسكرية للموحدين إقامة جسور في أودية السهول الغربية، فقد شيد الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' جسراً من قوراب ممسوكة بأخشاب ضخمة بين مدينتي الرباط وسلا(1).

كما جدد ابنه الخليفة 'يوسف بن عبد المؤمن' (558 – 580 هـ / 1163 – 1184 م) عند زيارته لمدينة سلا هذا الجسر بآخر أضخم منه، وكان يتكون من قنطرة مركبة على ثلاثة وعشرون معدية عليها أوصال الخشب، وصليت عليها الألواح ليمر عليها العساكر المسافرون(2)، ووضع آخر مثيلاً له على وادي إشبيلية أيضاً الخليفة 'يوسف بن عبد المؤمن' سنة 567 هـ / 1160 م، وهي قنطرة هندسية ممسوكة بالمراكز المؤسسة، والمراد هنا جسر من القوارب بعضها إلى جوار بعض

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 232؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 170؛ عبد المنعم: مدينة سلا، ص 74؛ حسن: نفسه، ص 405؛ جلاب: دراسات مغربية في التراث، ص 169.
(2) المراكشي: المعجب، ص 291؛ مجهول: الاستبصار، ص 140 – 141؛ أنظر أيضاً عبد المنعم: المرجع السابق، ص 74؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 200؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 232؛ المنوني: المرجع السابق، ص 176؛ حسن: نفسه، ص 405.

وثبت على مسافات محسوبة، وقواعد من الحجر رأسية في قاع النهر على القوارب توضع على ألواح من الخشب فتصبح وكأنها طريق، وتقام لها حواجز على الجانبين، وكان افتتاحها عام 567 هـ / 1160 م(1).

كما أعاد الخليفة 'المنصور' قنطرة تانسيفت التي سبق أن بناها المرابطون، والتي تمتد على مسافة خمسة عشر قوساً، وهي على طول 350 م عرض خمسة أمتار، ولقد خربت ثلاث قناطر على عهد 'أبي دبوس أبو العلاء الواثق' (646 – 665 هـ / 1248 – 1267 م) لكي يمنع المرينيون من العبور عليها(2).

ب- بناء السفن الحربية والتجارية:

من أهم الصناعات التي قامت على الأخشاب صناعة السفن بشكل عام، وذلك لتوافر المواد الخام الضرورية لصناعة الأساطيل، كالخشب الصنوبر القوي الذي يصنع منه ألواح السفن والصواري والمجاديف التي توفرت في بلاد المغرب والأندلس(3).

---

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 166، 370؛ ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 121، 165؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 211، 266؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 135؛ ابن بسام: أخبار ملوك الحضرة المراكشية، ص 38؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 181؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 112، 287؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 416؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 200؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 5، ص 70 – 71، 137؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 176؛ مؤنس: رحلة الأندلس، ص 128 – 129؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 219؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 120، 223 – 225.

(2) الوزان: وصف أفريقيا، ص 621؛ أنظر أيضاً حركات: المرجع السابق، ص 200.

(3) العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 57.

ويقصد بدار الصناعة الورشة التي يصنع بها السفن والآلات التي كانت تسمى أيضاً بدار صناعة القطائع، أو دار صناعة الأسطول، ومن كلمة دار الصناعة اشتقت الكلمة الأسبانية(1)، ولجودة أخشاب الصنوبر استخدمه الأندلسيون في صناعة الأسطول(2)، وتعددت دور الصناعة في الأندلس والمغرب في عصري المرابطين والموحدين، ومن الواضح أن المرابطين قد بدأوا يهتمون ببناء أسطولهم في عهد الأمير 'يوسف بن تاشفين' والنواة الأولى لأسطول المرابطين اشتركتفي حصار مدينة سبتة وانتزاعها، وبعد دخولهم مدينة سبتة عمل 'يوسف بن تاشفين على إصلاح سفنها، وتعد خطوة عظيمة في اسطول مغربي قوي، استفادوا من دور صناعتهم لما فيها من سفن وآلات، وأيقن أهمية العامل البحري في كسب المعارك، فاهتم بالأسطول واستعان ببحارة الأندلس ودور صناعتها في تدعيم الأسطول وتنظيمه(3)

---

(1) سالم: المرجع السابق، ص 220.
(2) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 167.
(3) سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 50؛ حسن محمود: دولة المرابطين، ص 343؛ العبادي وسالم: المرجع السابق، جـ 2، ص 239؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 52.

ولم يكن للمرابطين قبل عبورهم إلى الأندلس أسطول قائم بذاته، ولكن 'المعتمد بن عباد' ملك إشبيلية وجه إليهم من حاضرته أسطولاً ينقلهم من مدينة سبتة إلى ساحل الجزيرة الخضراء(1) بالأندلس(2). وكانت هناك داراً لصناعة وإنشاء الحراريق(3) بالجزيرة الخضراء(4). ومنذ ذلك الحين حرص الأمير 'يوسف بن تاشفين' على إنشاء أسطول مرابطي يليق بدولته، ولم يشرع المرابطون في إنشاء أسطولهم الحربي الكبير إلا بعد أن سقطت مدينة المرية في أيديهم(5).

---

(1) الجزيرة الخضراء: تقع أمام سبتة في بر الأندلس، وفي وهي في الحقيقة ليست بجزيرة وإنما هي شبه جزيرة ولكنها عرفت بهذا الاسم لأنه يوجد في بحرها جزيرة صغيرة خضراء، وهي على خليج مستدير تجاه جبل طارق الذي يقع في جنوبها، وهي مدينة كثيرة الزرع والماشية، يشقها نهر وادي العسل الذي عرف بهذا الاسم لحلاوة مياهه؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 73؛ العمري: مسالك الأبصار، ص 236؛ للمزيد من التفاصيل أنظر أيضاً محمد فهمي إمبابي: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة الجزيرة الخضراء الأندلسية منذ سقوط الدولة العامرية وحتى استيلاء القشتاليين عليها (399 – 744 هـ / 1008 – 1344 م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب – جامعة طنطا، 1997 م، ص 1 - 14.

(2) أبو مصطفى: بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993 م، ص 147 – 148.

(3) الحراريق: أو الحراقات، وهي نوع من السفن الحربية، والتي كانت تحمل المنجنيقات التي ترمي بالنفط المشتعل على العدو عند الهجوم، وتقوم على إحراق سفن العدو؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 268؛ مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الدار العربية اللبنانية، 1993 م، ص 82؛ خانكي (جميل): تاريخ البحرية المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1948 م، ص 121؛ السعيد: الحياة الحربية، ص 168؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 254.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 539؛ العمري: المصدر السابق، ص 236؛ الحميري: الروض المعطار، ص 74.

(5) سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 49 – 50؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 202.

وأخذ المرابطون يتوسعون في بلاد الأندلس، واتجهوا صوب مدينة المرية وفتحوها حتى وصلوا إلى موانئ البحر الأبيض واستولوا على دور صناعتها(1)، وقد عدت دار صناعة المرية من أهم قواعد البحرية في الأندلس، وقد كان للضرورات العسكرية تأثير في بناء السفن، لذا اهتم المرابطين بالمرية خاصة في النواحي الاقتصادية، ووجهوا عنايتهم بالأساطيل(2)، وكانت المرية تئوي ما لا عن مائة جفن في العصر المرابطي(3)، واستعانوا بالخبراء الأندلسيين في صناعة البحرية والإنشاء، وتمكنوا من حماية سواحل الأندلس من الخطر المسيحي الإسباني والسيطرة على البحرية في البحر المتوسط، وشن الغارات البحرية على السواحل الأوربية المسيحية(4).

(1) سالم: المرجع السابق، ص 89؛ حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 343.
(2) ابن سعيد: المغرب، جـ 1، ص 193؛ العمري: نفسه، ص 233، 238؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ ابن الخطيب: رحلة الطيف، ص 48؛ انظر أيضاً سالم: نفسه، ص 89؛ سالم:تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 64؛ حسن محمود: المرجع السابق، ص 189؛ العبادي وسالم: المرجع السابق، جـ 2، ص 238 – 239؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 148؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 63.
(3) الزهري: الجغرافية، ص 101؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 251.
(4) ابن العذري: ترصيع الأخبار، ص 86؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 217؛ أنظر أيضاً سالم: نفسه، ص 49 – 50، 117، 166؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 251 – 252؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 264؛ حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 343؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 196؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 263، 264.

عدت مدينة دانية من أهم مراكز صناعة السفن بعد مدينة المرية، فكان بها داراً لصناعة الأسطول، وكانت قاعدة الغزو، ومقر قيادة الأسطول المرابطيفي الأندلس(1)، وبعد أن خضعت البلاد للأمير المرابطي 'يوسف بن تاشفين'(453 – 500 هـ / 1061 – 1106 م) قرر العبور إلى جزيرة الأندلس، فكانت محصنة بالبحر، فأنشأ الشواني(2) ومراكب وأراد العبور إليها(3)، ولكن كيف تم للمرابطين بناء أسطول في هذا الوقت القصير، وليست لهم خبرة بركوب البحر، وهم الصحراويون، ولكن ليس ببعيد أن يكون المرابطون قد استطاعوا بعد فتح وادي ملوية الاقتراب من الساحل ابتياع بعض السفن وشحنها بالرجال، واصبحت هذه السفن نواة الأسطول المرابطي الذي لعب دوراً هاماً في تاريخ النضال في البحر الأبيض المتوسط(4)، كما أمر الأمير 'علي بن يوسف' بتعمير ثلاثمائة قطعة لإنقاذ جزيرة ميورقة، وقد أفلح الأسطول المرابطي في نجدة مسلمي ميورقة في أواخر عام 509 هـ / 1116 م(5)،

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 557؛ الحميري: الروض المعطار، ص 76؛ أنظر أيضاً حركات: النشاط الاقتصادي، ص 184؛ الصلابي: المرجع السابق، ص 196؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 4، ص 254؛ أرسلان: الحلل السندسية، جـ 3، ص 294؛ مكي (محمود): وثائق تاريخية عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، 1959 – 1960 م، مجلدان 7، 8، ص 163؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 58؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 187.

(2) الشواني: مفردها (شيني)، وهي سفن حربية ضخمة تنصب بها أبراج للدفاع، وكانت تحمل المقاتلين، وتتكون من عدة طبقات كالقلعة؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 253، هامش (2)؛ السعيد: الحياة الحربية، ص 170؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 254؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 51؛ دندش: المرجع السابق، ص 149.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجـ 7، ص 113؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 32؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 4، ص 294.

(4) حسن محمود: المرجع السابق، ص 163، 188.

(5) العبادي وسالم: المرجع السابق، جـ 2، ص 242؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 244؛ مكي: المرجع السابق، ص 160.

وقد اهتم اسطول نقل البضائع والمسافرين وحراستها، فكانت قطائع النقل تجتمع بنوع خاص في مياة مدينة سبتة وطنجة والجزيرة الخضراء(1) لتنقل الجيوش من وإلى شبه الجزيرة، واختصت أسرة 'بني ميمون'(2) بقيادة الأسطول في مدينة قادس، ثم صارت القيادة وأمرة البحر لأبناءه في عهد الأمير 'يوسف بن تاشفين'(3).

وقد ظل بمدينة المرية قسم كبير من أسطول المرابطين الذي كان مستعداً لتلبية أوامر 'تاشفين بن علي' عندما حاصر الموحدون مدينة وهران، ويبدو أن الأسطول المرابطي بوحداته المتعددة وصلت من المرية إلى عشرة أساطيل أجفان غزوية، وتخضع لقيادة موحدة(4)،

(1) موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 266 – 267.

(2) من أهم أمراء البحر في أواخر عهد الأمير 'يوسف بن تاشفين' 'عيسى بن ميمون'، وتوارث أبناؤه وأحفاده هذا المنصب الكبير طوال عهد المرابطين، واستقر منهم 'أبو عبد الله محمد بن ميمون' في المرية، وكان صاحب البحر في أواخر عهد المرابطين، وأخوه 'علي بن عيسى' قائد أسطول المرابطين في مدينة قادس، كما دخلوا فيما بعد في خدمة الموحدين؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ 2، ص 222، هامش (1)؛ دندش: نفسه، ص 145؛ سالم: المرجع السابق، ص 500.

(3) دندش: نفسه، ص 145.

(4) الهرفي: دولة المرابطين، ص 264 – 265؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 89؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 317، هامش (113).

كما استثمرت الدولة المرابطية مراسي الأندلس في إنشاء السفن الحربية والتجارية في كل من طرطوشة(1) ولقنت(2) ودانية وبلنسية وشلب(3) وقصر أبي دانس(4)، وكان بمدينة مالقة داراً لصناعة الحراريق(5)، وكذلك في قادس(6) والمرية قاعدتا الأسطول المرابطي(7).

---

(1) مدينة طرطوشة: كانت غنية بأشجار البقس الذي يتميز بصلابة أخشابه ذات اللون الأصفر، والذي يستخدم في بناء السفن؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 286؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 168، هامش (6)؛ بالباس: المدن الأسبانية، ص 121؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 187؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 232.

(2) مدينة لقنت: مدينة صغيرة بالأندلس عامرة، بها أسواق ومسجد جامع، وبها الكثير من أنواع الفاكهة من تين وأعناب وغيرها، ورغم صغرها إلا انها اشتهرت بصناعة المراكب السفرية والحراريق؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 558؛ الحميري: الروض المعطار، ص 170؛ أنظر أيضاً أرسلان: الحلل السندسية، جـ 3، ص 336؛ دندش: المرجع السابق، ص 188؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 264.

(3) مدينة شلب: بها أشجار الصنوبر والعود (الخشب)، الذي يكثر بجبالها، وتصدر إلى جميع البلاد، وهي أخشاب صالحة لبناء السفن؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 543؛ أنظر أيضاً موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 266 – 267؛ أبو مصطفى: النشاط الاقتصادي، ص 167.

(4) لكثرة أشجار الصنوبر بها قامت عليها صناعة السفن؛ الإدريسي: نفسه، مجـ 2، ص 544؛ الحميري: المصدر السابق، ص161؛ أنظر أيضاً العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية، جـ 2، ص 55؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 167؛ أبو الفضل: المرجع السابق، ص 263.

(5) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 234؛ ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 77؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 219؛ العبادي وسالم: المرجع السابق، جـ 2، ص 58؛ أبو الفضل: نفسه، ص 263.

(6) مدينة قادس: مدينة صغيرة تقع غرب الأندلس، غنية بأشجار الصنوبر، وقدرها حوالي 12 كم تقريباً؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 139؛ الحميري: المرجع السابق، ص 145؛ العبادي وسالم: نفسه، جـ 2، ص 57؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 167.

(7) موسى: نفسه، ص 266؛ النشاط الاقتصادي، ص 232.

كما وجدت دار لإنشاء السفن أيضاً في كل من قصر مصمودة(1) وسبتة وطنجة(2) في بلاد المغرب والتي كان يغلب عليها الطابع التجاري(3).

تميز الأسطول المرابطي بقوته(4)، وذلك لعنايتهم ببناء الأسطول لحاجتهم لقوة بحرية، فاهتموا ببناء السفن وبدور صناعتها، لذا صار للأسطول المرابطي دور فعال في المعارك البحرية وفرض هيبة البحرية الإسلامية على البحرالمتوسط، فكانت لهم أساطيل دائمة في سبتة وقادس والمرية(5).تغير الموقف في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / الثاني عشر الميلادي في ظل حكم الموحدين، بعد أن خرب نصارى أسبانيا المرية(6)،

---

(1) قصر مصمودة: يبعد عن مدينة سبتة في الغرب حوالي 18 كم تقريباً، وهو حصن كبير على البحر تنشأ به المراكب والحراريق التي يسافر فيها إلى بلاد الأندلس، وتقع على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس، ومن قصر مصمودة إلى مدينة طنجة حوالي 30 كم تقريباً ناحية الغرب؛ الإدريسي: نفسه، مجـ 2، ص 529؛ أنظر أيضاً بن تاويت: الوافي بالأدب العربي، جـ 1، ص 279؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 88.

(2) طنجة: مدينة بالمغرب تطل على جبل مطل على البحر سكنى أهلها منه، وهي مدينة حسنة بها أسواق وصناع وبها أنشأ المراكب وبها إقلاع وحط؛ الإدريسي: نفسه، مجـ 2، ص 529؛ أنظر أيضاً بن تاويت: المرجع السابق، جـ 1، ص 279، 232؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 232.

(3) موسى: المرجع السابق، ص 232.

(4) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 211؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 146.

(5) دندش: المرجع السابق، ص 145.

(6) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 493.

وفقد شرق الأندلس طرطوشة التي كان يصنع بها الصواري للمراكب السفرية لكثرة الأخشاب الموجودة بها ويميزها بطولها وعرضها وعدم فعل السوس فيها لصفاء خشبها الأحمر(1).

ولم تعد غرب الأندلس مكاناً آمناً، مع أن الموحدين استفادوا من دور الإنشاء الأندلسية التي ورثوها عن المرابطين، وركز الموحدون على دور الإنشاء في المغرب والأندلس، وجعلوا مدينة سبتة قاعدة لأسطولهم(2).تعددت دور إنشاء السفن في كل من المغرب والأندلس في عصر الموحدين، فقد قام الموحدون على توسيع دور الإنشاء التي كانت قائمة على هذه السواحل في عدة مدن، مثل مدينة سبتة(3)، بجاية(4)

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 734؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 286؛ الحميري: الروض المعطار، ص 124؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 232 – 233؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 167 – 168؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 294 – 295؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 184؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 57؛ أرسلان: الحلل السندسية، جـ 3، ص 7، 15.

(2) موسى: المرجع السابق، ص 320؛ موسى: الموحدون في الغرب، ص 265 – 266.

(3) السبتي: اختصار الأخبار، ص 54، 56.

(4) موسى: النشاط الاقتصادي: ص 193.

، وجددوا ما أهمل مثل مدينة المهدية(1) ومدينة تونس(2) ووهران وهنين(3) وبادس(4).

كما أسس الموحدون دوراً أخرى جديدة(5) في عدة مدن منها مدينة سلا(6)، وبذلك تجلت النهضة الصناعية في العصر الموحدي، وصناعة السفن التي انتشرت دور صناعتها على السواحل(7)، ولقد تميز المغرب بالثروة الغابية خاصة اشجار البلوط التي تغطي مساحة كبيرة به(8)، وكذلك الصنوبر والأرز والبلوط والعرعر(9)،

---

(1) كربخال: أفريقيا، جـ 3، ص 71.

(2) ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص 348؛ أنظر أيضاً كربخال: المرجع السابق، جـ 3، ص 23؛ برنشفيك: أفريقية، جـ 1، ص 378؛ موسى: المرجع السابق، ص 193.

(3) مدينة هنين: مدينة صغيرة حسنة في نحو البحر، وهي مدينة عامرة عليها سور متقن وأسواق وبيع وشراء، خارجها زراعات كثيرة وعمارات متصلة، منها إلى مدينة تلمسان في البر مسافة 60 كم تقريباً؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 534.

(4) مدينة بادس: هي مدينة من فرض غمارة، ويعرف هذا الساحل بساحل الريف، وهي مدينة غنية بالأخشاب التي تستخدم في صناعة السفن، وتعد من أهم مرافئ تجارة الأخشاب؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 74؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 143؛ الكراس: عروسة المسائل، ص 41، هامش (41)؛ = = نشاط: إطلالات على تاريخ المغرب، ص 74؛ بدر: تاريخ الزراعة في المغرب الإسلامي، ص 257؛ الشاهري: الأوضاع الاقتصادي، ص 88.

(5) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 233؛ موسى: الموحدون في الغرب، ص 266؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 189.

(6) اشتهرت مدينة سلا ببناء السفن والمراكب التجارية؛ الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 171؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 233؛ موسى: الموحدون، ص 266؛ بدر: المرجع السابق، ص 318.

(7) موسى: الموحدون في الغرب، ص 52.

(8) حسنين: جغرافية الدول الإسلامية، ص 354؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 85.

(9) العربي: المغرب، ص 125؛ منصور: قبائل المغرب، جـ 1، ص 73 – 75؛ العبادي وسالم: تاريخ البحري، جـ 2، ص 58؛ السيد: دول المغرب، ص 206؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 166؛ رفلة (فيليب): جغرافية الوطن العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970 م، ص 129.

وقد استفادت الدولة الموحدية من أشجار الأرز الموجودة بجبال غمارة(1)، الذي تنشأ به الأساطيل ويعرف في الأبنية الملوكية ويحمل منها إلى كثير من الجهات(2).

من أهم دور الإنشاء الحبالات بالقرب من مدينة فاس عند ملتقى بوادي سبو، وكانت تنشأ بها القوراب والسفن الصغيرة، ثم تنساب إلى وادي سبو وتصعد حتى قصبة في المحيط الأطلسي، وهذا المصنع أنشأه الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' عندما أراد فتح مدينة المهدية عام 552 هـ / 1157 م(3)، وحقق الأسطول الموحدي انتصاراً رائعاً في هذا الفتح(4).

كما حظيت مدينة فاس بصناعة السفن، لكثرة غابات أخشاب الأرز في جبال بني يازغة والتي تبتعد عن مدينة فاس بحوالي 45 كم تقريباً، والتي يصل كل يوم احمال كثيرة منها، وكذلك أحمال كثيرة(5) من البلوط(6).

---

(1) جبال غمارة: تعد من أخصب جبال المغرب، وهو من الجبال المشهورة، وتسكنه قبائل كثيرة من غمارة وهم أمم لا تحصى، وبه بسائط كثيرة لا تحصى للحرث، ومدن قديمة، وطوله مسافة 6 أيام وعرضه مسافة 3 أيام، وهو كثير العمارة، تشقه الأنهار والمياة السائحة، به أودية ومنتزهات لا توجد في غيره من الأماكن، وهو كثير الأعناب والفواكه والعسل ولأهله مذاهب كثيرة؛ مجهول: الاستبصار،ص190 – 191.

(2) ابن سعيد: الجغرافيا، ص 139؛ ابن سعيد : بسط الأرض، ص 73؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 196 – 197، 233؛ الشاهري: المرجع السابق، ص 88.

(3) الجزنائي: زهرة الآس، ص 70 – 71؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 45؛ أنظر أيضاً العبادي وسالم: المرجع السابق، جـ 2، ص 256؛ موسى: المرجع السابق، ص 233، 267، 316؛ سالم: المغرب الكبير، ص 528؛ عفيفي: نفسه، ص 189؛ بدر: نفسه، ص 318.

(4) المراكشي: المعجب، ص 193؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 215.

(5) نشاط: المرجع السابق، ص 74؛ الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 284.

(6) الشاهري: نفسه، ص 88؛ موسى: نفسه، ص 195.

كما ضم الموحدون مدينة قادس التي كانت أهم مراكز الأسطول المرابطي، وهذا لا يمثل أن الموحدين وراثة المرابطين للأسطول، لأن قاعدته الأولى بالمرية(1).

ومن أهم أسباب اهتمام الموحدين بالأسطول هو ربط الصلة بين الأندلس والمغرب لنقل المئات من الجنود، ولهذا فإن بعبور القوة البحرية الهائلة التي كان ينعم بها المغرب في العصور الوسطى، وكانت القطائع من مختلف الضروب والأشكال، وفيها المراكب الثقيلة، ونتيجة لهذا كانت المصانع منتشرة في كل جهة من جهات المغرب والأندلس(2).

لذا حقق الأسطول الموحدي في استيلاء الخليفة 'عبد المؤمن بن علي'(524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م) على أفريقية حتى وصل إلى مدينة تونس وحصارها عام 554 – 555 هـ / 1159 – 1160 م، وكان أسطوله في البحر يتكون من سبعين مركباً شينياً وطريدة(3) وشلندي(4).

---

(1) موسى: الموحدون، ص 265.

(2) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 53.

(3) الشلندي: جمع شلنديات، وهو نوع من المراكب الحربية الكبيرة المسطحة لحمل المقاتلة والسلاح؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 252، هامش (4)؛ موسى: المرجع السابق، ص 268؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 149.

(4) الطريدة: مفردها طريدة، وهي سفينة سريعة أطلق عليها الأسبان هذا الاسم، وتكون سفينة القائد الأعلى للأسطول الحربي، كما استخدمت في التجارة البحرية، وأيضاً لنقل الخيل أثناء الحرب؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 51؛ دندش: المرجع السابق، ص 149؛ العبادي وسالم: المرجع السابق، جـ 2، ص 253، هامش (3)؛ موسى: نفسه، ص 268؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 254؛ السعيد: الحياة الحربية، ص 171.

وقائدها 'محمد بن عبد العزيز بن ميمون' من البيت المشهور في قيادة البحر(1)، لذا وصلت صناعة السفن ازدهارها في عهد دولة الموحدين خاصة في عهد 'عبد المؤمن بن علي' في الكثرة مالم تبلغه من قبل(2).

وجه الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' عنايته لإنشاء الأسطول وتعمير المراسي ودور الصناعة المنتشرة على طوال السواحل المغربية والأندلسية، ولم يجد صعوبة في الحصول على خامات الحديد والخشب، وكل ما هو ضروري لبناء السفن، كل ذلك كان متوفراً في جبال أو غابات العدوتين واستطاع تكوين أسطولاً قوياً(3).

اهتم الموحدون بإنشاء دور الصناعة على طول السواحل المغربية والأندلسية بهدف إنشاء بحرية إسلامية قوية تستطيع حماية سواحل المغرب والأندلس، وكذلك صد الأخطار الخارجية، ويشير 'ابن أبي زرع' إلى أنه في عام 557 هـ / 1162 م

---

(1) النويري: نهاية الأرب، جـ 24، ص 311؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 494 – 495؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 268؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 1، ص 450؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 403؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 4، ص 295.

(2) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 253، حسن: الحضارة الإسلامية، ص 215؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 84.

(3) العبادي وسالم: نفسه، جـ 2، ص 254.

في عهد الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (524 – 558 هـ / 1130 – 1163 م) أمر بإنشاء الأساطيل في جميع بلاده لجهاد النصارى، والتي بلغ عددها أربعمائة قطعة، ومنها سلا والمعمورة(1)، ومائة وعشرون قطعة ومنها ثمانون صنعت بلأندلس، وفي بلاد إفريقية ووهران ومرسى هنين مائة قطعة، وفي طنجة وسبتة وبادس ومراسي الريف مائة قطعة(2).

كما عمل 'عبد المؤمن بن علي' على اختيار رجال البحرية وتدريبهم تدريباً خاصاً بالقرب من قصره في الحي المعروف بأكدال (معناها بالبربرية البستان)، بمراكش أعد فيها طائفة من السفن الكبيرة والصغيرة لتتمرن فيها الشباب على القتال في البحر

---

(1) مدينة المعمورة: مدينة واقعة على مصب نهر سبو، وتسمى في الوقت الحاضر المهدية، وهذا النوع الذي أنشأها 'عبد المؤمن بن علي' في المعمورة، وتقع مدينة المعمورة (المهدية) على حلق البحر، وتعد مركزاً أساسياً لصناعة السفن؛ الكراس: عروسة المسائل، ص 23، هامش: (20)؛ موسى: الموحدون، ص 267.

(2) السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 128؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 253؛ علام: الدولة الموحدية، ص 262؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 215؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية، ص 83؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 254؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 150 – 151؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 121؛ عبد المنعم: مدينة سلا، ص 76.
فيما يشير مصدر متقدم عن رواية ابن صاحب الصلاة الذي يشير إلى أن الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' أنشأ أسطول مكون من مائتي قطعة من سواحل العدوة والأندلس، أعد منها في مرسى المعمورة في حلق البحر على وادي سبو بمقربة من سلا مائة وعشرون قطعة وعدتها بالمرسى، وأعد باقي العدد الذي ذكرته في أرياف العدوة والأندلس، وربما زاد العدد حتى وصل إلى 400 قطعة؛ المن بالإمامة، ص 147؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 233، 267 – 268؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 149؛ الصلابي: دولة الموحدين، ص 105؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 4، ص 392؛ العبادي وسالم: المرجع السابق، ص 255.
بينما يشير 'ابن أبي دينار' إلى أنه وصل إلى سبعمائة قطعة؛ المؤنس، ص 136.

والتجديف وقيادة السفن، والوثب إلى سفن العدو ومزاولة جميع التمارين البدنية التي تقتضيها الخدمة البحرية(1).

في الوقت الذي اعتمد المرابطون على اسطولهم على الأندلس في صناعة السفن ومركز للقيادة والقادة، كان الموحدون يعتمدون على المغرب، حيث جعلوا قيادة الأسطول به، وإن أكثر سفنهم كانت تبنى في الشواطئ المغربية(2).

اهتم الخليفة الموحدي 'يوسف بن عبد المؤمن' بتجديد بناء دار لصناعة السفن بإشبيلية، وتتصل من سور القصبة الذي على الوادي بباب القطائع إلى الرجل السفلى المتصلة بباب الكحل(3).

كما قام الخليفة 'أبو يعقوب المنصور' بتوسيع وزيادة أوراش صناعة السفن بمدينة سبتة التي ستظل مرتبطة باسمه، لتوفر خشب جبال الريف، الذي كان يساق بسهولة إلى سبتة من بادس وغيرها عن طريق البر والبحر، وكانت المواد الأولية اللازمة لصناعة السفن متوافرة بنواحي مدينة سبتة وقراها من أقصى الريف شرقاً إلى قصر كتامة أول بلاد الهبط غرباً(4).

---

(1) حسن: المرجع السابق، ص 401؛ العبادي وآخرون: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 149؛ موسى: الموحدون، ص 99؛ موسى: المرجع السابق، ص 272؛ الفقي (عصام): تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق للنشر، جامعة القاهرة، القاهرة، 1984 م، ص 272؛ جلاب: دراسات مغربية، ص 10.

(2) موسى: نفسه، ص 267.

(3) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 391، هامش (4)؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 201؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 252؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 5، ص 17؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 221؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، ص جـ 2، ص 265؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 267؛ العبادي: صور من حياة الحرب، ص 220.

(4) الشريف: مدينة سبتة، ص 42 – 43.

فمنذ خلافة الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' كانت مدينة سبتة مركزاً دائماً للأسطول الموحدي(1).

قام الخليفة 'المنصور' بتجهيز أسطولاً ضخماً من مدينة سبتة عام 583 هـ / 1187 م لمدينة بجاية لاستعادتها(2)، وهذا لأهمية مدينة بجاية الاقتصادية لوفرة أخشابها خاصة غابات الصنوبر الصالح لإنشاء السفن(3)، فكان بها دوراً لصناعة السفن والأساطيل والسفن الحمالة والمراكب النقالة وهذا لغنى جبالها وأوديتها بالأخشاب(4). كما ازدهرت صناعة السفن في 'عصر الخليفة 'المنصور' الموحدي وانتشرت دورها(5)، لذا قام بإجابة طلب 'الناصر صلاح الدين' على إعانته بالأساطيل لمنع وصول الإمدادات للصليبيين إلى مدنهم بساحل الشام، وهذا يدل على مدى قوة الأسطول الموحدي(6).

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 157؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 267.
(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجـ 7، ص 4؛ أنظر أيضاً المطوي: السلطنة الحفصية، ص 27.
(3) العبادي وسالم: المرجع السابق، جـ 2، ص 58؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 248؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 122، 193؛ برنشفيك: تاريخ أفريقية، جـ 1، ص 416.
(4) مجهول: الاستبصار، ص 130؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 93؛ أنظر أيضاً عنان: المرجع السابق، جـ 4، ص 284؛ الهادي إدريس: المرجع السابق، جـ 2، ص 108؛ برنشفيك: المرجع السابق، جـ 2، ص 94.
(5) موسى: الموحدون، ص 52؛ علام: الدولة الموحدية، ص 262.
(6) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 147.

كما اهتم ولده الخليفة 'الناصر' (595 – 611 هـ / 1199 – 1214 م) أيضاً بصناعة السفن وبالأسطول، وأمر بإنشاء الأساطيل لفتح ميورقة والقضاء على ابن غانية، وأعد أسطولاً من 300 سفينة، منها 70 غراباً و 30 طريدة و50 مركباً كبيراً و 150 قارباً بالإضافة إلى قوة برية من 2200 فارس و700 من الرماة و 115 ألف رجل، وكان يقود الحملة البحرية عمه 'أبي العلاء إدريس' عام (598 – 599 هـ / 1201 – 1202 م)(1).

كما قام بصناعة عدة سفن حربية بدار صناعة إشبيلية، كان يحميها برج الذي بناه الخليفة 'أبو العلاء إدريس المأمون' (626 – 630 هـ / 1229 – 1232 م) سنة 617 هـ / 1220 م، إلا أن هذه الدار هدمت عند الهجوم البحري الذي قام به قائد أسطول قشتالة على مدينة إشبيلية عام 644 هـ / 1246 م(2)، فكانت دار الصناعة بمدينة إشبيلية تتألف من عدة أروقة عمودية على الوادي الكبير تفصل فيما بينها دعائم قوية من الآجر تعلوها قنوات مرتفعة البناء، وقد حرص المسلمون على تجنب ذلك في أبنيتهم الحربية، وذلك لقابلية الخشب للحريق(3).

(1) المراكشي: المعجب، ص 259؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص 144؛ أنظر أيضاً نصر الله: تاريخ العرب السياسي، ص 336 – 337؛ الصلابي: دولة الموحدين، ص 151؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 268؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 51 – 52؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 158، 264.
(2) سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 221.
(3) نفسه، ص 221 – 222.

يذكر أن الخليفة 'السعيد' (640 – 646 هـ / 1242 – 1248 م) نقض جامع حسان برباط الفتح، وصنع بخشبة الأجفان الغزوانية، فكانت مباركة، فاحترقت نتيجة لذلك لأنها أخشاب الجامع(1)، ولأهمية صناعة السفن في العصر الموحدي عينوا موظفاً إدراياً يتولى أمورها، ويطلق عليها اسم "المشرف"(2).

وقد أورد لنا المؤرخون العديد من أنواع السفن التي كانت تنشأ بدور الصناعة الأندلسية والمغربية في عصري المرابطين والموحدين، ومنها الأغربة(3) والشواني والطرائد والحراقات والقوراب والمراكب الحمالة(4)، فقد نجحت دولتي المرابطين والموحدين في صناعة العديد من السفن الحربية(5).

وصناعة السفن تقوم على مواد صناعية أخرى بالإضافة إلى الأخشاب؛ وتجدر الإشارة إلى أن صناعة السفن حظيت باهتمام ولاة الحسبة الأندلسيين، ويذكر السقطي بناء سفينة كبيرة كان يحتاج إلى أربعين ربعاً من المسامير ذات الأنواع المختلفة،

---

(1) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص 62؛ وقيل أن الخليفة 'السعيد' قام بمدينة فاس مدة طويلة واتصل به أهل مدينة أزمور الذين أشاعوا عليه أنه مات فأحرقوا أجفانه التي قد صنعها من خشب جامع حسان، لذا دخل أزمور بالسيف؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 66؛ أنظر ملحق رقم 4.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب – القسم الموحدي، ص 353؛ أنظر أيضاً عنان: دولة الإسلام، جـ 6، ص 512.

(3) الغربان أو الأغربة: مفردها غراب، وسميت بذلك لأنها كانت تطلى بالقار، وهي من المراكب الحربية التي تسير بالقلع والمجاديف، ومنها الصغير والكبير؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 254؛ سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 51.

(4) المراكب الحمالة: تعرف بالمشرق بالمسطحات جمع مسطحة، كانت تحمل الأسلحة للأسطول؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 254.

(5) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 190؛ موسى: المرجع السابق، ص 233.

وثلاثين ربعاً من البياض أي القار، وتسعة أرباع من الكتان، هذا بالإضافة إلى الأخشاب الجيدة اللازمة لهذه الصناعة(1)، بالإضافة إلى أن بلاد المغرب والأندلس كانت غنية بمعدن الحديد اللازم لعمل المراسي والروابط والخطاطيف أو الكلاليب والعرادات الذي تصنع منه السلاسل، والألياف لعمل حبال المراسي والقطران والكبريت اللازمان لصناعة النفط البحري، وهو نوع لا ينطفئ في الماء(2)، ويخرج الزفت والقطران من كورة جيان، ويحمل منها إلى مدينة إشبيلية ثم إلى الجزيرة الخضراء لصناعة السفن في دار صناعتها(3)، هذا بالإضافة إلى غنى بلاد المغرب بالزفت والقطران(4)، ويصنع الحبال لمراسي السفن(5)، لذا احترف الموالي من 'بني شيبون' صناعة الأحبال(6).

جـ- فنون العمارة الخشبية:

تجلت الصناعات الخشبية ودخلت في فن المعمار في عصري المرابطين والموحدين، ففي العصر المرابطي توجد زخارف موجودة بالمسجد الجامع بالجزائر صنع به المنبر الخشبي الذي أمر الأمير 'يوسف بن تاشفين' بصنعته عام491 هـ / 1097 م، فهو يشتمل على تقطيعات من الزخارف النباتية أندلسية الطابع،

(1) آداب الحسبة، ص 88؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 254.
(2) العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 57.
(3) نفسه، جـ 2، ص 59.
(4) نفسه، جـ 2، ص 59.
(5) نفسه، جـ 2، ص 59 – 60.
(6) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 24.

وهو مصنوع من الخشب قابل للحركة يصعد فيه الخطيب بدرج ليلقي من فوقه خطب الصلاة والقرارات العامة، وما يشبهه بذلك(1).

وقد كان لوفرة أخشاب الأرز في مدينة فاس أن اعتمد أهلها على هذه الأخشاب في بناء بيوتها(2)، لذلك كانت السقوف الخشبية تغش بالقصدير والأصباغ الملونة بها(3).

كما نشطت الصناعات الخشبية بالمغرب وتستخدم في أنواع الأثاث والأبواب بالمنازل وسقوف عدد من المساجد ومحاريبها(4)، كما كانت المنابر والمقصورات تزخرف بأشكال هندسية ونباتية وتطعم حشوات المنابر بالعاج والأبنوس والصندل وأنواع الأخشاب، وهذا ما صنعه المرابطون في منبري جامع الكتيبة بمدينة مراكش الذي صنع من العود والصندل الأحمر وصفائحه من الذهب والفضة بمدينة قرطبة(5)، التي تعد من أشهر المدن الأندلسية التي تميزت بالحفرعلى الأخشاب في العصر الموحدي(6).

(1) عفيفي: الحضـــارة الإســـلامية، ص 188 – 189؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 45، 55 – 56.
(2) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 176؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 518؛ لوترنو: فاس في عصر بني مرين، ص 74، 82.
(3) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 180؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ 5، ص 154 – 156؛ أنظر أيضـاً موسـى: النشـاط الاقتصـادي، ص 234؛ السـبتي: المدينة في العصـر الوسـيط، ص 158؛ المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 553 – 554.
(4) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 113.
(5) موسـى: النشـاط الاقتصـادي، ص 234؛ عفيفي: الحضـارة الإسـلامية، ص 188 – 189؛ أنظر ملحق رقم (7).
(6) سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم، ص 297.

كذلك جامع القرويين بمدينة فاس، فقد كسيت الأبواب الخشبية بالنحاس، كما صنع منبر المسجد من خشب الصندل والأبنوس والجوز، ونقوشه مطعمة بالعاج وبجوانبه زخارفاً وتوريقات تحلية دقيقة، ويتميز منبر جامع القرويين بمدينة فاس الذي تم صنعه عام 538 هـ / 1145 بتقطيعات باهتة الألوان من الخشب، في حين تحشو الأمكنة المتوسطة بينها جرائد خشبية رقيقة مصبغة(1).

كذلك محراب جامع مدينة تلمسان الذي تم بناؤه في عهد الأمير ‘علي بن يوسف’ (500 – 537 هـ / 1106 – 1142 م) وبه أعمال النجارة المتميزة، تم صنعها عام 520 هـ / 1126 م(2)، وكان اتصال حضارة المغرب بحضارة الأندلس أهم عامل في تنشيط الحركة الفنية بمدينة تلمسان وغيرها من المدن، وكان سكان المدن يميلون إلى الاقتداء بالأندلسيين في شتى المجالات، ولا شك أن أهم ما ظهر فيه تأثير الأندلس في الفن المعماري(3)، فاشتهرت مدينة فاس بنقش الخشب(4).

---

(1) الجزنائي: زهرة الآس، ص 16 – 17؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 234؛ بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 15 – 16، 58.
(2) حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 394؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 188 – 189؛ بالباس: المرجع السابق، ص 16؛ أنظر ملحق رقم (6).
(3) حاجيات: أبو حمو الزياني، ص 57 – 58.
(4) نفسه، ص 58.

من أهم فنون العمارة الخشبية في العصر الموحدي والتي تدل على براعة الموحدين الفنية، فقد تركت عمارة المساجد وبناء القصور والمستشفيات أثار كبرى في تطوير الصناعات الخشبية بما تشمله من سقوف وشبابيك وأبواب ومنابر ومقصورات وأثاث وتحف زخرفية(1)، ولعل ما يصور لنا تطور الصناعة الخشبية في هذا العصر أن التحف الفنية كانت تصنع بقصد الملاعب للأعياد مثل الزرافات وما يشابهها(2)، وبفرض الزينة في القصور، فقد روي أن في ساحة قصر 'ابن جامع' الوزير الموحدي خمسمائة جارية يلعبن على خيول صنعت من الخشب(3).

ومن التحف المصنوعة من الخشب بعض أثاث المسجد كصناعة المنابر التي اختصت بها مدينة قرطبة وكراسي المصاحف والمقاصير مشرفة الذروة(4).

كما كانت تغطي بلاطات المساجد الموحدية تسليحات خشبية بسيطة التصميم ظاهرة للعيان، ويوجد في جامع الكتيبة بمراكش، وهي مصنوعة ككل التسليحات الإسلامية في الأندلس من قطع خشبية صغيرة، ورغم صغرها تميزت بجمالها(5).

(1) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 255.
(2) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 234.
(3) نفسه، ص 234.
(4) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 255.
(5) بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص 78.

كما تقدمت في هذا العصر علوم الهندسة والميكانيكا، واستفاد الموحدون من المعارف الميكانيكية في الصناعات الخشبية، ومنها كما سبق القول منبر جامع الكتيبة بمراكش، والذي صنع بالأندلس في غاية الاتقان، وتتكون قطعاته من العود والصندل الأحمر، ويفتح من تلقائه في صعد الخطيب إليه، كما صنعت مقصورة من الخشب تسع نحو ألف شخص، وتتحرك بواسطة عجلات ثبتت في أسفلها ولها ستة جوانب تمت بواسطة مفاصل متحركة، وتتحرك العجلات وتمتد المفاصل في وقت واحد، ولا يترتب على ذلك أقل صوت، وتبدأ الحركة تلقائية، حتى دخل الخليفة الجامع، وتتحرك المقصورة ويخرج من داخلها المنبر الذي جعل فيها مستوراً، وكانت المقصورة والمنبر من صنع المهندس 'الحاج يعيش المالقي'(1).

ومنها أيضاً مصحف سيدنا 'عثمان بن عفان' في تابوت له باب فيخرج كرسي وتركب المصحف عليه تلقائياً(2)، ويظل الكرسي بما حمل يتحرك جيئة وذهاباً حتى يرجع إلى موضعه وينغلق الباب تلقائياً.

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 144 – 145؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 114؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 400؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 188 – 189؛ موسى: المرجع السابق، ص 234 – 235؛ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد، ص 208؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 4، ص 343 – 344؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 76 – 77؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 416؛ بالباس: المرجع السابق، ص 58؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 400؛ 505؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 289.

(2) سالم: المرجع السابق، ص 289؛ موسى: نفسه، ص 235.

ومنبر جامع إشبيلية الذي صنع في عهد 'أبو يوسف الأول' (558 – 580 هـ / 1163 – 1184 م) عام567 هـ / 1173 م، فصنع من أكرم أنواع الخشب مفضلاً منقوشاً مزركشاً محكماً بأنواع الصنعة والحكمة مرصعة بالصندل مجزعاً بالعاج والأبنوس ويتلألأ كالجمر المشتعل، وبصفائح من الذهب والفضة، فصنعت المقصورة من أجود أنواع الخشب(1)، كما أن ارتفاع صومعة جامع حسان برباط الفتح لا يتجاوز 44 متراً، وتفصل بين أحجارها على مسامات ألواح الخشب مبنية في وضع أفقي، وإن كان خشبها أي المراكشية من شجر الأرز(2).

كما استخدم الخليفة 'المنصور'(580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) الأخشاب في ترميم مسجد 'ابن عدبس'، وهو المسجد الجامع الأول الذي أقيم في إشبيلية في عهد الأمير 'عبد الرحمن الأوسط' عندما علم بتصدعه من الداخل والخارج، فأمر البنائين والعرفاء بترميمه وإصلاحه(3).

---

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 387 – 388؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 211؛ أنظر أيضاً سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 171 – 172، 261؛ مؤنس: رحلة الأندلس، ص 129 – 130؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 255 – 256، 266 – 267؛ عنان: دولة الإسلام، جـ 5، ص 72 – 73؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 185 – 186؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 417؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 234؛ بالباس: الفن المرابطي، ص 59.

(2) بالباس: المرجع السابق، ص 84- 85؛ أنظر ملحق رقم (4).

(3) سالم: المرجع السابق، ص 402؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 267 – 268.

كما دخلت الصناعات الخشبية في صناعة الشبابيك، فاستخدمه الخليفة 'الناصر' (595 – 611 هـ / 1199 – 1214 م) بإصلاح وبناء ما يحتاجه جامع الأندلس بفاس، فأمر ببناء الباب الكبير المردج لجوفي الذي به الدرج، وسعته عشرون شبراً وأدراجه أربعة عشر أدراج، وبأسفل هذه الأدراج شباك من خشب الأرز، وفيه ثلاث أبواب، وبإحدى هذه الأبواب صنع قبة من خشب الأرز من خارجه(1).

كما استخدم الخشب المجلوب من حصن قلصة(2) في صناعة أسقف المنازل بمدينة بلنسية(3)، وكذلك مدينة درعة يصنع بها سقوف المنازل من جذوع النخل التي يصنع منها خشب متين(4)، وكذلك في بناء الدور(5)، لذا عدت الصناعات الخشبية، من أهم الصناعة لما تقوم عليها الكثير من الصناعات الخشبية، وأدوات البناء من أبواب وشبابيك، وحوائز خشبية لازمة لأسقف المنازل والشراجيب والكوبيل،

---

(1) الجزنائي: زهرة الآس، ص 124؛ ابن القاضـــي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 78 – 79؛ أنظر أيضـــاً سالم: المغرب الكبير، ص 819.

(2) حصـن قلصـة: يقع بالقرب من مدينة قونكة على مسـافة 120 كم تقريباً إلى الشـرق، وقلصـة بها حصـن منيع يتصل به جبال كثيرة بها أشجار الصنوبر الكثير، ويقطع بها الأخشاب وتلقى في الماء ويحمل منها إلى دانية وبلنسية؛ الإدريسـي: نزهة المشتاق، مجـــ 2، ص 560؛ أنظر أيضـاً العبادي وسـالم: تاريخ البحرية الإسـلامية، جـــ 2، ص 57 – 58؛ أبو مصـطفى: نفسـه، ص 167، 173؛ دندش: المرجع السابق، ص 188.

(3) الإدريسي: المصدر السابق، مجـــ 2، ص 560؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 255؛ موسى: المرجع السابق، ص 316؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 295.

(4) كربخال: أفريقيا، جـ 3، ص 145.

(5) ابن غازي: الروض الهتون، ص 46.

هذا بالإضافة إلى صناعة الأثاث، مثل الصناديق والأرائك وغير ذلك من الأثاث الخشبي الذي كان يطعم أحياناً بالعاج، ويرصع بالذهب والأحجار الكريمة، خاصة لدى الطبقات الميسرة، وقد اختصت مدينة مالقة بصناعة الأثاث(1)، وكذلك أخشاب البقس في مدينة طرطوشة، التي استخدمت في صناعة أسقف المباني(2)، وكذلك وادي آش بكورة غرناطة اشتهر بصناعة الأثاث بالأندلس لكثرة أخشابها(3).

د- أدوات خشبية:

اشتهرت مدينة غرناطة بمراوح الحلفا(4)، والتي اشتهرت بكثرة أخشابها خاصة البلوط(5)، واشتهر ساحل شذونة بصناعة الغرابيل(6)، وكما ذكر ابن عبدون أنه لابد أن تكون غرابيل الحنطة من حلفة قوية القصب(7)، واشتهرت شذونة جنوب غرب الأندلس بـ (المقل)(8)، والذي تصنع منه الغرابيل من الحلفا(9)

(1) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 254 – 255.
(2) نفسه، ص 168.
(3) البغدادي: مراصد الاطلاع، مجـ 1، ص 81؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 283؛ المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 32؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 170.
(4) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 233؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 121.
(5) العمري: مسالك الأبصار، ص 228؛ ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص 42؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ص 5، ص 216.
(6) الحميري: الروض المعطار، ص 101؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 233 – 234.
(7) الحسبة، ص 35.
(8) المقل: يطلق على صمغ شجرة وعلى نوع من أنواع الشجر يقال له المكور، وثمرته تسمى الدوم، وقلبه مثل قلب النخل؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 170، هامش (2).
(9) الحميري: المصدر السابق، ص 101؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 170.

كما اشتهرت مدينة مرسية بالأسرة المرصعة(1)، لذا أهم ما تحمله المراكب الأندلسية إلى بلاد المغرب المصنوعات الخشبية(2).

كما استخدمت الأخشاب أيضاً في صناعة الأكواب(3)، وكذلك الأكيال(4) ومنها أكيال اللبن(5)، فمعظم الأواني المنزلية التي استخدمها المرابطون من الخشب(6)، ومنها الإناء الذي يستعمل لحمل الماء داخل الحمامات(7)، كما صدرت الأطباق الخشبية، التي اشتهرت بصناعتها عدة مدن إلى بلاد المغرب والسودان(8)، ومنها مدينة مالقة التي اشتهرت بصناعة أطباق الخوص(9)، واختصت مدينة تارودانت في العصر المرابطي بصناعة أواني يضعون فيها الملح والبهارات(10)، وكذلك مدينة طرطوشة التي اشتهرت بأخشاب البقس التي تستخدم في صناعة أدوات الطعام، كالملاعق والأطباق(11).

---

(1) موسى: نفسه، ص 234؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 255.
(2) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 199.
(3) ابن عبدون: الحسبة، ص 59.
(4) الأنصاري: الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق: د/ محمد إسماعيل الخاروف، المملكة العربية السعودية، مركز البحث العلمي لإحياء التراث الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1980 م، ص 65.
(5) ابن عبدون: المصدر السابق، ص 42.
(6) عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 4، ص 124.
(7) التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشـؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2000 م، جـ 2، ص 135، هامش (252).
(8) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 199.
(9) الزهري: الجغرافية، ص 93، هامش (245)؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 234.
(10) الصلابي: المرابطين، ص 13.
(11) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 168.

كما اشتهر حصن قيشاطة(1) الذي يقع بين مدينة بسطة ومدينة جيان بالأندلس، وعليه جبل يقطع به من الخشب الذي يخرط(2) منه القصاع والمخابي والأطباق، وينتج منها ما يعم بلاد المغرب والأندلس(3)، كما اشتهرت مدينة أغمات المغربية بصناعة المخروطات الخشبية(4)، ومدينة سجلماسة التي تميزت بصناعة الأواني الخشبية من نوع شجر يعرف باسم الموضع الذي ينبت فيه، أي "تامجانت"، ويصفه البكري بقوله "...هو شجر يعظم ورقة هدب كورق الطرماء، ومنه آنية سجلماسة ودرعة وما والاهما"(5).

---

(1) حصن قيشاطة: حصن بالأندلس، وهو مثل المدينة له اسواق وربض عامر، وبها حمام وفنادق، وبينه وبين مدينة جيان حوالي 70 كم تقريباً؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 569.

(2) الخراط: وهو محترف الخراطة، وهي تهذيب أو تشذيب الخشب والحجر والحديد بآلة تعرف بالمخرطة، والخرطة بالمغرب الأقصى نموذج من القماش، على شكل هندسي تقاس عليه الثياب؛ المجليدي: التيسير في أحكام التسعير، ص 93.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 569؛ الحميري: الروض المعطار، ص 165؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 234؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 286؛ أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 173، 255؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 113؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 278.

(4) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص 131؛ نفاضة الجراب، ص 125.

(5) المغرب، ص 156؛ أنظر أيضاً الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 175؛ الجنحاني: المجتمع العربي، ص 158؛ موسى: نفسه، ص 195.

تميزت مدينة فاس عن غيرها بكثرة الصناعات خاصة الصناعات الخشبية، وذلك لغناها بغابات الأرز في جبال بني يازغة(1) القريبة منها(2)، لذا كان يدخل فاس من خشبها كل يوم مالا يحصى لكثرته(3)، لهذا اشتهرت مدينة فاس بصناعة المخروطات الخشبية(4)، فكان العود يعمر بفاس ألف سنة لا يسوس(5).

كما اشتهرت مدينة تلمسان بصناعة كل ما يتعلق بركوب الخيل من أدوات خشبية(6)، فعمد المرابطون في مرحلة من المراحل إلى صناعة ما يحتاجونه بأيديهم، وهذا أدى إلى ازدهار الصناعة المحلية والاكتفاء الذاتي،

(1) جبال بني يازغة: تبعد عن مدينة فاس بحوالي 45 كم تقريباً، وبني يازغة قبيلة زناتية شـهيرة، كانت في صدر الإسلام تسكن مع قبيلة زواغة في موضع مدينة فاس، ومن القبيلتين اشترى الإمام إدريس الثاني أرض المدينة، وكانت القبيلة يومئذ تدعى آيت يزغتن، ثم عرب العرب هذا الاسـم وقالوا يزغتن، ثم عربوا الاسم كله فصار بني يازغة؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 44، هامش (76).

(2) الجزنائي: زهرة الآس، ص 69؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ق 1، ص 44؛ أنظر أيضاً الشاهري: الأوضاع الاقتصادية، ص 88؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 166؛ الحريري: المغرب في عصر بني مرين، ص 284؛ نصر الله: الأدارسة، ص 161 – 162؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 257؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 58.

(3) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 234؛ نصر الله: الأدراسة، ص 162.

(4) العمري: الأبصار، السفر الرابع، ص 183؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 157؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 234؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 170 – 171؛ المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 555؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 323.

(5) الجزنائي: زهرة الآس، ص 69؛ ابن القاضي: جذوة المقتبس، ق 1، ص 44.

(6) ابن سعيد: الجغرافيا، ص 140؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 233.

ومنها صناعة قتب الجمال، وتعرف أهميتها للحاجة الماسة إليها، وتصنع من الخشب المستورد من بلاد السودان، وتحشى بالقسي والحلفا المقطوعة من الواحات، لصنع فوق سنام الجمال، ومن أهم المدن التي اشتهرت بصناعة سروج الإبل، وهي مدينة نول لمطة(1).

واشتهرت مدينة تونس بصناعة الأقلام من قصب طبرقة(2) وخشبها(3)، ومن خشب الأرز يصنع منه خلايا للنحل(4)، كما كانت مدينة مكناسة غنية بالأخشاب لوجود غابات البلوط العالية بها، والتي تستخدم في العديدمن الصناعات الخشبية المختلفة، مما أدى إلى ازدهار الصناعات الخشبية(5)، ويصنع من الأخشاب الأعلام(6)

---

(1) نصر الله: دولة المرابطين، ص 15؛ موسى: نفسه، ص 233.

(2) مدينة طبرقة: تقع في شرق جزيرة سردانية، التي يحمل منها الخشب، وتقع على نهر كبير يقرب من البحر تدخل السفن حتى إلى باب المدينة، وبالقرب منها مرسى الخرز، وهي مدينة قديمة، وقد أحاط بها البحر من كل جهة إلا مسلك ربما قطعة البحر في زمن الشتاء كما تنشأ بها المراكب للغزو؛ مجهول: الاستبصار، ص 126؛ ابن سعيد: المصدر السابق، ص 143؛ ابن سعيد: بسط الأرض، ص 77.

(3) ابن سعيد: الجغرافيا، ص 143؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 234؛ بدر: المرجع السابق، ص 257.

(4) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 188؛ خاصة خشب الأرز الموجود بجبال فازاز؛ مجهول: المصدر السابق، ص 187؛ انظر ايضاً بن تاويت: الوافي بالأدب العربي، جـ 1، ص 294.

(5) ابن غازي: الروض الهتون، ص 6؛ أنظر أيضاً نوال عبد العزيز: علاقات المغرب الخارجية، ص 135.

(6) العمري: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 164.

وكذلك يصنع منها مقابض الآلات الحربية كالفؤوس والسهام والنشاب(1)، فاشتهرت مدينة جيان بصناعة المحارث(2) والقسـي

تصنع من أخشاب الطخش المتوفرة ايضاً بجبل شقورة(3) بكورة جيان(4)، ومدينة فاس التي كان بها نوع من الخشب يسمى النشب الذي يستخدم في صناعة القسي(5)، بالإضافة إلى استخداماته العديدة أنه يستخدم في صناعة أدوات الحصار، مثل السلالم التي استخدمت في حصار المدن(6)، وقد استخدمها الموحدون في حصار كل من مراكش(7) وسلا(8)، فاشتهرت مدينة طرطوشة بصناعة الآلات الحربية، مثل الأبراج والسلالم(9)، والتي تصنع من خشب الطخش(10)،

---

(1) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 255.
(2) ابن سعيد: المغرب، جـ 2، ص 49.
(3) جبل شقورة: وهو جبل عظيم بالأندلس كثير الخصب والماشية والأشجار والثمار، وهو متصل بالعمارة والسكنى وبه من القرى والمعاقل والحصون المانعة ثلاثمائة قرية وثلاث وثلاثون حصناً، وفي رأس هذا الجبل مدينة شقورة، وهي أمنع مدن الأندلس؛ الزهري: الجغرافية، ص 98.
(4) الزهري: المصدر السابق، ص 98؛ الحميري: الروض المعطار، ص 105؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 161، 174، 255؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 57.
(5) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 176.
(6) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 255.
(7) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 64؛ ابن عذاري: البيان المغرب – القسـم الموحدي، ص 25؛ مجهول: الحلل الموشـية، ص 138؛ أنظر أيضـاً القبلي (محمد): الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1997 م، ص 33؛ موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 246 – 247؛ سالم: المغرب الكبير، ص 706، 786؛ بروفنسال: نخب تاريخية، ص 41.
(8) ابن عذاري: المصـدر السـابق، ص 25؛ أنظر أيضـاً موسـى: المرجع السـابق، ص 246 – 247؛ عبد المنعم: مدينة سلا، ص 18.
(9) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 734؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 168 – 169.
(10) العبادي وسالم: المرجع السابق، جـ 2، ص 57.

وكان هؤلاء النجارين يخرجون مع الجيوش لصناعة ما يحتاجونه من عمل السلالم وغيرها من أدوات الحصار(1)، وكذلك الأسلحة والأبراج(2).

كان لوفرة أخشاب بلاد المغرب الأثر في أن اشتهرت مدينة سلا بصناعة الأمشاط التي تصدر إلى مختلف المدن، وفي فاس كانت تصنع من أخشاب البقص، وذلك لوجود غابة من أشجار البقص بجوار مدينة سلا(3)، كما استخدم الخشب في صناعة الطبول(4)، كما استخدم الخشب أيضاً في صناعة الفحم، ومن أهم أنواع الخشب التي استعملت في صناعة الفحم خشب البلوط المتوفر في منطقة بني بهلول(5)، ويدخل مدينة فاس منها إلى جميع الجهات(6).

ومن أهم استخداماته كوقود أنه يستخدم للتدفئة في المنازل(7)، وتخصص اليهود بصناعة الفحم(8)،

(1) ابن عذاري: نفسه، ص 161؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 348 – 349.
(2) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 408.
(3) الوزان: وصف أفريقيا، ص 214، 247؛ أنظر أيضاً لوترنو: فاس في عصر بني مرين، ص 137؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 257، 323.
(4) مجهول: الحلل الموشية، ص 152.
(5) بني بهلول: اشتهر هذا الجبل بكثرة الحطب، الذي كان يدخل إلى مدينة فاس، كما تميزها أخشابها، وفحمها لا يوصف في الجودة؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص 69.
(6) الجزنائي: المصدر السابق، ص 69؛ أنظر أيضاً الحريري: المغرب في عصر بني مرين، ص 285؛ نصر الله: الأدارسة، ص 162؛ بدر: المرجع السابق، ص 257.
(7) ابن بشكوال: الصلة، ق 1، ص 37، ترجمة 71؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 169..
(8) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 24.

وللفحم أماكن متخصصة لبيعه في المدن الأندلسية، تخضع هذه الأماكن لرقابة المحتسب خوفاً من أعمال الغش، وتذكر في كتب الحسبة أنه يجب أن يحفظ الفحم من البلل في فصل الشتاء، فإن البلل يثقله في الوزن ويفسد عنه الوقيد(1).

2- صناعة الآلات الموسيقية:

لم تؤثر حملات الفقهاء أو الثورتان المرابطية والموحدية في بداية أمريهما على انتشار الغناء بين الناس، إذ ظل الناس مقبلين عليه من شتى الطبقات من امراء المرابطين وسادة موحدين وأرباب الخطط العامة، وقد اتخذ العامة أفراحهم ومواسم حصادهم وقطفهم وصباغهم أعياداً(2)، ورغم أن دولتي المرابطين والموحدين قامتا على أساس دعوتين دينيتين إلا أن الآلات الموسيقية والغناء واللهو قد انتشرت وكثر المغنون، وفي بداية الدولة المرابطية قطع 'عبد الله بن ياسين' بمدينة سجلماسة المنكرات وكسر المزامير وآلات اللهو(3)، وفعل ذلك في أي أرض نزل بها قطع المزامير(4)

---

(1) ابن عبدون: الحسبة، ص 38؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 169.
(2) الضـــبي: بغية الملتمس، ص 59 – 60؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 23 – 24؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 173؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 235.
(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 128؛ السلاوي: الاستقصا، جـــ 2، ص 12؛ أنظر أيضاً حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 18.
(4) حسن محمود: المرجع السابق، ص 151.

وفي أواخر عهد الأمير 'علي بن يوسف' كانت هناك حوانيت عديدة من ضمن معروضاتها ادوات اللهو الغناء(1)،كما استخدم المرابطون الطبول كوسيلة من وسائل الإعلام الخاص منذ عام 454 هـ / 1062 م(2)، وعمت الفرق الموسيقية وكثير من المغنون عصري المرابطين والموحدين(3).

ربما تأثرت صناعة الآلات الموسيقية في المغرب بهجرات القيروانيين(4)، كما أنه في مطلع القرن السادس الهجري الثاني / عشر الميلادي تجددت صناعة الآلات الموسيقية بقدوم 'الصلت' (ت 528 هـ / 1134م) من المشرق ووضعه الألحان، ومنذ ذلك الحين نسبت إليه الأغاني الإفريقية(5).

وفي بداية الدولة الموحدية حارب 'المهدي بن تومرت' آلات الملاهي الموسيقية وكسرها حينما وجدها(6) في مدينة المهدية(7) ومدينة فاس، التي هاجم حوانيت الآلات الموسيقية بزقاقها،

(1) البيذق: المصدر السابق، ص 23 – 24؛ أنظر أيضاً الهرفي: دولة المرابطين، ص 303.
(2) عبد الهادي التازي: الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1983 م، ص 32.
(3) علام: الدولة الموحدية، ص 247؛ ثريا ملحس: المرابطون، ص 52؛ ومن هؤلاء المغنيون ابن إبراهيم الخذوج الأصبحي، الذي وضع كتاب الأغاني الأندلسية على نسق كتاب ابي الفرج؛ موسى: المرجع السابق، ص 235 – 236.
(4) أهل مدينة فاس اكتسبوا الغناء من مهاجرة القيروان؛ الزهري: الجغرافية، ص 112؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 235.
(5) ابن سعيد: المغرب، جـ 1، ص 262؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 235.
(6) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 173؛ أنظر أيضاً عنان: دولة الإسلام، جـــ 4، ص 164؛ القبلي: مراجعات حول المجتمع، ص 40؛ برنشفيك: أفريقية، جـ 2، ص 432.
(7) السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 71؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 164؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 1، ص 385.

وكانت هذه الحوانيت مليئة بالدفوف والقراقر والمزامير والعيدان والروط والأربعة والكيتارات وجميع آلات اللهو، وتولى طلبته كسر هذه الآلات وعلى رأسهم 'عبد المؤمن بن علي'، والتي كانت تصنع من مقارع فروع شجر التين غير المثمر، وهذا يدل على أن أدوات اللهو كانت متوفرة بالمدن المغربية، كما يدل على أن الدولة المرابطية قد أمعنت في الترف، وتناست الرسالة التي وضعها 'عبد الله بن ياسين'(1)، وكذلك في مدينة مراكش(2)، ومدينة تلمسان(3).

كما اهتمت مدينة مكناسة بصناعة الآلات الموسيقية، والدليل على ذلك وجود درب بها يسمى "درب القرسطون"، وهذا الاسم لأحدى الآلات الموسيقية المعروفة باسم القرسطون بنفس ذات الدرب(4)، كما كانت "تاورا" إحدى قرى مدينة مكناسة بها السودان المعروفون بـ "عبيد الحرمة"،

(1) البيذق: أخبار المهدي، ص 23 – 24؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 776؛ حسن: الحضارة الإسلامية، ص 178، 430؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 5، ص 178؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 128، 302؛ حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 370؛ بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 52.
(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 174.
(3) البيذق: المصدر السابق، ص 20؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 283؛ عبد الحميد: نفسه، جـ 5، ص 173.
(4) المنوني: أبحاث مختارة، ص 44.

وهم رجال السودان يلعبون الثقات بالحديد ويرقصون ونساؤهم يضربن آلة اللعب والزامر يزمر عليهم بأبي قرون، وهذه المناكر من عوائدهم في أفراحهم(1).

كما اشتهر أهل بجاية بصناعة الآلات الموسيقية واتقانها، فأمر 'المهدي بن تومرت' بكسر آلاتها(2)، كما تشدد الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' في محاربة وسائل اللهو والغناء، وأصدر عام 556 هـ / 1160 م منشوراً عاماً إلى أهل بجاية وغيرهممن سكان المدن المغربية يتضمن محاربة أصحاب الملاهي ومصادرة أموالهم(3)، وأمر بتكسير المزامير بمدينة مراكش(4).

خير ما يصور لنا ظاهرة انتشار الغناء أن الخليفة 'المنصور' (580 – 595هـ/ 1184 – 1199 م) حارب الغناء وصادر آلاتهم(5)، وقطع المناكير(6)، فتعددت الآلات الموسيقية وتنوعت وكثر انتاجها، وقد كانت أكثر ما يصنع في إشبيلية ومنها تجلب إلى سائر المغرب(7).

(1) ابن غازي: الروض الهتون، ص 31؛ أنظر أيضاً بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 50؛ حسن: المرجع السابق، ص 408 – 409؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص 161؛ موسى: المرجع السابق، ص 235؛ هناء الفقي: تاريخ مدينة مكناسة، ص 136، 167.
(2) عفيفي: نفسه، ص 302؛ برنشفيك: المرجع السابق، جـ 2، ص 433.
(3) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 431.
(4) أبن أبي دينار: المؤنس، ص 134.
(5) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 236؛ حسن: المرجع السابق، ص 431.
(6) الزركشي: تاريخ الدولتين، ص 15.
(7) المقري: نفح الطيب، جـ 4، ص 203؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 236.

ومن أهم الآلات الموسيقية التي انتشرت صناعتها في مدينة إشبيلية في عصري المرابطين والموحدين، هي الخيال والكريج(وهو مستدير الشكل) أو العود (وهو مستدير الشكل) والروطة (مستديرة الشكل)، والرباب والقانون والمؤنس (مستديرتي الشكل)، والكثيرة والقتار (مستديري الشكل)،

والزلامي والشغرة والفورة، وهما مزماران أحداهما غليظ الصوت والآخر رقيقة، والبوق الذي يعد من أفضل هذه الآلات، وكان البوق يتخذ من النحاس أجوف، والدف وأفوال واليرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقي البربر(1).

ذكر أن أعداد الآلات الموسيقية في عهد الخليفة 'المنصور' بلغت إحدى وثلاثين آلة ومنها الغربال والمصافق والغرف والكوس والشاهين والسفاقين والشندن والقرطبة، وكلها مما يستعمل في عصره، وهذا يدل على مدى رواج صناعة الآلات الموسيقية ومدى إقبال المجتمع الموحدي على حياة اللهو(2)، هذا بالإضافة إلى المزمار وهو على شكل قصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لا حل ائتلافها من قطعتين منفردتين، والمزمار مزود

---

(1) المقري: المصدر السابق، جـــ 4، ص 203؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 155 – 156؛ موسى: نفسه، ص 236.

(2) موسى: نفسه، ص 236؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 248.

كذلك بأنجاش، ينفخ فيه بقصبة وهي تعد من أهم آلات الطرب التي صنعت وانتشرت في بلاد الأندلس(1)، فبرع الأندلسيون في فن الموسيقى، فاستخدموا العديد من الآلات الموسيقية مثل العود والرباب والقانون والبوق والمزامير وغيرها في موسيقاهم(2)، ومنها مدينة غرناطة التي قامت على تصدير الموسيقى الأندلسية إلى بلاد المغرب(3).

ومن المفيد أن نلحق صناعة الطبول بالآلات الموسيقية(4)، ويبدو أن الطبول أصبحت في عهد كل من المرابطين والموحدين تستخدم في أغراض عسكرية إرهاباً للعدو قبل بدء المعركة، كما اتخذها الموحدون إعلاناً عن بشرى تزف أو تنظيماً لسير الجيش للقتال، وقد بلغت عدتها في العصر الموحدي مائة طبل(5)، وتميزت مع الكثرة والضخامة، فيذكر صاحب الحلل الموشية في وصف طبل الرحيل عند الموحدين أنه "... طبل كبير مستدير الشكل ودوره خمسة عشر ذراعاً، منشأ من خشب أخضر اللون مذهب، فإذا ضرب فيه ثلاث ضربات علم انه طبل الرحيل فيرحل الناس،

---

(1) سالم: المرجع السابق، ص 155.
(2) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 418؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 273.
(3) سامية مسعد: المرجع السابق، ص 273 – 274.
(4) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 236.
(5) المراكشي: المعجب، ص 195؛ انظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 236؛ موسى: الموحدون في الغرب، ص 235؛ عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 143؛

وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع في يوم لا ريح فيه"(1)، كما استخدم الموحدون الطبول المربعة الشكل(2)

كانت الفرقة الموسيقية تتكون من المغني تصحبه فرقة فيها عواد وزامر وطبلة صغيرة وصاجات، ويبدأ المغني بالغناء، ثم يرد الحاضرون وراءه بعض المقاطع(3)، وقد احترف الكثير من الأولياء والزهاد الغناء في الأعراس قبل دخولهم عالم التصوف، ومن آلة العزف "الزمر"(4) وكذلك الششترية(5).

واستنكرت الكتب الفقهية اتخاذ الملاهي وأنواع الغناء والآلات والمزامير صناعة وحرفة يكتسبون بها وتشدد المحتسبين وأمروا بتكسير آلات الملاهي التي كانت من وظيفة تكسيرها(6).

كما تشددت بعض المذاهب الفقهية بمنع وتحريم الآلات الموسيقية، ومنها مذهب الإمام مالك الذي منع أن تباع في أسواق المسلمين آلات الملاهي من عود ودف وبوق ومزمار وطنبور، وإن كان يجوز ضرب بعضها في الأعراس ولكنه بيعه وكراؤه

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 152؛ أنظر ايضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 236 – 237؛ موسى: المرجع السابق، ص 236.
(2) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 426.
(3) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 273؛ أبو الفضل: شرق الأندلس، ص 248.
(4) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 29.
(5) ابن الطباع: القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية، دار ابن زيدون، بيروت، 1986 م، ص 235.
(6) حسن: المرجع السابق، ص 179.

فنهى عنه(1)، وهذا يتفق مع ما ذكره 'ابن عبد الرؤوف' "... يمنع اللهو كله على أنواعه في الأعراس وغيره كالعود وغيره إلا ما كان من الدف العربي الذي هو يشبه الغربال خاصة وإن اختلف في الكبر"، ومن هنا يتضح أن سماع الموسيقى والطرب والإقبال على الملاهي وجالس الخمر(2) عند المغاربة والأندلسيون من العادات الاجتماعية التي كانت منتشرة(3)، كما شجع اليهود على الموسيقى ويستقبلون في بيوتهم خفة فئات الشباب المسلمين الراغبين في سماع الموسيقى وعرفوا برواية الآلة(4).

(1) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 274.
(2) الحسبة، ص 83؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 273.
(3) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 94.
(4) زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ص 324.

ثالثاً- الصناعات القائمة على الانتاج الحيواني:

1- الصناعات الجلدية:

أ- صناعة الأحذية:

ازدهرت الصناعات الجلدية في بلاد المغرب والأندلس، وذلك لوفرة المادة الخام من الجلود، وعن أهم المدن الأندلسية التي اشتهرت بصناعة الأحذية مدينة مالقة التي تتميز بالجلد المتميز(1)، وبها جلد خشن سميك من جلود الماشية والذي يستخدم في صناعة الأحذية والحقائب ومقابض السيوف(2)، وذلك لوفرة جلود الحيوانات في بلاد الأندلس، ومنها الغزلان والإبل والحمار الوحشي(3)، والتي قامت عليها صناعة النعال والأقراق (هي خفاف تصنع من الجلد والفلين(4) وتلبس صيفاً)(5).

وقد احتفظت بعض بلاد الأندلس بهذه الحرف بعد حركة الاسترداد المسيحي، ويذكر باحث محدث أن وثائق تقسيم إشبيلية المعروفة في الإسبانية بـ El Repar Timrento حيث يرد بها ذكر شوارع تسمى chapines أي الأحذية النسائية(6).

(1) ابن الخطيب: مفاخرات، ص 59؛ مشاهدات لسان الدين، ص 59؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 250.
(2) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 250، هامش (3)؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 138، 164.
(3) أبو مصطفى: نفسه، ص 250؛ سامية مسعد: نفسه، ص 117.
(4) الفلين: شجر الفلين أو القرق ويكثر بغابات الأندلس؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 170.
(5) أبو مصطفى: نفسه، ص 250.
(6) نفسه، ص 250.

اشتهرت أيضاً مدينة غرناطة بكثرة صناع الخفافين(1)، وكذلك مدينة إشبيلية(2)، فقد اهتم المرابطون بالحيوانات للاستفادة من جلودها في صناعة النعال، خاصة جلود الإبل، كما اشتهرت بصناعة درق اللمط(3)، التي ذاع صيتها في الأندلس والمغرب، وازدهرت هذه الصناعة خاصة في مدينة نول لمطة نسبة إلى قبيلة لمطة وقاعدتها نول(4).كما اشتهرت بلاد المغرب بوفرة الجلود(5)

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ 1، ص 137؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 230 – 231.

(2) موسى: المرجع السابق، ص 230 – 231.

(3) كما سبق الإشارة إلى أن درق اللمط ينسب إلى حيوان دابة دون قرون البقر، لها رقاق حادة، ويكثر هذا الحيوان في المنطقة الممتدة من سجلماسة حتى غانا، وهذه المنطقة يسكنها اليهود من قبائل السودان الغربي، وكلما كبر طال قرنه، وأجود الدرق وأغلاها ثمناً ما عمل من جلود الأثاث المسنات، ولمطة هي معدن الدرق اللمطية، ويهدى به الملوك في المغرب والأندلس؛ البكري: المغرب، ص 171؛ مجهول: الاستبصار، ص 214؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجـ 7، ص 115؛ الزهري: الجغرافية، ص 118؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص 641؛ أنظر أيضاً حسن: الحضارة الإسلامية، ص 251؛ البشير: اليهود، ص 92؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 40؛ الماجي: عصر السلطان أبي عنان، ص 182؛ السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 97؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 63.
ولقيمة هذا الدرق أرسله الأمير 'يوسف بن تاشفين' كهدية ملوك الطوائف؛ السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 34؛ أنظر أيضاً نصر الله: المرابطين، ص 159 – 160.
استهرت درق اللمط في الأندلس، ومما يدل على ذلك رسالة بين 'المعتمد بن عباد' و'ألفونسو السادس' حينما رد 'المعتمد بن عباد' على رسالته يهدده فيها بقوله "قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية في أيدي الجيوش المرابطية تروح منك لا تروح عليك إن شاء الله"؛ ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 4، ص 131؛ الحميري: الروض المعطار، ص 85؛ أنظر أيضاً نصر الله: تاريخ العرب السياسي، ص 218؛ نصر الله المرابطين، ص 15 – 16؛ بخيت: تاريخ الأندلس، ص 285 – 286.

(4) نصر الله: المرابطين، ص 15؛ حسن: المرجع السابق، ص 251.

(5) السيد: دول المغرب، ص 207.

لاهتمامهم بتربية الحيوانات للحصول على جلودها، ومنها مدينة قفصة التي تميزت بصناعة النعال الشديدة الليونة، المتخذة من جلد الأروى(1)، ومدينة زويلة(2) التي ازدهر بها نوع من الجلود ينسب إليها الجلود الزويلية(3)، ومدينة فاس الغنية بمختلف الصناعات الجلدية(4)، فالقوافل التجارية تخرج من فاس متجهة للمدن المغربية محملة بالأحذية(5).

كما برع أهل مدينة بجاية في صناعة الأحذية الجلدية(6)، التي كانت تظهر منها موضات، لذا نهى 'المهدي بن تومرت' أهل بجاية خاصة الرجال عن لبس ما سماه "الأقراق الزرارية"(7)، وأغلب الظن أنها كانت مما يلبسه المغنون(8).

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 107؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 182، 293.

(2) مدينة زويلة: هم قوم مسلمون إباضية، وهذه المدينة اشتهرت بزراعة النخل والذرة، ويسكنها أخلاط من أهل خراسان ومن البصرة والكوفة؛ ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص 345.

(3) ابن رستة: المصدر السابق، ص 345؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 183؛ الويش: جبل نفوسة، ص 217.

(4) عفيفي: نفسه، ص 199.

(5) عفيفي: نفسه، ص 200؛ حسن: المرجع السابق، ص 271؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 230 – 231.

(6) موسى: المرجع السابق، ص 320 – 321.

(7) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 13؛ أنظر أيضاً سالم: المغرب الكبير، ص 773؛ موسى: نفسه، ص 231؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 207؛ عفيفي: نفسه، ص 293.

(8) البيذق: المصدر السابق، ص 13؛ أنظر أيضاً موسى: نفسه، ص 231.

تفنن أهل مدينة سبتة في صناعة الأحذية الجلدية، وتطورت صناعة القرق بسرعة، بدليل وجود سوق خاص ببيعها، وهو سوق القراقين(1).

واشتهرت مدينة سلا بخرز النعال(2). وشجعت الدولة الموحدية الصناعات الجلدية التي قامت عليها الكثير من الصناعات الجلدية، ومنها صناعة الأحذية(3) والحقائب(4)، فقد احترف من أسلم من اليهود صناعة النعال المحزوزة(5).

ولأهمية صناعة الجلود أقاموا لها زقاقاً أو قيسارية خاصة تسمى "قيسارية الأحذية"، تباع بها جميع أنواع الأحذية من نعال وأقراق(أسيدريل نوع يشبه البلغة مصنوع من الخواص) ويحمل من الأندلس إلى جهات كثيرة(6)، وتطورت صناعتها لوفرة المادة الخام الأولية من الجلود(7).

---

(1) البادسي: المقصد الشريف، ص 98؛ أنظر أيضاً الشريف: مدينة سبتة، ص 45.
(2) الدكالي: الإتحاف الوجيز، ص 46.
(3) علام: الدولة الموحدية، ص 255.
(4) نصر الله: الأدراسة، ص 142.
(5) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 24؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 283.
(6) دندش: المرجع السابق، ص 199.
(7) برنشفيك: أفريقية، جـ 2، ص 243.

وتنص كتب الحسبة الأندلسية على ضرورة مراقبة العاملين بصناعة الجلود ودبغها، فيذكر 'ابن عبد الرؤوف' أنه من واجبات المحتسب منع الجلادين من بيع جلود الميتة نية، وأنه لابد من بيعها مدبوغة للانتعال والطحن عليها، كما يشترط ان تكون نعال الأقراق من الجلد البقري المبول بالفراء(1).

ويأكد السقطي من عدم خلط جلد العنز مع جلد الشاة في قرق أو جراب(2)، لذا كانت جلود البقر تباع بأعلى الأسعار(3)، ويؤكد الجرسيفي أنه يجب على الرقاقين اختيار الجلد واعتدال التبشر والتنظيف(4).

كما منع المحتسب صناع النعال من تغليظ حواس النعال قبل حرزه(5)، "ولا يسمح لصانع الأقراق لمن عمل قرق إلا أن تتصل حاشيتا جلده خرزاً واحداً في ظهره أو يوصل من الجلد الصغير لا يبلغ سعة الظهر، ويكون مجموعاً بالخزر لا بالتشبيك، وفي وجد على غير ذلك فليس بشئ ولا شئ في القرق إلا جلد على جلد، وبينها حزقة تغلظة وتدفق جانبيه لا بما يدلس به المفسدون من كثرة الفراء والطين

(1) الحسبة، ص 102 – 103؛ انظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 250.
(2) الحسبة، ص 79؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 250 – 251؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 139.
(3) ابن عبدون: الحسبة، ص 33.
(4) الحسبة، ص 124.
(5) ابن عبد الرؤوف: الحسبة، ص 102؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: المرجع السابق، ص 139.

وكذلك يجعلون تحت الأطراف لتصلب وتقف وعند اللباس وينكسر ويظهر تدلسه وفساده ويمنع بالجملة بيع الأقراق وخرصتها إلا بعد التيبس العام"(1)، كما لجأ بعض مؤدبو الكتاتيب في العصر المرابطي إلى بيع الأقراق، ولجأوا إلى هذه المهنة ليفي بأبسط مستلزمات الحياة(2).

ب- الأغشية والحزم والمدورات وسروج ولجم وأدوات منزلية وتجليد الكتب:

قامت تلك الصناعات على صناعة الجلود التي استخدمها المرابطون من جلود الإبل وأدوات الركوب، فالسروج واللجم والأقتاب، وتميز أهل المهنفي المراكز الحضرية بهذه الصناعة الجيدة، وكأنهم اكتفوا اقتصادياً في معايشهم بفضل إبلهم، وإن كان اقتصادياً يدوياً يكتفي بالضروري من أسباب المعايش(3).

من أهم المدن الأندلسية التي تميزت بهذه الصناعة مدينة مالقة التي اختصت بصنائع الجلد كالأغشية والحزم والمدورات(4) والوسائد وأغلفتها(5)،

---

(1) السقطي: الحسبة، ص 79 – 80؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 139.
(2) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 182.
(3) البكري: المغرب، ص 167؛ أنظر أيضاً عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـــ 4، ص 74؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 13؛ نصر الله: المرابطين، ص 16؛ الأدارسة، ص 142.
(4) العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص 234؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جــ 5، ص 129؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 230؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 138، 164.
(5) بالباس: المدن الأسبانية، ص 136.

كما عرفت الأندلس بعض الحيوانات البحرية مثل القندس(1) الذي يوجد بساحل مدينة لبلة، وقد استخدم جلده في عمل غشاء سروج الخيل وأنطية المقاعد(2)، والجلد القرطبي هو الاسم الذي يطلق على الجلود المزينة والمذهبة، كما كانت تصنع بمدينة قرطبة، ثم بعد ذلك صنعت في أماكن أخرى، وأصبحت الجلود القرطبية أكثر المصنوعات انتشاراً حتى في أوربا(3)، ولصناع سروج الخيل عدة دكاكين، وحرفيون يعملون في زخرفة الركابات والمهاميز القطع المعدنية في اللجامات، والحدادون يصنعون الركابات واللجامات والقطع المعدنية، التي تدخل في كسوة الخيل وجاهازها وصناع جلود السروج الذين يصنعون لكل سرج ثلاث زوائد جلدية توضع بعضها فوق بعض، وتكون الوسطى أكثرها رونقاً والسفلى أقل جمالاً، والثلاث من الجلد القرطبي، وتميزت صناعة هؤلاء السراجين بأنها متقنة ودقيقة(4).

كما اختصت عدة مدن مغربية بهذه الصناعة، ومنها مدينة بجاية التي اشتهرت بتصنيع سروج الخيل(5)، فقد احترف الموالي بالحواضر صناعة السروج صنع كسوة للجياد(6).

(1) القندس: يطلق على كلب البحر، وبادستر من ذوات الشعر مثل الماعز، كما انه دابة بحرية تخرج إلى البر، وتميزت بقوتها؛ أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 198.
(2) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 198.
(3) بروفنسال: حضارة الإسلام، ص 60، 98؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 224، 288، 314، 321 – 322.
(4) الوزان: وصف أفريقيا، ص 244.
(5) الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 100.
(6) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 24؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 283.

ومدينة تلمسان التي عدت مركزاً هاماً للمصنوعات الجلدية التي يتجهز بها الفارس(1)، ويحمل منها اللجم للخيل والسروج وما يتبع ذلك، ويذكرها الأندلسيون كأنها من مدائن الأندلس الهامة، ويحمل منها اللجم للخيل والسروج وما يتبع ذلك، ويذكرها الأندلسيون كأنها من مدائن الأندلس لكثرة صنائعها(2)، "... ومدينة تلمسان دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لفاتهم وأديانهم ... فمن سراج"(3)، لذا نالت مدينة تلمسان شهرة واسعة في هذه الصناعة.

صنعت مدينة نول لمطة يصنع بها السروج واللجم وإقتاب الإبل(4)، والدرق اللمطية التي يلبسها المقاتلة في بلاد المغرب لخفتها وحصانتها(5)، التي ينبؤ عنها السيف والرمح(6)، فهو أكثر ما يستعمله الجيشان المرابطي والموحدي(7).

---

(1) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 230.

(2) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 74؛ الجغرافيا، ص 140؛ الزهري: الجغرافية، ص 113 – 114؛ أنظر أيضاً البشير: اليهود في المغرب العربي، ص 97؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 316؛ بدر: مدينة تلمسان، ص 37.

(3) الجيلاني: تاريخ الجزائر، جـ 2، ص 246.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 244 – 225؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 55؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 183.

(5) اليعقوبي: البلدان، ص 135؛ ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص 345؛ البكري: المغرب، ص 171؛ الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 244؛ الزهري: المصدر السابق، ص 118؛ مجهول: الاستبصار، ص 214؛ مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 55؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 203، 230؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 3، ص 516، جـ 4، ص 92، جـ 5، ص 98؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 112؛ الماجي: المغرب في عصر أبي عنان المريني، ص 182؛ عفيفي: المرجع السابق، ص 183، 292؛ حسن محمود: المرابطين، ص 350، 355؛ البشير: المرجع السابق، ص 92 – 93؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 18.

(6) موسى: نفسه، ص 230.

(7) موسى: نفسه، ص 230؛ الموحدون في الغرب، ص 244.

كانت الجلود المطرزة بالذهب تستعمل بكثرة في أفريقية وخصوصاً القيروان لاسيما أن منها المستعملة في السراجة (صناعة السروج)، وكثيراً ما يعوض الذهب بالسمنتي (وهو مزيج معدني مؤلف من النحاس والقصدير والزنك، أو مزيج مؤلف من الذهب والفضة)(1).

كما نشطت صناعة الجلود خاصة سروج الخيول ولجمها وآلات الحرب(2)، لذا كانت بلاد المغرب تصدر إلى بلاد السودان السروج واللبود(3)، بالإضافةإلى استخدامه في الأدوات المنزلية ومنها السفر للطعام والسطول لرفع الماء من الآبار(4)، و طسوت الغسيل ومعاجن دقيق الحنطة، والتي كانت تتخذ من درق أو جلود السلاحف الضخمة، خاصة بالقرب من منطقة جزولة من مدينة مراكش(5)، وكان بها الكثير من الحرفيين في صناعة الجلود(6).كان البيت البدوي في العصر المرابطي يكون من خيمة من الجلد عادة(7)، كما كانوا يستعملون زاهي الجلود فرشاً بدلاً من البسط(8)، ومهر الصناع في صناعة الزرابي الجلدية الصغيرة والوسائد من جلود الدرق(9).

---

(1) الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 251.
(2) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 210.
(3) عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 210.
(4) عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 4، ص 74.
(5) نفسه، جـ 5، ص 98، 113.
(6) حسنين: جغرافية الدول، ص 345.
(7) عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 4، ص 116، 124.
(8) فرش الخليفة 'المنصور' الموحدي بيمارستان مراكش بفرش الأديم إلى جانب البسط؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 230، هامش (11).
(9) الماجي: عصر السلطان أبي عنان، ص 181 – 182.

لم يستخدم الجلد الأندلسي فقط لصنع الأحذية والثياب وتجهيز العروس والمفروشات، فكانت الجلود الذهبية والمزركشة قد صنعت من أجل تجليد الكتب(1)، وكانت صناعة تسفير الكتب (أي تجليدها) قد بلغت درجة عالية من الرقي والاتقان في عهد كل من المرابطين والموحدين، كما استعملت مواد للقضاء على أرضة الكتب بالنشاء والتبخير(2)، فازدهرت صناعة تجليد الكتب(3) المطلية بالذهب والكتابة على الجلد، ويوجد دليل على أسبقية المسلمين على أوربا في هذا الفن، إذ يظهر أول ذكر لعملية تذهيب من هذا النوع عن كتاب مغربي يعود إلى الدولة المرابطية، يتناول فنون صناعة الكتب، وقد ألف في الفترة ما بين سنتي (454 – 502 هـ / 1062 – 1108 م)(4).

كما اشتهرت مدينة سبتة بتسفير الكتب(5)، بالإضافة إلى أن "كتاب الجفر" الذي كان مع 'المهدي بن تومرت' من جلد ثور صغير سمي لذلك باسم الجلد الذي كتب فيه، لأن الجفر في اللغة هو الصغير(6).

---

(1) كونستبل: التجارة والتجار، ص 291.
(2) دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 187.
(3) نصر الله: الأدراسة، ص 142.
(4) الهرفي: المرابطين، ص 292 – 293.
(5) الشريف: مدينة سبتة، ص 45.
(6) السلاوي: الاستقصا، جـ 2، ص 88.

كما ازدهرت صناعة تسفير الكتب في الأندلس خلال العصر الموحدي، وألف أحدهم كتاباً في صناعة التسفير للخليفة 'يعقوب المنصور' (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م) نشتف منه أن الأندلسيين عرفوا طرق التسفير المختلفة وطرق التسوية والحبك واستخدام الفراد وحماية الكتب من الأرضة(1)، وهذا يتعلق بفن الوراقة وهو تحلية المصاحف والكتب من فنون تتعلق باسلوب الخط الذي كتب به، والزخارف التي تزين صفحاتها وما يتعلق بها من طرق التجليد أو التسفير، كما يسمى بالمغرب والأندلس، لذا بلغت هذه الصناعة "تسفير الكتب أو تجليدها" درجة عالية من الرقي والاتقان في عهدي المرابطين والموحدين(2).

جـ- الفراء:

لجأ الناس إلى لبس الفراء نتيجة لشدة البرودة في بلاد المغرب والأندلس في فصل الشتاء، وكان الفراء يصنع من القنلية، وهو حيوان في الأندلس أصغر من الأرنب وأطيب في الطعم وأحسن وبراً، وكثير ما يلبس فراؤها ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى، ولا يوجد في المغرب إلا ما جلب منها إلى مدينة سبتة،

(1) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 246 – 247.
(2) نفسه، ص 246.

فنشأ في جوارها، كما جلبت منها إلى مدينة تونس حاضرة إفريقية(1)، ولهذا كان يصنع من وبر القنلية معاطف الفراء، الضرورية لتجنب البرد القارص خاصة في المناطق الشمالية، فقد اختصت مدينة سرقسطة(2) وطرطوشة(3) بصناعة، هذا بالإضافة إلى حيوان الفنك الذي يصنع منه الفراء الذي يكثر بالصحراء، وكانت له شهرة (الفيزون) في الوقت الحاضر، لذلك كان جلده يحمل إلى جميع البلاد(4).

اختصت بنزرت(5) بصناعة الفراء الثمين من الفنك(6) وإفريقية(7) أيضاً في بلاد الجريد خاصة مدينة درجين، وبالقرب منها يصاد الفنك الذي لا نظير لجلده في الدنيا ولا نظير لفراءه(8)، ودواب الفنك أكثر شئ في هذه الصحراء، ومنها يحمل إلى جميع البلاد(9).

(1) المقري: نفح الطيب، مجـــــ 1، ص 166؛ أنظر أيضـــاً الشـــريف: المرجع الســـابق، ص 38، 156؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 37؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 127؛ مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 487؛ منى شـــعبان: النســـيج واللباس، ص 306؛ كونســـتبل: التجارة والتجار، ص 298؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 186.
(2) ابن عذري: ترصـــيع الأخبار، ص 22؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 287 – 288؛ انظر أيضـــاً أبو مصطفى: نفسه، ص 237.
(3) أبو مصطفى: نفسه، ص 237.
(4) البكري: المغرب، ص 171؛ مجهول: الاســـتبصـــار، ص 214؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 3، ص 516؛ جـ 4، ص 92.
(5) بنزرت: مدينة تقع على البحر بينها وبين مدينة تونس نحو يومين أي نحو 70 كم تقريباً؛ وفيها آثار للأول، وسور صخر قديم، ولها نهر كبير يصب في البحر الذي يكثر به الحوت، وبالقرب منها بحيرة كبيرة تنسب إلى بنزرت، يدخل إليها ماء البحر وهي مالحة، وتوجد بها أنواع من الحوت مالا يحصى؛ مجهول: المصدر السابق، ص 125.
(6) الزهري: الجغرافية، ص 108؛ انظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 203، 230.
(7) مجهول: نفسه، ص 112.
(8) مجهول: نفسه، ص 159؛ انظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 203.
(9) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 251.

كما اشتهرت مدينة نول لمطة بحيوان الفنك الذي يوجد بكثرة، وتحمل جلوده إلى جميع البلاد(1)، وبغربي مدينة بونة بركة بينها وبين مدينة بونة مسيرة يوم طوله حوالي 4.5 كم تقريباً، وبها الطائر المعروف بالكيكل، وهو يعشش على ماء تلك البحيرة ويفرخ فيها وسط البركة، وهو الطائر الذي يسمى في مصر بـ"الخواص" يصنع من جلوده الفراء ويباع بأثمان غالية(2)، وقد ذكرت كتب الحسبة أن الفراء لابد أن يكون جيد، كل فرو يعمل من جلد له صوف، وينهون عن ذلك(3).

بالإضافة إلى السمور(4) الذي يصنع من وبره الفراء الرفيعة، ويوجد بالبحر المحيط بالأندلس ويجلب إلى سرقسطة ويصنع بها، ولأهل مدينة سرقسطة تفنن في صناعة السمور، وبراعة في التدبير ويقوم في طرزها بكمالها متفردة بالنسيج، وهي الثياب المعروفة بالسرقسطية(5)، وقد ذكر المقري وبر السمور الذي يصنع بقرطبة بقوله "... هذا السمور هنا لم أتحقق ولا ما عني به إن كان نباتاً عندهم أو وبر الدابة المعروفة، فإن كانت الدابة المعروفة،

(1) البكري: المصدر السابق، ص 171؛ مجهول: نفسه، ص 214.
(2) البكري: نفسه، ص 58؛ مجهول: نفسه، ص 127.
(3) ابن عبد الرؤوف: الحسبة، ص 104.
(4) السمور: حيوان يشبه السنور جرئ لين الجلد، فروه ثمين غال يصنع من خصيه أدوية رفيعة، ومنافعه كثيرة؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 165، هامش (1)؛ حركات: النشاط الاقتصادي، ص 107؛ كونستبل: التجارة والتجار، ص 297.
(5) ابن عذاري: ترصيع الأخبار، ص 22؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، 287 – 288؛ المقري: نفسه، جـ 1، ص 165؛ انظر أيضاً مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص 487؛ أبو مصطفى: نفسه، ص 232، 237؛ حركات: المرجع السابق، ص 107؛ العبادي وسالم: تاريخ البحرية، جـ 2، ص 63؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 186؛ بروفنسال: حضارة الإسلام، ص 59.

فهي دابة تكون في البحر وفي البر فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق فربما عرض للقناصين مرة أخرى فإذا أحس بهم فخشي أن لا يفوتهم استلقى على ظهره وفرج بين فخذيه ليرى موضع خصيه خالياً، فإذا رأه القناصون كذلك تركوه، قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان أيضاً (الجندبادسترا) فالأدوية تصنع من خصيه من الأدوية الرفيعة ومنافعه كثيرة"(1).

بالإضافة إلى الأرانب التي يستخدم فرائَها في صناعة الفراء، وقد جلب من الأندلس وسبتة(2)، فيصاد بالأندلس الأرانب البرية والقنليات والثعالب والسمور(3)، لهذا دخلت الجلود في صناعات جلدية عديدة، منها صناعة الأحذية والحقائب والأغشية والحزم والمدورات وسروج ولجم الخيول وتسفير الكتب والقرب والسطول وغيرها، لذا كانت هذه الصناعات تحتاج إلى الكثير من الأيدي العاملة، كما تدخل في عملية التبادل التجاري(4).

---

(1) المقري: نفح الطيب، جـ 1، ص 165.
(2) برنشفيك: تاريخ أفريقية، جـ 2، ص 325.
(3) خاصة في ميورقة ومنورقة وجبل شلير وشمال الأندلس، وينتفع بلحومها وفرائها؛ الزهري: الجغرافية، ص 129 – 130؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 193.
(4) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 112.

د- الدباغة:

اشتهرت العديد من المدن الأندلسية والمغربية بدبغ(1) الجلود تمهيداً لاستخدامها في الصناعات الجلدية المختلفة(2)، وعملية الدبغ كانت تتم عادة خارج أبواب المدينة حتى لا تؤذي السكان برائحتها الكريهة، كما هو الحال في قرطبة وطليطلة(3) وغرناطة التي عدت مركزاً للدباغة(4)، فكان الدباغون ينزلون في أطراف المدينة على ضفاف الأنهار اتقاءاً لرائحة صناعتهم(5)، واشتهر مدينة باجة الأندلسية بهذه الصناعة، فقد كان لمائها خاصية في دباغ الأدم لا يبلغه دباغ في الجودة(6)، كما اختصت أيضاً مدينة لبلة بالأديم الأحمر الفاضل(7).

---

(1) الدباغة: هي عملية تنظيف الجلود وتليينها بآلة أو مادة، وينقع الجلد في الماء لمدة معلومة تتزايد بقدم عهد الجلد والنقع إما في حوض أو نهر ويتكرر النقع عدة مرات؛ حركات: المرجع السابق، ص 112.

(2) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 181.

(3) ابن العذري: ترصيع الأخبار، ص 122؛ ابن بشكوال: الصلة، ص 46، ترجمة (983)؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 118؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 250؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 138؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 229؛ الشريف: مدينة سبتة، ص 40.

(4) موسى: نفسه، ص 229؛ سامية مسعد: المرجع السابق، ص 138.

(5) سامية مسعد: نفسه، ص 138.

(6) ابن سعيد: المغرب، جـ 1، ص 403؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص 290؛ المقري: المصدر السابق، جـ 1، ص 139؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 249.

(7) ابن العذري: المصدر السابق، ص 111؛ ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص 145؛ ابن غالب: المصدر السابق، ص 292؛ أنظر أيضاً أبو مصطفى: نفسه، ص 249 – 250.

كما اشتهرت مدن المغرب بحرفة الدباغة(1)، فاستفادت من شجر التاكوت(2)، خاصة مدينتي سجلماسة ودرعة التي عدت من أهم مراكز الدباغة(3)، ومدينة غدامس التي ينسب إليها الجلد الغدامسي المفضل، ويستعمل في دباغته نبات التاكوت(4)، ومدينة إجدابية كان بها ديار لدباغة الجلود البقرية والنمور الواصلة إليها(5) من أوجلة(6)، ومدينة برقة التي اشتهرت بدبغ الجلود وتصنيعها وتصديرها إلى مصر(7).

ومدينة القيروان التي اشتهرت بدبغ جلود غنم الماعز، حيث يقوم الصناع بتصنيع الثياب الجلدية وتصديرها إلى الجنوب(8).

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص 176؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 167، 293؛ السيد: دول المغرب، ص 207؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب، جـ 5، ص 99.

(2) التاكوت: يسمى تاكوت الدباغين لأنه يستعمل في دباغة الجلود، وهو حب يشبه الحمص ويجمع من شجر يشبه الطرفاء؛ مجهول: الاستبصار، ص207؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 183، هامش(1).

(3) البكري: المغرب، ص 152؛ مجهول: المصدر السابق، ص 207؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 196، 229 – 230؛ عفيفي: نفسه، ص 166؛ البشير: اليهود، ص 90؛ بدر: تاريخ الزراعة، ص 314.

(4) البكري: المصدر السابق، ص 152؛ مجهول: نفسه، ص 145، 207؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ص 127، ابن سعيد: بسط الأرض، ص 61؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 183؛ بدر: المرجع السابق، ص 315؛ عبد الحميد: المرجع السابق، جـ 4، ص 89؛ برنشفيك: أفريقيا، جـ 2، ص 243.

(5) عفيفي: نفسه، ص 182؛ البشير: المرجع السابق، ص 97.

(6) مدينة أوجلة: اشتهرت بكثرة النخيل وغلات التمر، ومنها إلى ودان طريق قصد من الرمال؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص 70.

(7) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 69؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 1، ص 311؛ أنظر أيضاً عفيفي: نفسه، ص 182، 202؛ البشير: نفسه، ص 97؛ الهادي إدريس: الدولة الصنهاجية، جـ 2، ص 70.

(8) بدر: نفسه، ص 314.

لذا تميز دباغي الجلود بالقيروان بأنهم من أهم فئات الصناع المتميزة بها، وتنقلوا بالمصنوعات الجلدية بين مدن المغرب الأوسط(1)، ومدينة قابس التي تعد من اهم المدن التي انتشر بها ظاهرة الرعي شبه الصحراوي، مما يجعل الجلود أبرز منتجاتها، لذا تحولت مدينة قابس من مركز نسيج إلى مركز دباغة(2).

ومدينة فاس التي اشتهرت بدباغة الجلود والخرف والماعز والأبقار والغزلان والجمال، والدباغين يتكونون من فئات، فمنهم من كان يزيل الشعر من الجلد، ومنهم من يعدون المسحوق اللازم للدباغة، ومنهم من يقوم على صبغ الجلد(3)، لذا تعددت دور الدباغين(4).

كان بمدينة فاس ستة وثمانون داراً للدباغة في أواخر العصر الموحدي، خاصة عصر 'المنصور' وولده الخليفة 'الناصر'(5)، ولهذا كثر عدد الحرفيينبها لدبغ الجلود والصناعات الجلدية(6).

(1) حركات: النشاط الاقتصادي، ص 238.
(2) الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 1، ص 279؛ مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 107؛ أنظر أيضاً موسى: المرجع السابق، ص 229؛ الهدي إدريس: المرجع السابق، جـ 2، ص 64.
(3) لوترنو: فاس، ص 133؛ حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 355.
(4) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق 1، ص 51.
(5) السبتي: المدينة في العصر الوسيط، ص 105؛ علام: الدولة الموحدية، ص 256؛ موسى: النشاط الاقتصادي، ص 230؛ الشريف: مدينة سبتة، ص 45.
(6) حسن محمود: قيام دولة المرابطين، ص 355؛ البشير: اليهود، ص 97.

ومدينة سلا التي نشطت بها حرفة دبغ الجلود، ولذا انتشرت المدبوغات السلاوية في سائر بلدان المغرب(1)، حتى في عدد من الأقطار الأخرى من بلاد المغرب مثل مدينة فاس ومدينة تطوان(2)، ومراكش، ويصدر إلى مصر والاسكندرية من مدينة سلا، ولرواج هذه الحرفة يتاجر بمصنوعاتها في المدن المجاورة بمدبوغاتها بفاس ومراكش(3)، ولهذا كان أصل الدباغين بمدينة فاس من مدينة سلا(4)، كما تميزت مدينة تارودانت بمدبوغاتها(5)، كما احترف الموالي بالحواضر حرفة الدباغة(6).

كما أتقن صناع مدينة أغمات دباغة الجلود خاصة في العصر الموحدي(7)، كما اشتهرت مدينة قفصة بدبغ جلودها ونقشها وزخرفتها، وإليها ينسب الجلد الأروى(8).

---

(1) الدكالي: الاتحاف الوجيز، ص 44؛ أنظر أيضاً زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ص 320.

(2) الدكالي: المصدر السابق، ص 46؛ أنظر أيضاً العربي: المغرب، ص 101.

(3) الدكالي: نفسه، ص 52.

(4) الدكالي: نفسه، ص 52؛ أنظر ايضاً حسنين: جغرافية الدول، ص 345.

(5) العربي: المرجع السابق، ص 93.

(6) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 24؛ أنظر أيضاً دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 283.

(7) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 171؛ موسى: المرجع السابق، ص 230؛ البشير: المرجع السابق، ص 97.

(8) بدر: تاريخ الزراعة، ص 315؛ منى عزو: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الحفصية (626 – 635 هـ / 1228 – 1535 م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهد البحوث الأفريقية جامعة القاهرة، 1986 م، ص 109 – 110.

اعتمد جبل نفوسة في دبغ الجلود على كثرة ماشية الجبل، عن طريق سلخ الجلد وتنظيفه من الصوف والوبر بمواد لا تثبت فيها، وهي مخصصة لذلك، مثل الجبس والرمل المخلوط بالماء(1).

كما مارس اليهود بمدينة جادوا(2) بعض الأعمال الصناعية، ومن اهمها الدباغة(3)، وتحتم على اليهود الاهتمام بالاشتراك في فلاحة الأرض للحصولعلى المواد الأولية لهذه الصناعة، ومنها شجر التاكوت(4) الذي سبق ذكره، بالإضافة إلى ثمر شجر التاكوت بدرعة استخدموا القرمز في الدباغة أيضاً(5).

فكان لا يباح للدباغ بيع جلد إلا أن يكون قد خرج ماؤه وتحققت في دباغة وفنى يبس وطوي وتكسر، فهو عند جيد الدباغ، ويتقد في ذلك لدلالية، ومن وجد بعد ذلك فعله أدب ونكل(6).

---

(1) محمد حسن: المدينة والبادية بأفريقية في العهد الحفصي، مطبعة جامعة تونس الأولى، 1999 م، جـ 1، ص 484 – 485؛ الشرقاوي (عوض): التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة طنطا 2006 م، ص 160. بعد الانتهاء من تنظيف الجلد كانت كانوا يستخدمون مواد لحماية الجلد من التلف، وذلك بإضافة أصناف من العود والتمر والملح والتين والزيتون، وذلك للمحافظة على طراوة الجلد، هذا فضلاً عن استخدام ثمار أخرى من الشجر البري وقشر الشجر من الطرفاء والجوز في هذه الصناعة؛ الشرقاوي: المرجع السابق، ص 161.

(2) مدينة جادو: إحدى مدن جبل نفوسة الشهيرة، ولها أسواق ويسكنها الكثير من اليهود؛ البكري: المغرب، ص 9.

(3) اليغطوري: سيرة أهل نفوسة، جزيرة جربة، مكتبة أحمد الفسطاطوي، تونس، د.ت، ورقة 64؛ أنظر أيضاً الويش: جبل نفوسة، ص 212 – 213.

(4) مجهول: الاستبصار، ص 207؛ أنظر أيضاً البشير: اليهود، ص 90، 96 – 97.

(5) موسى: النشاط الاقتصادي، ص 230.

(6) السقطي: الحسبة، ص 79؛ أنظر أيضاً سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 138 – 139.

2- صناعة علب العاج:

ومما لا شك فيه أن مادة العاج متوافرة في بلاد الأندلس والمغرب، وقد توافرت مادة العاج في الأندلس، ومما يدل على ذلك الصناديق العاجية المحفورة، وغير ذلك من القطع المحفوظة في المتاحف المعاصرة(1)، فقد برع الأندلسيون في فن صناعة العلب والصناديق العاجية، فقد كانت هذه العلب لحفظ الطيوب مثل المسك والعنبر والصناديق يحمل فيها من صياغة نساء طبقة الخاصة في مجتمع الأندلس، أمثال أمهات أولاد الأمراء وجواريهم ونساء الوزراء والقادة وكبار رجال الدولة(2)، والملاحظ أن معظم هذه التحف العاجية تحمل نصوصاً تاريخية تتضمن اسم من صنعت له التحفة، وتارخ صنعها واسم الصانع وأحياناً المكان الذي صنعت فيه، لذا فإنها تكشف لنا أشكالها وزخارفها الدقيقة عن روعة الفن الإسلامي في الأندلس(3)، وتتخذ التحف العاجية سواء كانت صناديق مستطيلة الشكل ذات أغطية مسطحة، أو على شكل هرم ناقص أو علب اسطوانية ذات غطاء مقبب قطاعاً عرضياً من ناب الفيل(4)،

(1) كونستبل: التجارة والتجار، ص 253.
(2) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس، ص 256؛ سالم: تاريخ وحضارة الإسلام، ص 262.
(3) أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 256؛ سالم: المرجع السابق، ص 262.
(4) أبو مصطفى: نفسه، ص 256؛ سالم: نفسه، ص 262.

كما راجت صناعة علب العاج من السوس، يخرج جلب الصحراء ويدخل سجلماسة، وإليها يخرج سلبها من التبر والعاج والأبنوس من الصحراء(1)، كما أن العاج يتجرون به أهل سلا إلى فاس ومكناسة ومراكش وسجلماسة وسائر بلاد المغرب(2).

لا تزال علب العاج محفوظة بكتدرائيات أسبانيا، فمن عصر الموحدين وجد صندوق من الخشب المغطى بصفيحة رقيقة من العاج كانت تحتفظ به كنيسة سان أبيدورو في ليون، وانتقل الأن إلى متحف الآثار الأهلي بمدينة مدريد، وعلى الصندوق نقش نسخي يتضمن اسم الصانع وهو 'محمد بن السراج'، واسم الشخص الذي صنع من أجله 'أبو الحسن'(3)، كما وجد صندوق آخر في كتدرائية بطرطوشة، وهذان الصندوقان متماثلان في الصناعة، ولكن الزخارف النباتية والحيوانية والآدمية تنحصر داخل دوائر، كما يتشابهان في موضوعات الزخرفة، ولم يستخدم العاج في ترصيع زخرفة هذين الصندوقين، وإنما استعمل العظم الملون، أما النقش الكتابي فيقتصر في الصندوق الأول على كلمتي اليمن والإقبال، وفي الثاني على كلمات "شكل بديع، مسكني دار" وكذلك "العز، الخلافة"(4).

(1) الزهري: الجغرافية، ص 118.
(2) زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ص 320.
(3) أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 256 – 257.
(4) نفسه، ص 257.

3- صناعة الشموع:

شجعت دولتي المرابطين والموحدين صناعة الشموع من الشحم أو شمع العسل، وذلك لأغراض الإضاءة(1)، كما قامت الدولة المرابطية على تربية النحل لهذه الأغراض، وذلك للحصول على العسل والشمع معاً(2)، ومن أهم المدن التي قامت بصناعة الشموع مدينتي تونس(3) وطنجة(4)، كما قامت مدينة سبتة بتصدير الشمع(5).

كما كان الصناع بمدينة فاس يصنعون الشموع الغليظة والرفيعة، التي كان الإقبال عليها شديد بين أهل الريف، ويصنع من الشمع الأصفر، ويضع في وسط الشمع خيط من القنب(6)، وكانت تجود صناعة العسل والشمع في المرتفعات(7).

---

(1) نفسه، ص 258.
(2) نصر الله: دولة المرابطين، ص 15.
(3) برنشفيك: أفريقية، جـ 2، ص 243.
(4) حسن: الحضارة الإسلامية، ص 279.
(5) الشريف: مدينة سبتة، ص 91.
(6) لوتورنو: فاس، ص 137.
(7) برنشفيك: المرجع السابق، جـ 2، ص 235.

4- صناعة العسل:

كما ازدهرت صناعة العسل بسبب تشجيع دولتي المرابطين والموحدين لهذه الصناعة، فقاموا بتربية النحل للحصول على العسل وأيضاً الشمع(1)، فاشتهرت العديد من المدن الأندلسية والمغربية لهذه الصناعة، ومن أهم المدن الأندلسية مدينة إشبونة، وفيها عسل يقال له الأدرني يشبه الكريلف في خرقة فلا يلوثها(2)، وعسل الشرف جيد الصنع يبقى مدة طويلة لا يتأثر فلا يترمل ولا يتبدل(3).

كما اشتهرت العديد من المدن المغربية بصناعة العسل(4)، ومنها مدينة القصر(5) غزيرة العسل، ومن السوس عسل يعرف بالمناني يجنيه النحل في نوار شجر أرجان(6)، ويتميز عسل السوس الذي لا يفوقه عسل في جميع الأقطار، وذلك لشهرته في عمل النبيذ الفاخر بعد خلطه بالماء بنسبة إلى 15 كيلاً من الماء(7).

---

(1) نصر الله: دولة المرابطين، ص 15.
(2) البغدادي:مراصد الاطلاع، مجـ 3،ص 120؛أنظر أيضاً دندش:الأندلس في نهاية المرابطين، ص 177.
(3) دندش: المرجع السابق، ص 177.
(4) مدينة القصر: مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى شطوبر، وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيراً وفيما استدار بها من الأرض كلها أشجار الصنوبر، وبها الإنشاء الكثير، وهي مدينة رطبة العيش خصبة كثيرة الألبان والسمن واللحوم، وبينهما وبين البحر حوالي 30 كم تقريباً؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مجـ 2، ص 544.
(5) الإدريسي: المصدر السابق، مجـ 2، ص 544.
(6) الزهري: الجغرافية، ص 80.
(7) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ 5، ص 94.

كما اشتهرت بعض المناطق بتربية النحل، ومنها جزائر بني مزغني(1)، ومدينة تاهرت(2)، ووهران(3)، وكتامة(4)، وبونة(5)، وبرقة يتجهز بها المسافرون والمراكب إليها من الإسكندرية ومصر بالعسل(6)، والقيروان(7)، وتونس(8)، وجبل زعوان القريب من مدينة تونس، فانصرف الفلاحون به إلى تربية النحل(9)، وجيجل(10)، كما اهتم أهل سلا بزيادة انتاج النحل واستخراج فضلاته(11)، وكثر انتاجه أيضاً بحاحة بمراكش(12)، وجبل الفيفة من منطقة مراكش(13)، ولازدهار الزراعة بمكناسة الزيتون دخلت محاصيل جديدة لسد المطالب المستجدة، مما أدى إلى انتشار أجباح من النحل، فكثر انتاجها من العسل، وهذا ما أكده القرماني بقوله "... مكناسة كثيرة العسل"(14).

---

(1) مقديش: نزهة الأنظار، جـ 1، ص 89؛ أنظر أيضاً عفيفي: الحضارة الإسلامية، ص 169.
(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 86؛ الإدريسي: نفسه، مجـــ 1، ص 256؛ مقديش: المصدر السابق، جـ 1، ص 87؛ أنظر أيضاً عفيفي: المرجع السابق، ص 169.
(3) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 252؛ مقديش: نفسه، جـ 1، ص 78.
(4) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 272.
(5) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 291؛ مقديش: نفسه، جـ 1، ص 124.
(6) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 211.
(7) مقديش: نفسه، جـ 1، ص 116.
(8) نفسه، جـ 1، ص 117.
(9) بدر: تاريخ الزراعة في المغرب الإسلامي، ص 289؛ برنشفيك: أفريقية، جـ 2، ص 235.
(10) الإدريسي: نفسه، مجـ 1، ص 268؛ أنظر أيضاً برنشفيك: المرجع السابق، جـ 2، ص 235.
(11) الدكالي: الإتحاف الوجيز، ص 57.
(12) الوزان: وصف أفريقيا، ص 107؛ أنظر أيضاً بدر: تاريخ الزراعة في المغرب الإسلامي، ص 289.
(13) الوزان: المصدر السابق، ص 151.
(14) أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، دار الكتب، مطبعة الميرزا عباس التبريزي، بيروت، 1882 م، ص 389؛ أنظر أيضاً موسى: النشاط الاقتصادي، ص 202؛ هناء الفقي: مدينة مكناسة، ص 162.

الخاتمـــة

تمخضت الدراسة عن عرض لتاريخ الصناعة في المغرب والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين (448 – 668 هـ / 1056 – 1269 م)، حيث شهدت بلاد المغرب والأندلس خلال هذه الفترة إزدهاراً في النشاط الاقتصادي، فازدرهت الزراعة والتجارة والصناعة.

كما وجدت عدة عوامل أثرت في تقدم الصناعة وازدهارها، فكان لابد من دراستها، كذلك نظرة المجتمع للعمل، وموقف دولتي المرابطين والموحدين منه، ومن عوامل تقدم الصناعة وازدهارها عاملين رئيسيين، وهما توفر المواد الخام الأولية، فعندما أصفت الحياة على الإنسان لتلبية احتياجاته وإشباعها، فكان عليه أن يبتكر ويتفنن في تحويل المواد الخام إلى منتجات لإيفاء احتياجاته الضرورية للعيش، وهو ما تطرق إلى مدلول الصناعة، أي تصنيع الانتاج الزراعي وما يتصل به وغيره من استنباط المعادن والقيام على تصنيعها للاستفادة منها مع وجود الأيدي العاملة وتدريبها في الترقي نحو هذا المجال، حتى تحولت إلى خبرة ومهارة طورت عملية الصناعة خلال عصري المرابطين والموحدين، وكان هذا نتيجة الاستقرار في الأوضاع السياسية في بلاد المغرب والأندلس في هذه الفترة، مما ساهم بشكل كبير في شتى المجالات، خاصة في الصناعات الحربية لحماية حدود الدولة، لذا جاء استقرار الصناع والحرفيين في المدن،

حيث توفر المواد الأولية اللازمة للتصنيع لازدياد حياة الترف في هذه المدن نتيجة للتطور الحضاري والعمراني الذي صاحب دولة المرابطين وأكملته دولة الموحدين، فاتسع نطاق الصناعة، وبرز دور العمران الحضري بين المدنية والصانع، فزاد الطلب على حياة الترف.

وعن موقف دولتي المرابطين والموحدين من العمل، فنجد أن المرابطين قاموا على تطوير الصناعة باعتبارها مصدر دائم للكسب والرزق، وكان هذا نتيجة للاحتكاك الحضاري بين الأندلسيين والمرابطين، خاصة بعد توحيد المرابطين لدولتهم واستقرارهم، فبدأت عملية الإبداع الحضاري سواء كان صناعياً أو معمارياً، لما يمتاز به الأندلسيين من جودة الصنعة، فكان لهم دوراً كبيراً في ازدهار الصناعة، فتدفق الكثير من صناع الأندلس إلى العاصمة مراكش في عهد الأمير 'يوسف بن تاشفين' للبناء والتعمير، لخبرتهم في هذا المجال، وخاصة صناع مدينتي المرية وغرناطة، وهذا لا يعني اقتصار المهارات الصناعية على الأندلس وحدها، بل ظهرت خبرات صناعية في بلاد المغرب في مختلف الصناعات، لذا سنجد أن الصناع في العصر المرابطي قد تمتعوا بمجالسة الأمراء، لتشجيعهم للصناعة، هذا بالإضافة إلى قيام النساء والصبيان بمساعدة أزواجهم وآبائهم على التكسب والمساعدة على المعيشة، ولكن في نهاية العصر المرابطي انعكست بسبب تفاقم الأزمة المالية، مما اضطر الأمير 'علي بن يوسف' إلى فرض ضرائب باهظة على أصحاب الحرف والصناع،

سميت هذه الضرائب بالقبالات، مما أدى إلى تدهور أحوال الصناع نتيجة لهذه الضرائب، مما اضطرت بعض الخبرات الصناعية الماهرة إلى مغادرة بلاد المغرب والعودة إلى الأندلس.

وأما عن موقف دولة الموحدين من العمل، فلم يأل الموحدون جهداً في الاهتمام بالصناعة، وتعلم حرفها، وزادوا على دولة المرابطين، فقد بلغت أوج تقدمها وتطورها، وهذا ما تبين من خلال نظرتهم إلى الصناع في بداية حكمهممن حمايتهم والمحافظة على أرواحهم عند فتحهم للعاصمة مراكش، وهذا يدل على مكانة الصناع في المجتمع الموحدي، وتشجيع الموحدين للصناع وأرباب العمل، لذا نجد بعض الشعراء وأهل العلم يلجأون إلى اتقان بعض الحرف لحماية أنفسهم من تقلبات الزمن، ولم يجدوا صعوبة في العيش، كما احترف بعض العلماء المتصوفين بعض الصناعات على اعتبار أن الحرف مثالاً للتواضع والتعبد والزهد، وهذا ما يدل على نظرة العلماء والمتصوفة إلى أهمية العمل ومحاربة الكسل، وهذا رمزاً للتواضع، كما قام 'المهدي بن تومرت' بتأليب أهل المغرب والأندلس على المرابطين والثورة عليهم بسبب ما فرضوه من قبالات على الصناعات، وعندما تولى الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' الحكم قام برفع المظالم والقبالات في الأسواق والتي كان قد فرضها المرابطون.

ظل الموحدون متمسكون بالحياة الشرعية ولكن هذه السياسة تغيرت في أواخر عهدهم، فلجأوا إلى المكوس والقبالات، فضلاً عن اللالتزامات الشرعية، فكانت تحدد على الصانع على حسب دخل الصانع، ويقدرها أمين كل صنعة في كل مدينة، إلى أن يقوم هذا الأمين برفعها للمشرف المسمى (صاحب الأعمال) في المدينة، والذي يقوم بحفظ إحصاء كل الصناعات وأربابها، فشجعت الدولة الموحدية الصناعة خاصة الصناعات العسكرية لتأمين حدودها ضد أعدائها، بالإضافة إلى حياة الترف التي عاشها الموحدون، فقد زاد الطلب على العمارة والزخرفة، فقد استقدموا الخبرات الأندلسية الصناعية للاستفادة منها في مختلف الصناعات، لذا بلغوا درجة عالية من الاتقان في ظل الدولة الموحدية، فقد استقدمهم الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' لصناعة العديد من المنشآت المعمارية خاصة المقصورة الهندسية بالمسجد الجامع بمراكش، كما حرص الخليفة 'المنصور' الموحدي على الاجتماع بالصناع وأمناء الصناعات مرتين كل شهر لتفقد سيرتهم وسلوكهم في الأسواق ومناقشة الأسعار ومتطلبات السوق، فقد عد عصر الخليفة 'يوسف بن عبد المؤمن' وولده 'المنصور' من أزهى عصور المغرب والأندلس في الاهتمام بالصناعة والعمل على تقدم الصناعة، واتسعت المعايش إلا تدهور الاقتصاد في البلاد نتيجة الحروب والمعارك،

مما أدى إلى تراجع الصناعاتوهو ما نلمسه في موقعة العقاب 610 هـ / 1213 م بعد انتصار النصارى على المسلمين، وفقدان الآلاف من شباب المسلمين في المغرب والأندلس، مما أثر بشكل كبير على الأيدي العاملة، فخلت المزارع منها، وتناقص الانتاج مما انعكس على الحالة السياسية للبلاد.

كما تناولنا اوضاع العمال من خلال أرباب العمل وخبراتهم ومستواهم المعيشي، وعن أرباب العمل أصبحت الملكية متاحة لكل فرد على حساب نشاطهفي عمله على نحو صنعته وجودتها، مما ينعكس على مقدار ما يكتسبه الصانع، كما تفاوت ملكية الأفراد من واحد إلى آخر، وأحياناً يمتلك شخص واحد أكثر من عشر زوجاً من المطاحن.

ومع ذلك انقسم العمال طبقاً لهذه الصناعات إلى ثلاثة أنواع، اولهم (العامل الخاص)، وهو الذي يعمل عند مالك الصنعة أو صاحب العمل، والثاني (الصانع المشترك)، وهو ليس بأجير عند رب العمل وإنما يجلس للعمل ويخدم كل ما يقدم إليه حاجته، مثل الخراز والدباغ والنشار، والنوع الثالث (الصانع المتجول) مثل صانع الأواني الحديدية والخشبية والمخروطية، وينتقل بها الصانع من بلد إلى آخر حسب العرض والطلب، وخبرات الصناع ومستواهم المعيشي، فقد أطلق اسم الصانع أو الصناع على من يشتغل بالصناعة، في حين سماهم الموحدون (عبيد المخزن)

أي خادم المخزن، وكان لاحتراف الصنعة أو الحرفة أثره في تعليمها للصبيان وتوريثها لأبناء الصانع حفظاً لخلفه من تقلبات الزمن، هذا فضلاً على أن المرابطين والموحدين ينظرون إلى الصنائع والحرف باعتبارها مصدراً للرزق والتكسب.

لم يمنع حذق الرجال في الصناعة أن يتفوق النساء عليهم ويضاهوهم في بعض الحرف التي لا تؤثر على رعاية الأطفال أو التقصير في أعمال المنزل، كصناعة الغزل والنسيج التي كانت تمارسها الزوجة والأبناء لمساعدة الأب في عملية الارتقاء بمستواهم الاقتصادي في تنشيط الصناعة، خاصة وأن الأسواق الأندلسية والمغربية كانت تستوعب معظم المنتجات، نظراً لكثرة الطلب عليها في هذه الأسواق، مما ادى إلى مضاعفة الانتاج، والتفنن في صنائعهم، فلجأوا إلى ترتيب صنائعهم في المدن بأسواق منتظمة أو داخل قيساريات، فكان لكل صنعة سوقأو حي خاص بها، وكان تنظيم الصناع على أساس المهن أمر يسير، فنجد على رأس كل مهنة رئيساً سماه المرابطون الرئيس أو المقدم أو العريف أو الأمين، وفي العصر الموحدي جاء لقب رئيس الصنعة عريفاً أو أميناً، وجاءت عملية التدرج الحرفي في العصر الموحدي من صبي في الحرفة إلى صانع مدرب إلى عريف حتى يصل إلى مرتبة (عريف العرفاء) أو (شيخ العرفاء)، فاكتسب الصناع خبرة عبر السنين، فضلاً عن توريثها لأبنائهم وخاصتهم،

ولكل صنعة لباس خاص بها يتميزون بها عن غيرهم، وفي بعض الأحيان لم تنجح بعض الصناعات بسبب عدم اتقان الصناع لها او بسبب غش الصانع، أو طمعه للعمل في أكثر من مهنة، مما يشتت خدمته في العمل وفي جودة صنعته، مما أدى إلى تردي وضعه المادي والحرفي، حتى أن دخلهم كان لا يكفي احتياجاتهم، لذلك كان القاضي والمحتسب يرقبون أصحاب الحرف والصنائع، مما ساهم في انتعاش الحياة الاقتصادية بالمغرب والأندلس عصري المرابطين والموحدين، فازدهر الانتاج الزراعي والصناعي والتجاري.

كما تناولت الصناعات القائمة على المعادن والمواد الغير معدنية، وذلك بالبحث في طريقة استخراج المعادن وكيفية تخليصها من الشوائب، فنهض المرابطون والموحدون بهذه المعادن، وساعدهم على ذلك ممتلكاتهم الواسعة الغنية بمختلف المعادن، فعمدوا إلى تكليف المتخصصين باستخراجها والانتفاع بها للنهوض بالحالة الاقتصادية للبلاد، كما تناولت الصناعات المعدنية ومناطق استخراجها في بلاد المغرب والأندلس (الذهب – الفضة – الحديد – النحاس – الرصاص – القصدير – الزئبق – الزنجفر – الكبريت – الكحل (الأثمد) – التوتيا – الزاج والشب – المغرة والطفل والقار – الملح – الحجار الكريمة – الرخام والأحجار – العنبر – المياة المعدنية أو الحارة (الحمات).

ومن أهم الصناعات التي قامت على الصناعات المعدنية صناعة الأسلحة، فاعتمدت على معدن الحديد بالدرجة الأولى، وهو معدن متوفر بالعديد من المدن الأندلسية والمغربية، لذا قام المرابطون والموحدون بالعمل على تطوير الصناعات الحربية لأهميتها في تأمين حدود البلاد، فتنوعت الأسلحة ما بين (النشاب - السهام - الرماح - السيوف - الدروع - الرعادات - المزاريق - درق اللمط - الأطاس - التراس - المجانيق) هذا بالإضافة إلى السلالم الطبول والكرات الحديدية الملتهبة، وقد كان لصانعو الأسلحة اهمية بالغة عند ولاة الأمر من المرابطين والموحدين، فقد تعددت مصانع السلاح في العديد من المدن.

كما تعد صناعة السكة من أهم الصناعات القائمة على صناعة المعادن خاصة الذهب والفضة والنحاس، فأسهمت العملة في إعطائنا صورة عن الأوضاع الاقتصادية للبلاد، وعن مدى التقدم والاستقرار الذي ينعم به المجتمع، وذلك برسم صورة لطريقة التعامل بين أفراد الشعب عن طريق قيمتها نستطيع أن ندرك مدى رواج التجارة أو تدهورها فتطرقنا إلى دراسة الجهاز الإدراي والفني لدار السكة، ويرجع نشاط هذه الصناعة إلى وفرة المادة الخام اللازمة في السك من ذهب وفضة ونحاس المتوافر بكثرة في المناجم المرابطية والموحدية، فتعددت دور ضرب العملة في العديد من المدن الأندلسية والمغربية.

كما اعتمد فن المعمار على الصناعات المعدنية، وذلك لتطعيم الفنون المعمارية في بلاد المغرب والأندلس، فبلغت من الرقي درجة عالية، وساهم في أغراض متعددة في القصور والمباني الدينية، فكانت صفائح المعادن الرقيقة من ذهب وفضة وحديد ونحاس ورصاص مجالاً لهذه الصناعة الراقية.

أما عن الصناعات الزجاجية التي ازدهرت في العديد من المدن الأندلسية والمغربية لوفرة المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة، فنشطت صناعة الزجاج من الأواني والكؤوس، كما يدخل الزجاج في تزيين بعض المنشآت المعمارية، بالإضافة إلى الصناعات الفخارية التي انتشرت أماكن صناعتها في العديد من المدن الأندلسية والمغربية لتوفر مادته فإنتاج العديد من الأدوات المنزلية الفخارية، ونجحت أيضاً صناعة الخزف المزجج والمذهب، فاشتهرت بانتاجه العديد من مدن بلاد الأندلس والمغرب، بالإضافة إلى صناعة الزليج، خاصة الزليج المدهون بالألوان المختلفة.

تناولت الصناعات القائمة على الانتاج الزراعي والغابي والحيواني، والذي قامت عليه صناعة الغزل والنسيج، ويرجع نجاح هذه الصناعة إلى وفرة المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة من (قطن – كتان – صوف – حرير) في العديد من بلاد الأندلس والمغرب، بالإضافة إلى تشجيع دولتي المرابطين والموحدين لهذه الصناعة ودعمها.

راجت الصناعات الخشبية لوفرة الأخشاب، فأنشئت الجسور، وصنعت السفن الحربية والتجارية التي اعتمدت بشكل أساسي على الأخشاب، لذا وصل الأسطول المرابطي والموحدي إلى قمة مجده بكثرة دور صناعة السفن، كما تجلت الصناعة الخشبية في صناعة المعمار، ودخلت في فنون العمارة الخشبية، وتركت لنا عمارة المساجد وبناء القصور والمستشفيات أثار كبرى، وتطورت الصناعات الخشبية لزيادة الطلب على الصناعات الخشبية من سقوف وشبابيك وأبواب ومنابر وقصور وأثاث وتحف زخرفية، مثل صناعة المنابر وكراسي المصاحف والمقاصير، فادت إلى زيادة الانتاج، كما استفاد الموحدون من المعارف الميكانيكية في الصناعات الخشبية، ومنها باب منبر جامع الخليفة 'عبد المؤمن بن علي' (جامع الكتيبة بمراكش)، كما اعتمد على الأخشاب في صناعة أدوات خشبية عديدة، منها ما يتعلق بركوب الخيل وصناعة سروج الإبل وصناعة الأقلام والغرابيل، بالإضافة إلى الأدوات المنزلية من أطباق وملاعق، وصناعة أمشاط وطبول.

تقدمت الصناعات الجلدية في بلاد المغرب والأندلس لتوافر الجلود، فكثر انتاج صناعة الأحذية والحقائب والأغشية والحزم والمدورات وسروج ولجم أو تجليد الكتب وأدوات منزلية كالسفر للطعام والسطول لرفع الماء من الآبار،

كما أن هذه الصناعة تحتاج إلى أيدي عاملة كثيرة تدخل في عملية التبادل التجاري، كذلك الفراء الذي يصنع من القنلية، كذلك حيوان الفنك المتوفر بالعديد من المدن الأندلسية والمغربية، والسمور الذي صنع من وبره الفراء الغالية، كما قامت على هذه الصناعة صناعة دبغ الجلود، كما تناولت الصباغة سواء كانت صباغة النسيج أو صباغة الجلود وتلوينها، وكذلك صناعة الورق، التي ازدهرت بسبب توافر المادة الخام للورق، والذي كان يصنع من الكتان أوالقطن المتوفر بكثرة في المدن الأندلسية والمغربية.

وأما عن صناعة الآلات الموسيقية، التي عدت من أهم وسائل الترفيه في بعض العادات الاجتماعية عند المغاربة والأندلسيون سماع الموسيقى والطرب، فأقبلوا عليها رغم أن دولتي المرابطين والموحدين قامتا على دعوتين دينيتين، ورغم ذلك تعددت الآلات الموسيقية من طبل وخيال وكريج وعود وروطة ورباب وقانون ودف.

كما تناولت المطاحن التي تعد من أهم الصناعات التي قامت على الانتاج الزراعي، وطحن الغلال كمادة غذائية هامة توفرت في العديد من المدن الأندلسية والمغربية، فكثرت إما في المنازل أو عند مداخلها، وكانت تطحن سواء بالحيوانات أو بالرياح.

وأما عن صناعة الزيوت والصابون التي تعد من أهم المواد الغذائية الهامة التي تستخرج من الزيتون، وزيت الهرجان، بالإضافة إلى استخدامه في الإضاءة، فنتشرت صناعته في العديد من مدن الأندلس والمغرب، لازدهار زراعة الزيتون بهما، كما ازدهرت صناعة الصابون التي اعتمدت على الزيت كمادة أولية في صناعته.

تعد صناعة السكر من أهم الصناعات التي قامت على الانتاج الزراعي فازدهرت زراعته في العديد من مدن الأندلس والمغرب وتعددت مصانع انتاجه، لذا كان يزرع في غير وقته.

وأما عن صناعة الخمور التي قامت على العنب وتعددت دور صناعته رغم تحريم المرابطين والموحدين لهذه الصناعة، كما اعتمدت صناعة ماء الورد على انتاج الورد.

أما عن صناعة الطبيخ فهي من أهم الصناعات التي اعتمدت على الانتاج الزراعي والحيواني، حتى أصبح التأنق في الأطعمة عادة مألوفة لدى الأمراء في عهد المرابطين والموحدين، وتعددت الأصناف من لحوم وأسماك، فقد تفنن المرابطين والموحدين في تقديم الأطعمة وطهيها وتصنيفها، فتطورت صناعة الطبيخ، خاصة صناعة الحلويات والمشروبات.

كما تناولت صناعة العقاقير الطبية والعطور التي تطورت بفضل جهود دولتي المرابطين والموحدين لها ولتوفر المواد الخام اللازمة لصناعتها، فتوفرت العطور باختلاف أنواعها في المغرب والأندلس، وكذلك صناعة العقاقير، التي يرجع نجاحها إلى تقدم علم الكيمياء وازدهار الدراسات الطبية، فانتشرت صناعة الأدوية في الكثير من المدن الأندلسية، كما يبدو أن صناعة الأعشاب الطبية والعقاقيرفي الأندلس ظلت تعم المغرب كله، كما اشتهرت العديد من مدن بلاد المغرب والأندلس بصناعة تجفيف الفاكهة لتوفر العديد من المنتجات الزراعية التي تقوم عليها هذه الصناعة، كذلك صناعة الخل الذي يستخدم في الطبيخ أو في أمور الصيدلة.

كما تناولت صناعة علب العاج التي برع الأندلسيون والمغاربة في صناعتها لحفظ العطور وحلي النساء، وقد دلت لنا هذه الصناعة على روعة الفن الإسلامي، كذلك صناعة الشموع التي قامت على تربية النحل للحصول على العسل والشمع معاً، فاهتم العديد من المدن الأندلسية والمغربية بصناعة العسل.

أما بالنسبة لصناعة الحصر فقد تفننت بها العديد من المدن الأندلسية والمغربية، ذلك لوفرة مادة صناعتها، مثل نبات السمار والحلفا.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

1- البغطوري (مقر بن البغطوري النفوسي) (ت أواخر القرن السادس الهجري): سيرة أهل نفوسة، مخطوط حصلت عليه من جزيرة جربة، مكتب أحمد الفسطاطوي، تونس، د.ت.

2- التنسي (محمد بن عبد الجليل) (ت 899 هـ / 1495 م): نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، مخطوط بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، 238 ت.

3- الوسياني (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان) (ت 471 هـ / 1078 م): سيرة أبي الربيع الوسياني، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 9113 ح.

4- ابن الأثير: تحفة العجائب وطرفة الغرائب، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 4990 جغرافيا.

5- ابن بعرة (منصور الكاملي الذهبي): كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم، رقم 20935.

ثانياً: المصادر العربية المطبوعة:

1- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك محمد بن أحمد بن إبراهيم) (ت 594 هـ / 1198 م): المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1964 م.

2- ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل) (ت 807 هـ / 1404 م): روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962 م.

3- ـــــ: مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق: محمد التركي التونسي وآخرون، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة محمد الخامس، الرباط، 1933 م.

4- ـــــ: النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق: عدنان محمد الطعمة، دار سعد الدين، مطبعة الشام، دمشق، 1992م.

5- ـــــ: بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 م.

6- ابن أبي زرع (أبو الحسن بن عبد الله الفاسي) (ت 749 هـ / 1347 م): الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط 1972 م.

7-: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 م.

8- ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني) (ت 776 هـ / 1374 م): كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1423 هـ / 2003 م.

9-ـــــــــــــــــــــــــــ: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: د/ محمد زينهم محمد عزب، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004 م.

10- ـــــــــــــــــــــــــــ: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: د. محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002 م.

11-: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983 م.

12-ـــــــــــــــــــــــــــ: رقم الحلل في نظم الدول.

13- ـــــــــــــــــــــــــــ: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393 هـ / 1973 م، مجـ 1.

- الإحاطة في اخبار غرناطة، مجـ 2، القاهرة، 1394 هـ / 1974 م.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، مجـ 4، الطبعة الأولى، القاهرة، 1397 هـ / 1977 م.

14- ـــــــــــــــــــــــــــــــ : خطرة الطيف ورحلات المغرب والأندلس، (1347 – 1362)، تحقيق وتقديم: د. أحمد مختار العبادي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964 م.

15- ـــــــــــــــــــــــــــــــ: تاريخ المغرب في العصر الوسيط (أعمال الأعلام)، تحقيق: د. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث.

16- ـــــــــــــــــــــــــــــــ: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: د. أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، دار الكاتب العربي، القاهرة، الجزء الثاني، د.ت.

17- ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي) (ت 685 هـ / 1286 م): المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1964 م، الجزء الأول.

- المغرب في حلى المغرب، الجزء الثاني، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955 م.

18- ابن سعيد: بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان قرنيط، تطوان، 1958 م.

19- ـــــــــــــــــــــــــــــــ: الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970 م.

20- ابن غازي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني) (ت 919 هـ / 1512 م): الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، 1964 م.

21- ابن غالب (محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي) (ت 767 هـ / 1365 م): فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس.

22- ابن العذري (أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي) (ت 478 هـ / 1085 م): ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965 م.

23- ابن الكردبوس (توفي في أواخر القرن السابع الهجري): تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971 م.

24- ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي) (ت بعد عام 712 هـ / 1312 م):

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الجزء الأول، 1983 م.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الجزء الرابع، 1983.

- البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: محمد الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الجزء الخامس، قسم الموحدين، 1985 م.

25- ابن بصال: كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه: خيوس ماريا مياس بيكروسا ومحمد عزيما، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1951 م.

26- ابن عبدون (محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي) (ت أهل القرن السادس الهجري): رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ضمن ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955 م.

27- ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله) (من أهل القرن السادس الهجري): رسالة في الحسبة، ضمن ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955 م.

28- ابن سهل (أبي الأصبع عيسى): وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس (مستخرج عن مخطوط الأحكام الكبرى)، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة: دكتور محمد علي مكي وآخرون، المركز العربي للدول والإعلام، القاهرة، 1980 م.

29- ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي) (ت 1025 هـ / 1616 م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، القسم الأول والقسم الثاني، الرباط، 1973 م.

30- ابن القطان المراكشي (محمد الحسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي) (ت 628 هـ / 1230 م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، تحقيق: د. محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1995 م.

31- ابن بسام: كتاب التواريخ المعروف بابن بسام في اخبار ملوك الحضرة المراكشية، وقف على طبعة أميروسيو هويتي، مطبعة الأبيرقة مجريط المسيحية، تطوان، 1917 م.

32- ابن مرزوق (محمد ابن مرزوق التلمساني) (ت 781 هـ / 1379 م): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: دكتورة ماريا خيوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد.

33- ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان (صورة من فن الطبيخ الأندلسي والمغرب في بداية عصر بنو مرين)، تحقيق: محمد بن شقرون، إعداد: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984 م.

34- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) (732 – 808 هـ / 1331 – 1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تقديم: عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007 م، الجزأين الأول والثاني.

35- ابن الحكيم (أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم) (كان حياً عام 768 هـ / 1366 م): الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: د. حسين مؤنس، دار الشروق، بيروت، 1986 م.

36- ابن العماد (أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي) (ت 1089 هـ / 1678 م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، 1399 هـ/ 1979 م، الطبعة الثانية، الجزأين الرابع والخامس.

37- ابن الأبار (محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي) (595 – 658 هـ / 1199 – 1260 م): المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008 م.

38- ـــــ: الحلة السيراء، تحقيق: د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الجزء الثاني، 1985 م.

39- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ) (ت 403 هـ / 1012 م): تاريخ علماء الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008 م.

40- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) (494 – 578 هـ / 1100 – 1182 م): كتاب الصلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، القسمين الأول والثاني، 2008 م.

41- ابن رستة (أبو علي أحمد بن عمر) (ت في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي): الأعلاق النفيسة، نشر وتعليق: دي فويه، المملكة الجغرافية العربية، ليدن، المجلد السابع، 1967 م.

42- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) (ت 300 هـ تقريباً): المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت.

43- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) (ت 630 هـ / 1232 م): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1386 هـ / 1966 م، المجلدين التاسع والعاشر.

44- ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب) (779 هـ / 1377 م): تذكرة النبية في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: د. محمد أمين وآخرون، مطبعة دار الكتب، مركز تحقيق التراث، القاهرة، الجزء الأول، 1976 م.

45- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان) (ت 681 هـ / 1282 م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، المجلد الثالث، 1970 م؛ المجلد الخامس، 1977 م؛ المجلد السابع، 1977 م.

46- ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني) (ت 542 هـ / 1147 م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، المجلد الأول القسم الثاني، 1979 م.

47- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي) (ت 367 هـ / 977 م): صورة الأرض، مطبعة الفاروق، القاهرة، د.ت.

48- ابن منصور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي المهدي) (630 – 711 هـ / 1232 – 1311 م): لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417 هـ / 1997 م، الجزء السابع.

49- ابن حنبل (ت 241 هـ /): مسند الإمام ابن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419 هـ / 1999 م.

50- ابن ماجة: سنن ابن ماجة بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الجزء الثالث، 2000 م.

51- أبي عبد الله محمد الكراس (ت 964 هـ / 1556 م): عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل، المطبعة الملكية، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1963 م.

53- أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي (610 / 685 هـ): الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1967 م.

54- إسماعيل رأفت: التبيان في تخطيط البلدان، القاهرة، الجزء الأول، 1329هـ.

55- أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) (ت 1110 هـ / 1699م): المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مؤسسة سعيدان، دار المسيرة، لبنان، 1993 م.

56- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد النصاري الأسدي) (605 – 696 هـ / 1208 – 1297 م): - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور وآخرون، مكتبة الخانجي - مصر، المكتبة العتيقة - تونس، الجزء الثاني، د.ت.

- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، الجزء الثالث، د.ت.

57- البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) (ت 555 هـ / 1160 م): المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب منصور،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971 م.

58- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971 م.

59- السبتي (محمد بن القاسم الأنصاري السبتي) (كان حياً سنة 825 هـ / 1441 م): اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1983 م.

60- الباجي (الشيخ أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي) (ت 1253 هـ / 1837 م): الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، مطبعة بيكار، تونس، 1323 هـ.

61- العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري) (ت 749 هـ /1348 م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: حمزة أحمد عباس، المجتمع الثقافي، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، السفر الرابع، 2002 م.

62- التنبكتي (أحمد باب السوداني التنبكتي) (ت 1036 هـ / 1626 م): كفاية المحتاج لمعرف من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الجزأين الأول والثاني، 2000 م.

63- الجزنائي (علي الجزنائي) (ت بعد عام 766 هـ / 1364 م): تاريخ مدينة فاس (زهرة الآس في بناء مدينة فاس)، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2001 م.

64- المجليدي (أحمد بن سعيد المجليدي) (1094 هـ / 1683 م): التيسيرفي احكام التعسير، تقديم: موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1970 م.

65- الجرسيفي (عمر بن عثمان بن عباس): رسالة في الحسبة، ضمن ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955 م.

66- السقطي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي): آداب الحسبة، تحقيق: حسن الدين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت – لبنان، 1987 م.

67- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) (ت 1215 هـ / 1887 م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 م، الجزأين الأول والثاني.

68- الماوردي (أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي) (ت 450 هـ / 1058 م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق د. أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989 م.

69- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري) (ت بعد 866 هـ / 1461 م): صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)، نشر وتصحيح وتعليق أ. ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت -لبنان، 1988 م.

70- البكري (أبو عبيد بن عبد العزيز البكري) (ت 487 هـ / 1090 م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

71- المراكشي (عبد الواحد) (ت 647 هـ / 1249 م): المعجب في تلخيص أخبار المغربـ تحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994 م.

72- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي) (ت 821 هـ / 1418 م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تقديم فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الجزء الخامس، 2005 م.

73- المقري (أحمد بن محمد المقري التلمساني) (ت 1041 هـ / 1633 م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، مكتبة البحوث والدرات في دار الفكر، بيروت – لبنان، الجزء الأول، 1998 م.

- المجلدات 2، 3، 4، 8، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1986 م.

74- المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ضبط وتحقيق وتعليق: مصطفى السقا وآخرون، الجزء الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، القاهرة، 1358 هـ / 1939 م.

75- الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري) (توفي في أواسط القرن السادس الهجري): الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1967 م.

76- السبتي (أبو العباس أحمد العزفي السبتي) (ت 633 هـ / 1262 م): إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، تخريج ودراسة: محمد الشريف، المجتمع الثقافي، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، 1999 م.

77- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله) (ت 488هـ/ 1095 م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008 م.

78- الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) (ت 599 هـ / 1202 م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008 م.

79- البغدادي (صفي الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي) (ت739هـ/ 1338 م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، المجلدات 1، 2، 3، 1954 م.

80- الدكالي (محمد بن علي): الإتحاف الوجيز (تاريخ العدوتين)، تحقيق: مصطفى بو شعراء، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الثانية، سلا – المغرب، 1995 م.

81- البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي) (ت 841 هـ / 1438 م): فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 2002، الأجزاء 1/ 3، 6.

82- الوزان (الحسن بن محمد الزياتي) (ت 957 هـ / 1550 م): وصف أفريقيا، ترجمة: د. عبد الرحمن حميدة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005 م.

83- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) (ت 706 أو 708 هـ): رحلة التجاني (تونس – طرابلس)، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1982 م.

84- اليعقوبي (أحمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب) (ت 284 هـ / 897م): البلدان، طبعة بريل، ليدن، 1860 م.

85- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر البناء الشامي المعروف بالبشاري) (ت في القرن الرابع الهجري): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع بمطبعة بريل، ليدن، الطبعة الثانية، 1929 م.

86- الزركلي: (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، تحقيق: عبد السلام علي، دار العلم للملايين، بيروت، المجلد الرابع، 1986 م.

87- السويدي (أبو الفوز محمد أمين البغدادي): سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986 م.

88- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) (677 – 733 هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: د. حسين نصار، مراجعة: د. عبد العزيز الأهواني، المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء 24، القاهرة، 1983 م.

89- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) (673 – 748هـ / 1274 – 1374 م): دول الإسلام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الجزء الثاني، 1974 م.

90- ـــــــــــــــــــــــ: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984 م، جـ 19؛ (جـ 20، 1985 م).

91- الوانشريسي (أحمد بن يحيى) (ت 914 هـ / 1508 م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، إشراف: د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981 م، الأجزاء 3، 5، 8.

92- اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي) (ت 768 هـ 1366 م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الطبعة الثالثة، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1993 م، الجزأين الثالث والرابع.

93- البادس (عبد الحق بن إسماعيل بن احمد) (ت بعد 722 هـ / 1322 م): المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد إعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1993 م.

94- الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي) (ت بعد 882 هـ / 1477 م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تعليق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 م.

95- التلمساني (محمد بن عبد الكريم المغيلي) (ت 909 هـ / 1503 م): مصباح الأرواح في اصول الفلاح، تقديم وتحقيق: أ. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968 م.

96- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله) (644 – 714 هـ): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، منشورات دار الأوقاف الجديدة، بيروت، 1979 م.

97- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) (ت 817 هـ / 1414 م): القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، بيروت، 1987 م.

98- التلمساني (أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعي) (ت 789 هـ / 1387 م): تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: الشيخ أحمد أبو سلامة، مكتبة لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1995 م.

99- العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر) (773 – 852 هـ / 1371 – 1448 م): فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة، المكتبة السلفية، القاهرة، الجزء الرابع، 1407 هـ.

100- السملالي (عباس بن إبراهيم): الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة: عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الجزء الثامن، 1977 م.

101- الرازي (فخر الدين) (544 – 604 هـ / 1149 – 1207 م): التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، المجلد 11، 1990 م.

102- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) (224 – 310 هـ / 838 – 922 م): تفسير الطبري جامع لبيان عند تأويل آي القرآن، تحقيق: د/ عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، الجيزة – القاهرة، الجزء 16، 2001م.

103- السيوطي (جلال الدين عبد الرحم بن ابي بكر) (ت 911 هـ / 1505 م): الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الكتب العلمية، الطبعة الولى، بيروت، الجزء الرابع، 1990 م.

104- ـــــــــــــ: سنن النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، الجزأين السابع والثامن، 1999 م.

105- الدمشقي (الحافظ أبي الفداء إسماعيل كثير القرشي) (ت 774 هـ / 1372م): تفسير القرآن العظيم، دار الحديث للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، 1988 م.

106- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، الجزء الرابع عشر، 1987 م.

107- الحشايش (محمد بن عثمان): العادات والتقاليد التونسية (الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية)، دراسة وتحقيق: الجيلاني بن الحاج يحيى، تقديم: محمد البعلاوي، سراس للنشر، تونس، 1992 م.

108- النقير (محمد): عنوان الأديب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب، المطبعة التونسية، الجزء الأول، 1351 هـ.

109- البصري (أبي الحسن الماوردي): مصحف التهجد ومعه تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، دار الصفوة، الكويت، الجزء الثالث، 1993 م.

110- الشوكاني (محمد بن علي): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، الجزء الرابع، د.ت.

111- الزمخشري (محمود بن عمر): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، الجزء الثالث، د.ت.

112- البغدادي (جمال الدين): زاد السير في علم التفسير، دار الفكر، الجزء السادس، 1987 م.

113- القرماني (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دار الكتاب، مطبعة الميرز عباس التبريزي، بيروت، 1882 م.

114- الجناوني (أبو زكريا يحيى بن ابي الخير): كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه، تعليق: إبراهيم أطفيش، مطبعة الفجالة، القاهرة، د.ت.

115- الشماخي (أحمد بن سعيد بن عبد الواحد) (ت 928 هـ / 1521 م): كتاب السير، تحقيق: أحمد السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة،عمان، 1987 م.

116- الدرجيني (أبو العباس أحمد) (ت في القرن السابع الهجري): طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، البليدة، الجزائر، الجزء الثاني، 1974 م.

117- الطبراني (أبي القاسم): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، الجزأين 19، 20، د.ت.

118- القاري (علي بن سلطان): مرفأة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: صدقي محمد العطار، دار الفكر للطباعة، بيروت، الجزء السادس، 1994 م.

119- المكناسي (محمد بن عنان) (ت 1214 هـ / 1800 م): الأكسير في فكاك الأسير، حققه: محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965 م.

120- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) (ت 682 هـ / 1283 م): آثار البلاد وأخبار العباد، تحقيق: ويستنفلد، مطبعة ليدن، برلين، 1848 م.

121- الأصطخري (إبراهيم بن محمد الأصطخري) (ت 346 هـ / 957 م): مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1937 م.

122- الجياني (أحمد بن فرج) (ت 366 هـ / 976 م): سيرته وشعره في كتابه الحدائق والجنان في اشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان، جمعه ورتبه وشرحه: د. محمد رضوان الداية، إصدارات نادي تراث الإمارات العربية المتحدة، 2002 م.

123- الجياني: مجموعة اشعار أبناء فرج، جمعه ورتبه وشرحه: د. محمد رضوان الداية، إصدارات نادي تراث الإمارات العربية المتحدة، 2002 م.

124- الأنصاري (أبي العباس نجم الدين بن الرفعة) (ت 710 هـ / 1310 م): الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق: د. محمد أحمد إسماعيل الخاروف، المملكة العربية السعودية، مركز البحث العلمي لإحياء التراث الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1980 م.

125- الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الشريف) (ت 646 هـ / 1251 م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، الطبعة الثانية، المجلد الأول، 1994 م؛ المجلد الثاني، د.ت.

126- الإشبيلي (أبو زكريا يحيى بن محمد بن احمد): كتاب الفلاحة، تحقيق: خوليا كارابازا، مدريد، 1991 م.

127- الأزهري (أبي منصور محمد بن أحمد) (282 – 370 هـ / 895 – 980 م): معجم تهذيب اللغة، تحقيق: رياض قاسم، دار المعرفة، بيروت، الملجد الثاني، 2001 م.

128- مجهول (ت 712 هـ / 1312 م): تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، تحقيق: محمد زينهم، جهاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1998 م.

129- مجهول (مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وآخرون، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979 م.

130- مجهول (كاتب من أهل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي): الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، 1989 م.

131- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994 م.

132- مقديش (محمد بن سعيد بن مقديش الصفاقسي) (ت 1228 هـ /1813 م): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواوي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجزء الأول، 1988 م.

ثالثاً: المراجع

المراجع العربية:

إبراهيم بحاز بكير: الدولة الرستمية أوضاعها الاقتصادية والفكرية، بدون دار نشر، بغداد، 1983 م.

أبراهيم بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1993م.

ـــــــــــــــ: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1998 م.

إبراهيم حركات: النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، أفريقيا الشرق، 1996 م.

أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000 م.

ـــــــــــــــ: تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.

أحمد مختار العبادي وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط (في المغرب والأندلس)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الجزء الثاني، 1999 م.

أحمد سامي مصطفى وآخرون: جغرافية الوطن العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970 م.

أحمد رضا: رد العامي إلى الفاصح، مطبعة العرفان، صيدا، 1952 م.

أحمد عودات وآخرون: تاريخ المغرب والأندلس من القرن 6 هـ حتى 10 هـ دار الأمل، مكتبة الدراسات الاجتماعية، أربد، 1989 م.

أحمد محمد مصطفى عز الدين الغدامسي: تاريخ غدامس القديم والحديث، بدون دار نشر، 1975 م.

أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1984 م.

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981 م.

ـــــــــــــــــــــــــ: تاريخ مدينة المرية الإسلامية (قاعدة الأسطول الأندلسي)، دار النهضة العربية، بيروت، 1969 م.

ـــــــــــــــــــــــــ: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1998 م.

ـــــــــــــــــــــــــ: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1961 م.

الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي – الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3 – 4 هـ / 9 – 10 م)، الدار التونسية للنشر – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر – تونس، 1978 م.

: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1986 م.

: المجتمع العربي الإسلامي (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، مطابع السياسة، الكويت، 2005 م.

الصديق العربي: كتاب المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت – لبنان، 1984 م.

الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986 م.

ثريا ملحس: المرابطون اللمتونيون (بين القرنين الخامس والسادس للهجرة والحادي عشر والثاني عشر للميلاد، أصلهم ونشأتهم ودولتهم وأخبارهم)، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني – لبنان، 1988 م.

جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448 – 668 هـ / 1056 – 1269 م)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002 م.

جودة حسنين جودة وآخرون: جغرافية الدول الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1984 م.

جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984 م.

جميل خانكي: تاريخ البحرية المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، 1948 م.

حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1980 م.

حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1996 م.

حسن جلاب: دراسات مغربية في التراث، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1998 م.

حسين مؤنس: رحلة الأندلس (حديث الفردوس الموعود)، الدار السعودية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985 م.

ـــــــــــــــــــــــــــــ: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

ـــ: فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية 711 – 756 هـ)، دار الرشاد، د.ت.

ـــ: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتبة مدبولي، مدريد، الطبعة الثانية، 1986 م.

ـــ: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الدار العربية اللبنانية، الطبعة الثانية، 1993 م.

حسين سعيد: الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين، دار الشعب، القاهرة – نيويورك، 1972 م.

حسين مراد: الأوقاف مصدراً لدراسة مجتمع فاس في العصر المريني، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، 2002 م.

حمدي عبد المنعم حسين: مدينة سلا في العصر الإسلامي (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993 م.

ـــ: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة، القاهرة، 1997 م.

رجب محمود بخيت: تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، 2009 م.

سعدون عباس نصر الله: دولة الأدارسة في المغرب، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، 1987 م.

ــــــــــــــــــــــــــ: دولة المرابطين في المغرب والأندلس (عهد يوسف بن تاشيفن)، النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1985 م.

تاريخ العرب السياسي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998 م.

سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، الجزء الأول، 1995 م.

تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام دولة المرابطين)، منشأة المعارف، الإسكندرية، الجزء الثالث، 1990 م.

تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، الجزء الرابع، 1995 م.

تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، الجزء الخامس، 2000 م.

سامية مصطفى مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2003 م.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــ: الحرب والطبيعة في المغرب الأقصى في عهد بني مرين، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003 م.

سلامة الهرفي: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (دراسة سياسية وحضارية)، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، 1985 م.

سحر سالم: مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996 م.

شكيب ارسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الفكر العربي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الجزء الثالث، د.ت.

صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 – 1986 م.

علي يحيى بن معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة، الجزء الثاني، القسم الثاني، 1994 م.

علي حامد الماجي: المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986 م.

علي محمد محمد الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2003 م.

: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2003 م.

عبد الرحمن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت -لبنان، الجزء الثاني، 1965 م.

عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001 م.

عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1991 م.

ــــــــــــــــــــ: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، 1983 م.

عبد الأحد السبتي: المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994 م.

عبد الهادي التازي: الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1983 م.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ: الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984 م.

عفيفي محمود إبراهيم: الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002 م.

عاطف منصور محمد رمضان: موسوعة النقود في العالم الإسلامي، دار القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004 م، الجزء الأول.

عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، الجزء الأول، 1968 م.

عبد الله العروي: تاريخ المغرب محاولة في التركيب، ترجمة: د. ذوقان قرقوط، المؤسسة للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1977 م.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994 م، الجزء الثاني.

عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1968 م.

عبد الله أنيس الطباع: القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية، الطبعة الأولى، دار ابن زيدون، بيروت، 1986 م.

عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني) (510 – 546 هـ / 1116 – 1151 م) تاريخ سياسي وحضاري، دار الغرب الإسلامي، 1988 م.

عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني (حياته وآثاره)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ذخائر المغرب العربي، 1974 م.

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق للنشر، جامعة القاهرة، القاهرة، 1984 م.

عبد العزيز بن إبراهيم العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول (ص)، القاهرة، 1985 م.

عبد العزيز بنعبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمي، الجزائر، القسم الثاني، 1958 م.

فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2005 م.

كمال أبو مصطفى: بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993 م.

ـــ: تاريخ الأندلس الاقتصادي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د.ت.

ـــ: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للوانشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996 م.

محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية في المغرب والأندلس)، العصر الثالث، مكتبة الخانجي، القاهرة، القسم الأول، 1990 م.

ـــ: دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء الرابع، 2003 م.

ـــ : دولة الإسلام في الأندلس (عصر الموحدين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء الخامس، 2003 م.

ـــ : دولة الإسلام في الأندلس (عصر الموحدين وانهيار الأندلس)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء السادس، 2001 م.

محمد المنوني: أبحاث مختارة، وزارة الشئون الثقافية، دار المناهل، 2000 م.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989 م.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (المملكة المغربية)، جامعة الملك محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء، 2000 م.

محمد زنيبر: المغرب في العصر الوسيط (الدولة والمدنية والاقتصاد)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1970 م.

محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجزء الأول، 1988 م.

محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب، 1987 م.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ: الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1997 م.

محمد حجي: نظرات في النوازل الفقهية، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا، 1999 م.

محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، جذور للنشر، الرباط، 2006 م.

محمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515 – 686 هـ / 1121 – 1217 م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996 م.

محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610 – 1213 م / 869 – 1465 م)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1985 م.

ــــــــــــــــــــــ: مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي، دار القلم، الكويت، 1983 م.

محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية (تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 م.

محمد الشريف: سبتة الإسلامية (دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي)، تقديم: محمد بن عبود، منشورات جمعية تطاون، أسمير، تطوان، 1995 م.

محمد كمال شبانة: الأندلس (دراسة تاريخية وحضارية)، دار العالم العربي، القاهرة، 2008 م.

محمد الطيب: الإنصاف في تاريخ الأشراف في المغرب الأقصى، دار الفكر الإسلامي، 1994 م.

محمد حسن: المدنية والبادية بأفريقية في العهد الحفصي، مطبعة جامعة تونس الأولى، الجزء الأول، 1999 م.

محمد بارزمة: ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، مؤسسة ناصر، بنغازي، جـ 8، ق 1، 1972 م.

محمد بركات البيلي: مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان في العصر الإسلامي، مجلة المؤرخ المصري، العدد الثالث، جامعة القاهرة، كلية الآداب، يناير 1989 م.

محمد بن تاويت: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، دار الثقافة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، الجزء الأول، 1982 م.

محمود مكي: وثائق تاريخية عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1959 – 1960 م، المجلدان 7، 8.

محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004 م.

مراجع عقيلة الغناي: قيام دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس -بنغازي، 1988 م.

ــــــــــــــــــــــــــ: سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس -بنغازي، 1988 م.

مزاحم الشاهري: الأوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرينيين،دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، 2001 م.

مصطفى أبو ضيف: أثر العرب في تاريخ المغرب، 1983 م.

مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، القاهرة – بيروت، 1987 م.

مصطفى نشاط: إطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 73، سلسلة بحوث ودراسات، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، 2003 م.

رابعاً: المراجع الأجنبية المعربة:

أتوري روس: ليبيا من الفتح العربي حتى سنة 1911 م، ترجمة: خليفة محمد البلبسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس – ليبيا، 1974 م.

أوليفيا ريمي كونستبل: التجارة والتجار في الأندلس، تعريب: د. فيصلعبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1423 هـ / 2002م.

الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، نقله وترجمه إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجزأين الأول والثاني، 1992 م.

جان وجيروم: أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين، ترجمة أحمد بلا فريج، المطبعة الوطنية، الرباط، عدد 3، 1349 هـ.

روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة: د. نقولا زيادة، مكتبة لبنان، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت – نيويورك، 1967 م.

روبار برنشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي (من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م)، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، الجزأين الأول والثاني، 1988 م.

رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق: د. حسن حبش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994 م، الجزء الثالث.

: المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب، ترجمة: د. أكرم فاضل، وزارة الإعلام، بغداد، د.ت.

ف – ويستنفلد: جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة: عبد المنعم ماجد وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980 م.

كليفورد. أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي (دراسة في التاريخ والأنساب) ترجمة: حسين اللبودي، مراجعة: سليمان العسكري، مؤسسة الشراع العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الكويت، الطبعة الأولى، 1995 م.

ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، رباط الفتح، الجزء العاشر، 1941 م.

ـــــــــــــــــــــ: نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، مطبوعات لاروز، باريس، 1948 م.

ـــــــــــــــــــــ: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

ليوبولدو تورس بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: السيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1976 م.

ـــــــــــــــــــــ: المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة إليودو رودي لابنيا، مراجعة: نادية جمال الدين وآخرون، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2003 م.

مارمول كربخال: أفريقيا، ترجمة: محمد صبحي وآخرون، منشورات الجمعية المغربية، دار نشر المعرفة، الرباط، الجزء الثاني، 1988 – 1989 م.

أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الجزء الثالث، 1984 م.

خامساً: الدوريات العلمية:

سعد زغلول عبد الحميد: فترة حاسمة في تاريخ المغرب، مقال منشور بكلية الآداب والتربية، بنغازي، المجلد الأول، 1958 م.

صالح بن قربة: شخصية عبد المؤمن بن علي من خلال نقوده، مقال منشور في دورية الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، العدد 9، 2001 م.

ضيف الله يحيى الزهراني: دار السكة نشأتها واعمالها وإدارتها، مجلة الدارة السعودية، العدد 2، 1415 هـ / 1975 م.

طاهر راغب حسين: دار السكة الأيوبية ودار السكة المرينية نموذجان لدار السكة المصرية والمغربية، ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مجـ 3، 1983 م.

عز الدين موسى: طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى مصر في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، مقال ضمن مجلة البحوث التاريخية، عدد 1، 1983 م.

عبد الرحمن حجي: انتشار الإسلام في الأندلس (جغرافية المكان والفتوحات الإسلامية)، مقال ضمن مجلة المجتمع، الكويت، 1997 م.
كمال أبو مصطفى: جوانب من النشاط الحضاري في المغرب الأقصى في القرن 6 هـ / 12 م من خلال كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات، الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى ودورها في بناء الحضارة العالمية، ندوة عقدها الاتحاد بمقره في القاهرة، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1423 هـ / 2002 م، حصاد 10.
لطفي بن ميلاد: مكانة مصر وبلاد الشام في التجارة بأفريقية من أواسط القرن 5 هـ / 11 م، و 9 هـ / 15 م، ملخصات بحوث مقدمة لندوة تاريخ الوطن العربي عبر العصور (التاريخ الاقتصادي)، جمعية اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، 1427 هـ / 1992 م، برقم 1092.
محمد كمال شبانة: مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ الوسيط، مقال ضمن مجلة الدارة السعودية، عدد 3، 1987 م.
محمد التاودي: أبو عبد الله بن ياسين، مجلة دعوة حق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، المغرب، العدد الأول، 1975 م.
محمد بركات: الغلاء والمجاعات في بلاد المغرب الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، مقال ضمن مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب جامعة القاهرة، القاهرة، عدد 11، 1993 م.

منى عيد شعبان: النسيج واللباس في عصر الإمارة الأندلسية، الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى ودورها في بناء الحضارة العالمية، ندوة عقدها الاتحاد بمقره في القاهرة، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1423 هـ / 2002 م، حصاد 10.

سادساً: الرسائل الجامعية:

أمال محمد حسن: برقة وطرابلس في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، 1409 هـ / 1989 م.

أحمد محمد السعيد أحمد: الحياة الحربية لبني الأحمر في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، 1426 هـ / 2005 م.

إبراهيم حمودة بدر: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة تلمسان في عهد دولة بني زيان (669 – 962 هـ / 1270 – 1554 م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الأداب جامعة طنطا، 1423 هـ / 2002 م.

ـــــــــــــــــــــــــــــــ: تاريخ الزراعة في المغرب الإسلامي (668 – 923 هـ / 1269 – 1517 م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، 2007 م.

جمال محمد عبد الجيد محمد البنا: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة سالم الأندلسية في القرنين الرابع والخامس الهجريين (335 – 483 هـ / 946 – 1090 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، 1430 هـ / 2009 م.

ريهام إبراهيم عمر فايد: تاريخ دار السكة في الأندلس (316 – 897 هـ / 928 – 1492 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، 1429 هـ / 2008 م.

صبحي عبد المجيد إدريس: تاريخ مدينة سجلماسة في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرينيين عليها (140 – 668 هـ / 757 – 1269 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بكفر الشيخ، 1415 هـ / 1995 م.

ـ: عصر الخليفة الناصر الموحدي (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب جامعة طنطا، 1999 م.

عوض عبد السلام الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة طنطا، 1427 هـ / 2006 م.

: العيون و(الجواسيس) في المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى سقوط دولة الموحدين (22- 668 هـ / 642 – 1269 م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب جامعة طنطا، 1432 هـ / 2010 م.

عبلة لطيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدن جنوب المغرب عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1992 م.

عطية فتحي الويش: جبل نفوسة دراسة في التاريخ السياسي والحضاري منذ عهد العبيديين وحتى نهاية عهد الموحدين في المغرب الأدنى (296 – 628هـ/908 – 1230 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بنها، 1430 هـ/2009 م.

محمد فهمي إمبابي: التاريخ السياسي لمدينة الجزيرة الخضراء الأندلسية منذ سقوط الدولة العامرية وحتى استيلاء القشتاليين عليها (399 – 744 هـ / 1008 – 1344 م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب – جامعة طنطا، 1997 م.

منى سيد عبد العزيز عزو: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الحفصية (626 – 935 هـ / 1228 – 1535 م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1986 م.

نوال عبد العزيز: علاقات المغرب الخارجية في عهد بني وطاس، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهد الدراسات والبحوث الأفريقية، جامعة القاهرة، 1991 م.

هناء محمد عبد الحميد الفقي: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة مكناسة المغربية منذ فتح المرابطين لها حتى نهاية دولة بني مرين (452- 869 هـ / 1060 – 1465 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، 1428، 2007 م.

سابعاً: المراجع الأجنبية:

P. Guichard: l'Espagne et la sicile musulmnes aux XI et XII siecles, Lyon, France, 2000.

Despois (Jean): LAfrique du Nord; Saint Germain, Paris, 1949.

Eisenbeth: Les Juifsau maroc tessar historique, Alger, imprimerie charras, 1948.

Evandonzel: Encyclopadia of islam, New Yourk, 1993.

Miranda (Ambrosio Huici): La Granadas Batallas de la reconquista Durant las invasions Africanas; Madrid, 1956.

Terrasse (H): Histoire du Maroc des origins al'etablissement du protecto rat Francais, Casablanca, 1949.